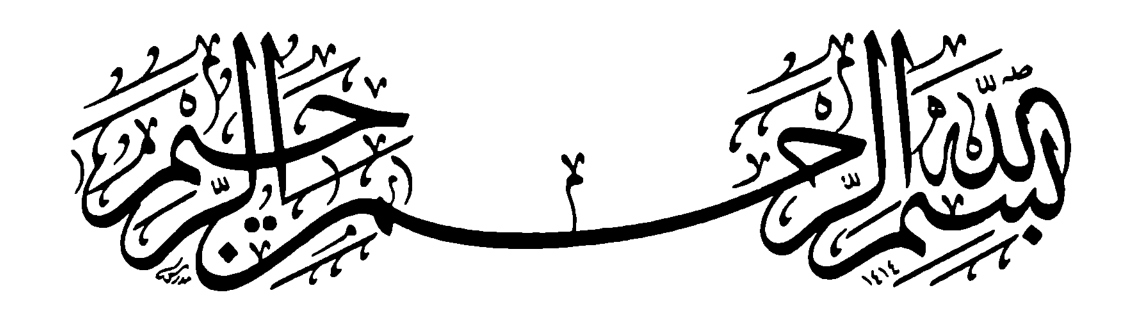

في رحاب
الزيارة الجامعة
البيان الكامل لفضائل أهل البيت عليهم السلام
ومناقبهم الراقية في زيارتهم الجامعة
السيد علي الحسيني الصدر
مؤسسة الرافد للمطبوعات



الحمد لله ربّ العالمين وصلواته على رسوله الأمين

وآله الطيّبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم قاطبةً إلى يوم الدين



في رحاب

الزيارة الجامعة

الحسيني الصدر، السيّد علي Husayni Sadr, S. Ali 1950
في رحاب الزيارة الجامعة.
الرافد للمطبوعات / قم ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
ISBN :978-600-5688-04-7
١. الزيارة الجامعة الكبيرة. نقد وتفسير.
٢. أحاديث الشيعة - القرن الرابع عشر.
ألف. الزيارة الجامعة الكبيرة. شرح.
ب. عنوان
ج. عنوان: الزيارة الجامعة الكبيرة. شرح
BP ٢٧١/٢٠٢ ح ٥٤ ١٩٧/٧٧٧

في رحاب الزيارة الجامعة
آية الله السيّد علي الحسيني الصدر
الرافد للمطبوعات arrafed_pub@yahoo.com
الطبعة الثالثة للكتاب
الطبعة الأولى للناشر / ١٠٠٠ نسخة
١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م
978-600-5688-04-7

في رحاب

الزيارة الجامعة

البيان الكامل لفضائل أهل البيت عليهم السلام
ومنافبهم الرائعة في زيارتهم الجامعة

السيد علي الحسيني الصدر

دار الغدير - قم

الإهداء

إلى رسول رب العالمين وسيد أهل بيته الطاهرين

إلى خاتم الأنبياء وفخر الأصفياء

إلى أفضل الكائنات وأشرف الموجودات

أهدي صحيفة ولائي ومنشور خدمتي

وأرفع مناقب آله الأتقياء في زيارتهم الغراء

والمأمول من رأفته ورحمته قبول القليل

من أقل أمته وذريته ﴾

قم المشرفة في ميلاد سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ١٤٢٣ هـ

علي ابن السيد محمد الحسيني الصدر

المقدّمة

أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين اصطفاهم الله تعالى لنفسه وجعلهم خلفاء في أرضه وخصّهم بفائق كراماته وجعل كامل معرفتهم منحصراً بذاته وخاتم رسله ، فلا يمكن العباد أن يعرفونهم حقّ المعرفة ، بل تكون معرفتهم بقدر ما يكون للبشر من طاقة ، وبمقدار ما يكون للإنسان من قدرة .

وقد ذكرنا بمنّه تعالى شمّة بيان وخلاصة برهان لإمامتهم الحقّة ، وولايتهم المطلقة في كتاب العقائد[١] ضمن فصول خمسة تتلخّص في :

(١) ضرورة الإمامة للبشر قاطبة .

(٢) الإمامة انتصابية من الله تعالى ، لا إنتخابية من الناس .

(٣) انحصار الإمامة في الهداة الغرر الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام .

(٤) خصوصيات الإمام والإمامة .

(٥) وظائف الأُمّة تجاه أهل بيت العصمة .

وامتداداً لتلك الفصول نرجوا من الله الوصول إلى ما تيسّر من معرفة الأئمّة ، والتعرّف على سادة الأُمّة وعرفان الخصائص والفضائل الثابتة لهم ، إستفادةً من دليل معرفتهم وحديث فضيلتهم ، أعني زيارتهم الجامعة ولئاليهم اللامعة الواردة عن سيّدنا الإمام الهمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام . وهي أصحّ الزيارات سنداً ، وأتمّها

---

(١) العقائد الحقّة : ص٢٥٧ ـ ٣٥٣ الطبعة الأُولى .

مورداً ، وأفصحها لفظاً ، وأبلغها معنىً ، وأعلاها شأناً ، كما عبّر بذلك عنها العلّامة المجلسي رحمه الله[١].

وقد احتوت على الرياض النضرة والحدائق الخضرة .. المزدانة بأنوار المعارف والحكمة ، والمحفوفة بثمار أسرار أهل بيت العصمة .. في شطر وافر من حقوق أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم[٢]، والهداة الصراط الذين حثّ الله تعالى على متابعتهم[٣]، وذوي القربى الذين فرض الله مودّتهم[٤]، وأهل الذكر الذين أرشدنا الله إلى مسألتهم[٥].

وقد أفاضوا أنفسهم (صلوات الله عليهم) علينا من معرفتهم ما يوجب لنا البلوغ إلى سعادة المآل ، والوصول إلى درجة الكمال ...

وهم الصادقون الصدّيقون الذين أُمرنا أن نكون معهم[٦]، وورثة علم الرسول الذين اُلزمنا أن نأتي مدينة الحكمة من بابهم[٧].

فما أجدر أن نعرف كمالاتهم بما جاء في كلماتهم ، وما أنسب أن نتوصّل إلى معرفتهم بالتوسّل إلى بيانات أنفسهم من خلال زيارتهم هذه ، الجامعة الكبرىٰ ، التي هي مدرسة عُليا لنيل الكمالات ودرك الكرامات ...

مضافاً إلى أنّ نفس التوجّه إليهم بزيارتهم في حدّ ذاتها هي من المعالم الراقية والتقرّبات الزاكية التي توجب وصول الزائر إلى الدرجات الرفيعة والمقامات المنيعة التي تلاحظها في مثل حديث شيخنا ابن قولويه القمّي باسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام : « ياعلي من زارني في حياتي أو بعد موتي ، أو زارك في

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٤٤ .

(٢) في سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٣) في سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(٤) في سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٥) في سورة النحل : الآية ٤٣ ، وسورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٦) في سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٧) في الأحاديث المتواترة المتّفق عليها بين الفريقين .

حياتك أو بعد موتك ، أو زار إبنيك في حياتهما أو بعد مماتهما ضمنتُ له يوم القيامة أن أُخلّصه من أهوالها وشدائدها ، حتّى أُصيّره معي في درجتي »[١].

بل إنّ زيارتهم ممّا أُخذ عليها العهد فيلزم الوفاء به ، ولا يمكن تركه كما في حديث الوشا قال سمعت الرضا عليه‌السلام يقول : « إنّ لكلّ إمام عهداً[٢] في عنق أوليائه وشيعته ، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمّتهم شفعاؤهم يوم القيامة »[٣].

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي تلاحظها في كتب المزار ، نذكر بعضها تعميماً وتكميلاً للفائدة ، من ذلك :

(١) ـ حديث جابر ، عن الإمام الباقر عليه‌السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه‌السلام : « زارنا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وقد أهدت لنا أُمّ أيمن لبناً وزبداً وتمراً قدّمنا منه فأكل ، ثمّ قام إلى زاوية البيت فصلّى ركعات ، فلمّا كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً ، فلم يسأله أحد منّا إجلالاً وإعظاماً له ، فقام الحسين فقعد في حجره وقال له : ياأبه ، لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك ، ثمّ بكيت بكاءً غمّنا ، فما أبكاك ؟

فقال: يابنيْ أتاني جبرئيل عليه‌السلام آنفاً فأخبرني أنّكم قتلى وأنّ مصارعكم شتّى .

فقال: ياأبه فما لمن يزور قبورنا على تشتّتها ؟

فقال: يابني أُولئك طوائف من أُمّتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة ، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتّى أُخلّصهم من أهوال الساعة ومن ذنوبهم ويسكنهم الله الجنّة»[٤].

---

(١) كامل الزيارات : ص ١١ .

(٢) والعهد هو الوصيّة والأمر ، والمعاهدة هي المعاقدة كما في مجمع البحرين : ص ٢٢٠ .
قال الله تعالى في سورة الإسراء : الآية ٣٤ : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ .

(٣) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص١١٦ ب٢ ح١ .

(٤) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص١١٨ ب٢ ح١١ .

(٢) ـ حديث عيسى بن راشد قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت : جعلت فداك ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام وصلّى عنده ركعتين ؟

قال : « كتبت له حجّة وعمرة » .

قال : قلت له : جعلت فداك وكذلك كلّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته ؟

قال : « وكذلك كلّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته »(١).

(٣) ـ حديث أبي عامر التبّاني واعظ أهل الحجاز قال : أتيت أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام وقلت له : يابن رسول الله ما لمن زار قبره ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ وعمّر تربته ؟

قال : ياأبا عامر حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه الحسين بن علي عليهما السلام ، عن علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « والله لتُقتلنّ بأرض العراق وتُدفن بها .

قلت : يارسول الله ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها ؟

فقال لي : ياأبا الحسن إنّ الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة وعرصة من عرصاتها وأنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم وتحتمل المذلّة والأذى ، فيعمّرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله ومودّة منهم لرسوله ، أُولئك ياعلي المخصوصون بشفاعتي ، الواردون حوضي ، وهم زوّاري غداً في الجنّة »(٢).

(٤) ـ حديث يحيى بن سليمان المازني ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : « إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين ، فأمّا الأربعة الذين هم من الأوّلين : فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . وأمّا الأربعة من الآخرين : محمّد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام ، ثمّ يُمدّ الطعام ، فيقعد معنا من زار قبور

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ١١٩ ب ٢ ح ١٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ١٢٠ ب ٢ ح ٢٢ .

الأئمّة ، ألا إنّ أعلاهم درجة وأقربهم حبوة زوّار قبر وَلَدي عليه السلام »[١].

(٥) ـ حديث الوشاء قال : قلت للرضا عليه السلام : ما لمن زار قبر أحد من الأئمّة ؟

قال : « له مثل من أتى قبر أبي عبدالله عليه السلام » .

قال : قلت له : وما لمن زار قبر أبي عبدالله عليه السلام ؟ قال :

«الجنّة والله »[٢].

ثمّ إنّ لهذه المراقد المقدّسة والزيارات المباركة آداب خاصّة ينبغي مراعاتها وقد جمعها الشهيد الأوّل في مزار الدروس في أربعة عشر أمراً قال قدس سره ما نصّه : « وللزيارة آداب :

أحدها : الغسل قبل دخول المشهد ، والكون على طهارة ...

وثانيها : الوقوف على بابه والدعاء والاستئذان بالمأثور ...

وثالثها : الوقوف على الضريح ملاصقاً له أو غير ملاصق ...

ورابعها : استقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة ...

وخامسها : الزيارة بالمأثور ، ويكفي السلام والحضور .

وسادسها : صلاة ركعتي الزيارة عند الفراغ ...

وسابعها : الدعاء بعد الركعتين بما نقل ...

وثامنها : تلاوة شيء من القرآن عند الضرائح واهداؤها إلى المزور ...

وتاسعها: إحضار القلب في جميع أحواله مهما استطاع ، والتوبة من الذنب والاستغفار...

عاشرها : التصدّق على السدنة والحفظة للمشهد ...

حادي عشرها : أنّه إذا انصرف من الزيارة استحبّ له العود إليها ...

ثاني عشرها : أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها ...

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ١٢٣ ب ٢ ح ٢٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ١٢٤ ب ٢ ح ٣٣ .

ثالث عشرها : تعجيل الخروج عند قضاء الوطر من الزيارة ... وروي أنّ الخارج يمشي القهقرى حتّى يتوارى .

رابع عشرها : الصدقة على المحاويج بتلك البقعة »[١].

واعلم أنّ الزيارة الجامعة في اصطلاح أهل الحديث هي الزيارة التي يزار بها جميع أهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ، من دون اختصاص ببعضهم .. وهي زيارات عديدة متّصفة بهذه الفضيلة ، وقد ذكر شيخ الطائفة والسيّد ابن طاووس وغيرهما من الزيارات الجامعة عدا هذه الزيارة الشريفة الكبيرة زيارات جامعة أُخرى تبلغ أربعة عشر زيارة تجدها مجموعة في مزار البحار[٢].

إلّا أنّ أعلى تلك الزيارات شأناً وأرفعها مكانةً ـ كما عبّر به بعض الأعاظم ـ هي الزيارة الجامعة الكبيرة المعروفة المرويّة عن سيّدنا ومولانا الإمام الزكي أبي الحسن الهادي النقي عليه السلام .

وفصاحة ألفاظها وبلاغة مضامينها تشهد بصدورها من بيت الوحي ومصدر العلم وينبوع الهدى .

وقد رواها جملة جليلة من أساطين الدين وحملة علوم الأئمّة المعصومين عليهم السلام في كتبهم المعتبرة ، نذكر منها عشرة مصادر تيمّناً بعاشر الأئمّة المفاخر صاحب هذه الزيارة المباركة ، فقد جاءت في مثل :

١ ـ من لا يحضره الفقيه للشيخ الأقدم الصدوق / ج ٢ / ص ٣٧٠ .

٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الجليل الصدوق أيضاً / ج ٢ / ص ٢٧٧ .

٣ ـ التهذيب لشيخ الطائفة الحقّة الطوسي / ج ٦ / ص ٩٥ .

٤ ـ روضة المتّقين لوالد العلّامة المجلسي / ج ٥ / ص ٤٥٠ .

٥ ـ بحار الأنوار للمولى المجلسي / ج ١٠٢ / ص ١٢٧ .

---

(١) الدروس الشرعية : ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج ١٠٢ ص ٢٠٨ ـ ١٢٦ .

٦ ـ تحفة الزائر لشيخنا المجلسي / ص٣٦٣.

٧ ـ البلد الأمين للشيخ الكفعمي / ص٢٩٧.

٨ ـ الوافي للفيض الكاشاني / ج ١٠ / ص٤١٦ / ب ٨٥ / ح١٧.

٩ ـ عمدة الزائر للسيّد حيدر الكاظمي / ص ٣٧٠.

١٠ ـ مستدرك الوسائل للمحدّث النوري / ج ١٠ / ص٤١٦.

فاعتمد عليها جميع الخاصّة ، بل حتّى بعض العامّة كالحمويني في فرائده نقلاً عن الشيخ الصدوق ﷺ[١].

وقد ذكر المولى التقي المجلسي[٢] كرامة ظريفة لهذه الزيارة الشريفة ، قال فيها : (ولمّا وفّقني الله تعالى لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وشرعت في حوالي الروضة المقدّسة في المجاهدات ، وفتح الله تعالى عليّ ببركة مولانا صلوات الله عليه أبواب المكاشفة التي لا تحتملها العقول الضعيفة رأيت في ذلك العالم ـ وإن شئت قلت بين النوم واليقظة ـ عندما كنت في رواق عمران جالساً أنّي بسرّ من رأى (سامرا) ورأيت مشهدهما في نهاية الارتفاع والزينة ، ورأيت على قبرهما لباساً أخضر من الجنّة لأنّه لم أرَ مثله في الدنيا ، ورأيت مولانا ومولى الأنام صاحب العصر والزمان عليه السلام جالساً ، ظهره على القبر ووجهه إلى الباب ، فلمّا رأيته شرعت في هذه الزيارة بالصوت المرتفع كالمدّاحين ، فلمّا أتممتها قال صلوات الله عليه : نعمت الزيارة.

قلت : مولاي روحي فداك ، زيارة جدّك ؟ ـ وأشرت إلى نحو القبر ـ.

فقال : نعم ، اُدخل ، فلمّا دخلت وقفت قريباً من الباب. فقال صلوات الله عليه : تقدّم.

فقلت : مولاي أخاف أن أصير كافراً بترك الأدب.

فقال صلوات الله عليه : لا بأس إذا كان باذننا ، فتقدّمت قليلاً وكنت خائفاً مرتعشاً ، فقال : تقدّم .. تقدّم ، حتّى صرت قريباً منه صلوات الله عليه ، قال: اجلس.

---

(١) فرائد السمطين : ج ٢ ص ١٧٩.

(٢) روضة المتّقين : ج ٥ ص ٤٥١.

قلت : أخاف مولاي .

قال صلوات الله عليه : لا تخف ، فلمّا جلست جلسة العبيد بين يدي المولى الجليل قال صلوات الله عليه : استرح واجلس مربّعاً فإنّك تعبت جئت ماشياً حافياً...

فالحاصل أنّه لا شكّ لي أنّ هذه الزيارة من أبي الحسن الهادي سلام الله عليه بتقرير الصاحب عليه السلام) .

وذكر الميرزا النوري مطلوبية هذه الزيارة والتأكيد عليها في حكاية السيّد الموسوي الرشتي التي تلاحظ تفصيلها في النجم[١].

هذا واستقصاء البحث في هذا الكتاب يكون في مقامين : سند هذه الزيارة أوّلاً ، وشرح متن حديثها ثانياً ، بنصّ بيانها ثمّ حاصل شرحها .

ومن الله تعالى نسأل العون والتوفيق .

---

(١) النجم الثاقب : ص٦٠١ .

المقام الأوّل :

في سند حديث الزيارة الجامعة

روى الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن موسى بن بابويه القمّي[1] في العيون[2] قال :

حدّثنا علي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رضي الله عنه[3] ومحمّد بن أحمد السناني[4]، وعلي بن عبدالله الورّاق[5]، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّب[6] قال :

---

(١) هو الشيخ العظيم من مشايخ الشيعة الثقات ، والركن القويم من أركان الشريعة الأجلّاء ، من الذين لا شكّ في وثاقتهم ولا حاجة إلى بيان عدالتهم .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) هو من مشايخ الصدوق الذين ترضّىٰ عليهم وترحّم لهم وهو قرين المدح ، بل عديل التوثيق ، فإنّهم أثبات أجلّاء ، والحديث من جهتهم صحيح معتمد عليه كما حكي من المحقّق الداماد قدس سره .

بل يستفاد توثيق مشايخه عموماً من كلامه في أوّل كتاب المقنع : ص ٢ .

(إذ كان ما أُبيّنه فيه من الكتب الأُصولية موجوداً مبيّناً عن المشايخ العلماء والفقهاء الثقات رحمهم الله) .

(٤) من مشايخ الصدوق الذين أكثر الحديث عنهم وترحّم عليهم ، فهو مورد الإطمئنان والوثوق .

(٥) من مشيخة الصدوق وممّن روى عنهم مترحّماً عليهم ، فيطمئنّ بوثاقته .

(٦) هو الحسين بن إبراهيم المؤدّب المكتّب .. روى عنه الصدوق مترضّياً عليه ، وأقلّ ما يستفاد

حدّثنا محمّد بن عبدالله الكوفيّ[١].

وأبو الحسين الأسدي[٢]، قالوا :

حدّثنا محمّد بن إسماعيل المكّي البرمكي[٣] قال :

حدّثنا موسى بن عبدالله النخعي[٤] قال : قلت : لعلي بن محمّد بن علي بن

⇐ منه حسن حاله كما حكي عن التعليقة .

(١) هو محمّد بن عبدالله بن نجيح الكوفي المعروف بالشيخ ، ذكره العلّامة في القسم الأوّل من رجاله المعدّ للمعتمدين في الخلاصة : ص١٥٦ الرقم ١٠٨ ، وفي محكي الوجيزة والبلغة أنّه ممدوح ، وفي محكي منتهى المقال أنّه من مصنّفي الإمامية ، ويكفيه حسناً .

(٢) هو محمّد بن جعفر الأسدي الكوفي المحقّق وثاقته ، وقد قال فيه النجاشي في رجاله : ص ٢٦٤ أنّه ثقة صحيح الحديث .

(٣) وثّقه النجاشي في رجاله : ص ٢٤١ وقال : كان ثقة مستقيماً له كتب منها كتاب التوحيد ، وحكى توثيقه أيضاً عن الوجيزة ، والبلغة ومشتركات الكاظمي والطريحي .

(٤) ورد فيما بأيدينا من نسخة العيون موسى بن عمران النخعي ، والظاهر أنّه تصحيف ، والصحيح موسى بن عبدالله النخعي كما أثبتناه بقرينة ذكره هكذا في الفقيه من نفس الصدوق ﷺ ، ونقله عنه في التهذيب : ج٦ ص ٩٥ .

على أنّ موسى بن عمران النخعي لم يذكر له حديث عن الإمام الهادي عليه السلام ، وهو أيضاً ثقة ورد في اسناد تفسير القمّي : ج ١ ص٣٨٨ ، إلّا أنّه ليس هو الراوي لهذه الزيارة الشريفة .

وموسى بن عبدالله النخعي ورد أيضاً في اسناد مشايخ علي بن إبراهيم في الكافي : ج ١ ص٢٧ ح٣١ .

وفي روايته الزيارة الجامعة دلالة على كونه إمامياً ، صحيح الاعتقاد ، بل في تلقين مولانا الإمام الهادي عليه السلام هذه الزيارة المتضمّنة لبيان مراتب الأئمّة ، شهادة على كون الرجل من الحسان ومقبول الرواية ، كما أفاده المحقّق المامقاني في تنقيح المقال : ج٣ ص٢٥٧ .

وعلى الجملة فهو مقبول ، بل هو موثّق بالتوثيق العام من علي بن إبراهيم الذي وثّق عموماً سلسلة ⇐

موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

والسند تامّ بل أنّ هذه الزيارة لا تحتاج إلى ملاحظة السند ، لأنّ فصاحة مشحونها وبلاغة مضمونها تغني عن ذلك كنهج البلاغة العلوية ، والصحيفة المباركة السجّادية كما أفاده السيّد شبّر قدس سره[١].

هذا مضافاً إلى سنده القريب والعجيب المتقدّم فيما أفاده والد العلّامة المجلسي[٢] ـ وهو الثقة العدل ـ : أنّه قرّرها سنداً ومتناً مولانا صاحب الزمان أرواحنا فداه في المكاشفة التي تقدّم نقلها ..

فالسند معتبر في النفس ، ومقرّر من مقام القدس .

⇐ رواته بقوله في مقدّمة تفسير القمّي : ج ١ ص ٤ « ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وأوجب ولايتهم .. » .

وبذلك تعرف أنّ جميع رجال سلسلة السند معتبرون بالإستقصاء . مع ما عرفت من العلّامة المجلسي في أوّل هذا الكتاب من أنّ هذه الزيارة أصحّ الزيارات سنداً .

(١) الأنوار اللامعة : ص ٣٣ . (٢) روضة المتّقين : ج ٥ ص ٤٥٢ .

المقام الثاني :

متن حديث الزيارة الجامعة

متن هذه الزيارة المباركة بعد السند المتقدّم إلى موسى بن عبدالله النخعي هو كما يلي :

قال : قلت لعليّ بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بـن عـلي ابـن الحسين بن علي بن أبي طالب:: علّمني يابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً[١] كاملاً إذا زُرتُ واحداً منكم .

فقال : إذا صرت إلى الباب[٢] فقف ، واشهد الشهادتين وأنت على غسل[٣]

---

(١) القول البليغ هو الكلام المبيّن الموصل للحقيقة ، من البلوغ الذي هو الانتهاء والوصـول إلى أقصى الحقيقة .

(٢) أي باب الروضة في المشاهد المشرّفة .

(٣) (٣) أي غسل الزيارة ، وتلاحظ إستحبابه في باب الأغسال المسنونة مـن الوسـائل : (ج٢ ص٩٣٦ ب١ و٢٩ الأحاديث) .

واعلم أنّ من آداب الزيارة الإستئذان في الدخول إلى روضة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين .

وقد ذكر العلّامة المجلسي استئذاناً شريفاً قبل ذكر هذه الزيارة المباركة تلاحظه في البحار(ج ١٠٢ ص ١١٥ باب زيارة الامام الحجةعليه السلام) جاء فيه ما نصّه :

. . . .

(اَللّٰهُمَّ اِنَّ هٰذِهِ بُقْعَةٌ طَهَّرْتَها وَعَقْوَةٌ شَرَّفْتَها وَمَعالِمُ زَكَّيْتَها ، حَيْثُ اَظْهَرْتَ فِيها اَدِلَّةَ التَّوْحِيدِ وَاَشْباحَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، الَّذِيْنَ اصْطَفَيْتَهُمْ مُلُوكاً لِحِفْظِ النِّظامِ وَاخْتَرْتَهُمْ رُؤَساءَ لِجَمِيعِ الْأَنامِ وَبَعَثْتَهُمْ لِقِيامِ الْقِسْطِ فِي ابْتِداءِ الْوُجُودِ اِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، ثُمَّ مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِاسْتِنابَةِ اَنْبِيائِكَ لِحِفْظِ شَرائِعِكَ وَاَحْكامِكَ ، فَاَكْمَلْتَ بِاسْتِخْلافِهِمْ رِسالَةَ الْمُنْذِرِيْنَ كَما اَوْجَبْتَ رِياسَتَهُمْ فِي فِطَرِ الْمُكَلَّفِيْنَ ، فَسُبْحانَكَ مِنْ اِلٰهٍ ما اَرْأَفَكَ وَلا اِلٰهَ اِلّا اَنْتَ مِنْ مَلِكٍ ما اَعْدَلَكَ حَيْثُ طابَقَ صُنْعُكَ ما فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْعُقُولَ وَوافَقَ حُكْمُكَ ما قَرَّرْتَهُ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ تَقْدِيرِكَ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلىٰ قَضائِكَ الْمُعَلَّلِ بِاَكْمَلِ التَّعْلِيلِ ، فَسُبْحانَ مَنْ لا يُسْأَلُ عَنْ فِعْلِهِ وَلا يُنازَعُ فِي اَمْرِهِ ، وَسُبْحانَ مَنْ كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ قَبْلَ ابْتِداءِ خَلْقِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنا بِحُكّامٍ يَقُومُونَ مَقامَهُ لَوْ كانَ حاضِراً فِي الْمَكانِ ، وَلا اِلٰهَ اِلاّ اللّٰه الَّذِي شَرَّفَنا بِاَوْصِياءَ يَحْفَظُونَ الشَّرائِعَ فِي كُلِّ الْأَزْمانِ ، وَاللّٰهُ اَكْبَرُ الَّذِي اَظْهَرَهُمْ لَنا بِمُعْجِزاتٍ يَعْجَزُ عَنْها الثَّقَلانِ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ اِلاّ بِاللّٰه الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي اَجْرانا عَلىٰ عَوائِدِهِ الْجَمِيلَةِ فِي الْأُمَمِ السّالِفِينَ ، اَللّٰهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ وَالثَّناءُ الْعَلِيُّ كَما وَجَبَ لِوَجْهِكَ الْبَقاءُ السَّرْمَدِيُّ وَكَما جَعَلْتَ نَبِيَّنا خَيْرَ النَّبِيّينَ وَمُلُوكَنا اَفْضَلَ الْمَخْلُوقِيْنَ وَاخْتَرْتَهُمْ عَلىٰ عِلْمٍ عَلى الْعالَمِيْنَ وَفِّقْنالِلسَّعْيِ اِلىٰ اَبْوابِهِمْ الْعامِرَةِ اِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ ، وَاجْعَلْ اَرْواحَنا تَحِنُّ اِلىٰ مُوْطِيءِ اَقْدامِهِمْ ، وَنُفُوسَنا تَهْوِي النَّظَرَ اِلىٰ مَجالِسِهِمْ وَعَرَصاتِهِمْ ، حَتّىٰ كَاَنَّنا نُخاطِبُهُمْ فِي حُضُورِ اَشْخاصِهِمْ ، فَصَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سادَةٍ غائِبِينَ وَمِنْ سُلالَةٍ طاهِرِينَ وَمِنْ اَئِمَّةٍ مَعْصُومِيْنَ اَللّٰهُمَّ فَأْذَنْ لَنا بِدُخُولِ هٰذِهِ الْعَرَصاتِ الَّتِي اسْتَعْبَدْتَ بِزِيارَتِها اَهْلَ الْأَرَضِينَ وَالسَّمٰواتِ ، وَاَرْسِلْ دُمُوعَنا بِخُشُوعِ الْمَهابَةِ ، وَذَلِّلْ جَوارِحَنا بِذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ وَفَرْضِ الطّاعَةِ ، حَتّىٰ نُقِرَّ بِما يَجِبُ لَهُمْ مِنَ الْأَوْصافِ ، وَنَعْتَرِفَ بِاَنَّهُمْ شُفَعاءُ الْخَلائِقِ اِذا نُصِبَتِ الْمَوازِينُ فِي يَوْمِ الْأَعْرافِ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰه وَسَلامٌ عَلىٰ عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرِينَ .

ثمّ قبّل العتبة وادخل وأنت خاشعٌ باكٍ، فذلك إذن منهم (صلوات الله عليهم أجمعين في الدخول).

فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل : الله أكبر ثلاثين مرّة ، ثمّ إمشِ قليلاً وعليك السكينة والوقار[١]، وقارب بين خطاك[٢]، ثمّ قف وكبّر الله عزّوجلّ ثلاثين ، ثمّ أدنُ من القبر وكبّر الله أربعين مرّة تمام مائة تكبيرة[٣]، ثمّ قل[٤]:

---

(١) السكينة عبارة عن إطمئنان القلب بذكر عظمة الله وعظمة أوليائه ، والوقار عبارة عن اطمئنان البدن .

(٢) المقاربة بين الخطوات في المشي أمّا لحصول حالة الوقار ، أو هي مع تحصيل كثرة الثواب الذي يعطى لكلّ خطوة في زياراتهم .

(٣) أُفيد أنّ التكبير للدلالة على أنّ العظمة والكبرياء لله تعالى ، ولتزول الوحشة عن الداخل إلى محلّ كبريائهم .

وقيل : لعلّها للإحتراز عمّا قد تورثه هذه المضامين من الغلوّ أو الغفلة عن عظمة الله سبحانه .

لكن لا يمكن المساعدة على هذا الوجه الأخير ، لأنّ المضامين الواردة في الزيارة حقّ محض لا توجب الغلو أصلاً ، بل توجب المعرفة قطعاً ، ومعرفتهم لا توجب الغفلة عن عظمة الله تعالى ، بل تزيد في معرفة الله والقرب إليه .

فلعلّ الصحيح أن يقال : إنّها تكبيرات التعظيم ، لأجل عظمة هذه الزيارة ، فإنّه وإن كانت الزيارات جميعها مهمّة إلّا إنّ بعضها ذات أهميّة خاصّة ، ولأجلها ورد التكبير في أوّله ، نظير زيارة عاشوراء النازلة من العرش ، المخصوصة بأعظم المصائب ، كما ذكر التكبير لها السيّد الفقيه اليزدي ﵀ ، ونظير زيارة الإمام الحسين ﵇ المخصوصة في أوّل رجب المشتملة على تلبية الزائر لاستنصار الإمام الحسين ﵇ عند قوله : « لبّيك داعي الله إن كان لم يُجبك بدني عند إستغاثتك ، ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري » . وهذه الزيارة الجامعة من هذا القبيل حائزة لأهميّةٍ فائقة باشتمالها على أشرف المضامين المنتقاة ، وأعلى منازل الهداة ، فناسبها تكبير التعظيم .

(٤) اعلم أنّ هذه الزيارة الشريفة مشتملة على خمس تسليمات فتكون فصولها خمسة ، ثمّ تليها ثلاث شهادات بيّناها بأُصولها الحقّة ، ثمّ تتّصل بذكر الفضائل العلياء والمناقب الشمّاء المتمثّلة في أهل البيت ﵈ .

نصّ الزيارة الجامعة

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يااَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَخُزّانَ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ وَاُصُولَ الْكَرَمِ وَقادَةَ الْأُمَمِ وَاَوْلِياءَ النِّعَمِ وَعَناصِرَ الْأَبْرارِ وَدَعائِمَ الْأَخْيارِ وَساسَةَ الْعِبادِ وَاَرْكانَ الْبِلادِ وَاَبْوابَ الإيمانِ وَاُمَناءَ الرَّحْمٰنِ وَسُلالَةَ النَّبِيّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلينَ وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ.

السَّلامُ عَلىٰ اَئِمَّةِ الْهُدىٰ وَمَصابيحِ الدُّجىٰ وَاَعْلامِ التُّقىٰ وَذَوِي النُّهىٰ وَأُولِي الْحِجىٰ وَكَهْفِ الْوَرىٰ وَوَرَثَةِ الْأَنْبِياءِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلىٰ وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنىٰ وَحُجَجِ اللّٰهِ عَلىٰ اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالْأُولىٰ[1] وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ.

السَّلامُ عَلىٰ مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللّٰهِ وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللّٰهِ وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللّٰهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللّٰهِ وَحَمَلَةِ كِتابِ اللّٰهِ وَاَوْصِياءِ نَبِيِّ اللّٰهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ.

السَّلامُ عَلَى الدُّعاةِ اِلَى اللّٰهِ وَالْأَدِلّاءِ عَلىٰ مَرْضاتِ اللّٰهِ

---

(١) في العيون: (على أهلِ الآخرةِ والأُولى).

وَالْمُسْتَقِرِّينَ(١) فِي اَمْرِ اللّٰهِ(٢) وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللّٰهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللّٰهِ وَالْمُظْهِرِينَ لأَمْرِ اللّٰهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِاَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلاٰمُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعٰاةِ وَالْقٰادَةِ الْهُدٰاةِ وَالسّٰادَةِ الْوُلاٰةِ وَالذّٰادَةِ الْحُمٰاةِ وَاَهْلِ الذِّكْرِ وَاُولِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ اللّٰهِ وَخِيرَتِهِ وَحِزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرٰاطِهِ وَنُورِهِ ـ وَبُرْهٰانِهِ ـ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكٰاتُهُ.

اَشْهَدُ اَنْ لاٰ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لاٰ شَرِيكَ لَهُ كَمٰا شَهِدَ اللّٰهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلاٰئِكَتُهُ وَاُولُوا الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ لاٰ اِلٰهَ اِلّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ(٣) وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضىٰ اَرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرّٰاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصّٰادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ لِلّٰهِ الْقَوّٰامُونَ بِاَمْرِهِ الْعٰامِلُونَ بِاِرٰادَتِهِ الْفٰائِزُونَ بِكَرٰامَتِهِ اصْطَفٰاكُمْ بِعِلْمِهِ وَارْتَضٰاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتٰارَكُمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبٰاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَاَعَزَّكُمْ بِهُدٰاهُ وَخَصَّكُمْ بِبُرْهٰانِهِ وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ(٤) وَاَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ وَرَضِيَكُمْ خُلَفٰاءَ فِي اَرْضِهِ وَحُجَجاً عَلىٰ بَرِيَّتِهِ وَاَنْصٰاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ وَمُسْتَوْدَعاً

---

(١) في التهذيب: (والمستوْفرينَ). (٢) في العيون إضافة: (ونَهْيه).

(٣) في العيون بدل المنتجب: (المُصطَفىٰ).

(٤) في الفقيه: (بنُورِه).

لِحِكْمَتِهِ وَتَراجِمَةً لِوَحْيِهِ وَاَرْكاناً لِتَوْحِيدِهِ وَشُهَداءَ عَلىٰ خَلْقِهِ وَاَعْلاماً لِعِبادِهِ وَمَناراً فِي بِلادِهِ وَاَدِلّاءَ عَلىٰ صِراطِهِ .

عَصَمَكُمُ اللّٰهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَاَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ(١) وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً ، فَعَظَّمْتُمْ جَلالَهُ وَاَكْبَرْتُمْ(٢) شَأْنَهُ وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ وَاَدمتُمْ(٣) ذِكْرَهُ وَوَكَّدْتُمْ(٤) مِيثاقَهُ وَاَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طاعَتِهِ وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ وَدَعَوْتُمْ اِلىٰ سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَبَذَلْتُمْ اَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلىٰ ما اَصابَكُمْ فِي جَنْبِهِ(٥) وَاَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَاَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجاهَدْتُمْ فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّىٰ اَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ وَاَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَنَشَرْتُمْ(٦) شَرايِعَ اَحْكامِهِ وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ وَصِرْتُمْ فِي ذٰلِكَ مِنْهُ اِلَى الرِّضا وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضاءَ وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضىٰ ، فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ وَاللّازِمُ لَكُمْ لاحِقٌ وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زاهِقٌ وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَاِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ ، وَمِيراثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَاِيابُ الْخَلْقِ اِلَيْكُمْ وَحِسابُهُمْ(٧) عَلَيْكُمْ وَفَصْلُ الْخِطابِ عِنْدَكُمْ وَآياتُ اللّٰهِ لَدَيْكُمْ وَعَزائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ

---

(١) في بعض نسخ الفقيه إضافة (أهلَ البَيت) .

(٢) في العيون (وكبّرتم) .

(٣) في العيون والفقيه والتهذيب (وأدْمَنْتُم) .

(٤) في بعض نسخ الفقيه (وذكّرتُم) .

(٥) في بعض نسخ الفقيه (حُبّه) .

(٦) في بعض نسخ الفقيه (وفسَّرتُم) .

(٧) في الفقيه (وحسابُهُ) .

عِنْدَكُمْ وَاَمْرُهُ اِلَيْكُمْ، مَنْ وٰالاٰكُمْ فَقَدْ وٰالَى اللّٰهَ وَمَنْ عٰاداٰكُمْ فَقَدْ عٰادَ اللّٰهَ وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللّٰهَ ـ وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللّٰهَ ـ وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللّٰهِ.

اَنْتُمُ الصِّراطُ الْأَقْوَمُ[1] وَشُهَداٰءُ داٰرِ الْفَناٰءِ وَشُفَعاٰءُ داٰرِ الْبَقاٰءِ وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَالْآيَةُ الْمَخْزُونَةُ وَالْأَماٰنَةُ الْمَحْفُوظَةُ وَالْباٰبُ الْمُبْتَلىٰ بِهِ النّٰاسُ، مَنْ اَتاٰكُمْ نَجىٰ وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ اِلَى اللّٰهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ وَبِهِ تُؤْمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِاَمْرِهِ تَعْمَلُونَ وَاِلىٰ سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ، سَعَدَ[2] مَنْ وٰالاٰكُمْ وَهَلَكَ مَنْ عٰاداٰكُمْ وَخٰابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَضَلَّ مَنْ فٰارَقَكُمْ وَفٰازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَاَمِنَ مَنْ لَجَأَ اِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ، مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوٰاهُ وَمَنْ خٰالَفَكُمْ فَالنّٰارُ مَثْوٰاهُ وَمَنْ جَحَدَكُمْ كٰافِرٌ وَمَنْ حٰارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ[3] فِي اَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ، اَشْهَدُ اَنَّ هٰذٰا سٰابِقٌ لَكُمْ فِيمٰا مَضىٰ وَجٰارٍ لَكُمْ فِيمٰا بَقِيَ وَاَنَّ اَرْوٰاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وٰاحِدَةٌ طٰابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ خَلَقَكُمُ اللّٰهُ اَنْوٰاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ حَتّىٰ مَنَّ عَلَيْنٰا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ اَذِنَ اللّٰهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهٰا اسْمُهُ وَجَعَلَ صَلاٰتَنٰا[4] عَلَيْكُمْ وَمٰا خَصَّنٰا بِهِ مِنْ وِلاٰيَتِكُمْ طِيباً

(١) في العيون (أنتمُ السَّبيلُ الأعظمُ والصِّراطُ الأقْوَمُ).

(٢) في العيون (سَعَدَ واللّهِ مَن والاٰكُمْ).

(٣) في العيون إضافة (فهُوَ). (٤) في العيون والفقيه (صَلَواتِنا).

لِخَلْقِنا وَطَهارَةً لأَنْفُسِنا وَتَزْكِيَةً[١] لَنا وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا فَكُنّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنا اِيّاكُمْ ، فَبَلَغَ اللّٰهُ بِكُمْ اَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ وَاَعْلىٰ مَنازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَاَرْفَعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لاٰ يَلْحَقُهُ لاٰحِقٌ وَلاٰ يَفُوقُهُ فائِقٌ وَلاٰ يَسْبِقُهُ سابِقٌ وَلاٰ يَطْمَعُ فِي اِدْراكِهِ طامِعٌ ، حَتّىٰ لاٰ يَبْقىٰ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاٰ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلاٰ صِدِّيقٌ وَلاٰ شَهِيدٌ وَلاٰ عالِمٌ وَلاٰ جاهِلٌ وَلاٰ دَنِيٌّ وَلاٰ فاضِلٌ وَلاٰ مُؤْمِنٌ صالِحٌ وَلاٰ فاجِرٌ طالِحٌ وَلاٰ جَبّارٌ عَنِيدٌ وَلاٰ شَيْطانٌ مَرِيدٌ وَلاٰ خَلْقٌ فِيما بَيْنَ ذٰلِكَ شَهِيدٌ اِلّا عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ اَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقاعِدِكُمْ وَثَباتَ مَقامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَخاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ .

بِاَبِي اَنْتُمْ وَاُمِّي وَاَهْلِي وَمالِي وَاُسْرَتِي اُشْهِدُ اللّٰهَ وَاُشْهِدُكُمْ اَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِما آمَنْتُمْ بِهِ ، كافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِما كَفَرْتُمْ بِهِ ، مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكُمْ مُوالٍ لَكُمْ وَلأَوْلِيائِكُمْ مُبْغِضٌ لأَعْدائِكُمْ وَمُعادٍ لَهُمْ سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِما اَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ عارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ ـ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ ـ مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِاِيابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ عامِلٌ بِاَمْرِكُمْ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زائِرٌ

---

(١) في التهذيب (وبَرَكَةً).

لَكُمْ لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُمْ[١] مُسْتَشْفِعٌ اِلَى اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ بِكُمْ وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ اِلَيْهِ وَمُقَدِّمُكُمْ اَمامَ طَلِبَتِي وَحَوائِجِي وَاِرادَتِي فِي كُلِّ اَحْوالِي وَاُمُورِي مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشاهِدِكُمْ وَغائِبِكُمْ وَاَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمُفَوِّضٌ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ اِلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ[٢] وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّٰى يُحْيِيَ اللّٰهُ ـ تَعالىٰ ـ دِينَهُ بِكُمْ وَيَرُدَّكُمْ فِي اَيّامِهِ وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ وَيُمَكِّنَكُمْ فِي اَرْضِهِ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ غَيْرِكُمْ[٣] آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِما تَوَلَّيْتُ بِهِ اَوَّلَكُمْ وَبَرِئْتُ اِلَى اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ اَعْدائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظّالِمِينَ لَكُمُ الْجاحِدِيْنَ[٤] لِحَقِّكُمْ وَالْمارِقِينَ مِنْ وِلايَتِكُمْ وَالْغاصِبِيْنَ لِإِرْثِكُمُ الشّاكِّيْنَ فِيكُمُ[٥] الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ[٦] وَمِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُمْ وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ اِلَى النّارِ فَثَبَّتَنِيَ اللّٰهُ اَبَداً ما حَيِيتُ عَلىٰ مُوالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ وَوَفَّقَنِي لِطاعَتِكُمْ وَرَزَقَنِي شَفاعَتَكُمْ وَجَعَلَنِي مِنْ خِيارِ مَوالِيكُمُ التّابِعِينَ لِما دَعَوْتُمْ اِلَيْهِ وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَيَهْتَدِي

---

(١) هكذا في الفقيه لكن في العيون (عائذٌ بكمُ لائذٌ بقُبورِكُم).

(٢) في بعض نسخ الفقيه (سِلْمٌ) وفي العيون (مؤمنٌ).

(٣) في العيون وبعض نسخ الفقيه (عدوِّكُمْ).

(٤) في العيون (والجاحِدينَ).

(٥) في البحار (والشاكّينَ فيكُم).

(٦) في البحار (والمنحرفينَ عنكُم).

بِهُداكُمْ وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشَرَّفُ فِي عافِيَتِكُمْ وَيُمَكَّنُ فِي اَيّامِكُمْ وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ.

بِاَبِي اَنْتُمْ وَاُمِّي وَنَفْسِي وَاَهْلِي وَمالِي(١) مَنْ اَرادَ اللّٰهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، مَوالِيَّ لا اُحْصِي ثَنائَكُمْ وَلا اَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ وَاَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيارِ وَهُداةُ الْأَبْرارِ وَحُجَجُ الْجَبّارِ، بِكُمْ فَتَحَ اللّٰهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ ـ اللّٰهُ ـ وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ اِلّا بِاِذْنِهِ وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ وَعِنْدَكُمْ ما نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ وَاِلىٰ جَدِّكُمْ.

وإن كانت الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام فعوض (وإلى جدّكم) قل: (وإلى أخيك).

بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ، آتاكُمُ اللّٰهُ ما لَمْ يُؤْتِ اَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَنَجَعَ(٢) كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبّارٍ لِفَضْلِكُمْ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَاَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ وَفازَ الْفائِزُونَ بِوِلايَتِكُمْ، بِكُمْ يُسْلَكُ اِلَى الرِّضْوانِ وَعَلىٰ مَنْ جَحَدَ وِلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمٰنِ.

بِاَبِي اَنْتُمْ وَاُمِّي وَنَفْسِي وَاَهْلِي وَمالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذّاكِرِينَ وَاَسْماؤُكُمْ فِي الْأَسْماءِ وَاَجْسادُكُمْ فِي الْأَجْسادِ وَاَرْواحُكُمْ فِي الْأَرْواحِ

---

(١) في التهذيب إضافة (وأُسْرَتي).

(٢) في العيون والفقيه (بَخَعَ) وفي التهذيب (بَخَعَ).

وَاَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثارُكُمْ فِي الْآثارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَما اَحْلىٰ أَسْماءَكُمْ وَاَكْرَمَ أنْفُسَكُمْ وَاَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَاَجَلَّ خَطَرَكُمْ وَاَوْفىٰ عَهْدَكُمْ - وَاَصْدَقَ وَعْدَكُمْ -[١] كَلامُكُمْ نُورٌ وَاَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوىٰ وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ وَعادَتُكُمُ الْإِحْسانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ ، وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ ، اِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ اَوَّلَهُ وَاَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْواهُ وَمُنْتَهاهُ .

بِاَبِي اَنْتُمْ وَاُمِّي وَنَفْسِي[٢] كَيْفَ اَصِفُ حُسْنَ ثَنائِكُمْ وَاُحْصِي[٣] جَمِيلَ بَلائِكُمْ وَبِكُمْ اَخْرَجَنَا اللّٰهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الْكُرُوبِ وَاَنْقَذَنا مِنْ شَفا جُرُفِ الْهَلَكاتِ وَمِنَ النّارِ .

بِاَبِي اَنْتُمْ وَاُمِّي وَنَفْسِي بِمُوالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللّٰهُ مَعالِمَ دِينِنا وَاَصْلَحَ ما كانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيانا ، وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ ، وَبِمُوالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْواجِبَةُ وَالدَّرَجاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَكانُ الْمَعْلُومُ[٤] عِنْدَ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ[٥] وَالْجاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ[٦] وَالشَّفاعَةُ الْمَقْبُولَةُ .

---

(١) هذا موجود في التهذيب.

(٢) في العيون إضافة (وأهلي ومالي).

(٣) في العيون (وكيفَ اُحصي).

(٤) في العيون (والمقامُ المحمودُ عندَ اللّهِ تعالىٰ والمكانُ المعلومُ) وفي التهذيب (والمكانُ المحمودُ والمقامُ المعلومُ).

(٥) في العيون بدل عزّوجلّ (تعالىٰ).

(٦) في العيون بدل الكبير (الرَّفيعُ).

رَبَّنا آمَنّا بِما اَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِيْنَ ، رَبَّـنا لاٰ تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ اَنْتَ الوَهّـابُ ، سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً .

يا وَلِيَّ اللّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ ذُنُوباً لاٰ يَأْتِي عَلَيْها إِلاَّ رِضاكُمْ، فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلىٰ سِرِّهِ وَاسْتَرْعاكُمْ اَمْرَ خَـلْقِهِ وَقَـرَنَ طٰـاعَتَكُمْ بِطٰاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شُفَعٰائِي فَـإِنِّي لَكُـمْ مُـطِيعٌ ، مَـنْ اَطٰاعَكُمْ فَقَدْ اَطٰاعَ اللّهَ وَمَنْ عَصٰاكُمْ فَقَدْ عَصىَ اللّهَ وَمَنْ اَحَـبَّكُمْ فَـقَدْ اَحَبَّ اللّهَ وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللّهَ .

اَللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعٰاءَ اَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَاَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيٰارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعٰائِي ، فَبِحَقِّهِمُ الَّـذِي اَوْجَـبْتَ لَـهُمْ عَـلَيْكَ اَسْأَلُكَ اَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُـمْلَةِ الْـعٰارِفِيْنَ بِـهِمْ وَبِـحَقِّهِمْ وَفِـي زُمْـرَةِ الْمَرْحُومِيْنَ بِشَفٰاعَتِهِمْ ، إِنَّكَ اَرْحَمُ الرّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَـلىٰ مُـحَمَّدٍ وَآلِهِ ـ الطّاهِرِينَ ـ وَسَلَّمَ ـ تَسْلِيْماً ـ كَثِيراً وَحَسْبُنا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(١).

(١) هكذا في الفقيه ، لكن في العيون (وصلّى اللّهُ علىٰ محمّدٍ وآلِه حسبُنا اللّهُ ونعمَ الوكيل) .

شرح الزيارة الجامعة

الفصل الأوّل

اَلسَّلاٰمُ عَلَيْكُمْ(١)

---

(١) ـ السلام نوع من التحيّة ، بل هو تحيّة أهل الجنّة ، قال تعالى : ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾(١).

ومعنى السلام اختلف فيه على وجوه تالية :

فذكر أنّه دعاء بمعنى سَلُمْتَ عن المكاره .

وقيل : أنّ المقصود به معناه ، أي السلامة عليكم ...

وقيل : يُراد من السلام اسم الله تعالى فالمعنى اسم الله عليكم ؛ يعني أنت في حفظه وأمانه ببركة إسمه ، نظير أن يقال : الله معك ، وخاصّية هذا الإسم الشريف الرحمة والسلامة ، فيكون حاصل المعنى : إنّ رحمة الله وسلامته عليكم أهل البيت.

ولعلّ الأنسب هو المعنى الأخير يعني تفسيره : « باسم الله تعالى » أي اسم الله عليكم ، ويتمّمه آخر الفصل يعني ورحمة الله وبركاته .

أفاد السيّد شبّر ﷺ(٢): أنّه اختار الشارع لفظ السلام وجعله تحيّة الإسلام لما ⬅

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٣ .

(٢) الأنوار اللامعة : ص٣٩ .

. . . .

⬅ فيه من المعاني الجامعة ، أو لأنّه مطابق لإسم الله تيمّناً وتبرّكاً ، ويجري هذا المعنى في التسليمات الآتية أيضاً .

واعلم أنّه يجوز الإتيان بالسلام منكّراً ومعرّفاً ، تبعاً للكتاب الكريم في قوله تعالى : ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾[2] ولعلّ المعرّف أزين لفظاً وأبلغ معنىً .

---

(١) سورة النمل : الآية ٥٩ .

(٢) سورة طه : الآية ٤٧ .

يَاأَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ(١)

(١) ـ أهل بيت النبي هم الأئمّة الطاهرون وفاطمة الزهراء سيّدة النساء عليهم السلام ، كما يستفاد من حديث الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١) جاء في هذا الحديث : « فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كساءً خيبريّاً ، فضمّني فيه وفاطمة والحسن والحسين . ثمّ قال : يارب إنّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً »(٢)_(٣).

وروى الصدوق رحمه الله أنّه سُئل الصادق عليه السلام مَن آل محمّد ؟

فقال : ذرّيته .

فقيل : ومَن أهل بيته ؟

قال : الأئمّة .

قيل : ومَن عترته ؟

قال : أصحاب العباء .

قيل : فمن أُمّته ؟

قال : المؤمنون(٤).

والنبوّة في الأصل : امّا مأخوذة من مادّة (نبا) أي إرتفع ، ويُسمّى النبي نبيّاً لإرتفاعه وشرفه على سائر الخلق .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣. (٢) تفسير البرهان : ج ٢ ص ٨٤٤ .

(٣) وتلاحظ نزول هذه الآية في رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وبنيه التسعة الأئمّة عليهم السلام من طريق الخاصّة في أربعة وثلاثين حديثاً ، ومن طريق العامّة في أحد وأربعين حديثاً جاءت في غاية المرام : ص٢٨٧ ب١٩٢ .

(٤) معاني الأخبار : ص٩٤ ح٣ .

. . . .

أو مأخوذة من مادّة (النبأ) بالهمزة ، بمعنى الخبر ، فيكون النبي بمعنى المنبئ ، وهو المخبر عن الله تعالى بغير وساطة بشر بينه وبين الله تعالى ، أعمّ من أن يكـون له شريعة كنبيّنا صلى الله عليه وآله ، أو ليس له شريعة كيحيى سلام الله عليه[1].

ويمكن إجتماع كلا المعنيين في النبي كما تلاحظه في رسول الله صلى الله عليه وآله .

وتلاحظ الفرق بين الرسول والنبي في حديث زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾[2] ما الرسول وما النبي ؟

قال : النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك .

قلت : الإمام ما منزلته ؟

قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك[3].

---

(١) مجمع البحرين : ص٨٦ ، مادّة نبا .

(٢) سورة مريم : الآية ٥١ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٧٦ ح١ .

وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ(١)

(١) ـ أي محلّ أسرار أنبياء الله عزّ إسمه ، ومخزن علوم جميع رسل الله تعالى شأنه ، فإنّهم صلوات الله عليهم حملة علوم الرسل خصوصاً علم رسول الله ﷺ كما تلاحظه في حديث سليم بن قيس الهلالي قال : قلت لأمير المؤمنين عليه السلام : إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذرّ شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله ﷺ غير ما في أيدي الناس ، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله ﷺ أنتم تخالفونهم فيها ، وتزعمون أنّ ذلك كلّه باطل اَفَترى الناس يكذّبون على رسول الله ﷺ متعمّدين ، ويفسّرون القرآن بآرائهم ؟

قال : فأقبل عليّ فقال : قد سألت فافهم الجواب : إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعامّاً وخاصّاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كُذب على رسول الله ﷺ على عهده حتّى قام خطيباً فقال : « أيّها الناس قد كثرت عليَّ الكذّابة فمن كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار » ، ثمّ كُذب عليه من بعده ، وإنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس :

رجل منافق يظهر الايمان ، متصنّع(١) بالإسلام لا يتأثّم ولا يتحرّج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمّداً ، فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب ، لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ، ولكنّهم قالوا : هذا قد صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه ، وأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بماوصفهم فقال عزّوجلّ : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾(٢) ←

(١) متصنّع بالإسلام أي متكلّف له ومتدلّس به .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٤ .

. . . .

ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة والدُّعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال ، وحمّلوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة .

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهِمَ فيه ولم يتعمّد كذباً فهو في يده ، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنّه وَهِمَ لم يقبلوه ولو علم هو أنّه وَهِمَ لرفضه .

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أمر به ثمّ نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم أنّه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه .

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لم ينسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ ، فإنّ أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاصّ وعام ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاصّ مثل القرآن وقال الله عزّوجلّ في كتابه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(١) فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وليس كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يسمعوا .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

• •

➲ وقد كنت أدخل على رسول الله ﷺ كلّ يوم دخلةً وكلّ ليلة دخلةً فيخلّيني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله ﷺ أكثر من ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نسائه فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عنّي فاطمة ولا أحدٌ من بنيّ ، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكتُّ عنه وفُنِيَت مسائلي ابتدأني ، فما نَـزَلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملأها عليَّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصّها وعامّها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملأه عليَّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال وحرام ، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزلٍ على أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفاً واحداً ، ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً فقلت : يانبيّ الله بأبي أنت وأمّي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفُتني شيء لم أكتبه ، أفتتخوّف عليَّ النسيان فيما بعد ؟

فقال : لا لست أتخوّف عليك النسيان والجهل[1].

---

(١) الكافي : ج١ ص٦٢ ح١ .

وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ[١]

(١) ـ أي محلّ إختلاف الملائكة ، يعني تردّدهم ونزولهم وعروجهم ... للخدمة ، أو لإكتساب العلوم الإلهية والمعارف الربّانية والأسرار الملكوتية ، أو للتبرّك بهم والتشرّف بصحبتهم والتحظّي بزيارتهم ، أو لكون الملائكة تنزل عليهم وتحدّثهم وتخبرهم من جانب الله ، إذ الأئمّة محدَّثون وهم وسائط معرفة الله تعالى ، ومعرفة الملائكة لله تعالى بواسطتهم ، أو نزولهم لمهام ليلة القدر في بيان الأُمور وتنفيذ المقادير كما تلاحظ ذلك في مثل :

١ ـ حديث أبي الصباح الكناني ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : سمعته يقول : « والله إنّ في السماء لسبعين صفّاً من الملائكة ، لو إجتمع أهل الأرض كلّهم يحصون عدد كلّ صفّ منهم ما أحصوهم وأنّهم ليدينون بولايتنا »[١].

٢ ـ مسمع كردين البصري قال : كنت لا أزيد على أكلة بالليل والنهار ، فربما استأذنت على أبي عبدالله عليه‌السلام وأجد المائدة قد رفعت لعلّي لا أراها بين يديه (أي أتعمّد الإستئذان عليه بعد رفع المائدة لئلّا يُلزمني عليه‌السلام الأكل) ، فإذا دخلت دعا بها فأُصيب معه من الطعام ولا أتأذّى بذلك ، وإذا عقّبت بالطعام عند غيره لم أقدر على أن أقرّ ولم أنم من النفخة ، فشكوت ذلك إليه ، وأخبرته بأنّي إذا أكلت عنده لم أتأذّ به ، فقال : « ياأبا سيّار ! إنّك تأكل طعام قوم صالحين ، تصافحهم الملائكة على فرشهم » .

قال : قلت : ويظهرون لكم ؟

قال : « فمسح يده على بعض صبيانه ، فقال : هم ألطف بصبياننا منّا بهم »[٢].

٣ ـ أبو حمزة الثمالي قال : دخلت على علي بن الحسين عليهما‌السلام فاحتبست في ⬅

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٣٧ ح ٥ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٣٩٣ ح ١ .

. . . .

الدار ساعة ، ثمّ دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت . فقلت : جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقطه أيّ شيء هو ؟

فقال: «فضلة من زَغَب[١] الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سيحاً[٢] لأولادنا».

فقلت : جعلت فداك وإنّهم ليأتونكم ؟

فقال : « ياأبا حمزة إنّهم ليزاحمونا على تكأتنا »[٣].

٤ ـ علي بن أبي حمزة ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : « ما من ملك يهبطه الله في أمر ، ما يهبطه إلّا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه ، وإنّ مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر »[٤].

٥ ـ حبيب بن مظاهر الأسدي أنّه قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام : أيّ شيء كنتم قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام ؟ قال : « كنّا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن ، فنعلّم الملائكة ، التسبيح والتهليل والتحميد »[٥].

٦ ـ عبدالله بن عجلان السكوني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلوات الله عليهم ، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين وفي قعر بيوتهم فُرجة مكشوطة إلى العرش ، معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً ، وفي كلّ ساعة وطرفة عين ، والملائكة لا ينقطع فوجهم ، فوج ينزل وفوج يصعد.

وإنّ الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتّى أبصر العرش وزاد

---

(١) الزغب بفتحتين : صغار الريش وليّنه أوّل ما ينبت .

(٢) جاء في هامش الكافي إنّه بالياء ضرب من البرود ، أو بالباء بمعنى السبحة .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٣٩٤ ح ٣.

(٤) الكافي : ج ١ ص ٣٩٤ ح ٤ .

(٥) بحار الأنوار : ج ٦٠ ص ٣١١ ب ٤٠ الحديث .

. . . .

الله في قوّة ناظره.

وإنّ الله زاد في قوّة ناظرة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش[١] ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش ، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن ، ومعارج معراج الملائكة والروح فوج بعد فوج لا إنقطاع لهم ، وما من بيت من بيوت الأئمّة منّا إلّا وفيه معراج الملائكة لقول الله : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ﴾[٢].

قال : قلت : من كلّ أمر ؟

قال : بكلّ أمر .

قلت : هذا التنزيل ؟

قال : نعم[٣].

---

(١) أي يبصرون ملكوت السماوات والأرض ، أو يدركون علوم الله تعالى ومعارفه وآياته كما أفاده في حاشية البحار .

(٢) سورة القدر : الآية ٤ و ٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢٥ ص ٩٧ ب ح ٧١ .

وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ (١)

(١) ـ المهبِط بكسر الباء على وزن مسجد بمعنى محلّ الهبوط والنزول ، أي محلّ نزول الوحي وهبوطه .

وفسّر الوحي في اللغة بأنّه هو كلّ ما ألقيته إلى غيرك بإشارة أو كتابة أو رسالة أو إلهام أو خفيّ كلام(١).

وذكر في المرآة(٢): مجيء الوحي بمعنى الإلهام في مثل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ..﴾(٣) واستقصى في المفردات(٤) معاني الوحي أنّه قد يكون بالإلهام كما في قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ...﴾(٥) أو بمنام كما في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾(٦) أو بتسخير كما في قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ...﴾(٧) أو برسول كما في تبليغ جبرئيل النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله ، أو سماع كلام من معاينة كسماع موسى كلام الله تعالى .

والذي يفضي إليه التحقيق ويناسب آي الكتاب الكريم هو ما جاء في السفينة(٨) ما حاصله : أنّ وحيه تعالى منحصر في الإلهام والإلقاء في المنام ، وخلق الصوت ، وإرسال الملك .

فينتج « إنّ ما جاء من الله تعالى بالإلهام أو المنام أو الصوت أو الملك لأي شخص خصوصاً إذا كان رسولاً يكون وحياً » .

وأهل البيت عليهم‌السلام مهبط هذا الوحي الإلهي .

إمّا باعتبار نزول الوحي على سيّدهم الرسول الأكرم صلى‌الله‌عليه‌وآله كما تلاحظه في ←

---

(١) مجمع البحرين : ص ٩١ .

(٢) مرآة الأنوار : ص ٢٢٢ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١١١ .

(٤) مفردات الراغب : ص ٥١٥ .

(٥) سورة القصص : الآية ٧ .

(٦) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

(٧) سورة النحل : الآية ٦٨ .

(٨) سفينة البحار : ج٨ ص ٤٢٠ .

. . . .

➲ حديث الحكم بن عتيبة قال : لقي رجل الحسين بن علي عليهما السلام بالثعلبية وهو يريد كربلاء ، فدخل عليه فسلّم عليه .

فقال له الحسين عليه السلام : من أي البلاد أنت ؟

قال : من أهل الكوفة .

قال : أما والله ياأخا أهل الكوفة ، لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا ونزوله بالوحي على جدّي ، ياأخا أهل الكوفة أفمستقى الناس العلم من عندنا ، فعلموا وجهلنا ؟! هذا ما لا يكون[(١)].

أو باعتبار نزول الوحي عليهم أيضاً بالمعنى الأعمّ في ليلة القدر كما تلاحظه في حديث الحسن بن العبّاس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال الله عزّوجلّ في ليلة القدر : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[(٢)]. يقول : ينزل فيها كلّ أمر حكيم ، والمحكم ليس بشيئين ، إنّما هو شيء واحد ، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّوجلّ ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت .

إنّه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأُمور سنة سنة ، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا ، وفي أمر الناس بكذا وكذا .

وإنّه ليحدث لوليّ الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم الله عزّوجلّ الخاصّ والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر ، ثمّ قرأ : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ ➲

---

(١) الكافي : ج١ ص٣٩٨ ح٢ . (٢) سورة الدخان : الآية ٤ .

. . . .

⬅ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١]ـ[٢].

ويضاف إلى ذلك أحاديث تفسير سورة القدر[٣] وأحاديث تفسير[٤] آية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٥]. وحديث عبدالله بن عجلان السكوني المتقدّم[٦].

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٤٨ ح٣.

(٣) تفسير الكنز: ج١٤ ص٣٥٩.

(٤) تفسير الكنز: ج١٢ ص٤٦٩.

(٥) سورة النجم: الآية ٣ ـ ٤.

(٦) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٩٧ ب٣ ح٧١.

وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ(١)

(١) ـ المعدِن بكسر الدال في الأصل بمعنى محلّ إستقرار الجواهر وإفاضتها ... كما في اللغة.

والرحمة هي الإحسان والإنعام والإفضال على الغير(١).

ومعدنية أهل البيت عليهم السلام للرحمة الإلهية تكون لوجوه:

(الف): لأجل أنّهم مظاهر رحمة الله على الخلق، والشفقة على الرعيّة، وقد بلغت رحمتهم الغاية والنهاية، فكانوا معادن الرحمة. وقد بعث جدّهم رحمةً للعالمين وهم ورثته وأرومته، قال عزّ إسمه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٢) وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وقد بُعث لإسعاد الخلق وصلاح معاشهم ومعادهم هو وأهل بيته عليهم السلام كما تلاحظه في تفسير قوله تعالى ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٤).

وتلاحظ رحمتهم وشفقتهم بوضوح في سيرتهم الشريفة.

(ب): لأجل إنّ الرحمة الربّانية الخاصّة والعامّة في هذا الكون حتّى الأمطار والأرزاق إنّما تنزل بسببهم وواسطتهم وبركتهم ويمنهم وفيض وجودهم كما يدلّ عليه حديث الكساء الشريف(٥) الذي ورد فيه: « فقال الله عزّوجلّ: ياملائكتي ⇐

---

(١) المفردات: ص١٩١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٤) تفسير الكنز: ج٨ ص ٤٨٤.

(٥) بسنده التامّ ومتنه الشريف الوارد في العوالم: ج ١١ قسم ٢ ص٩٣٣.

علماً بأنّ السند مشتمل على أعاظم علمائنا وأكابر فقهائنا فهو هكذا:

قال الشيخ عبدالله البحراني صاحب العوالم: رأيت بخطّ الشيخ الجليل البحراني عن شيخه الجليل السيّد ماجد البحراني، عن الشيخ الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن شيخه المقدّس الأردبيلي، عن شيخه علي بن عبدالعالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد ⇐

. . . .

⬅ وياسكّان سماواتي إنّي ما خلقت سماءً مبنيّة ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلّا في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء ... » .

ويُرشد إليه أيضاً الحديث الشريف المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن كلام ربّ العزّة مخاطباً رسوله الكريم : « وعزّتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك ...»[1]. ⬅

⇐ الحلّي ، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري ، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول ، عن أبيه ، عن فخر المحقّقين ، عن شيخه ووالده العلّامة الحلّي ، عن شيخه المحقّق ، عن شيخه ابن نما الحلّي ، عن شيخه محمّد بن إدريس الحلّي ، عن ابن حمزة الطوسي صاحب ثاقب المناقب ، عن الشيخ الجليل محمّد ابن شهرآشوب ، عن الطبرسي صاحب الاحتجاج ، عن شيخه الجليل الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسي ، عن أبيه شيخ الطائفة الحقّة ، عن شيخه المفيد ، عن شيخه ابن قولويه القمّي ، عن شيخه الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم بن هاشم ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي ، عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي ، عن أبي بصير ، عن أبان بن تغلب ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن جابر ابن عبدالله الأنصاري رحمة الله عليهم أجمعين أنّه قال : سمعت فاطمة الزهراء عليها سلام الله ... إلخ .

هذا وقد جاء هذا السند والمتن للحديث الشريف في هامش إحقاق الحقّ أيضاً : ج ٢ ص ٥٥٤ ثمّ أفاد أنّ ممّن نقل المتن العلّامة الجليل الثقة الثبت الشيخ الطريحي في المنتخب ، وكذا العلّامة الجليل الديلمي صاحب الإرشاد في الغرر والدرر .

وعليه فالحديث الشريف أصلاً ونقلاً تامّ سنداً ومتناً بلا ريب فيه أو شك يعتريه .

(١) بحار الأنوار : ج ١٥ ص٢٨ ب ١ ح٤٨ وقد حكى الحديث الشريف عن كتاب الجنّة العاصمة في تاريخ فاطمة عليها السلام : ص١٤٨ للسيّد مير جهاني ، نقلاً عن مخطوطة (كشف اللئالي) لابن العرندس الحلّي الذي هو من علماء وشعراء القرن التاسع الهجري كما تلاحظ ترجمته في كتاب الغدير : ج٧ ص١٣ .

⇐

. . . .

ويدلّ على هذا المعنى أيضاً حديث مروان بن صباح قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدلّ عليه وخزّانه في سمائه وأرضه ، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار ، وجرت الأنهار ، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عُشب الأرض ، وبعبادتنا عُبد الله ولولا نحن ما عُبد الله »(١).

وفي الزيارة الحسينية الشريفة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام بسند صحيح: «بكم تنبت الأرض أشجارها ، وبكم تخرج الأرض ثمارها ، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها ، وبكم يكشف الله الكرب ، وبكم ينزّل الله الغيث ، وبكم تسبّح الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقرّ جبالها عن [على] مراسيها »(٢).

(ج) : لأجل أنّهم لو لم يكونوا على الأرض لساخت وإنخسفت الأرض بأهلها ، وماجت كما تموج البحار كما ورد في حديث أبي حمزة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام :

⇐ وجاء الحديث الشريف في العوالم : ج٧ قسم ١ ص ٣٥٠ ، وعلل الشرائع : ج١ ص١٧٣ .

واعلم أنّه لا إشكال في دخول لولا في هذا الحديث على الضمير كما توهّمه بعض المغرضين ، بل هو صحيح لغةً كما نصّ عليه في المعجم الوسيط : ج٢ ص١٤٧ بل يدلّ على فصاحته مضافاً إلى صحّته الإستعمال القرآني في قوله عزّ إسمه في سورة سبأ : الآية ٣١ ﴿**يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**﴾ .

وفي الجنّة العاصمة بسند آخر « ياأحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ، ولولا علي لما خلقتك ، ولولا فاطمة لما خلقتكما ... » .

(١) الكافي : ج١ ص١٤٤ ح٥ .

(٢) الكافي : ج٤ ص٥٧٥ ح٢ ، والفقيه : ج٢ ص٥٩٦ ب٢ ح٣١٩٩ ، والتهذيب : ج٦ ص٥٥ ب١٦ ح١ .

. . . .

⊃ أتبقى الأرض بغير إمام ؟

قال : « لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت »[١].

وحديث محمّد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : أتبقى الأرض بغير إمام ؟

قال : لا .

قلت : فإنّا نروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّها لا تبقى بغير إمام إلّا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد .

فقال : لا ، لا تبقى ، إذاً لساخت[٢].

وحديث أبي هراشه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها ، كما يموج البحر بأهله »[٣].

(١) الكافي : ج١ ص١٧٩ ح١٠ .

(٢) الكافي : ج١ ص١٧٩ ح١١ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٧٨ ح١٢ .

وَخُزَّانَ الْعِلْمِ(١)

(١) ـ الخزّان والخزنة : جمع خازن مأخوذ من الخَزن بسكون الزاء ، وهو حفظ الشيء في الخزانة .

وأهل البيت عليهم السلام خزنة العلم وحفظة العلوم الإلهية ، والأسرار الربّانية ، والمعارف الحقيقية ، وما جرى على ألسنة الأنبياء عليهم السلام ، وما إشتملت عليه الكتب المقدّسة ، وما أفاضه الله على جدّهم الأكرم صلى الله عليه وآله من علم ما كان ، وما يكون ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وما ينزل في ليلة القدر ...

جميع ذلك مخزون محفوظ عندهم سلام الله عليهم ، فهم حملة علم الله وعيبة وحيه ، وهم الراسخون في العلم ، والذين آتاهم الله العلم من لدنه ، فعلمهم حضوري لدُنّي وليس بإكتسابي أو تحصيلي ، وهو موهوب لهم من الله العلّام وليس بتعلّم من الأنام .

وقد نطق الكتاب العزيز في عدّة آيات شريفة بعلمهم الحضوري كما إستدلّ به الشيخ المظفّر قدس سره(١) منها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(٢) المفسّر بهم سلام الله عليهم كما تلاحظه في حديث عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمّة من بعده عليهم السلام »(٣).

والرسوخ في العلم بمعنى الثبوت فيه والتمكّن منه ، والراسخ في العلم هو المتمكّن فيه ، والذي لا تعرض شبهة له .

فيلزم أن يكونوا عارفين به حتّى يرسخوا فيه ، إذ كيف يرسخون فيما لا يعرفون ←

(١) علم الإمام : ص٢٧ . (٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢١٣ ، باب إنّ الراسخين في العلم هم الأئمّة عليهم السلام ح٣ وفيه أحاديث ثلاثة .

. . . .

⟵ أو فيما يلزم عليهم أن يتعلّمونه من تأويل الآيات ، فرسوخهم يقتضي حضور العلم عندهم .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[١] فقد فسّر بهم عليهم‌السلام في حديث هارون بن حمزة ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : سمعته يقول : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال : « هم الأئمّة عليهم‌السلام خاصّة »[٢].

ولو لم يكن علمهم حاضراً لما صدق عليهم أنّهم أُوتوا العلم ، وكيف يكون ثابتاً في صدورهم لو لم يعلموا من لدن حكيم خبير .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٣] فقد دلّت هذه الآية المباركة على أنّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله لا ينطق إلّا عن الوحي ، وتعليم من الله عزّوجلّ ، من دون أن يذكر لذلك التعليم حدّاً وللوحي قيداً .. علماً بأنّ حديث أهل البيت عليهم‌السلام حديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وينتهي إلى الله عزّوجلّ كما صرّحت به الأحاديث العديدة منها :

حديث هشام بن سالم وحمّاد بن عثمان وغيره قالوا : سمعنا أبا عبدالله عليه‌السلام يقول: « حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قول الله عزّوجلّ »[٤].

هذا كتاباً ، وأمّا سنّةً فقد ثبتت حضورية علمهم بالأدلّة القطعيّة المتظافرة المبيّنة ⟵

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢١٤ ، باب إنّ الأئمّة قد أُوتوا العلم وأثبت في صدورهم ح٤ وفيه خمس أحاديث .

(٣) سورة النجم : الآيات ٣ ـ ٥ .

(٤) الكافي : ج١ ص٥٣ ح١٤ .

. . . .

أنّ الأئمّة المعصومين ورثوا علم الكتاب وعلم النبي وعلم جميع الأنبياء وأوصيائهم. وأنّهم خزّان العلوم وحفظة المعارف ومعادن الحقائق ، فهم كالرسول في مستسقى العلم وبمرتبته في منار الوحي .

وتلاحظ أبواب علومهم ، ومصادر معارفهم ، ووجوه معالمهم في أحاديثنا المتواترة الشريفة ، وأدلّة بيان أنّهم يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وتعليم أبواب العلم لهم حتّى ينفتح من كلّ باب الف الف باب ، وإنّ عندهم كتاب علي عليه السلام ومصحف فاطمة (سلام الله عليها) ، والجفر الأبيض والجفر الأحمر ، والجامعة التي تحتوي على كلّ شيء وما يحتاج إليه الخلق إلى يوم القيامة ، وعندهم علم المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب والمواليد ، وأمامهم عمود النور الذي يرون فيه جميع الأعمال في جميع البلاد .

وعندهم كتب الأنبياء وصحفهم وذخائر علمهم كألواح موسى ، وتابوت بني إسرائيل الذي فيه الحكمة والعلم ؛ وأنّه يُنقر في أسماعهم ، ويُبيّن لهم في آذانهم ، وينكت في قلوبهم ، وأنّهم محدَّثون مفهّمون ويعلمون كلّ ما يشاؤون بإذن الله حتّى العلوم المكنونة المخزونة .

ويضاف إلى ذلك علمهم في ليلة القدر وليلة الجمعة ، وفي كلّ يوم وليلة ويعلمون متى يموتون ولا يخفى عليهم ذلك ولكن يخيّرون من قبل الله تعالى فيختارون لقائه[1].

وعلى الجملة فهم خزّان علم الله ، وخزانة وحيه ، والمرضيين لغيبه .

ونحن نختار من روايات بيان علمهم نبذةً نتبرّك بها ، وهي التي وَسَمناها

---

(١) وسيأتي بيان شأنهم في علم الغيب في فقرة : « وارتضاكم لغيبه » .

. . . .

بالأحاديث الأربعين في علم أهل البيت المعصومين عليهم السلام .

١ ـ حديث عبدالرحمن بن كثير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « نحن ولاة أمر الله ، وخزنة علم الله ، وعيبة وحي الله »[١].

٢ ـ حديث عبدالعزيز بن مسلم في فضل الإمام عن مولانا الرضا عليه السلام جاء فيه : « ... وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّوجلّ لاُمور عباده شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يَعْيَ بعده بجواب ، ولا يحير فيه عن الصواب »[٢].

٣ ـ حديث أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله »[٣].

٤ ـ حديث هارون بن حمزة المتقدّم عن الإمام الصادق عليه السلام قال سمعته يقول : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ : « هم الأئمّة عليهم السلام خاصّة »[٤].

٥ ـ حديث علي بن النعمان رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « يمصّون الثماد[٥] ويَدَعون النهر العظيم » .

قيل له : وما النهر العظيم ؟

قال : رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله .

إنّ الله عزّوجلّ جمع لمحمّد صلى الله عليه وآله سنن النبيّين من آدم وهلمّ جرّاً إلى محمّد صلى الله عليه وآله .

قيل له : وما تلك السنن ؟

قال: علم النبيّين بأسره ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام .

---

(١) الكافي : ج ١ ص ١٩٢ ح ١ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٠٢ ح ١ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٢١٣ ح ١ .

(٤) الكافي : ج ١ ص ٢١٤ ح ٤ .

(٥) المصّ هو الشرب بالجذب ، والثمد هو الماء القليل .

. . . .

فقال له رجل : يابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيّين ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : اسمعوا ما يقول ! إنّ الله يفتح مسامع من يشاء ، إنّي حدّثته : أنّ الله جمع لمحمّد صلى الله عليه وآله علم النبيّين وأنّه جمع ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيّين ![1].

٦ ـ حديث المفضّل بن عمر قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ سليمان ورث داود ، وإنّ محمّداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان ، وإنّا ورثنا محمّداً ، وإنّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور ، وتبيان ما في الألواح » .

قال : قلت : إنّ هذا لهو العلم ؟

قال: «ليس هذا هو العلم، إنّ العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة »[2].

٧ ـ حديث جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « ما ادّعى أحدٌ من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب ، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من بعده عليهم السلام »[3].

٨ ـ ما رواه هشام بن الحكم في حديث بُريه[4] أنّه لمّا جاء معه إلى أبي عبدالله عليه السلام فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام فحكى له هشام الحكاية ، فلمّا فرغ قال أبو الحسن عليه السلام لبريه : يابريه كيف علمك بكتابك ؟

قال : أنا به عالم ، ثمّ قال : كيف ثقتك بتأويله ؟ قال : ما أوثقني بعلمي فيه .

قال : فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل .

فقال بريه : إيّاك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك[5].

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٢٢٢ ح ٦ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٢٤ ح ٣ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٢٢٨ ح ١ .

(٤) في بعض النسخ : بريهة .

(٥) وفي حديث البحار إضافة : وما قرأ مثل هذه القراءة إلّا المسيح .

. . . .

قال : فآمن بريه وحسن إيمانه ، وآمنت المرأة التي كانت معه .

فدخل هشام وبريه والمرأة على أبي عبدالله عليه السلام فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بُريه .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

فقال بُريه : أنّى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء ؟

قال : « هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤها ونقولها كما قالوا ، إنّ الله لا يجعل حجّة في أرضه يُسأل عن شيء فيقول لا أدري »(٢).

٩ ـ حديث جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده ، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين .

ونحن عندنا من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم »(٣).

١٠ ـ حديث أبي بصير قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له : جعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة ، هاهنا أحدٌ يسمع كلامي ؟

قال : فرفع أبو عبدالله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثمّ قال : ياأبا محمّد سل عمّا بدا لك .

قال : قلت : جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه الف باب ؟

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٤.

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٢٧ ح ١.

(٣) الكافي : ج ١ ص ٢٣٠ ح ١.

. . . .

➲ قال : فقال : ياأبا محمّد علّم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام الف باب يفتح من كلّ باب الف باب .

قال : قلت : هذا والله العلم .

قال : فنكت ساعة في الأرض ثمّ قال : إنّه لعلم وما هو بذاك .

قال : ثمّ قال : ياأبا محمّد وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة ؟

قال : قلت : جعلت فداك وما الجامعة ؟

قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه ـ أي من شقّ فمه المبارك ـ وخطّ علي بيمينه ، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش ، وضرب بيده إليّ فقال : تأذن لي ياأبا محمّد ؟

قال : قلت : جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت .

قال : فغمزني بيده وقال : حتّى أرش هذا ـ كأنّه مغضب ـ .

قال : قلت : هذا والله العلم قال : إنّه لعلم وليس بذاك ، ثمّ سكت ساعة .

ثمّ قال : وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر ؟

قال : قلت : وما الجفر ؟

قال: وعاء من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

قال : قلت : إنّ هذا هو العلم .

قال : إنّه لعلم وليس بذاك ، ثمّ سكت ساعة .

ثمّ قال : وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام ؟

قال : قلت : وما مصحف فاطمة عليها السلام ؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، قال : قلت : هذا والله العلم . ➲

. . . .

قال : إنّه لعلم وما هو بذاك ، ثمّ سكت ساعة .

ثمّ قال : إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

قال : قلت : جعلت فداك هذا والله هو العلم .

قال : إنّه لعلم وليس بذاك .

قال : قلت : جعلت فداك فأي شيء العلم ؟

قال : ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر من بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة[١].

١١ ـ حديث أبي عبيدة قال: سأل أبا عبدالله عليه السلام بعضُ أصحابنا عن الجفر ؟

فقال : هو جلد ثور مملوءٌ علماً .

قال له : فالجامعة ؟

قال : تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج[٢]، فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلّا وهي فيها ، حتّى أرش الخدش .

قال : فمصحف فاطمة ؟

قال : فسكت طويلاً ثمّ قال : إنّكم لتجثون[٣] عمّا تريدون وعمّا لاتريدون ، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزنٌ شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ، ويطيّب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها ، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام »[٤].

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٣٨ ح١ .

(٢) الفالج هو الجمل العظيم ذو السنامين .

(٣) في مرآة العقول : لتبحثون ولعلّه الأصل .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٤١ ح٥ .

. . . .

١٢ ـ حديث فضيل بن سكرة قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال : يـافضيل أتدري في أي شيء كنت أنظر قُبيل ؟

قال : قلت : لا .

قال : كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام ، ليس من ملك يملك [الأرض] إلّا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسن عليه السلام فيه شيئاً »[١].

١٣ ـ حديث الحسن بن العبّاس بن الحريش المتقدّم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال الله عزّوجلّ في ليلة القدر : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٢] يقول : ينزل فيها كلّ أمر حكيم ، والمحكم ليس بشيئين إنّما هو شيء واحد ، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف ، فحكمه من حكم الله عزّوجلّ ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّـه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت .

أنّه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأُمور سنة سنة ، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا ، وفي أمر الناس بكذا وكذا ، وإنّه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم الله عزّوجلّ الخاصّ والمكنون العجيب المخزون ، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر .

ثمّ قرأ : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣]ـ[٤].

١٤ ـ حديث المفضّل قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام ذات يوم وكان لا يكنّيني قبل ذلك : ياأبا عبدالله .

قال : قلت : لبّيك .

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٢٤٢ ح ٨.

(٢) سورة الدخان : الآية ٤ .

(٣) سورة لقمان : الآية ٢٧ .

(٤) الكافي : ج ١ ص ٢٤٨ ح ٣ .

. . . .

قال : إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً .

قلت : زادك الله وما ذاك ؟

قال : إذا كان ليلة الجمعة وافىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافى الأئمّة عليهم السلام معه ووافينا معهم ، فلا تردّ أرواحنا إلى أبداننا إلّا بعلم مستفاد ، ولولا ذلك لأنفدنا[1].

١٥ ـ حديث يونس بن عبدالرحمن ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ليس يخرج شيء من عند الله عزّوجلّ حتّى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ بأميرالمؤمنين عليه السلام ثمّ بواحد بعد واحدٍ ، لكي لا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا »[2].

١٦ ـ حديث سماعة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ لله تبارك وتعالى علمين : علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبيائه فقد علّمناه .

وعلماً استأثر به فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمّة الذين كانوا من قبلنا »[3].

١٧ ـ حديث حمران بن أعين أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[4].

قال أبو جعفر عليه السلام : إنّ الله عزّوجلّ ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله ، فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون ، أما تسمع لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾[5].

فقال له حمران : أرأيت قوله جلّ ذكره : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٥٤ ح٢ .
(٢) الكافي : ج١ ص٢٥٥ ح٤ .
(٣) الكافي : ج١ ص٢٥٥ ح١ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١١٧ .
(٥) سورة هود : الآية ٧ .

. . . .

أَحَداً﴾(١).

فقال أبو جعفر عليه السلام : ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ﴾ وكان والله محمّد صلى الله عليه وآله ممّن إرتضاه . وأمّا قوله : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ فإنّ الله عزّوجلّ عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه ، وقبل أن يُفضيه إلى الملائكة فذلك ياحمران علم موقوف عنده ، إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه ، فأمّا العلم الذي يقدّره الله عزّوجلّ فيقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ إلينا(٢).

١٨ ـ حديث أبي عبيدة المدائني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك »(٣).

١٩ ـ حديث الحسن بن الجهم قال : قلت للرضا عليه السلام : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها ، والموضع الذي يقتل فيه ، وقوله لمّا سمع صياح الأوز في الدار : صوائح تتبعها نوائح ، وقول أُمّ كلثوم : لو صلّيت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلّي بالناس ، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف عليه السلام أنّ ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف ، كان هذا ممّا لم يجز تعرّضه .

فقال : ذلك كان ، ولكنّه خُيّر في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عزّوجلّ(٤).

٢٠ ـ حديث عبدالأعلى وأبي عبيدة وعبدالله بن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون .

---

(١) سورة الجنّ : الآية ٢٦ .
(٢) الكافي : ج١ ص٢٥٦ ح٢ .
(٣) الكافي : ج١ ص٢٥٨ ح٣ .
(٤) الكافي : ج١ ص٢٥٩ ح٤ .

• •

قال : ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عزّوجلّ ، إنّ الله عزّوجلّ يقول : ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]_[2].

٢١ ـ حديث محمّد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول : نزل جبرئيل على محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله برمّانتين من الجنّة ، فلقيه علي عليه‌السلام فقال : ما هاتان الرمّانتان اللتان في يدك ؟

فقال : أمّا هذه فالنبوّة ليس لك فيها نصيب ، وأمّا هذه فالعلم ، ثمّ فلقها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله نصفها ثمّ قال : أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه .

قال : فلم يعلم والله رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله حرفاً ممّا علّمه الله عزّوجلّ إلّا وقد علّمه عليّاً ثمّ انتهى العلم إلينا . ثمّ وضع يده على صدره[3].

٢٢ ـ حديث المفضّل بن عمر قال : قلت لأبي الحسن عليه‌السلام : روينا عن أبي عبدالله عليه‌السلام أنّه قال : « إنّ علمنا غابر ، ومزبور ، ونكتٌ في القلوب ، ونقر في الأسماع . فقال : أمّا الغابر فما تقدّم من علمنا ، وأمّا المزبور فما يأتينا ، وأمّا النكت في القلوب فإلهام ، وأمّا النقر في الأسماع فأمر الملك »[4].

٢٣ ـ حديث عبيد بن زرارة قال : أرسل أبو جعفر عليه‌السلام إلى زرارة أن يُعلم الحكم بن عتيبة ، أنّ أوصياء محمّد عليه وعليهم السلام محدَّثون[5].

٢٤ ـ عمّار الساباطي قال : قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام : بما تحكمون إذا حكمتم ؟ قال: «بحكم الله وحكم داود، فإذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا، تلقّانا به

---

(١) سورة النحل : الآية ٨٩.
(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٦١ ح ٢ .
(٣) الكافي : ج ١ ص ٢٦٣ ح ٣.
(٤) الكافي : ج ١ ص ٢٦٤ ح ٣ .
(٥) الكافي : ج ١ ص ٢٧٠ ح ١ .

. . . .

روح القدس »[١].

٢٥ ـ حديث العيون عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما ينقلب جناح طائر في الهواء إلّا وعندنا فيه علم »[٢].

٢٦ ـ حديث المناقب عن الإمام الصادق عليه السلام قال : والله لقد أُعطينا علم الأوّلين والآخرين .

فقال له رجل من أصحابه : جعلت فداك أعندكم علم الغيب ؟

فقال له : ويحك إنّي لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء .

ويحكم وسّعوا صدوركم ولتبصر أعينكم ولتعِ قلوبكم ، فنحن حجّة الله تعالى في خلقه ، ولن يسع ذلك إلّا صدر كلّ مؤمن قوي قوّته كقوّة جبال تهامة إلّا بإذن الله[٣].

٢٧ ـ حديث أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لمّا حضر الحسين عليه السلام ما حضر دعا فاطمة بنته فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيّته ظاهرة ، فقال : يابنتي ضعي هذا في أكابر ولدي . فلمّا رجع علي بن الحسين عليهما السلام دفعته إليه وهو عندنا .

قلت : ما ذاك الكتاب ؟

قال : ما يحتاج إليه ولد آدم منذ كانت الدنيا حتّى تفنى[٤].

٢٨ ـ حديث زيد بن شراحيل الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : أخبروني بأفضلكم .

قالوا : أنت يارسول الله .

---

(١) الكافي : ج١ ص٣٩٨ ح٣.

(٢) بحار الأنوار : ج١ ص١٩ ب١ ح٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٧ ب١ ح٢٨ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٥٠ ب١ ح٩٦ .

• •

قال : صدقتم أنا أفضلكم ، ولكن أُخبركم بأفضل أفضلكم ، أقدمكم سلماً وأكثركم علماً وأعظمكم حلماً علي بن أبي طالب عليه السلام .

والله ما استودعت علماً إلّا وقد أودعته ، ولا علّمت شيئاً إلّا وقد علّمته ، ولا أُمرت بشيء إلّا وقد أمرته ، ولا وكّلت بشيء إلّا وقد وكّلته به ، ألا وإنّي قد جعلت أمر نسائي بيده ، وهو خليفتي عليكم بعدي ، فإن استشهدكم فاشهدوا له[1].

٢٩ ـ حديث أبي هاشم الجعفري قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : « الأئمّة علماء حلماء صادقون مفهّمون محدَّثون »[2].

٣٠ ـ حديث حمران بن أعين قال : أخبرني أبو جعفر عليه السلام أنّ علياً كان محدَّثاً .

فقال أصحابنا : ما صنعت شيئاً إلّا سألته من يحدّثه ؟

فقُضي إنّي لقيت أبا جعفر عليه السلام فقلت : أخبرتني أنّ علياً كان محدّثاً .

قال : بلى .

قلت : من كان يحدّثه ؟

قال : ملك[3].

٣١ ـ حديث ابن مسكان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[4] قال : « كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتّى نظر إلى ما فوق العرش وكشط له الأرض حتّى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمّد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وإنّي لأرى صاحبكم والأئمّة من بعده قد فعل

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٦٦ ب١ ح١٤٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٦٦ ب٢ ح١ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٧٣ ب٢ ح٢٠ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٧٥ .

. . . .

بهم مثل ذلك »[١].

٣٢ ـ حديث عبدالرحمن بن أبي نجران قال : كتب أبو الحسن الرضا عليه السلام وأقرأنيه رسالة إلى بعض أصحابه : « إنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق »[٢].

٣٣ ـ حديث حذيفة بن أُسيد الغفاري قال : لمّا وادع الحسن بن علي عليهما السلام معاوية وانصرف إلى المدينة صحبته في منصرفه ، وكان بين عينيه حمل بعير لا يفارقه حيث توجّه .

فقلت له ذات يوم : جعلت فداك ياأبا محمّد هذا الحمل لا يفارقك حيث ما توجّهت .

فقال : ياحذيفة أتدري ما هو ؟

قلت : لا .

قال : هذا الديوان .

قلت : ديوان ماذا ؟

قال : ديوان شيعتنا فيه أسماءهم[٣].

٣٤ ـ حديث الأعمش قال : قال الكلبي : ما أشدّ ما سمعت في مناقب علي ابن أبي طالب ؟

قال : قلت : حدّثني موسى بن طريف ، عن عباية قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : « أنا قسيم النار » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١١٤ ب٦ ح١٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١١٨ ب٧ ح٢ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٢٤ ب٧ ح١٩ .

. . . .

فقال الكلبي : عندي أعظم ممّا عندك ، أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً كتاباً فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء أهل النار(١).

٣٥ ـ حديث الثمالي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « إنّ الإمام منّا ليسمع الكلام في بطن اُمّه حتّى إذا سقط على الأرض أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢). حتّى إذا شبَّ رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدنيا وما فيها ، لا يستر عنه منها شيء »(٣).

٣٦ ـ حديث المفضّل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أُعطيت تسعاً لم يعطها أحد قبلي سوى النبي صلى الله عليه وآله لقد فتحت لي السبل، وعلمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربّي فما غاب عنّي ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي ، وإنّ بولايتي أكمل الله لهذه الأُمّة دينهم ، وأتمّ عليهم النعم ، ورضي لهم إسلامهم ، إذ يقول يوم الولاية لمحمّد صلى الله عليه وآله : يامحمّد أخبرهم أنّي أكملت لهم دينهم ، وأتممت عليهم النعم ، ورضيت إسلامهم ، كلّ ذلك منّاً من الله عليّ فله الحمد »(٤).

٣٧ ـ حديث معمّر بن خلّاد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : « إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا حذو القذّة بالقذّة »(٥).

٣٨ ـ حديث الأصبغ بن نباتة قال : سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر : « سلوني

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٢٦ ب٧ ح٢٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١١٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٣٣ ب٨ ح٢ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٤١ ب٨ ح١٤ .

(٥) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٧٩ ب١٢ ح٦٢ .

. . . .

قبل أن تفقدوني ، فوالله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة ولا فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلّا وعرفت قائدها وسائقها ، وقد أخبرت بهذا رجلاً من أهل بيتي يخبر بها كبيرهم صغيرهم إلى أن تقوم الساعة »[1].

٣٩ ـ حديث الهروي قال : كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم ، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة .

فقلت له يوماً : يابن رسول الله إنّي لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على إختلافها ؟

فقال : ياأبا الصلت « أنا حجّة الله على خلقه ، وما كان ليتّخذ حجّة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم ، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام : أُوتينا فصل الخطاب ؟ فهل فصل الخطاب إلّا معرفة اللغات »[2].

٤٠ ـ حديث الحسين بن علوان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الله فضّل أُولي العزم من الرسل بالعلم على الأنبياء ، وورثنا علمهم وفُضّلنا عليهم في فضلهم ، وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يعلمون ، وعلّمنا علم رسول الله صلى الله عليه وآله فروينا لشيعتنا ، فمن قبل منهم فهو أفضلهم ، وأينما نكون فشيعتنا معنا »[3].

وبدراية هذه الأحاديث الشريفة تعرف علوّ علومهم الربّانية ، ومعالمهم الرحمانية ، كما وإنّ الإيمان بها يكون من شؤون معرفتهم والإيمان بهم .

وما أحلى حديث المفضّل الجعفي في هذا المقام ؛ قال : دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي : يامفضّل هل عرفت محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠ ص١٢١ ب٨ ح٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٩٠ ب١٤ ح١ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٩٩ ب١٥ ح١١ .

. . . .

➲ والحسين عليهما السلام كنه معرفتهم ؟

قلت : ياسيّدي وما كنه معرفتهم ؟

قال : يامفضّل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى .

قال : قلت : عرّفني ذلك ياسيّدي .

قال : يامفضّل تعلم أنّهم علموا ما خلق الله عزّوجلّ وذرأه وبرأه ، وأنّهم كلمة التقوى ، وخزّان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار ، وعلموا كم في السماء من نجم وملك ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها وما تسقط من ورقة إلّا علموها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين وهو في علمهم وقد علموا ذلك .

فقلت : ياسيّدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت .

قال : نعم يامفضّل ، نعم يامكرّم ، نعم يامحبور ، نعم ياطيّب ، طبت وطابت لك الجنّة ولكلّ مؤمن بها[1].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١١٦ ب٦ ح٢٢ .

وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ(١)

(١) ـ المنتهى على وزن منتدى اسم مكان بمعنى محلّ نهاية الشيء ، وهنا بمعنى محلّ نهاية الحلم ومنتهى درجته .

والحِلم بكسر الحاء وسكون اللام : هي الصفة النفسانية الكريمة التي حقيقتها ضبط النفس عن هيجان الغضب ، وهو يلازم الصبر ، ويكون بمعنى الأناة وكظم الغيظ .

والحليم هو الذي لا يستنفره الغضب ، والحلم عن الشيء يكون فيما إذا صفح عنه وسَتَر عليه .

وأهل البيت عليهم‌السلام قد بلغوا الغاية والنهاية في تلك الصفة الربّانية الكريمة ؛ والإنسان حينما يلاحظ حلمهم عليهم‌السلام وكظم غيظهم إلى جانب قدرتهم الربّانية ، وجلالة قدرهم الواقعية ، يدرك أنّهم قد بلغوا غاية الحلم ونهايته حتّى فاقوا الأنبياء في ذلك : فيكونون هم الموصوفون بمنتهى الحلم كما في هذه الزيارة الشريفة والموسومون بملأ الحلم كما في حديث عبدالعزيز بن مسلم جاء فيه توصيف الإمام عليه‌السلام بقوله :

« ... شرف الأشراف والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، ملأُ الحلم ، مضطلع بالإمامة ... »(١).

وتلاحظ حلمهم العظيم في سيرتهم الغرّاء كحلم أمير المؤمنين وكظم غيظه عليه‌السلام في يوم الدار أمام هتك الحرمات التي إرتكبه الأعداء ممّا تلاحظها بالتفصيل في كتاب سليم بن قيس الهلالي(٢).

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٢٠٢ ح ١ .

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي : ج ٢ ص ٥٨٥ .

• •

➲ ومثل حلم الإمام المجتبى عليه السلام مع الرجل الشامي كما في حديث المبرّد وابن عائشة بأنّ شاميّاً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يردُّ ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك فقال : « أيّها الشيخ أظنّك غريباً ولعلّك شبّهت ، فلو استعتبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو إسترشدتنا أرشدناك ، ولو إستحملتنا أحملناك ، وإن كنت جائعاً أشبعناك ، وإن كنت عرياناً كسوناك ، وإن كنت محتاجاً أغنيناك ، وإن كنت طريداً آويناك ، وإن كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حرّكت رحلك إلينا ، وكنت ضيفنا إلى وقت إرتحالك كان أعود عليك ، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريقاً ومالاً كثيراً .

فلمّا سمع الرجل كلامه ، بكى ثمّ قال : أشهد أنّك خليفة الله في أرضه ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ ، وحوّل رحله إليه ... »[١].

وكذلك حلم الإمام زين العابدين عليه السلام عن جاريته التي جعلت تسكب عليه الماء ليتهيّأ للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجّه فرفع عليه السلام رأسه إليها ، فقالت له الجارية : إنّ الله يقول : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[٢].

فقال لها : كظمت غيظي .

قالت : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ .

قال : عفى الله عنك .

قالت : ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمحْسِنِينَ﴾ .

قال : فاذهبي فأنت حرّة لوجه الله[٣].

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٣ ص٣٤٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٧١ ص٣٩٨ .

. . . .

وهكذا حلم الإمام الصادق عليه السلام في حديث حفص بن أبي عائشة قال : بعث أبو عبدالله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج أبو عبدالله عليه السلام على أثره لمّا أبطأ ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروّحه حتّى انتبه ، فلمّا تنبّه قال له أبو عبدالله عليه السلام : يافلان ، والله ما ذلك لك ، تنام الليل والنهار ، لك الليل ولنا منك النهار »[١].

وأيضاً حلم الإمام الكاظم عليه السلام في حديث معتب قال :كان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة[٢] من تمر، فرمى بها وراء الحائط، فأتيته وأخذته وذهبت به إليه، فقلت: جعلت فداك إنّي وجدت هذا وهذهالكارة.

فقال للغلام : يافلان .

قال : لبّيك .

قال : أتجوع ؟

قال : لا ياسيّدي .

قال : فتعرى ؟

قال : لا ياسيّدي .

قال : فلأي شيء أخذت هذه ؟

قال : إشتهيت ذلك .

قال : إذهب فهي لك وقال : خلّوا عنه[٣].

---

(١) الكافي : ج٢ ص١١٢ ح٧.

(٢) الصرم بمعنى القطع يقال : صرمت الشيء أي قطعته ، والكارة مقدار معيّن من الطعام .

(٣) الكافي : ج٢ ص١٠٨ ح٧.

. . . .

➲ وقد شهد بحلمهم حتّى من خالفهم فلاحظ ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في حلم أمير المؤمنين عليه‌السلام ، قال :

(وأمّا الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب وأصفحهم عن مسيء) ثمّ ذكر شواهد ذلك في موارد كثيرة فراجع[1].

واعلم : أنّ في نسخة البلد الأمين يوجد بعد قوله : « ومنتهى الحلم » قوله عليه‌السلام : « ومأوى السكينة ... » أي أنّهم عليهم‌السلام تأوي السكينَة إليهم وتنزل عليهم ، وهي الطمأنينة والوقار والأمنة .

(١) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢٢ .

وَأُصُولَ الْكَرَمِ[١]

(١) ـ الأُصول جمع الأصل وهو أساس الشيء ، وما يكون منه الشيء .

والكرم ضدّ اللؤم ، وهو في اللغة صفة لكلّ ما يُرضى ويُحمد ويُحسَن ، ولذلك يعبّر عن الصفات الحسنة جميعها بمكارم الأخلاق .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم الأصل والأساس في هذه السجيّة الطيّبة .

وفسّر كرمهم الأصيل بتفاسير ثلاثة كلّها متوفّرة لديهم وكاملة فيهم وهي :

الأوّل : الجود في العطاء وعدم البخل ، فيكون الكريم بمعنى الجواد المعطي ، وأصالة كرمهم تفوّقهم في هذا الجود كما تلاحظه في سيرتهم الحسنة ، وكلّ واحد من أهل البيت عليهم السلام كان جواداً معطاءً كما تلمسه في أدوار حياتهم الكريمة .

ففي حديث المناقب أنّه وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها ، فدُلّ على الحسين عليه السلام فدخل المسجد فوجده مصلّياً فوقف بازائه وأنشأ :

لم يخب الآن من رجاك ومن ... حرّك من دون بابك الحَلَقة
أنت جواد وأنت معتمد ... أبوك قد كان قاتلَ الفَسَقة
لولا الذي كان من أوائلكم ... كانت علينا الجحيم منطبِقَة

قال : فسلّم الحسين وقال : ياقنبر هل بقى من مال الحجاز شيء ؟

قال : نعم أربعة آلاف دينار .

فقال : هاتها قد جاء من هو أحقّ بها منّا ؛ ثمّ نزع برديه ولفّ الدنانير فيها وأخرج يده من شقّ الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ :

خذها فإنّي إليك معتذر ... واعلم بأنّي عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا ... أمست سمانا عليك مندفقة
لكنّ ريب الزمان ذو غير ... والكفّ منّي قليلة النفقة

قال : فأخذها الأعرابي وبكى .

. . . .

فقال له عليه السلام : لعلّك استقللت ما أعطيناك .

قال : لا ولكن كيف يأكل التراب جودك . وهو المروي عن الحسن بن علي عليهما السلام أيضاً[١].

الثاني : جميع أنواع الخير والشرف والفضائل الحسنة فيكون الكريم بمعنى الشريف ذي الخير والفضيلة ...

ففي حديث عبدالعزيز بن مسلم في صفة الإمام عليه السلام : « مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا إكتساب ، بل إختصاص من المفضل الوهّاب »[٢].

الثالث : ما احتمله العلّامة المجلسي[٣] ووالده[٤] أعلى الله مقامهما ، من أن يكون المراد كونهم أسباب ووسائل كرم الله تعالى في الدنيا والآخرة ، حيث أنّه بيمنهم رزق الورى وببركتهم تكون الدرجات العُلى .

ويتمسّك لهذا المعنى الثالث بحديث الإمام العسكري عليه السلام « ... فنحن ليوث الوغى ، وغيوث الندى وطعّان العدى ، وفينا السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والحوض في الآجل ، وأسباطنا حلفاء الدين وخلفاء النبيّين ، ومصابيح الأُمم ومفاتيح الكرم ، فالكليم أُلبس حلّة الإصطفاء لمّا عهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة ، وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية صاروا لنا رِدءً وصوناً ، وعلى الظلمة إلباً وعوناً »[٥].

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ١٩٠ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٠١ ح ١ .

(٣) بحار الأنوار : ج ١٠٢ ص ١٣٥ .

(٤) روضة المتّقين : ج ٥ ص ٤٥٩ .

(٥) بحار الأنوار : ج ٢٦ ص ٢٦٤ باب جوامع مناقبهم وفضائلهم ح ٥٠ .

وَقادَةَ الأُمَمِ (١)

(١) ـ القادة جمع قائد وهو الأمير والرئيس ومن يقود ، يقال : قوّاد أهل الجنّة أي الذين يسبقونهم ويجرّونهم إلى الجنّة .

والأُمم جمع الأُمّة بمعنى الخلق ، وأُمّة كلّ نبي أتباعه ، ويُطلق على الجماعة أيضاً ، بل يطلق على الشخص الواحد الجامع للخير المقتدىٰ للناس ، ومنه قوله عزّ إسمه : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ﴾(١) .

وأهل البيت سلام الله عليهم قادة الأُمم بكلّ معنى الكلمة ، وفسّر بتفسيرين :

التفسير الأوّل: أنّهم عليهم السلام الرؤساء الحقيقيون المحقّون في العالم لجميع الأنام ، كما في دعاء الاستئذان المتقدّم : « الذين إصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام ، وإخترتهم رؤساء لجميع الأنام ، وبعثتهم لقيام القسط في إبتداء الوجود إلى يوم القيامة ، ثمّ مننت عليهم بإستنابة أنبيائك لحفظ شرائعك وأحكامك ، فأكملت باستخلافهم رسالة المنذرين كما أوجبت رياستهم في فطر المكلّفين »(٢) .

فيقودون جماعات هذه الأُمّة إلى معرفة الله تعالى وطاعته بالهداية في الدنيا ، والإيصال إلى الدرجات العليا بالشفاعة في الآخرة .

ويستفاد هذا المعنى من حديث أبان ، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : « إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من بطنان العرش : أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم داود النبي عليه السلام ، فيأتي النداء من عند الله عزّوجلّ : لسنا إيّاك أردنا وإن كنت لله تعالى خليفة ؛ ثمّ ينادي ثانية : أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فيأتي النداء من قبل الله عزّوجلّ :

يامعشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه ، وحجّته على عباده، ←

---

(١) سورة النحل : الآية ١٢٠ .
(٢) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١١٥ .

. . . .

فمن تعلّق بحبله في دار الدنيا فليتعلّق بحبله في هذا اليوم يستضيء بنوره ، وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنّات ؛ قال : فيقوم الناس الذين قد تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتّبعونه إلى الجنّة .

ثمّ يأتي النداء من عند الله جلّ جلاله : ألا من إئتمّ بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب به ، فحينئذٍ تبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبعوا لو أنّ لَنا كرّةً فنتبرّأ منهم كما تبرّؤوا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار »[١].

التفسير الثاني : أنّهم عليهم السلام يقودون في الآخرة جميع الأُمم حتّى الأُمم السابقة بالشفاعة الكبرى ، والقيادة إلى الجنان العليا .

ويستفاد هذا المعنى من حديث المفضّل الجعفي جاء فيه : « ... قال أبو عبدالله عليه السلام : ما من نبي وُلد من آدم إلى محمّد صلوات الله عليهم إلّا وهم تحت لواء محمّد صلى الله عليه وآله ... »[٢].

وحديث جابر أنّه قال لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك يابن رسول الله حدّثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك .

قال أبو جعفر عليه السلام : « حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور ، فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة ، ثمّ يقول الله : يامحمّد اخطب ، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها .

ثمّ ينصب للأوصياء منابر من نور ، وينصب لوصيّي علي بن أبي طالب في

---

(١) بحار الأنوار : ج٨ ص١٠ ب٩ ح٣.

(٢) بحار الأنوار : ج٨ ص٤٥ ب١٩ ح٤٦.

. . . .

أوساطهم منبر من نور ، فيكون منبره أعلى منابرهم ، ثمّ يقول الله : ياعلي اخطب ، فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها .

ثمّ ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور ، فيكون لابنيَّ وسبطيَّ وريحانتي أيّام حياتي منبر من نور ، ثمّ يقال لهما : اخطبا ، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلها .

ثمّ ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام : أين فاطمة بنت محمّد ؟ أين خديجة بنت خويلد ؟ أين مريم بنت عمران ؟ أين آسية بنت مزاحم ؟ أين أُمّ كلثوم أُمّ يحيى بن زكريّا ؟ فيقمن .

فيقول الله تبارك وتعالى : ياأهل الجمع لمن الكرم اليوم ؟

فيقول محمّد وعلي والحسن والحسين : لله الواحد القهّار .

فيقول الله تعالى : ياأهل الجمع إنّي قد جعلت الكرم لمحمّد وعلي والحسن والحسين وفاطمة ، ياأهل الجمع طأطأوا الرؤوس وغضّوا الأبصار ، فإنّ هذه فاطمة تسير إلى الجنّة ؛ فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنّة مدبّحة الجنبين ، خطامها من اللؤلؤ الرطب ، عليها رحل من المرجان ، فتناخ بين يديها فتركبها ، فيبعث الله مائة الف ملك ليسيروا عن يمينها ، ويبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها ، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتّى يصيّروها على باب الجنّة .

فإذا صارت عند باب الجنّة تلتفت .

فيقول الله : يابنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنّتي ؟

فتقول : ياربّ أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم .

فيقول الله : يابنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحد من ذرّيتك خذي بيده فأدخليه الجنّة .

. . . .

قال أبو جعفر عليه‌السلام : والله ياجابر إنّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا ، فإذا التفتوا يقول الله : ياأحبّائي ما التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي ؟

فيقولون : ياربّ أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم .

فيقول الله : ياأحبّائي ارجعوا وانظروا من أحبّكم لحبّ فاطمة ، انظروا من أطعمكم لحبّ فاطمة ، انظروا من كساكم لحبّ فاطمة ، انظروا من سقاكم شربة في حبّ فاطمة ، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنّة .

قال أبو جعفر عليه‌السلام : والله لا يبقى في الناس إلّا شاكّ أو كافر أو منافق ، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [1] فيقولون : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2].

قال أبو جعفر عليه‌السلام : هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [3]_[4].

هذه قيادتهم عليهم‌السلام في الأخرى بل هم يقودون الأمم في الدنيا أيضاً إلى حوائجهم، بالتوسّل بأنوارهم المقدّسة كما يستفاد من حديث علي بن الحسن بن فضّال ، عن أبيه ، عن الإمام الرضا عليه‌السلام قال : « لمّا أشرف نوح عليه‌السلام على الغرق دعا الله بحقّنا فدفع الله عنه الغرق .

(١) سورة الشعراء : الآية ١٠٠ و١٠١ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٢٨ .

(٤) بحار الأنوار : ج٨ ص٥١ ب٢١ ح٥٩ .

. . . .

➲ وإنّ موسى لمّا ضرب طريقاً في البحر ، دعا الله بحقّنا فجعله يبساً .

وإنّ عيسى لمّا أراد اليهود قتله ، دعا الله بحقّنا فنجّي من القتل فرفعه إليه »[١].

وغيره من الأحاديث في باب أنّ دعاء الأنبياء إستجيب بالتوسّل والإستشفاع بهم صلوات الله عليهم .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣٢٥ ب٧ ح٧ .

وَاَوْلِيَاءَ النِّعَمِ[١]

(١) ـ أولياء جمع ولي وهو الأولى والأحقّ الذي يلي التدبير .

والنعم جمع نِعمة بكسر النون : ما يتنعّم به الإنسان .

والنعم جمع شامل لجميع النعم وهي :

(الف) : **النعم الظاهرة :** أي التي تكون مرئية في السماء والأرض وما بينهما ممّا نشاهدها .

(ب) : **النعم الباطنة :** أي التي لا تكون مرئية ولكنّها نِعم معنوية مدرَكة كالمعرفة والإيمان ، والصفات الحسنة والكمالات النفسيّة التي ندركها .

(ج) : **النعم الأُخروية :** أي التي يُتفضّل بها في الحياة الآخرة كالكوثر والشفاعة والدرجات الرفيعة .

هذه نعم الله تعالى التي تفضّل بها علينا ظاهرة وباطنة دنياً وآخرة .

قال عزّ إسمه : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[١] كما تلاحظ بيانها وتفسيرها[٢] في مثل حديث عبدالله بن عبّاس وجابر بن عبدالله الأنصاري ... أتينا رسول الله ﷺ في مسجده في رهط من أصحابه ـ إلى قولهما في الحكاية ـ عن رسول الله ﷺ : « وقد أوحىٰ إليَّ ربّي ـ جلّ وتعالى ـ أن أُذكّركم بالنعمة ، وأُنذركم بما اقتصّ عليكم من كتابه . وتلا ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ (الآية) .

ثمّ قال لهم : قولوا الآن قولكم ، ما أوّل نعمة رغّبكم الله فيها وبلاكم بها ؟

فخاض القوم جميعاً . فذكروا نعم الله التي أنعم عليهم وأحسن إليهم بها من المعاش والرياش والذرّية والأزواج إلى سائر ما بلاهم الله ـ عزّوجلّ ـ من أنعمه الظاهرة .

---

(١) سورة لقمان : الآية ٢٠.

(٢) تفسير كنز الدقائق : ج ١٠ ص ٢٦٠ .

. . . .

⊃ فلمّا أمسك القوم أقبل رسول الله ﷺ على علي عليه السلام فقال : ياأبا الحسن ، قل فقد قال أصحابك .

فقال : فكيف لي بالقول ؟ فداك أبي وأُمّي وإنّما هدانا الله بك .

قال : ومع ذلك فهات ، قل ما أوّل نعمة أبلاك الله عزّوجلّ وأنعم عليك بها ؟

قال : أن خلقني جلّ ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً .

قال : صدقت ، فما الثانية ؟

قال : أن أحسن بي إذ خلقني ، فجعلني حيّاً لا مواتاً .

قال : صدقت ، فما الثالثة ؟

قال : أن أنشأني ـ فله الحمد ـ في أحسن صورة وأعدل تركيب .

قال : صدقت ، فما الرابعة ؟

قال : أن جعلني متفكّراً داعياً لا بلهة ساهياً .

قال : صدقت ، فما الخامسة ؟

قال : أن جعل لي شواعر أدرك ما ابتغيت لها . فجعل لي سراجاً منيراً .

قال : صدقت ، فما السادسة ؟

قال : أن هداني الله لدينه ولم يضلّني عن سبيله .

قال : صدقت ، فما السابعة ؟

قال : أن جعل لي مردّاً في حياة لا انقطاع لها .

قال : صدقت ، فما الثامنة ؟

قال : أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً .

قال : صدقت ، فما التاسعة ؟

قال : أن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه . ⊂

. . . .

قال : صدقت ، فما العاشرة ؟

قال : أن جعلنا سبحانه ذكراناً قوّاماً على حلائلنا لا إناثاً .

قال : صدقت ، فما بعدها ؟

قال : كثرت نعم الله ، يانبيّ الله ، فطابت وتلا : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[١].

فتبسّم رسول الله ﷺ وقال : ليهنئك الحكمة ، ليهنئك العلم ، ياأبا الحسن . فأنت وارث علمي والمبيّن لأُمّتي ما اختلفت فيه من بعدي .

من أحبّك لدينك وأخذ بسبيلك ، فهو ممّن هُدي إلى صراط مستقيم ، ومن رغب عن هواك وأبغضك لقى الله يوم القيامة لا خلاق له[٢].

وحديث جابر قال : قرأ رجل عند أبي جعفر عليه السلام ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ .

قال : أمّا النعمة الظاهرة فهو النبي ﷺ وما جاء به من معرفة الله عزّوجلّ وتوحيده .

وأمّا النعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا ، فاعتقد والله قوم هذه النعمة الظاهرة والباطنة ، واعتقدها قوم ظاهرة ولم يعتقدوا باطنة ، فأنزل الله ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[٣] ففرح رسول الله عند نزولها إذ لم يتقبّل الله تعالى إيمانهم إلّا بعقد ولايتنا ومحبّتنا »[٤].

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٤ ، وسورة النحل : الآية ١٨ .

(٢) كنز الدقائق : ج ١٠ ص ٢٦٢ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٤) تفسير القمّي : ج ٢ ص ١٦٥ .

. . . .

فأهل البيت سلام الله عليهم أجمعين بأنفسهم من نعم الله عزّوجلّ ، بل هم من أعاظم النعم .

كما أنّ بيُمنهم تدبّر النعمة لنا ، وببركتهم تحصل سعادتنا وفوزنا ، وبجودهم تنال الدرجات الرفيعة والمقامات المنيعة .

فيكونون أولياء النعم الفاخرة ، وأصحاب الجود والكرم لجميع الموجودات في الدنيا والآخرة .

وتلاحظ هذه الجهات بوضوح في الأحاديث الشريفة كحديث الكساء الشريف المتقدّم .

وحديث مروان بن صباح قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ الله خلقنا فأحسن صورنا ، وجعلنا عينه في عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتى منه ، وبابه الذي يدلّ عليه وخزّانه في سمائه وأرضه ، بنا أثمرت الأشجار ، وأينعت الثمار ، وجرت الأنهار ، وبنا ينزل غيث السماء ، وينبت عُشب الأرض ، وبعبادتنا عبد الله ، ولولا نحن ما عبد الله»[(١)].

وحديث الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيّه ؟ لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب ، ثمّ تلا هذه الآية : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ﴾[(٢)] ثمّ قال : نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده ، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة[(٣)].

وروى العياشي باسناده في حديث طويل قال : سأل أبو حنيفة أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[(٤)].

---

(١) الكافي : ج١ ص١٤٤ ح٥.

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٢٨ و٢٩ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢١٧ ح١ .

(٤) سورة التكاثر : الآية ٨ .

• •

➲ فقال : ما النعيم عندك يانعمان ؟

قال : القوت من الطعام والماء البارد .

فقال : لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه .

قال : فما النعيم جعلت فداك ؟

قال : « نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد ، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين ، وبنا ألّف الله بين قلوبهم ، وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء ، وبنا هداهم الله للإسلام ، وهي النعمة التي لا تنقطع ، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم به عليهم ، وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام »[1].

(١) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٤٩ ب٢٩ .

وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ (١)

(١) ـ عناصر جمع عُنصر بمعنى الأصل والحسب والنَسب .

والأبرار جمع بَرّ بالفتح ، بمعنى البارّ وهو فاعل الخير ، إذ البِرّ بالكسر ، اسم جامع للخير ، فيكون البارّ بمعنى فاعل الخير .

وفسّر الأبرار بأنّهم هم المطيعون لله ، المحسنون في أفعالهم ، وأهل البيت صلوات الله عليهم هم الأبرار في صفتهم ، والأصل والأساس للأبرار في عنصرهم ، لما يلي من الوجوه الأربعة :

(الف) : امّا بتفسير الأبرار بنفس الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم ؛ كما يشهد له ظاهر عموم قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾(١).

وأهل البيت هم أصل الأبرار بهذا المعنى لأنّ كلّ واحد منهم خلّف من هو سيّد الأبرار ، فيكون الأئمّة أُصولاً وعناصر للأبرار .

(ب) : أو تفسير الأبرار بمطلق البارّ وجميع المؤمنين الأبرار كما يشهد له ظاهر عموم قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾(٢).

فإنّ المؤمنين الأبرار يهتدون بهدي الأئمّة الطاهرين وينتسبون إليهم ، وينتمون إلى ولايتهم ، فكان الأئمّة سلام الله عليهم هم الأصل للبارّين ، كما تلاحظه في صفوة أصحاب المعصومين ، وفي من تلاهم من كرام المؤمنين .

(ج) : أو لأنّ الأئمّة الهداة هم السبب لإيجاد العالم وخلق الأبرار ، فكان خلق الأبرار ببركتهم ، وكانوا هم الأصل لهم ، كما يشهد له حديث « لولاك لما خلقت الأفلاك ... » المتقدّم بمصادره(٣).

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٥ .

(٢) سورة الانفطار : الآية ١٣ .

(٣) ص٤٩ من هذا الكتاب .

. . . .

(د) : أو لأنّهم عليهم السلام هم الأصل لشيعتهم الأبرار من حيث أنّ شيعتهم خُلقوا من فاضل طينتهم فكانوا متفرّعين منهم ، وكان أهل البيت هم الأصل لهم ، كما يشهد لهم أحاديث الطينة التي تلاحظها في مثل :

حديث بشر بن أبي عقبة ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا : « إنّ الله خلق محمّداً صلى الله عليه وآله من طينة من جوهرة تحت العرش ، وإنّه كان لطينته نضح فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام .

وكان لطينتنا نضح فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا ، فقلوبهم تحنّ إلينا ، وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد ونحن خير لهم وهم خير لنا ، ورسول الله لنا خير ونحن له خير »[1].

وحديث أبي الحجّاج قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : « ياأبا الحجّاج إنّ الله خلق محمّداً وآل محمّد صلى الله عليه وآله من طينة علّيين ، وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك ، وخلق شيعتنا من طينة دون علّيين ، وخلق قلوبهم من طينة علّيين ، فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمّد .

وإنّ الله خلق عدوّ آل محمّد صلى الله عليه وآله من طين سجّين وخلق قلوبهم من طين أخبث من ذلك ، وخلق شيعتهم من طين دون طين سجّين ، وخلق قلوبهم من طين سجّين فقلوبهم من أبدان أُولئك ، وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه »[2].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٨ ب١ ح١١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٨ ب١ ح١٢ .

وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ (١)

(١) ـ دعائم جمع دِعامة بكسر الدال ، وهي عماد البيت الذي يقوم عليه ، ويستند البيت إليه ، ويمنع عن سقوطه ، ومنه « لكلّ شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة »[١].

والأخيار جمع خَيّر بالتشديد ، وهو الرجل ذو الخير ، وقيل هو من صلح عمله بعد ما صلح دينه[٢].

والخير في اللغة هو ما يرغب فيه الكلّ كالعقل ، والعدل ، والفضل ، والشيء النافع ، وضدّه الشرّ[٣].

والخيرات هي الأعمال الصالحة وفسّر الخير بمكارم الأخلاق[٤].

وفي الحديث العلوي الشريف : وسُئل عن الخير ما هو ؟

فقال : « ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك ، وأن تُباهي الناس بعبادة ربّك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله .

ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ، ورجل يسارع في الخيرات »[٥].

وفي حديث حفص بن غياث ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « جعل الخير كلّه في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا »[٦].

وأهل البيت سلام الله عليهم هم المعوَّل للصالحين والمعتمد للأخيار الطيبين ، وعليهم الاعتماد والاستناد في جميع المعارف والأحكام وكلّ معالم الإسلام (ومن ←

(١) مجمع البحرين : مادّة دَعَم ص٥١٥ .

(٢) مجمع البحرين : مادّة خير ص٢٥٨ .

(٣) مفردات الراغب : ص١٦٠ .

(٤) مجمع البحرين : ص٢٥٨ .

(٥) نهج البلاغة : رقم الحكمة ٩٤ .

(٦) الكافي : ج٢ ص١٢٨ ح٢ .

. . . .

لم يستند إليه كان ضالاً غاوياً في دنياه وأُخراه) ، وهم الأساس القوام لجميع الخيرات ، التي من أفضلها العبادات ، ولولاهم ما عُبد الله تعالى .

وتلاحظ دعاميّتهم للأخيار والخيرات في الأحاديث الشريفة مثل :

حديث أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : يابن رسول الله هل تعرف مودّتي لكم وإنقطاعي إليكم وموالاتي إيّاكم ؟

قال : فقال : نعم .

قال : قلت : فإنّي أسألك مسألة تجيبني فيها فإنّي مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتكم كل حين ؟ قال : هات حاجتك .

قلت : أخبرني بدينك الذي تدين الله عزّوجلّ به أنت وأهل بيتك لأُدين الله عزّوجلّ به .

قال : إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة ، والله لأعطينّك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزّوجلّ به : « شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاء به من عند الله ، والولاية لوليّنا والبراءة من عدوّنا ، والتسليم لأمرنا ، وانتظار قائمنا ، والإجتهاد ، والورع »[1].

وحديث محمّد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « كلّ من دان الله عزّوجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول ، وهو ضالّ متحيّر والله شانيء لأعماله ، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها ... وكذلك والله يامحمّد من أصبح من هذه الأُمّة لا إمام له من الله عزّوجلّ ظاهر عادل ، أصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق »[2].

---

(١) الكافي : ج٢ ص٢١ ح١٠.

(٢) الكافي : ج١ ص١٨٣ ح٨.

. . . .

➲ وحديث إسحاق بن غالب ، عن أبي عبدالله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمّة عليهم السلام وصفاتهم : « أنّ الله عزّوجلّ أوضح بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا عن دينه ... جعلهم الله حياة للأنام ، ومصابيح للظلام ، ومفاتيح للكلام ، ودعائم للإسلام »(١).

وفي نسخة البلد الأمين : (دعائم الجبّار) أي الدعائم التي جعلها الله تعالى في أرضه وسمائه لدينه وشريعته .

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٣ ح٢ .

وَساسَةَ الْعِبادِ[١]

(١) ـ ساسة جمع سائس ، يُطلق في اللغة على المعاني الآتية : سَوّس الرجل أُمور الناس إذا مُلّك أمرهم فيكون السائس هو من يملّك الأمر ، والسَّوْس هي الرئاسة ، والسياسة : فعل السائس ، وهي القيام على الشيء بما يصلحه[١].

وجاء (ساسة العباد) وهي مأخوذة من سست الرعية سياسة : أي أمرتها ونهيتها ... وفي الخبر : « كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبيائهم » أي تتولّى أمرهم كالأُمراء والولاة بالنسبة إلى الرعية[٢].

وفلان مجرّب قد ساس وأُسيس عليه : أي أَدّب وأُدّب[٣].

والعباد جمع عبد ، وهو مقابل المولى ، أي عباد الله ، فالله هو المولى والخلق عبيده ، فالعباد بمعنى المخلوقين .

ويستفاد من الإستعمال القرآني لكلمة العباد أنّها تعمّ الصالحين والطالحين[٤].

من ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ﴾[٥] التي تعمّ جميع العباد ، بل تشمل حتّى الملائكة ، لإطلاق العباد عليهم في قوله عزّ إسمه : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ ...﴾[٦].

فساسة العباد معناه ملوك العباد وخلفاء الله عليهم ، كما أفاده العلّامة المجلسي[٧] ووالده[٨] والسيّد شبّر[٩] رضوان الله عليهم ، وكذا من له الأمر والنهي ←

---

(١) لسان العرب : ج٦ ص١٠٨ .

(٢) مجمع البحرين : مادّة سوس ص٣٢٧ .

(٣) تاج العروس : ج٤ ص١٦٩ .

(٤) المعجم المفهرس : ص٤٣٣ .

(٥) سورة غافر : الآية ٣١ .

(٦) سورة الزخرف : الآية ١٩ .

(٧) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٣٥ .

(٨) روضة المتّقين : ج٥ ص٤٥٩ .

(٩) الأنوار اللامعة : ص٦١ .

. . . .

من الله تعالى كما عن المحدّث الكاشاني[(١)].

فالسياسة بالمفهوم الصحيح في معناها اللغوي والعرفي هي أُمور ثلاثة : الملوكية الربّانية ، والأمر والنهي الإلهي ، وتدبير الرعية بما هو صالح لهم .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم المثل الأعلى لهذه المناصب الهامّة ، وهم المتأدّبون بآداب الله والعارفون بمصالح خلق الله فيستحقّون سياسة عباد الله ، وتلاحظ في أحاديثنا الشريفة دليل هذه المعاني وتوفّرها في سادتنا الأئمّة عليهم السلام .

فللمعنى الأوّل أي ملوكيتهم وخلافتهم الإلهية : لاحظ مثل :

حديث بُريد العجلي ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[(٢)].

قال : « جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمّة ، فكيف يقرّون في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمّد صلى الله عليه وآله » ؟

قال : قلت : ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ ؟

قال : « الملك العظيم أن جعل فيهم أئمّة ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم »[(٣)].

وحديث عبدالله بن سليمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن الإمام فَوّض الله إليه كما فوّض إلى سليمان بن داود ؟

فقال : « نعم ... »[(٤)].

وللمعنى الثاني أي الآمرية والناهوية من قبل الله تعالى : لاحظ مثل :

---

(١) الوافي : ج٢ القسم الثاني ص٢٤٣ ، وحكاه عن عمدة الزائر : ص٣٧٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٤ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٠٦ ح٥ .

(٤) الكافي : ج١ ص٤٣٨ ح٣ .

. . . .

— حديث الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر : « إنّ الله عزّوجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه فلمّا أكمل له الأدب قال : ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

ثمّ فوّض إليه أمر الدين والأُمّة ليسوس عباده ، فقال عزّوجلّ : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٢].

وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدّداً موفّقاً مؤيّداً بروح القدس ، لا يزلّ ولا يخطىء في شيء ممّا يسوس به الخلق ، فتأدّب بآداب الله .

ثمّ إنّ الله عزّوجلّ فرض الصلاة ركعتين ، ركعتين ، عشر ركعات فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين وإلى المغرب ركعة فصارت عديل الفريضة ، لا يجوز تركهنّ إلّا في سفر ، وأفرد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر فأجاز الله عزّوجلّ له ذلك كلّه فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة .

ثمّ سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلَي الفريضة فأجاز الله عزّوجلّ له ذلك ، والفريضة والنافلة إحدى وخمسون ركعة ، منها ركعتان بعد العتمة جالساً تعدّ بركعة مكان الوتر ... »[٣].

ومثله أيضاً أحاديث باب التفويض إليهم في أمر الدين[٤].

وللمعنى الثالث أي تدبيرهم الرعية بما هو صالح لهم : لاحظ أحاديث باب جامع مكارم أخلاق أمير المؤمنين وآدابه وسننه وحسن سياسته[٥] مثل : —

---

(١) سورة القلم : الآية ٤.
(٢) سورة الحشر : الآية ٧.
(٣) الكافي : ج١ ص٢٦٦ ح٤.
(٤) الكافي : ج١ ص٢٦٥ الأحاديث العشرة.
(٥) بحار الأنوار : ج٤١ ص١٠٢ ب٧ الأحاديث.

. . . .

حديث الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر : « إنّ الله عزّوجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه فلمّا أكمل له الأدب قال : ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ثمّ فوّض إليه أمر الدين والأُمّة ليسوس عباده ، فقال عزّوجلّ : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2].

وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدّداً موفّقاً مؤيّداً بروح القدس ، لا يزلّ ولا يخطىء في شيء ممّا يسوس به الخلق ، فتأدّب بآداب الله .

ثمّ إنّ الله عزّوجلّ فرض الصلاة ركعتين ، ركعتين ، عشر ركعات فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين وإلى المغرب ركعة فصارت عديل الفريضة ، لا يجوز تركهنّ إلّا في سفر ، وأفرد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر فأجاز الله عزّوجلّ له ذلك كلّه فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة .

ثمّ سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلَي الفريضة فأجاز الله عزّوجلّ له ذلك ، والفريضة والنافلة إحدى وخمسون ركعة ، منها ركعتان بعد العتمة جالساً تعدّ بركعة مكان الوتر ... »[3].

ومثله أيضاً أحاديث باب التفويض إليهم في أمر الدين[4].

وللمعنى الثالث أي تدبيرهم الرعية بما هو صالح لهم : لاحظ أحاديث باب جامع مكارم أخلاق أمير المؤمنين وآدابه وسننه وحسن سياسته[5] مثل :

---

(١) سورة القلم : الآية ٤ . (٢) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٦٦ ح٤ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٦٥ الأحاديث العشرة .

(٥) بحار الأنوار : ج٤١ ص١٠٢ ب٧ الأحاديث .

. . . .

➲ حديث الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه ذكر عن آبائه عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عمّاله : « أدقّوا أقلامكم ، وقاربوا بين سطوركم ، واحذفوا عنّي فضولكم ، واقصدوا قصد المعاني ، وإيّاكم والإكثار ، فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار »[1].

ويكفي في النموذج الحي على عظيم تدبيره ومعالي سياسته (روحي فداه) رسائله وكتبه إلى عمّاله .

خصوصاً كتابه إلى مالك الأشتر النخعي لمّا ولّاه مصر وأعمالها وهو من أجلّ كتبه وأجمع محاسنه ، والدستور الأعلى لجميع الأزمان ، والأماكن والبلدان والجدير جدّاً دراسة نصّه بإمعان في النهج الشريف[2].

كما يشهد للمعنى الثالث أيضاً دليل الوجدان وشهادة العيان ، بإزدهار الكوفة وترقّيها وإرتفاع مستوى حضارتها العلمية والعملية في أيّام حكومته عليه السلام بالرغم من قصر مدّتها وإزدحام الحروب من أعدائه فيها[3].

وقد شهد بحسن سياسته في أيّام حكومته محبّوه ومخالفوه ، كما تلاحظه في كلام ابن أبي الحديد في شرحه[4].

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ص١٠٥ ح٦ .

(٢) نهج البلاغة : قسم الرسائل ص٩٢ رقم ٥٣ .

(٣) لاحظ لمعرفة الإزدهار والرقيّ تاريخ الكوفة للبراقي .

(٤) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢٨ .

وَأَرْكانَ الْبِلادِ[١] وَأَبْوابَ الإيمانِ[٢]

(١) ـ أركان جمع ركن مثل أقفال جمع قفل ، وركن الشيء هو جانبه القوي .

والبلاد جمع بلدة ، تطلق على كلّ موضع من الأرض عامراً كان أو خلاً .

فأركان البلاد هي جوانبها القويّة التي تمسكها وتحفظها وتبقيها .

وأهل البيت عليهم السلام أركان البلاد ، بمعنى أنّ نظام العالم ، وانتظامه ، وبقاءه يكون بوجودهم ، ولولاهم لساخت الأرض بأهلها ، وماجت كما يموج البحر ، وهم الأركان القويّة الذين ببقائهم تبقى الأرجاء ، وبوجودهم ثبتت الأرض والسماء كما في دعاء العديلة الشريف .

وقد نطقت بركنيتهم أخبارنا الشريفة في هذا الباب[١] مثل :

حديث المفضّل بن عمر الجعفي ، عن أبي عبدالله عليه السلام جاء فيه : « كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتىٰ إلّا منه ، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك ، وكذلك يجري لأئمّة الهدى واحداً بعد واحد .

جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومَن تحت الثرى »[٢].

(٢) ـ أبواب : جمع باب وهو طريق السلوك إلى الشيء ، فأبواب الإيمان بمعنى الطريق إليه .

والإيمان في اللغة : هو التصديق كما أفاده الشيخ الطريحي ، ثمّ قال :

(الإيمان يرد على صيغتين : الإيمان بالله والإيمان لله .

فالإيمان بالله هو التصديق بإثباته على النعت الذي يليق بكبريائه .

---

(١) الكافي : ج١ ص١٩٦ باب أنّ الأئمّة هم أركان الأرض .

(٢) مجمع البحرين : ص٥٦ .

. . . .

والإيمان لله هو الخضوع والقبول عنه والاتّباع لما يأمر والإنتهاء لما ينهى)[١].

وأمّا في الشرع : فقد قال العلّامة المجلسي ﵀ : إنّ الايمان هو التصديق بالله وحده وصفاته وعدله وحكمته ، وبالنبوّة ، وكل ما علم بالضرورة مجيء النبي به ، مع الإقرار بذلك (وعلى هذا أكثر المسلمين بل ادّعى بعضهم إجماعهم على ذلك) والتصديق بإمامة الأئمّة الإثنى عشر وبإمام الزمان ﵇ (وهذا عند الإمامية)[٢].

والأحاديث المباركة توضّح حقيقة الايمان بأتمّ بيان فلاحظ ما يلي :

١ ـ حديث محمّد بن مسلم ، عن أحدهما ﵉ قال : « الايمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل »[٣].

٢ ـ جميل بن درّاج قال : سألت أبا عبدالله ﵇ عن قول الله عزّوجلّ : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ؟[٤].

فقال لي : « ألا ترى أنّ الايمان غير الإسلام »[٥].

٣ ـ سفيان بن السمط قال : سأل رجل أبا عبدالله ﵇ عن الإسلام والايمان . ما الفرق بينهما ؟ فلم يجبه ، ثمّ سأله فلم يجبه ، ثمّ التقيا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل .

فقال له أبو عبدالله ﵇ : كأنّه قد أزف منك رحيل ؟

فقال : نعم .

فقال : فألقني في البيت ، فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما ؟

فقال : الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس : شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا

---

(١) مجمع البحرين : مادّة ص٥٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج٦٩ ص١٤٩ .

(٣) الكافي : ج٢ ص٢٤ ح٢ .

(٤) سورة الحجرات : الآية ١٤ .

(٥) الكافي : ج٢ ص٢٤ ح٣ .

. . . .

شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان ، فهذا الإسلام .

وقال : الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا ، فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً »(١).

٤ ـ سماعة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان ؟

فقال : إنّ الإيمان يشارك الإسلام ، والإسلام لا يشارك الإيمان .

فقلت : فصفهما لي .

فقال : « الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله ، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس .

والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به ، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة ، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر ، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن إجتمعا في القول والصفة »(٢).

٥ ـ أبو الصباح الكناني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : من شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً ؟

قال : فأين فرائض الله ؟

قال : وسمعته يقول : كان علي عليه السلام يقول : « لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام »(٣).

٦ ـ أبو الصلت الخراساني قال : سألت الرضا عليه السلام عن الإيمان ؟

(١) الكافي : ج٢ ص٢٤ ح٤ .
(٢) الكافي : ج٢ ص٢٥ ح١ .
(٣) الكافي : ج٢ ص٣٣ ح٢ .

. . . .

⊃ فقال : الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالجوارح ، لا يكون الإيمان إلّا هكذا »(١).

٧ ـ حفص الكناسي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً ؟

قال : « يشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، ويقرّ بالطاعة ويعرف إمام زمانه ، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن »(٢).

٨ ـ أبو الربيع قال : قلت : ما أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان؟

قال : « الرأي يراه مخالفاً للحقّ فيقيم عليه »(٣).

والمستفاد من مجموع هذه الأحاديث الشريفة أنّ المعنى الشرعي للإيمان هو : التصديق بالله وحده لا شريك له وبصفاته ، وبالنبوّة ، وبكلّ ما جاء به النبي ومنها الإمامة للأئمّة الإثنى عشر إلى إمام الزمان عليهم السلام ، والمعاد ، والإقرار بذلك كلّه ، وعقد القلب عليه ، والتلفّظ به لساناً ، والعمل به جوارحاً .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم الطرق إلى الإيمان ، والإيمان لا يعرف إلّا منهم ، ولا يحصل بدون ولايتهم .

فهم خلفاء الله وأبوابه والطريق إليه كما نصّت عليه الأخبار الواردة مثل :

حديث داود بن كثير أبي خالد الرقي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزّوجلّ :

« ... ألا وقد جعلت علياً علماً للناس ، فمن تبعه كان هادياً ومن تركه كان ⊂

(١) معاني الأخبار : ص١٨٦ ح٢ .

(٢) معاني الأخبار : ص٣٩٣ ح٤١ .

(٣) معاني الأخبار : ص٣٩٣ ح٤٢ .

. . . .

ضالاً، لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق »[١].

وحديث جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « التاركون ولاية علي المنكرون لفضله المظاهرون أعداءه خارجون عن الإسلام ، من مات منهم على ذلك »[٢].

وحديث الجعفري قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول :

« الأئمّة خلفاء الله عزّوجلّ في أرضه »[٣].

وحديث أبي بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام :

« الأوصياء هم أبواب الله عزّوجلّ التي يؤتى منها ، ولولاهم ما عُرف الله عزّوجلّ وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه »[٤].

فمعرفة أهل البيت محصّل للإيمان ومحقّق له كما تقدّم في حديث سفيان ابن السمط[٥].

بل أنّهم ملاك الايمان ومداره ، فمن قبلهم كان مؤمناً ومن جحدهم كان كافراً ، كما يستفاد من مثل حديث داود الرقي وجابر المتقدّمين .

هذا وقد عرفت من أحاديث الايمان أنّ الايمان إقرار وعمل كما صرّح به في حديث محمّد بن مسلم المتقدّم[٦].

ومن الواضح أنّ الإقرار بالشيء هو الإعتراف به ، والإعتراف إنّما يتحقّق باللسان ، فيلزم في الإيمان الإقرار باللسان مضافاً إلى الإذعان بالجَنان حتّى

(١) بحار الأنوار : ج٣٩ ب٨٧ ص٢٥٣ ح٢٢ .
(٢) بحار الأنوار : ج٣٩ ب٨٧ ص٣٠٢ ح١١٦ .
(٣) الكافي : ج١ ص١٩٣ ح١ .
(٤) الكافي : ج١ ص١٩٣ ح٢ .
(٥) الكافي : ج٢ ص٢٤ ح٤ .
(٦) الكافي : ج٢ ص٢٤ ح٢ .

. . . .

يحصل الإيمان ، كما صرّح به العلماء ، المحدّثون منهم والأُصوليون .

بل هو صريح الأحاديث المرويّة عن رسول الله والأئمّة الطاهرين ﴿عليهم السلام﴾ ممّا تلاحظها في كتاب حقّ اليقين[1]. وقد عرفت في حديث أبي الصلت المتقدّم[2]: أن الإيمان يحتاج إلى لفظ باللسان .

فيستفاد لزوم الشهادة لفظاً لتحصيل مقوّم الإيمان إقراراً ، فيشهد بالتوحيد والرسالة والإمامة التي يلزم معرفتها لتحقّق الإيمان .

فالشهادة الثالثة ومنها شهادة الأذان تكون من محقّقات ومقوّمات الإيمان ، وتلزم بلزومه ، وهي من شعائره وعلاماته .

مضافاً إلى الأمر بها في الأحاديث التي حكيت عن شيخ الطائفة في المبسوط ، والمحقّق في المعتبر ، والعلّامة في المنتهى ، والشهيد الأوّل في الدروس ، وهي وإن كانت مرسلة ومرميّة بالشذوذ إلّا أنّها تكفي في الإستحباب بضميمة التسامح في أدلّة السنن لأحاديث من بلغ .

مضافاً إلى عموم حديث الإحتجاج عن القاسم بن معاوية ، عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ الذي جاء فيه : « فإذا قال أحدكم : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ، فليقل : علي أمير المؤمنين »[3].

مضافاً إلى إحراز مطلوبية الشهادة الثالثة بعد الشهادة بالرسالة في الشرع المقدّس . كما تستفاد هذه المطلوبية من صدر حديث الإحتجاج المتقدّم الذي بيّن كتابة هذه الشهادة على العرش والكرسي واللوح وجبهة إسرافيل وجناحي جبرائيل وأبواب الجنّة والشمس والقمر .

---

(١) حقّ اليقين : ج٢ ص٢٢٧ .

(٢) معاني الأخبار : ص١٨٦ ح٢ .

(٣) إحتجاج الطبرسي : ج١ ص٢٣١ .

. . . .

ومن حديث أصبغ بن نباتة[١] الذي بيّن نداء ملك تحت العرش وقت كلّ صلاة بعد الشهادة بالرسالة : أنّ عليّاً خير الوصيّين .

ومن حديث سنان بن طريف أنّه لمّا خلق الله السماوات والأرض أمر منادياً فنادى بعد الشهادة بالتوحيد والرسالة : أنّ علياً أمير المؤمنين حقّاً[٢].

مضافاً إلى حديث المعراج في أذان جبرائيل وأخذ الإقرار بعد ذلك بالشهادة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

مضافاً إلى ما ورد في أحاديث الفريقين أنّ ذكر أمير المؤمنين عليه السلام عبادة[٤] فهي من سنخ الأذان فضلاً عن عدم منافاتها له .

بل ورد من طريق المخالفين في حديث « السُلافة في أمر الخلافة » تقرير رسول الله صلى الله عليه وآله لأذان سلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري بالشهادة الثالثة في الأذان في فصوله[٥].

هذا بالإضافة إلى أنّ الشهادة الثالثة في الأذان في هذه الأعصار معدود من شعائر الإيمان ورمز التشيّع ، فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً ، بل قد يكون واجباً لكن لا بعنوان الجزئية كما في المستمسك[٦].

ويؤيّدنا في الرجحان والإستحباب فتوى مائة عالم من العلماء بذلك ممّا تلاحظها في كتاب الشهادة الثالثة[٧].

---

(١) الإحتجاج : ج١ ص٣٣٨ .

(٢) الأمالي ، للشيخ الصدوق : المجلس ٨٨ ح٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٣٧ ص٣٣٨ ب٥٤ ح٨٢ .

(٤) عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ذكر علي عبادة ... » ، غاية المرام : ص٦٢٦ ح١٢ و١٤ .

(٥) سياسة الحسين عليه السلام : ج٢ ص١٠٩ .

(٦) مستمسك العروة الوثقى : ج٥ ص٥٠٥ .

(٧) كتاب الشهادة الثالثة ، للسيّد المقرّم قدس سره .

. . . .

➲ وبهذا يتّضح جليّاً عدم صحّة رمي هذه الشهادة المباركة بالبدعة ، فقد تبيّن أنّها سنّة وليست ببدعة .

قال السيّد شرف الدين ﷺ : وقد أخطأ وشذّ من حرّم ذلك ، وقال بأنّه بدعة فإنّ كلّ مؤذّن في الإسلام يقدّم كلمة للأذان يوصلها به كقوله : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾[1] الآية ، أو نحوها ، ويلحق به كلمة يوصله بها كقوله : (الصلاة والسلام عليك يارسول الله) أو نحوها . وهذا ليس من المأثور عن الشارع في الأذان ، وليس ببدعة ، ولا هو محرّم قطعاً ، لأنّ المؤذّنين كلّهم لا يرونه من فصول الأذان ، وإنّما يأتون به عملاً بأدلّة عامّة تشمله .

وكذلك الشهادة لعلي بعد الشهادتين في الأذان فإنّما هي عمل بأدلّة عامّة تشملها.

على أنّ الكلام القليل من سائر كلام الآدميين لا يبطل به الأذان ولا الإقامة ولا هو حرام في أثنائهما ، فمن أين جاءت البدعة والحرام[2]؟

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١١١ .

(٢) النصّ والإجتهاد : ص١١٤ .

وَأُمَنَاءَ الرَّحْمٰنِ(١)

(١) ـ أُمناء جمع أمين من الأمانة ضدّ الخيانة ، والأمانة في كلّ شيء عدم الخيانة فيه ، والأمين هو المؤتمن على الشيء الذي لا يخون فيه ؛ ومنه محمّد أمين الله أي ائتمنه الله تعالى ، ومحمّد الأمين أي الذي ائتمنه الناس ولم يخنهم في الأمانة[١].

والرحمن هو الواسع رحمته لجميع العالم وفي عموم رزقه وإنعامه[٢].

وأهل البيت سلام الله عليهم أُمناء الله في أرضه ، والمؤتمنون منه على أمره وشهوده الأُمناء وسفراؤه النجباء في عباده .

ويدلّ عليه الزيارة المطلقة الثانية لأمير المؤمنين عليه السلام المروية عن الإمام السجّاد عليه السلام والموجودة في كتب المزار المعتبرة وقد جاء في أوّلها: « السلام عليك ياأمين الله »[٣].

وكذلك الزيارة السادسة التي رواها صفوان ، عن الإمام الصادق عليه السلام التي ورد فيها : « قصدتك يامولاي ياأمين الله وحجّته ... »[٤].

والأئمّة الطاهرون سلام الله عليهم أُمناء الله تعالى بجميع معنى الكلمة كجدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء في التسليم عليه بالأمانة فيما رواه الشيخ المفيد والشهيد الأوّل والسيّد ابن طاووس في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام الأولى : « السلام من الله على محمّد رسول الله ، أمين الله على وحيه ورسالاته وعزائم أمره »[٥]. ⟸

(١) لاحظ مجمع البحرين : مادّة أمن ص٥٤٧ .

(٢) توحيد الصدوق : ص٢٠٣ .

(٣) وقد عدّها العلّامة المجلسي في الزيارات الجامعة ، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام « أنّه ما قالها أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، أو أحد من الأئمّة عليهم السلام إلّا رفع دعاؤه في درجٍ من نور ، وطبع عليه بخاتم محمّد صلى الله عليه وآله حتّى يُسلَّم إلى القائم عليه السلام ، فيلقى صاحبه بالبشرى والتحيّة والكرامة » كما في بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٧٦ .

(٤) بحار الأنوار : ج١٠٠ ص٣٠٦ ب٤ ح٢٣ .

(٥) بحار الأنوار : ج١٠٠ ص٢٨٤ ب٤ ح١٨ .

• •

فإنّهم عليهم السلام مشتركون مع الرسول الأكرم في جميع الخصائص إلّا النبوّة والنساء كما تلاحظه في حديث محمّد بن مسلم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « الأئـمّة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّهم ليسوا بأنبياء ، ولا يحلّ لهم مـن النسـاء مـا يـحلّ للنبي صلى الله عليه وآله ، فأمّا ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله »(١).

وكيف لا يكونون أُمناء وقد عصمهم الله من كلّ زلّة ، وليس بينهم وبين كتاب الله فرقة .

وفي حديث سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى طهّرنا وعصمنا ، وجعلنا شهداء على خلقه ، وحجّته في أرضه ، وجعلنا مع القرآن ، وجعل القرآن معنا ، لا نفارقه ولا يفارقنا »(٢).

ونبّه في الشموس الطالعة على أنّ في إضافة أُمناء إلى الرحمن إشارةً إلى أنّهم لا تنحصر صفاتهم ـ ومنها أمانتهم ـ بالمؤمنين خاصّة ، بل تعمّ جميع الخلائق ، كما أنّ الرحمة الرحمانية الإلهية تعمّهم كافّة .

فهم عليهم السلام مظاهر الرحمة التي وسعت كلّ شيء ولذلك عرضت ولايتهم التي هي من الرحمة على جميع الخليقة أيضاً كما صرّحت بذلك رواية جامع البزنطي عـن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول :

« ما من شيء ولا من آدمي ولا إنسي ولا جنّي ، ولا ملك في السـماوات إلّا ونحن الحجج عليهم ، وما خلق الله خلقاً إلّا وقد عرض ولايتنا عليه ، واحتجّ بنا عليه ، فمؤمن بنا وكافر وجاحد حتّى السماوات والأرض والجبال ... »(٣).

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٠ ب١٨ ح٢ .

(٢) الكافي : ج١ ص١٩١ ح٥ .

(٣) مستطرفات السرائر : ج٣ ص٥٧٥ ، الشموس الطالعة : ص١٤٤ .

وَسُلاٰلَةَ النَّبِيِّينَ[١]

(١) ـ السَلّ : انتزاع الشيء وإخراجه برفق ، يقال : سللت السيف من الغمد أي إنتزعته وأخرجته منه ، ومنه أُخذت السُلالة بضمّ السين كما في كتب اللغويين .

وقد فسّرت لغةً بمعنى الولد ، فيطلق على الذكر سليل وعلى الأُنثى سليلة كما عن الأخفش[١].

وفسّرها الشيخ الطريحي بمعنى الخلاصة من الشيء[٢].

فسلالة النبيين أولادهم ، والخلاصة المأخوذة منهم .

وهذه صفة أهل البيت صلوات الله عليهم ، فإنّهم الذرّية المصطفاة ، والسلالة المنتقاة ، من أنبياء الله الكرام ، ورسله العظام : آدم وشيث وإدريس ونوح وهود وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام وسيّدهم الرسول محمّد صلى الله عليه وآله .

فآل محمّد صلوات الله عليهم هم صفوة الصفوة من البيت الهاشمي والسلالة الطاهرة من البيت النبوي .

وقد فسّر بهم عليهم السلام قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

وقد وردت به أحاديث متظافرة من الطريقين الخاصّة والعامّة تلاحظها في غاية المرام وتفسير البرهان وتفسير الصافي[٤].

فهم بحقّ ، سلالة الأنبياء وذرّية الأزكياء من الشامخين أصلاباً ، ومن الطاهرات أرحاماً ، كما تلاحظ نسبهم السامي المنبثق من رسول الله أبي القاسم محمّد بن

---

(١) لسان العرب : ج١١ ص٢٣٩ . (٢) مجمع البحرين : مادّة سلل ص٤٧٩ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣٣ ـ ٣٤ .

(٤) غاية المرام : ص٣١٨ ، تفسير البرهان : ج١ ص١٧١ ، تفسير الصافي : ج١ ص٣٢٨ .

. . . .

⮌ عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[١]... سلام الله عليهم أجمعين[٢].

فهم خاصّة ذرّية النبوّة في القرآن العظيم ، وليس لأحد من أعاديهم هذا النسب الكريم .

ولقد كذب من ادّعى أنّ بني أُميّة من بني عبد مناف ، إذ هم الشجرة الملعونة في الكتاب[٣]، وهم من أخسّ الأحساب والأنساب ، بل لم يكونوا من العرب أو من أهل الحسب والنسب .

فإنّ جدّهم أُميّة كان غلاماً رومياً تبنّاه عبد شمس بن عبد مناف ، فصار لصيقاً به لا إبناً له ، وهذا ظاهر لا خفاء فيه ؛ لذلك لم يستطع معاوية إنكار ما كتبه إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه : « ليس المهاجر كالطليق ، ولا الصريح كاللصيق »[٤].

خصوصاً وإنّ أمّ معاوية كانت هند بنت عتبة التي حملت بمعاوية من أربعة أشخاص لم يكن منهم أبو سفيان حتّى ينسب إليه .

فقد صرّح الزمخشري بأنّه منسوب إلى أربعة لم يكن أبو سفيان مشتركاً معهم[٥].

وكانت جدّة معاوية حمامة بغيّة من ذوات الرايات في ذي المجاز[٦].

هذا أصل بني أُميّة أمّاً وأباً ، فأي وصلة بينهم وبين بني عبد مناف نسباً أو حسباً ؟!

---

(١) بحار الأنوار : ج١٥ ص١١٠ .
(٢) العقائد الحقّة الطبعة الأُولى : ص٢٣٣ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .
(٤) بحار الأنوار : ج٣٣ ص١٠٧ .
(٥) ربيع الأبرار : ج٤ ص٢٧٥ الباب٦٨ الرقم٩٩ .
(٦) الزام النواصب : ص١٦٦ .

وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ(١)

(١) ـ الصفوة بتثليث الصاد من صفو الشيء : خالصه وخياره وأحسنه[١].

وفسّرت بمعنى النقاوة أيضاً[٢].

والمرسلين جمع المرسل ، وهو الرسول مطلقاً من الإنس والملك .

إذ المرسل بمعنى الموجّه إلى الأمر المبعوث له كالأنبياء ، بل وحتّى بعض الملائكة بدليل قوله تعالى : ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾[٣]ـ[٤].

وأهل البيت عليهم السلام هم الأفضل والأحسن من المرسلين أجمعين ، ما عدا جدّهم خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

وهم الخلاصة التي إختارها الله من رسله ، أُولئك الرسل الذين كانوا هم المصطفون من الحقّ .

وقد دلّت على ذلك آية الإصطفاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٥] وتلاحظ تفسير آل إبراهيم بآل محمّد صلى الله عليه وآله في أحاديثه[٦]. مثل :

حديث حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال : « نحن منهم ونحن بقيّة تلك العترة »[٧].

وقد تمثّلت فيهم صفات الأنبياء وسنن المرسلين أُولئك الأنبياء والرسل الذين ←

---

(١) مجمع البحرين : ص٥٤ مادّة .

(٢) لسان العرب : ج١٤ ص٤٦٢ .

(٣) سورة الحجّ : الآية ٧٥ .

(٤) مرآة الأنوار : ص١١٠ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٣٣ .

(٦) تفسير كنز الدقائق : ج٣ ص٧١ ـ ٧٢ .

(٧) تفسير كنز الدقائق : ج٣ ص٧١ .

. . . .

⊃ كانوا بأنفسهم القدوة العليا للصفات الفاضلة ، والمحاسن الكاملة .

كما تلاحظه في مثل :

حديث فضيل ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : « كانت في علي سنّة الف نبي »[١].

وحديث أبي ذرّ الغفاري قال : بينما ذات يوم من الأيّام بين يدي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله إذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى ، ثمّ قال :

« ياجندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في خلّته ، وإلى موسى في مناجاته ، وإلى عيسى في سياحته ، وإلى أيّوب في صبره وبلائه ، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل الذي هو كالشمس والقمر الساري ، والكوكب الدرّي ، أشجع الناس قلباً وأسخى الناس كفّاً ، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، قال : فالتفت الناس ينظرون مَن هذا المقبل ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام[٢].

ولذلك لم يبعث الله تعالى نبيّاً إلّا بمعرفة حقّهم ، وتفضيلهم على مَن سواهم كما في حديث عبدالأعلى قال : سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول :

« ما من نبي جاء قط إلّا بمعرفة حقّنا وتفضيلنا على مَن سوانا »[٣].

بل أخذ من الأنبياء الميثاق بالشهادة بذلك كما في حديث أبي الصباح الكناني ، عن جعفر بن محمّد عليهما‌السلام قال :

أتى رجل أمير المؤمنين عليه‌السلام وهو في مسجد الكوفة قد احتبى بسيفه قال : ياأمير المؤمنين إنّ في القرآن آية قد أفسدت قلبي وشكّكتني في ديني . ⊂

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٩ ص٣٨ ب٧٣ ح٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣٩ ص٣٨ ب٧٣ ح٩ .

(٣) الكافي : ج١ ص٤٣٧ ح٤ .

. . . .

قال له عليه السلام : وما هي ؟

قال : قوله عزّوجلّ : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾(١) هل كان في ذلك الزمان غيره نبيّاً يسأله ؟

فقال له علي صلوات الله عليه : اجلس أُخبرك إن شاء الله .

إنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾(٢).

فكان من آيات الله عزّوجلّ التي أراها محمّداً صلى الله عليه وآله أنّه أتاه جبرئيل عليه السلام فاحتمله من مكّة ، فوافى به بيت المقدّس في ساعة من الليل .

ثمّ أتاه بالبراق فرفعه إلى السماء ، ثمّ إلى البيت المعمور ، فتوضّأ جبرئيل وتوضّأ النبي صلى الله عليه وآله كوضوئه ، وأذّن جبرئيل وأقام مثنى مثنى ، وقال للنبي صلى الله عليه وآله : تقدّم فصلّ واجهر بصلاتك ، فإنّ خلفك أُفقاً من الملائكة لا يعلم عددهم إلّا الله ، وفي الصفّ الأوّل أبوك آدم ونوح وهود وإبراهيم وموسى وكلّ نبي أرسله الله مذ خلق السماوات والأرض إلى أن بعثك يامحمّد .

فتقدّم النبي صلى الله عليه وآله فصلّى بهم غير هائب ولا محتشم ركعتين ، فلمّا إنصرف من صلاته أوحى الله إليه : ﴿اسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ الآية .

فالتفت إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال : بم تشهدون ؟

قالوا : نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ علياً أمير المؤمنين ووصيّك ، وكلّ نبي مات خلّف وصيّاً من عصبته غير هذا ـ وأشار إلى عيسى بن مريم ـ فإنّه لا عصبة له ، وكان وصيّه شمعون الصفا بن حمّون بن عمامة .

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٤٥ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ١ .

. . . .

◄ ونشهد أنّك رسول الله سيّد النبيّين ، وأنّ علي بن أبي طالب سيّد الوصيين ، أُخذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة .

فقال الرجل : أحييت قلبي وفرّجت عنّي ياأمير المؤمنين[١].

وما تكاملت النبوّة لنبي في الأظلّة حتّى عرضت عليه ولاية محمّد وآل محمّد ، فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم، كما في حديث حذيفة بن أسد الغفاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« ما تكاملت النبوّة لنبي في الأظلّة حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومُثّلوا له ، فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم »[٢].

واعلم أنّ في نسخة الزيارة[٣] بعد قوله هذا ، زيادة قوله : « وآل يس » ويس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وآل محمّد آل يس عليهم السلام .

وقد خصّهم الله بالسلام في سورة الصافات[٤] التي سُلّم فيها على الأنبياء دون آلهم ، إلّا آل يس كما تلاحظه في أحاديثنا المروية عن أئمّتنا الطاهرين سلام الله عليهم مثل حديث سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إسمه ياسين ، ونحن الذين قال الله :﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ »[٥].

وفي المجمع[٦] قال ابن عبّاس : آل يس آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وهو قراءة ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٨٥ ح٤٥ .

(٢) المعالم الزلفى : ص٣٠٣ ب٢٦ ح٦ .

(٣) في البلد الأمين ، ومستدرك الوسائل .

(٤) سورة الصافات : الآية ١٣٠ .

(٥) بحار الأنوار : ج٢٣ ص١٦٨ ب٨ ح٢ .

(٦) مجمع البيان : ج٨ ص٤٥٦ و٤٥٧ .

وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[١]

(١) ـ عترة الرجل : نسله ورهطه وعشيرته الأقربون .وجاء أيضاً بمعنى ذرّية الرجل من صلبه ، وجاء في اللغة أيضاً لمعان أخرى فقد حكي عن ابن الأعرابي مجيئه بمعنى قطع المسك الكبار في النافجة ، وبمعنى الريقة العذبة ، وبمعنى الشجرة ، أو الشجرة المقطوعة التي تنبت من أصولها .وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله هم آل محمّدصلوات الله عليهم كما جاء التصريح بذلك في حديث الريّان بن الصلت قال :

حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو ، وقد إجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان. فقال المأمون : مَن العترة الطاهرة ؟

فقال الرضا عليه السلام : الذين وصفهم الله في كتابه ، فقال جلّ وعزّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١] وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّي مخلّف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيّها الناس لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم » .قالت العلماء : أخبرنا ياأبا الحسن عن العترة ، أهم الآل أم غير الآل ؟

فقال الرضا عليه السلام : هم الآل ...[٢].قال الشيخ الصدوق رحمه الله: (العترة علي بن أبي‌طالب وذرّيته من فاطمة وسلالة‌النبي عليهم السلام، وهم الذين نصّ الله تبارك وتعالى عليهم بالإمامة على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله،وهم إثنى عشر أوّلهم علي وآخرهم القائم عليهم السلام، على جميع ما ذهبت إليه العرب من معنى العترة..)[٣] وهم إثنى عشر أوّلهم علي وآخرهم القائم عليهم السلام ، على جميع ما ذهبت إليه العرب من معنى العترة ...)[٤].

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٢٢٠ ب٦ ح٢٠ .

(٣) معاني الأخبار : ص٩٢ .

(٤) معاني الأخبار : ص٩٢ .

. . . .

➡ والخِيَرة بكسر الخاء وفتحها ، معناها المختار ، أي رسول الله الذي هو خيرة ربّ العالمين ، إختاره الله تعالى الذي هو المنشىء للخلق ، والمربّي لهم ، والمصلح لشأنهم والعالم بخيرهم .
قال في المجمع : (محمّد خيرتك من خلقك) أي المختار المنتجب(١).
وأهل البيت سلام الله عليهم هم عترة خيرة ربّ العالمين أي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كما أوضحه وبيّنه وخصّها بهم هو صلوات الله عليه وآله في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين في قوله : « وعترتي أهل بيتي » كما لاحظته في الحديث الرضوي المتقدّم(٢).
فلا يبقى أدنى ريب ، ولا أقلّ شبهة في أنّ أهل البيت عليهم السلام هم عترة الرسول دون غيرهم ، وإن ادّعاها الغير كذباً .
فقول أبي بكر في السقيفة : (نحن عترة رسول الله) يردّه ما يلي :
أوّلاً : أنّه من بني تيم بن مرّة وليس من بني هاشم ، فكيف بنسل النبي وعشيرته الأقربين حتّى يكون من عترته ، كما هو واضح .
ثانياً : أنّه لو كانت دعواه صحيحة لكانت قريش كلّها عترة واحدة ، بل كانوا بنو مُعد بن عدنان عترة واحدة، بل كان جميع ولد آدم عترة واحدة ، وهذا واضح الفساد(٣).
ثالثاً : أنّه يشهد بعدم كونه من العترة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ردّه حينما أمره بتبليغ سورة البراءة ، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام بأنّه لا يبلّغها إلّا هو أو رجل منه . فأنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال : « علي منّي ولا يؤدّي عنّي إلّا علي »(٤).ففعل الرسول يشهد على أنّ أبا بكر ليس من عترته ، بل ليس منه ، فالعترة خاصّة بأهل بيته. ⬅

---

(١) مجمع البحرين : مادّة خَيَر ص٢٥٨ .
(٢) وتلاحظ مصادر الحديث في إحقاق الحقّ : ج٩ ص٣٠٩ ، وغاية المرام : ص٢١١ .
(٣) تلخيص الشافي ، لشيخ الطائفة : ج٢ ص٢٤٢ .
(٤) بحار الأنوار : ج٢١ ص٢٧٥ ب٣١ ح١٠ بطرق الخاصّة ونقله في التلخيص : ج٢ ص٢٢٣ في الهامش عن البخاري والترمذي والطبري والسيوطي والشوكاني والمتّقي وابن كثير والخوارزمي والزرقاني والكنجي وابن حجر وغيرهم .

وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ(١).

(١) ـ الرحمة والبركات معطوفتان على السلام الذي تقدّم في أوّل الزيارة الشريفة في قوله عليه‌السلام : « السلام عليكم ياأهل بيت النبوّة » .

والرحمة إمّا بيان للسلام ، أو أنّ السلام لرفع المكاره ، والرحمة لجلب الفضائل .

كما وأنّ البركة التي هي الخير والكرم تشمل البركات الدنيوية والأُخروية(١).

هذا تمام بيان السلام الأوّل من السلامات الخمسة التي إشتملت عليها هذه الزيارة الشريفة .

(١) روضة المتّقين : ج٥ ص٤٦١ .

الفصل الثاني

السَّلامُ عَلىٰ اَئِمَّةِ الْهُدىٰ(١)

---

(١) ـ مضى بيان معنى السلام على ثلاثة وجوه ... وأنسبيّة المعنى الأخير منها بأن يراد من السلام إسم الله تعالى ، وخاصّية السلامة والرحمة .

فيكون حاصل المعنى من هذه الفقرة أنّ رحمة الله وسلامته على أئمّة الهدى سلام الله عليهم .

والأئمّة جمع إمام وهو المقتدى ، قال تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(١) أي يأتمّ بك الناس فيتّبعونك ويأخذون عنك ، لأنّ الناس يؤمّون أفعاله ، أي يقصدونها فيتّبعونها(٢).

والهدى هي الهداية والإرشاد ، والدلالة والبيان .

قال الكازراني : (خلاصة معنى الهداية فـي الإسـتعمال الشـرعي ، الدلالة إلى الحقّ، والدعاء إليه ، وإراءة طريقه ، والإرشاد إليه ، والأمر به)(٣).

وأهل البيت عليهم السلام هم أئمّة الهدى بمعنى إنّ الهدى يلازمهم ويتبعهم ، فهم أئمّته ، أو بمعنى أنّهم أئمّة الناس في الهداية كما أفاده شيخنا المجلسي قدس سره(٤). ←

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

(٢) مجمع البحرين : مادّة أمَمَ ص٥٠٣ .

(٣) مرآة الأنوار : ص٢٢٧ .

(٤) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٣٥ .

. . . .

➲ فهم الهداة ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال فيه ربّه سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١).

وهم عدل القرآن الكريم الذي وصفه الله عزّ إسمه بقوله : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٢).

وقد جعلهم الله أعلام الهداية في قوله جلّ جلاله : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٣).

كما تلاحظ ذلك في تفسير هذه الآية في مثل :

حديث بريد العجلي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر ، ولكلّ زمانٍ منّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وآله ثمّ الهداة من بعده عليٌّ ثمّ الأوصياء واحدٌ بعد واحد »(٤).

وجاء ذلك في أحاديث الخاصّة والعامّة(٥).

فمن أتاهم اهتدى ، ومن تركهم سلك طريق الردى ، كما في حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى من طرقنا(٦).

ومن اقتدى بهم هُدي إلى صراط مستقيم ، ولم يهب الله محبّتهم لعبد إلّا أدخله الله الجنّة ، كما في حديث جابر من طرق العامّة(٧).

---

(١) سورة الشورى : الآية ٥٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٩ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٧ .

(٤) الكافي : ج١ ص١٩١ ح٢ .

(٥) إحقاق الحقّ : ج٤ ص٣٠٠ .

(٦) الكافي : ج١ ص١٨١ ح٦ .

(٧) ينابيع المودّة : ص٦٢ ، عنه إحقاق الحقّ : ج٤ ص٥٩ .

وَمَصَابِيحِ الدُّجىٰ[١]

(١) ـ مصابيح جمع مصباح ـ وهو في اللغة بمعنى السراج الثاقب المضيء ، ويكنّى به عن كل ما يهتدى به .

والدُجىٰ جمع الدُجْيَة بضمّ الدال أي الظلمة ، يقال : ليل دَجِيّ وليل داجٍ أي مظلم.

والأئمّة الأطهار عليهم السلام مصابيح الدجى ، وسُرُج الهداية في الدنيا ، وهادون للخلق من ظلمة الشرك والكفر ، والضلالة والجهل ، إلى نور الإيمان والطاعة والمعرفة والعلم .

بل هم المثل الأعلى لمصباح الهدى ، ووسائل النجاة في جميع الظلمات كما تلاحظ ذلك في حديث عبدالعزيز بن مسلم ، عن الإمام الرضا عليه السلام قال فيه :

« الإمام كالشمس الطالعة المجلِّلة بنورها للعالَم وهي في الأُفق ، بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار ، الإمام البدرُ المنير ، والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى »[١].

وقد تقدّم في حديث بريد العجلي أنّهم الهادون في قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

وأفاد في الشموس الطالعة كأنّ قوله عليه السلام في الزيارة الشريفة : « ومصابيح الدجى » إشارة إلى قوله تعالى في الكتاب الكريم : ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢]ـ[٣].فقد فسّرت بأهل بيت العصمة سلام الله عليهم كما تلاحظ ذلك في مثل :حديث صالح بن سهل الهمداني قال :

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ح١ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٣) الشموس الطالعة : ص١٥٧ .

. . . .

➲ قال أبو عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُـورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾[1]، فاطمة عليها السلام .

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ : الحسن عليه السلام .

﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ : الحسين عليه السلام .

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ : فاطمة كوكب درّي بين نساء أهل الدنيا .

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ : إبراهيم عليه السلام .

﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ : لا يهوديّة ، ولا نصرانيّة .

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ : يكاد العلم ينفجر بها . ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ .

﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ : إمام منها بعد إمام .

﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ : يهدي الله للأئمّة عليهم السلام من يشـاء . ﴿وَيَـضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾[2].

وقد جاء هذا التفسير من العامّة أيضاً كابن المغازلي في المناقب والحضرمي في رشفة الصادي[3] وذكر مفصّلاً أحاديث التفسير في المجامع[4].

فأهل البيت سلام الله عليهم مصابيح الهداية في السماوات والأرضين ، والسرج المنيرة في غياهب الظلمات ، وكلّهم سفن النجاة .

وفي حديث عباية ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : « مَثَلُ أهل بيتي مَثَل النجوم ، كلّما أفَل نجمٌ طلع نجم آخر »[5].

---

(١) سورة النور : الآية ٣٥.

(٢) تفسير كنز الدقائق : ج٩ ص٣٠٨.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب : ص٣١٦ ، رشفة الصادي : ص٢٩ من الطبعة المصرية .

(٤) بحار الأنوار : ج١٦ ص٣٥٥ ب١١ ح٤٢ وما بعده .

(٥) بحار الأنوار : ج٢٤ ب٢٠ ص٨٢ ح٣٢.

وَاَعْلاٰمِ التُّقىٰ (١)

(١) ـ أعلام : جمع عَلَم بفتحتين مثل أسباب جمع سَبَب ، معناه العَلامة .

ويطلق على الجبل الذي يُعلم به الطريق ، والمنار المرتفع الذي يوقد في أعلاه النار ليهتدي به الضالّ ، والراية التي يعرف بها أهل تلك الراية وتكون علامةً لهم .

والتُّقى مصدر إتّقى يتّقي ، وتقى يتّقي ، تُقىً وتِقاء ، معناه التقوى .

والتقوى على وزن نجوى إسم من الاتّقاء ، وهي لغةً بمعنى التحذّر(١).

وجاء في الكتاب العزيز بمعنى الخشية والهيبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾(٢).

وبمعنى الطاعة والعبادة ، ومنه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(٣).

وبمعنى تنزيه القلوب عن الذنوب ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٤)ـ(٥).

وقال العلّامة المجلسي : (التقوى من الوقاية ، وهي في اللغة فرط الصيانة ، وفي العرف صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة ، وقصرها على ما ينفعها فيها، ولها ثلاث مراتب:

١ ـ وقاية النفس عن العذاب المخلّد بتصحيح العقائد الإيمانيّة .

٢ ـ التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك ، كما هو المعروف عند أهل الشرع .

٣ ـ التوقّي عن كلّ ما يشغل القلب عن الحقّ ، وهذه درجة الخواصّ بل خاصّ ←

---

(١) لسان العرب : ج١٥ ص٤٠٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤١ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٤) سورة النور : الآية ٥٢ .

(٥) مجمع البحرين : مادّة تقا ص٩٦ .

. . . .

الخاصّ[١].

وجاء في الحديث تفسير جامع لطيف للتقوى ، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير التقوى ؟

فقال : « أن لا يفقدك حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك »[٢].

وهذا معنى يجمع المعاني العالية للتقوى ، رزقنا الله الإتّصاف بها .

وأمّا حقيقته فأبلغ كلام وأتمّ بيان في حقيقة التقوى وصفات المتّقين هي غوالي لئالي سيّدهم ومولاهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته الجليلة التي صعق لها همّام ، فلاحظها في نهج البلاغة[٣]، وجاءت في أُصول الكافي باسناد ثقة الإسلام الكليني عن عبدالله بن يونس ، عن أبي عبدالله عليه السلام[٤].

وتوصيف أهل البيت عليهم السلام في هذه الزيارة الشريفة بأنّهم أعلام التُّقى بمعنى أنّهم الهادون إلى التّقى كالمنار المنير .

فهم أتقى المتّقين وسادة أهل التقوى واليقين ، فلا تُعرف التقوى إلّا منهم ، ولا تؤخذ إلّا عنهم .

وما أكثر وصيّتهم بها ، وحثّهم عليها ، وسَوقهم الناس إليها ، فكانوا أعلام التّقى بحقٍّ وحقيقة باعتراف الأحبّاء والأعداء .

وهم العلامات التي جعلها الله تعالى للعالمين ، وهدى بها المخلوقين كما يستفاد من حديث داود الجصّاص[٥].

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٠ ص١٣٦ .
(٢) سفينة البحار : ج٨ ص٥٥٨ .
(٣) نهج البلاغة : ج٢ ص١٨٥ الخطبة ١٨٨ من الطبعة المصرية .
(٤) الكافي : ج٢ ص٢٢٦ مع اختلاف يسير .
(٥) الكافي : ج١ ص٢٠٦ ح١ ـ ٣ .

. . . .

وقد تظافرت الأحاديث في أنّهم أعلام التقى ومناره[١] نتبرّك منهابحديثٍ واحد طريف جاء ذلك من آخره وهو :

حديث النوفلي ، عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال : حدّثني العبد الصالح الكاظم موسى بن جعفر ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين ، قال : حدّثني أخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

«من سرّه أن يلقى الله عزّوجلّ وهو مقبل عليه غير معرض عنه فليتوالك ياعلي .

ومن سرّه أن يلقى الله عزّوجلّ وهو راضٍ عنه فليتوال إبنك الحسن عليه السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله ولا خوف عليه فليتوال إبنك الحسين عليه السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ وقد محا الله ذنوبه عنه فليوال علي بن الحسين عليهما السلام ، فإنّه ممّن قال الله عزّوجلّ : ﴿سِيَماهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٢].

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ وهو قرير العين فليتوال محمّد بن علي الباقر عليهما السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ ويعطيه كتابه بيمينه فليتوال جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله طاهراً مطهّراً فليتوال موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ وهو ضاحك فليتوال علي بن موسى الرضا عليهما السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ وقد رفعت درجاته وبدّلت سيّئاته حسنات فليتوال محمّد بن علي الجواد عليهما السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ ويحاسبه حساباً يسيراً ، ويدخله جنّات عدن

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١٠٧ ب٤ ح٨٠ ، وج٩٤ ص٨٣ ب٣٠ ح٢ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

. . . .

⊃ عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتّقين فليتوال علي بن محمّد الهادي عليه السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ وهو من الفائزين فليتوال الحسن بن علي العسكري عليه السلام .

ومن أحبّ أن يلقى الله عزّوجلّ وقد كمل إيمانه ، وحسن إسلامه فليتوال الحجّة بن الحسن المنتظر صلوات الله عليه .

هؤلاء أئمّة الهدى وأعلام التقى ، من أحبّهم وتوالاهم كنت ضامناً له على الله عزّوجلّ الجنّة »[١].

وفي المقام بابٌ خاص في تقوى أمير المؤمنين عليه السلام وزهده وورعه في الآيات والروايات وكلمات الأصحاب فلاحظه في البحار[٢].

ولاحظ أيضاً الأخبار المتظافرة التي رواها العامّة في أنّ علياً ولي المتّقين وإمام المتّقين[٣].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١٠٧ ب٤ ح٨٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٠ ص٣١٨ ب٩٨ .

(٣) فهرس إحقاق الحقّ : ص٥٨٤ .

وَذَوِي النُّهىٰ[١]

(١) ـ ذَوي : جمع ذي بمعنى صاحب ، فذوي بمعنى أصحاب .

والنُّهى جمع نُهْيَه بضمّ النون بمعنى العقل ـ فإنّه يسمّى العقل بالنُهية لأنّه يَنهى عن القبائح ، أو لأنّ صاحبها ينتهي إليها عن القبائح ، أو ينتهي إلى إختياراته العقلية .

وللعقل أسماء أُخرى أيضاً وردت في اللغة أو إستعملت في المحاورة ، فمن أسمائه :

(الحَصاة ، والحَصافة ، والحِجْر ، والحِجى ، والأُربة ، والمِرّة ، والنّحيزَة ، والأدَب ، واللُّب ، والفِطنة)[١].

فالنُّهية إذاً هذه التي جُمعت على نُهى بمعنى العقل ، فقوله عليه‌السلام : « ذوي النهى » بمعنى أصحاب العقول .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم أصحاب العقول الكاملة ، والألباب الفاخرة .

وهم الذين منحهم الله العقل الأكمل الذي يُعبد به الرحمن ، ويُكتسب به الجنان .

وهم ورثة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله الذي أُعطي تسعة وتسعون جزءاً من العقل ، ثمّ قُسّم بين العباد جزء واحد ، كما في حديث النوفلي[٢].

وهم المعنيّون بقوله عزّ إسمه : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾[٣] كما في حديث عمّار[٤] فقد فسّرت بالأئمّة من آل محمّد عليهم‌السلام ، حيث قد بلغوا القمّة في العقل ، وكانوا سادة العقلاء[٥].

---

(١) لاحظ تهذيب الألفاظ : ص١٨٣ ، والألفاظ الكتابية : ص١٤٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج١ ص٩٧ ب٢ ح٦ .

(٣) سورة طه : الآية ١٢٨ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١١٨ ب٤٠ ح١ .

(٥) كنز الدقائق : ج٨ ص٣٧٢ .

وَأُولِي الْحِجىٰ[(١)] وَكَهْفِ الْوَرىٰ[(٢)]

(١) ـ أُولي : جمعٌ لا واحد له من لفظه ، ويستعمل بدل مفرده ذو بمعنى صاحب ، فأُولوا بمعنى أصحاب .

والحِجى هو العقل والفطنة كما عرفت ذلك آنفاً في أسماء العقل .

وهذه الفقرة الشريفة إمّا مرادفة لذوي النُّهى وبمعناها للتأكيد .

أو مغايرة معها بأن تكون الفقرة الأُولى لبيان عقل المعاش والأُمور الدنيوية ، والفقرة الثانية لبيان عقل المعاد والأُمور الأُخروية كما أفاده السيّد شبّر ﷺ[(١)].

أو يكون الحجى بمعنى العقل مع الفطانة ، فيزاد معنى هذه الفقرة على الفقرة السابقة كما قد يستفاد هذا المعنى من تعابير اللغة .

(٢) ـ الكهف هو الملجأ والملاذ ، ومنه قوله عليه السلام : « ياكهفي حين تعييني المذاهب » أي ملجئي وملاذي حين تعجزني مسالكي إلى الخلق وتردّداتي إليهم[(٢)]، ومنه أيضاً توصيف أمير المؤمنين في زيارته الشريفة في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك : « كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً »[(٣)].

والوَرى على وزن فَتى بمعنى الخَلْق .

وأهل البيت النبوي صلوات الله عليهم هم الملجأ والملاذ للخلائق في الدين والدنيا ، والآخرة والعقبى ، ففي حديث عبدالعزيز بن مسلم عن الإمام الرضا عليه السلام جاء فيه :

« الإمام الأنيس الرفيق ، والوالد الشفيق ، والأخ الشقيق ، والأُمّ البرّة بالولد ←

---

(١) الأنوار اللامعة : ص٦٩ .

(٢) مجمع البحرين : مادّة كَهَفَ ص٤٢٠ .

(٣) عمدة الزائر ، للسيّد حيدر : ص١٠٠ وأشار إليه وإلى اعتبار سنده المحدّث القمّي في المفاتيح في آخر باب زياراته عليه السلام المخصوصة .

. . . .

الصغير ، ومفزعُ العباد في الداهية النآد »[١].

وقد التجأ إليهم ولاذ بهم أعاظم الخلق وأكابر المخلوقين من لدن سيّدنا آدم عليه السلام ، وهم الملجأ والملاذ إلى آخر العالم ، وإلى يوم القيام الأعظم .

وسيأتي في فقرة الشفاعة أحاديث التجاء الأنبياء مع أُممهم إليهم ، والتجاء الخلق إلى الرسول وآله الطاهرين سلام الله عليهم .

والشواهد عليها حيّة ، والدلائل عليها كثيرة . كما تلاحظه في الأحاديث الشريفة نظير :

حديث معمّر بن راشد قال : سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول : أتى يهوديٌ النبي صلى الله عليه وآله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه .

فقال : يايهودي ما حاجتك ؟

قال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلّمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام ؟

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه ، ولكنّي أقول :

« إنّ آدم عليه السلام لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما غفرت لي ، فغفرها الله له .

وإنّ نوحاً لمّا ركب في السفينة وخاف الغرق قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما أنجيتني من الغرق ، فنجّاه الله عنه .

وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أُلقي في النار قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما أنجيتني منها ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً .

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ح١ .

. . . .

⬅ وإنّ موسى لمّا ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما آمنتني فقال الله جلّ جلاله : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾[(١)].

يايهودي إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً ، ولا نفعته النبوّة .

يايهودي ومن ذرّيتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام لنصرته فقدّمه وصلّى خلفه »[(٢)].

واعلم أنّه جاءت هذه الفقرة في البلد الأمين والمستدرك بصيغة : وكهوف الورى، وجاء بعدها وبدور الدنيا .

وبدور جمع بدر وهو القمر في ليلة تمامه وكماله ، يعني ليلة أربعة عشر من الشهر .

فأهل البيت سلام الله عليهم هم البدور المضيئة التي أنارت العالم ، وهَدَته إلى الطريق الأقوم ، وإستمدّت نورها المتألّق وضيائها المشرق من شمس الهداية في سماء العالم ، رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولولاهم لهوى الناس في الظلمات وارتكسوا في الداجيات ، كما ترى ذلك في أحاديث تفسير قوله عزّ إسمه : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[(٣)ـ(٤)].

فهم البدور الهادية والأقمار المنيرة ، التي إهتدت وتزيّنت بهم عالم الدنيا والآخرة والأُولى .

---

(١) سورة طه : الآية ٦٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣١٩ ب٧ ح١ .

(٣) سورة الشمس : الآية ١ ـ ٢ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٧٢ ح١ ـ ٧ .

وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ[١]

(١) ـ ورثة جمع وارث وهو من يبقى بعد المورِّث ويستحقّ ميراثه .

والميراث هو ما يخلّفه الرجل لورثته ، ويطلق على كلّ ما يورّث ، ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾[١] وهم الأئمّة الذين أورثهم الله كتابه[٢].

والأنبياء هم المبعوثون المعروفون ١٢٤٠٠٠ نبي سلام الله عليهم .

وأهل البيت صلوات الله عليهم هم الورثة المحقّون ، والأئمّة الوارثون الذين وصل إليهم جميع مواريث الأنبياء بحقٍّ ، وكافّة مواريث سيّدهم الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلّم باستحقاق .

ورثوا كتبهم وآثارهم وآيات نبوّتهم ، وتركة رسالتهم ، وكلّ علم وفضيلة وكمال ومنقبة كانت فيهم ، وهم الذين يرثون الأرض ومن فيها وما عليها .

قال تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٣] فهم آل محمّد يبعث الله مهديهم ، فيعزّهم ويُذلّ أعدائهم كما في الأحاديث المتوفّرة[٤].

والمواريث التي وصلت إليهم ، وورثوها من سَلَفهم ، كما تستفاد من الأحاديث الشريفة المتظافرة في أبواب متعدّدة[٥] هي كما يلي ملخّصاً :

(١) الكتب السماوية التي نزلت من عند الله عزّوجلّ على أنبيائه كصحف إبراهيم، وتوراة موسى ، والألواح ، وزبور داود ، وانجيل عيسى ، وسائر الكتب الأخرى ، بل كلّ ما كان عند الأنبياء .

(١) سورة فاطر : الآية ٣٢ .
(٢) مرآة الأنوار : ص٢١٧ .
(٣) سورة القصص : الآية ٥ .
(٤) كنز الدقائق : ج١٠ ص٢٩ .
(٥) بصائر الدرجات : ص١٧٤ ، الكافي : ج١ ص٢٣١ ، بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٠١ .

. . . .

وهم يعرفونها ويقرأونها على اختلاف لغاتها كما تلاحظه في أحاديث الكافي[١].

بل هم ورثة أُصول العلم من جدّهم الرسول الأمين ، وكلّ علم أحصاه الله تعالى في خاتم النبيّين ، كما عرفت ذلك بتفصيل فيما تقدّم عند بيان علومهم في شرح قوله عليه‌السلام : « وخزّان العلم » .

(٢) الإسم الإلهي الذي كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله إذا جعله بين المسلمين والمشركين لم تصل المشركين إلى المسلمين نشّابة أبداً ، كما في حديث السمّان[٢].

بل أُعطوا إثنان وسبعون حرفاً من الإسم الأعظم كما تلاحظه في أحاديث أُصولنا[٣].

(٣) سلاح رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : السيف والدِّرع والمِغْفَر ، التي هي من مختصّات الأئمّة ، وتدور حيث دارت الإمامة ، محفوظة عندهم ، ولا تصل إليه أيدي غيرهم كما تلاحظه في أحاديثنا[٤].

(٤) راية رسول الله العقاب ، ورايته المغلّبة ، التي لا تنشر إلّا ويكون معها النصر والغلبة[٥]، وسيف رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله المُخذم[٦]، وسيف أمير المؤمنين عليه‌السلام ذو الفقار الذي هبط به الأمين جبرئيل عليه‌السلام وقلّده رسول الله عليّاً سلام الله عليهما وآلهما[٧]، وكذا رايته السحابة[٨].

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٢٥ ح٥ ـ ٦ ، وص٢٢٧ ح١ ـ ٢ .

(٢) الإرشاد ، للشيخ المفيد : ج٢ ص١٨٧ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٣٢ الأحاديث .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٣٢ الأحاديث .

(٥) الغيبة للنعماني : ص٣٠٧ ب١٩ ح٢ ـ ٣ .

(٦) الكافي : ج١ ص٢٣٣ .

(٧) الكافي : ج١ ص٢٣٢ .

(٨) بحار الأنوار : ج٥٢ ص٣٠٧ .

. . . .

(٥) الجفنة التي أُهديت إلى رسول الله ﷺ ، ملؤها اللحم والثريد ، وكانت مباركة، رآها بعض الأصحاب وتمسّح بها[١].

(٦) سائر تراث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله وآثاره كخاتمه الفيروزج ، وقميص القائم عجّل الله تعالى فرجه ، وكتاب أسماء أهل الجنّة والنار كما تلاحظه في حديث حمران وأبان بن عثمان[٢] وحديث ابن مهران[٣].

(٧) تابوت بني إسرائيل التي فيها السكينة والعلم والحكمة ، والتي يدور معها العلم والنبوّة والمُلك ، وفيها بقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون .

وفسّرت السكينة التي فيها بأنّها ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان[٤].

(٨) قميص يوسف الذي كان ثوب إبراهيم الخليل ، ألبسه جبرئيل حين أُلقي في النار فلم يضرّ معه ريح ولا برد ولا حرّ ، ووصل بعده إلى إبنه إسحاق ثمّ ليعقوب ثمّ كان على عضد يوسف .

وحين أخرجه يوسف من محرزه إشتمّ يعقوب ريحه وقال : إنّي أجد ريح يوسف[٥]، وكذا قميص آدم عليه السلام[٦].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢١٤ ح٢٧ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢٣٥ ح٧ ، وص٢٣٦ ح٩ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٢١ ب١٦ ح٤٥ ، والغيبة للنعماني : ص٢٤٣ ب١٣ ح٤٢ ، وبصائر الدرجات : ص١٩٢ ح٥ .

(٤) كنز الدقائق : ج٢ ص٣٨٣ ، بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٠٣ ح٣ .

(٥) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢١٤ ح٢٨ .

(٦) الكافي : ج١ ص٢٣١ ح٤ .

. . . .

(٩) مواريث النبي موسى عليه السلام إضافة إلى التوراة والألواح وهي :

(أ) الحَجَر الذي إنفجرت منه إثنتى عشرة عيناً ، الذي يكون مع الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه ، وينادي حين خروجه من مكّة :

« ألا لا يحملنّ أحدكم طعاماً ولا شراباً » ، فلا ينزل منزلاً إلّا وإنبعثت عينٌ منه ، فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان ظامئاً روي كما في حديث أبي سعيد الخراساني[١].

(ب) العصى التي كانت من آس الجنّة ، وكانت تروّع وتلقف كلّ شيء بلسانها وشفتيها اللتين تنفتحان أربعين ذراعاً ، وتأتي بالعجب العجاب ممّا تلاحظها في بيان خصائصها[٢].

(ج) الطشت الذي كان يُقرّب فيها موسى عليه السلام القرابين فتأكله النار علامة للقبول كما تلاحظ حديثه في تفسير البرهان[٣]، وتلاحظ شأنه في كتاب البحار[٤].

(١٠) خاتم سليمان عليه السلام الذي روي أنّه كان إذا لبسه سخّر الله له الطير والريح والمَلَك[٥] وتلاحظ شأن هذا الخاتم في الأحاديث المباركة[٦].

واعلم أنّ تلك المواريث موجودة الآن عند سيّدنا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا

---

(١) بحار الأنوار : ج١٣ ص١٨٥ ح٢ وتلاحظ التحريف في : ص١٩٢ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢٣١ ح١ ، بحار الأنوار : ج١٣ ص٦٠ .

(٣) تفسير البرهان : ج١ ص٢٠٢ .

(٤) بحار الأنوار : ج١٣ ص١٩٤ ، وج٢٦ ص٢٠٢ ب١٦ ح٢ .

(٥) الكافي : ج١ ص٢٣١ ح٤ .

(٦) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٣٥٣ ، وج٥٣ ص١٠٠ ، وج٩٥ ص٣٧٣ .

. . . .

⬅ فداه[١] مع مواريث الأئمّة عليهم السلام .

تكون معه قوّةً في قيامه الحقّ ، وظهوره المحقّق ، وحكومته العادلة ، متّعنا الله تعالى بذلك ، وهي من وسائل قواه الربّانية وعُدّته الإلهية .

وبوجود هذه القوّة الإلهية الفائقة يتّضح الجواب ضمناً عن السؤال الذي كثيراً ما يتساءله الشباب : أنّه كيف يخضع الأعداء ، وتخضع الحكومات للإمام المهدي عليه السلام ، ويكون هو الغالب عليهم ، بالرغم من حداثة أسلحتهم ؟

فجواب هذا أنّ غلبة الإمام عليه السلام يكون لوجوه هي :

أوّلاً : إرادة الله القادر القهّار العليم الذي إذا أراد شيئاً فإنّما يقول له كن فيكون .

وقد أراد ذلك بصريح قوله الكريم : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٢].

وقوله الجليل : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣].

وتعرف كيف تنفذ الإرادة الإلهية وتأتي بالخوارق العجيبة بالوسائل البسيطة .

نظير غلبة النبي داود عليه السلام على جالوت بأحجار ثلاثة فقط بالرغم من كون جالوت مع جيش عرمرم جرّار ، كما تلاحظ تفصيل بيانه في حديث القمّي[٤].

ثانياً : إمتلاك الإمام الحجّة أرواحنا فداه للمواريث السابقة التي هي فوق القدرة البشرية ، وأعلى من الأمور الطبيعية كالإسم الشريف الأعظم ، والراية المغلّبة ، وعصى موسى ، وخاتم سليمان ، وسيوف أصحابه النازلة من الجنّة التي إذا أصابت ⬅

(١) الكافي : ج١ ص٢٣٥ ح٧ ، بحار الأنوار : ج٥٣ ص٣٦ ح١ .

(٢) سورة القصص : الآية ٥ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(٤) كنز الدقائق : ج٢ ص٣٨٨ .

. . . .

➲ الجبال قطّتها أو هشمتها .

ثالثاً : إنّ الله تعالى ينصره بالملائكة المسوّمين ، والمردفين ، والمنزَلين ، والكروبيّين ، مع جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، كما في حديثي الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام[(١)].

خصوصاً جبرائيل الذي هو رأس الكرّوبيين ، الذين هم سادة الملائكة المقرّبين[(٢)].

وقد وصفه الله تعالى بقوله عزّ إسمه : ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[(٣)] وأيّ قوّة أقوى من قوّته وقد قَلَب بلدة لوط بكاملها ، وجعل عاليها سافلها في آن واحد[(٤)].

رابعاً : إنّ الإمام المهدي عليه السلام منصور بالرعب في قلوب الأعداء ، فلا يتسنّى للظالمين إستعمال السلاح بواسطة الرعب الذي يُلقى في قلوبهم ، ويحول ➲ بينهم وبين إعمال قدرتهم .

قال تعالى في الغلبة على الأحزاب ومظاهريهم : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾[(٥)].

ففي الحديث « الرعب ليسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله »[(٦)].

خامساً : أنّه يسخّر له كلّ شيء كما سخّر لبعض الأنبياء عليهم السلام فالأرض تنصره ➲

---

(١) الغيبة للنعماني : ص٢٤٤ ح٤٤ ، وص٣٠٧ ح٢ .

(٢) مجمع البحرين : مادّة كرب ص١٣٦ .

(٣) سورة التكوير : (الآية ٢٠) .

(٤) مجمع البيان : ج١ ص٤٤٦ .

(٥) سورة الأحزاب : الآية ٢٦ .

(٦) الغيبة للنعماني : ص٣٠٧ ح٢ .

. . . .

⮌ بالخسف ، والسماء تنصره بالصواعق ، وهاتان القوّتان بنفسهما كافيتان في التغلّب على الأعداء المعاندين وحكومات الظالمين .

مضافاً إلى تسخير الريح له سلام الله عليه(١).

وهي نصرة الله تعالى التي لا رادّ لها بشيء ، وقدرة الله التي لا يقاومها شيء : ﴿إِن يَنصُرْكُم اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾(٢).

---

(١) الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور : ص٥٧٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

وَالْمَثَلِ الأَعْلىٰ (١)

(١) ـ المَثَل بفتح الميم والثاء ، وجمعه مُثُل بضمّتين وأمثال ، يأتي على معانٍ ثلاثة :

١ ـ بمعنى الحجّة والدليل والآية ، كما يستفاد من الشموس(١).

ولعلّ منه قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢) أي الأمثال والآيات والدلائل القرآنية التي هي حجج .

٢ ـ بمعنى الحديث والقصّة ، كما يستفاد من المجمع(٣). فالعرب تسمّي الحديث الحسن والقصّة الرائقة بالمثل ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(٤).

٣ ـ الصفة فإنّه يستعمل المثل في توصيف الشيء كما يستفاد من المجمع أيضاً(٥) كقوله تعالى : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ﴾(٦) أي صفتها هكذا .

هذه هي المعاني المذكورة للمَثَل ، ويمكن إرادة جميعها من لفظ المَثَل في هذه الفقرة الشريفة التي تصف آل محمّد عليهم السلام بأنّهم المثل الأعلى .

أمّا على المعنى الأوّل ، فأهل البيت سلام الله عليهم أعلى حجج الله تعالى ، وأكبر آياته ، وأعظم براهينه الدالّة عليه والمبيّنة لقدرته . ←

---

(١) الشموس الطالعة : ص١٧٦ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٢١ .

(٣) مجمع البحرين : مادّة مثل ص٤٩٥ .

(٤) سورة الحجّ : الآية ٧٣ .

(٥) مجمع البحرين : مادّة مثل ص٤٩٥ .

(٦) سورة محمّد : الآية ١٥ .

. . . .

➲ ولذلك ورد في الحديث عن سيّدهم أمير المؤمنين ٧ قوله : « ما لله آيةٌ أكبر منّي »[١].

ولذلك أيضاً ضرب به المَثَل رسول الله ﷺ في شأن نزول قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٢] كما تلاحظه في أحاديث كثيرة[٣] قد رويت متواتراً منّا ، بل رويت من طريق الفريقين .

وبحقٍّ كان سيّد العترة أمير المؤمنين أكبر آية وأعظم دلالة من آيات الله ودلالاته، عجيباً في شأنه ، غريباً في معجزاته ، كما تلاحظ ذلك في سيرة حياته[٤].

ومن عجائبه وليس منه بعجيب :

أنّه لم يبارز أحداً إلّا وظفر به .

ولا نجا أحدٌ من ضربته فصلح منها ولم يفلت منه قرن ولا شجاع .

ولا قاتل تحت راية إلّا غلب ، وبارز عمرو بن عبد ودّ العامري بوثبته إليه أربعين ذراعاً فضربه ورجع عشرين ذراعاً .

وضرب مرحب الخيبري على رأسه فقطع العمامة والخوذة والرأس والحلق وما عليه من الجوشن من قدّام وخلف فقدّها بنصفين .

وقلع باب خيبر الذي كان يغلقه عشرون رجلاً منهم فدحا به في الهواء ، وتترّس به، وجعله جسراً لعبور العسكر ، ثمّ جرّبه العسكر فلم يستطع أن يحمله أربعون رجلاً منهم.

بل كان حتّى في الخِلقة والتكوين وحيداً في بدنه وفريداً في صفاته كما تعرف ➲

(١) بحار الأنوار : ج٣٦ ص٣ ب٢٥ ح٧ و١٠ و١١ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٥٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٣٥ ص٣٢١ ب١٠ ح١٨ .

(٤) بحار الأنوار : ج٤٢ ص٣٣ ح١١ ، وص٥٠ ح١ ، وج٤١ ص٢٧٩ .

. . . .

ذلك من أحاديث شمائله وجوامع مناقبه[١].

وقد عقد العلّامة المجلسي باباً خاصّاً ذكر فيه ما يتعلّق من الإعجاز ببدنه الشريف ، ذكر فيه معاجزه منذ صغر سنّه في مهده ، إلى كبره وفي حربه فلاحظه بالتفصيل[٢].

وأمّا على المعنى الثاني ، فأهل البيت صلوات الله عليهم هم حديث الله الصدق ، وقصصه الحقّ ، وأنباؤه الراشدة .

فما أحلى ذكرهم ، وما أعلى حديثهم ، وهم قادة الهداة ، وسادة السادات ، وضربت بهم الأمثال العاليات كما يشهد له القرآن والوجدان وآية النور بالعيان[٣] فلاحظ أحاديثها الحسان[٤].

وفي الحديث المحكي عن كتاب الإبانة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في حديث له : « وبنا ضُربت الأمثال »[٥].

وأمّا على المعنى الثالث .. فأهل البيت تحيّات الله عليهم هم المتّصفون بصفات الله ، بل هم أكمل مظاهر أسمائه .

فهذا أمير المؤمنين عليه السلام قد اشتُقّ إسمه العالي من إسم الله العلي ، وهو مظهر التعالي الإلهي ، والترفّع الربّاني ، كما تلاحظه في أحاديث ولادته[٦].

وكذلك سائر الأئمّة الطاهرين في أسمائهم المقدّسة وصفاتهم المحمودة ،وفي

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٥ ص٥ ح٢ ، وج٤٠ ص٨٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ص٢٧٤ ب١١٣ .

(٣) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٤) الكافي : ج١ ص١٩٥ ح٥ .

(٥) مرآة الأنوار : ص٢٠٢ .

(٦) بحار الأنوار : ج٣٥ ص٨ ح١١ ، وص١٨ .

. . . .

⬅ حلمهم وكرمهم وجودهم وسخائهم ورأفتهم وقدرتهم ، هم مظاهر الصفات الإلهية الجليلة .

وقد فسّر بهم قوله تعالى[1]: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2].

فأهل البيت عليهم السلام هم المُثُل الربّانية العليا بجميع معنى الكلمة .

وقد يكون هذا الوصف ـ يعني المَثَليّة ـ جارياً في غيرهم كأنبياء الله الكرام عليهم سلام الملك العلّام ، إلّا أنّ أهل البيت هم الأعلى منهم ، والمفضّلون عليهم والمختارون فيهم فكانوا هم المثل الأعلى .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٢) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٥١ .

وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنىٰ (١)

(١) ـ الدعوة جاءت هنا بأحد معنيين أو كليهما وهما :

المعنى الأوّل : مصدر دعا يدعو دعوةً بمعنى أنّهم عليهم السلام أهل الدعوة الحسنى ، بحذف المضاف .

فإنّهم أحسن الدعاة ، والداعون بأحسن وجه ، إلى الله تعالى وإلى الإسلام وإلى الإيمان والتقوى وطريق الجنّة الذي هو طريق النجاة والفوز بالسعادات .

دَعَوا إليها بأبلغ بيان وأطرف لسان ، وهَدَوا الناس بالحجج القاطعة والأدلّة المُقنعة .

فكانوا كسيّدهم الرسول الأعظم فيما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾(١).

وجاء في زيارة خاتمهم الأكرم الإمام المهدي عليه السلام : « السلام عليك ياداعيَ الله » في زيارة آل يس المعروفة(٢).

وفي حديث البصائر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : « جعل الله الأئمّة الدعاة إلى التقوى »(٣).

فأهل البيت عليهم السلام هم الدعاة إلى الله تعالى بالدعوة الحسنى .

ويكفيك دليلاً على حسن دعوتهم ، سيرتهم الحسنة ، وإحتجاجاتهم المستحسنة، وقد شهد العدوّ بكمال حجّتهم وحسن دعوتهم ، كما تلاحظ ذلك في إعتراف ابن أبي العوجاء في أوّل حديث توحيد المفضّل(٤).

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٦ .
(٢) الإحتجاج : ج٢ ص٣١٦ .
(٣) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار : ص١٠١ .
(٤) بحار الأنوار : ج٣ ص٥٨ .

. . . .

⊃ **المعنى الثاني : أن تكون الدعوة بمعنى الدعاء و يقال : دعوتُ الله أدعوه دعاءً ودعوةً : أي إبتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير[١].**

فالمعنى أنّ في شأنهم كانت دعوة أبيهم نبي الله إبراهيم عليه السلام فكانوا هم المقصودون بالدعوة الحسنة من سيّدنا إبراهيم الخليل .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وأنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام »[٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام »[٣].

فإنّ النبي إبراهيم عليه السلام دعا لهم في مواضع متعدّدة حكاها القرآن الكريم وهي :

(١) فيما حكاه الله تعالى بقوله : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]_[٥].

(٢) فيما حكاه الله تعالى من دعائه بقوله : ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٦]_[٧].

(٣) فيما حكاه الله تعالى من دعائه أيضاً بقوله : ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[٨] حيث استجاب الله دعاءه وأخبر عنه بقوله : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾[٩]_[١٠].

---

(١) مجمع البحرين : مادّة دعا ص٢٩ .

(٢) تفسير القمّي : ج١ ص٦٢ .

(٣) تفسير الصافي : ج٣ ص٩١ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٥) تفسير الصافي : ج١ ص١٩٠ .

(٦) سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

(٧) تفسير الصافي : ج٣ ص٩٠ .

(٨) سورة الشعراء : الآية ٨٤ .

(٩) سورة مريم : الآية ٥٠ .

وَحُجَجِ اللّٰهِ عَلىٰ اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولىٰ(١) وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ .

(١) ـ حجج جمع حُجّة مثل غُرَف جمع غُرفة ، هي الدليل والبرهان كما في اللـغة ، وهي البيّنة الصحيحة المصحّحة للأحكام ، التي تقصد إلى الحكم ، مأخوذة من حَجَّ إذا قصد كما أُفيد .

وأهل البيت سلام الله عليهم يحتجّ بهم الله تعالى ويُتمّ حجّته على جميع خلقه بواسطة ما جعل لهم من المعجزات الباهرة ، والدلائل الظاهرة ، والعلائم الواضحة ، والعلوم الحقّة ، والإحتجاجات المحقّة .

فهم حجج الله تعالى على أهل الدنيا والآخرة ، وعلى الأولى ، يعني على أهل النشأة الأُولى أي عالم الذرّ ، أو الأُولى مقابل الأُخرى بمعنى عالم الدنيا تأكيداً .

وحجّيتهم على جميع الخلق صريحة في الأدلّة المتظافرة في باب أنّهم الحجّة على جميع العوالم وجميع المخلوقات مثل :

١ ـ حديث عبدالخالق ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « إنّ لله عزّوجلّ إثنى عشر ألف عالم ... وإنّي الحجّة عليهم »(١١).

٢ ـ حديث سليمان بن خالد المتقدّم ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « ما من شيء ولا من آدمي ولا إنسي ولا جنّي ولا ملك في السماوات إلّا ونحن الحجج عليهم ، وما خلق الله خلقاً إلّا وقد عرض ولايتنا عليه واحتجّ بنا عليه ، فمؤمن بنا وكافر وجاحد ، حتّى السماوات والأرض والجبال »(١٢).

٣ ـ حديث سليم بن قيس بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « وهم حجج الله على ⟵

---

(١٠) تفسير الصافي : ج٤ ص٤٠ ، وج٣ ص٢٨٤ .

(١١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٤١ ب١٥ ح١ .

(١٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٤٦ ب١٥ ح٧ .

. . . .

خلقه ، وشهداؤه في أرضه »[١].

ولتوضيح النشأة الأُولى بمعنى عالم الذرّ لا بأس ببيان ما يلي :

إنّ المستفاد من كتاب الله الكريم والسنّة الشريفة أنّ جميع البشر مخلوق من الطين كما هو صريح قوله عزّ إسمه : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[٢].

وسادة الخلق محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين ، أبدانهم مخلوقة من طينة علّيين ـ وأرواحهم مخلوقة من النور ـ .

ومن طينة أبدان أهل البيت عليهم السلام خلقت أرواح شيعتهم ، وخلق أبدان الشيعة من طينةٍ دون ذلك .

كما خلق أعداؤهم من طينة خبال من حمأٍ مسنون ، أي طينة فاسدة من الطين الأسود المُنتن السجّين ، وخلقت أرواحهم من طينة دون ذلك .

وقد مزج بين الطينتين الطيّبة والفاسدة فجعل في المؤمن شيء من الطينة الفاسدة، كما جعل في غير المؤمن شيء من الطينة الطيّبة[٣] لكي يتمّ الإختيار في الإنسان، ويمكن به الطاعة والعصيان ، ولا يكون جبرٌ في الخلقة ، ولا إجبار في الجبلّة.

والأرواح خلقت قبل الأبدان بألفي عام ، وكانت موجودة في الجوّ إلى أن خلق الله الأبدان ، وتسمّى تلك الخلقة بعالم الأظلّة والأرواح .

ثمّ خلقت الأبدان أوّل ما خلقت بصورة الذرّ الصغير جدّاً ، وأُخذ منهم الميثاق وأُودعوا في صلب آدم عليه السلام ، وتسمّى تلك الخلقة بعالم الذرّ والأبدان والميثاق ، وهي

---

(١) كتاب سليم بن قيس : ج٢ ص٨٤٠ ح٤٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٥ ص٢٤٣ ب١٠ ح٣٠ ـ ٣١ .

. . . .

النشأة الأُولى في إحدى المعنيين المتقدّمين .

ويستدلّ لهذه النشأة يعني عالم الذرّ من الكتاب العزيز بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] وتلاحظ تفسيرها بعالم الذرّ في كتب التفسير الشريفة[2].

كما يستدلّ لعالم الذرّ من السنّة بأحاديث كثيرة مثل :

(١) أحاديث الإشهاد[3].

(٢) أحاديث خلق الأرواح[4].

(٣) أحاديث الطينة والميثاق وعالم الذرّ[5].

نختار منها نبذة منها ونكتفي ببيانها :

١ ـ حديث داود الرقي ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : « لمّا أراد الله أن يخلق الخلق ، نثرهم بين يديه .

قال لهم : مَن ربّكم ؟

فأوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام ، فقالوا : أنت ربّنا.

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ و١٧٣ .

(٢) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٢٨ .

(٣) البرهان : ج١ ص٣٧٤ ، ج٢ ص٨٣٣ ، كنز الدقائق : ج٥ ص٢٢٨ .

(٤) بحار الأنوار : ج٦١ ص١٣١ ب٤٣ وفيه ٢٩ حديثاً .

(٥) بحار الأنوار : ج٥ ص٢٢٥ ب١٠ وفيه ٦٧ حديثاً ، بصائر الدرجات ، للصفّار : ص٧٠ـ ٩٠ .

. . . .

◄ فحمّلهم العلم والدين .

ثمّ قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي ، وأُمنائي في خلقي ، وهم المسؤولون .

ثمّ قال لبني آدم : أقرّوا لله بالربوبية ، ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة .

فقالوا : نعم ، ربّنا أقررنا .

فقال الله للملائكة : اشهدوا .

قال الملائكة : شهدنا .

قال : على أن لا يقولوا غداً : ﴿... إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا ...﴾[1].

ياداود ، ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق[2].

٢ ـ حديث بكير بن أعين ، عن الإمام الباقر عليه‌السلام : « إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا ، وهم ذرّ ، يوم أخذ الميثاق على الذرّ . بالإقرار له بالربوبية، ولمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله بالنبوّة .

وعرض الله عزّوجلّ على محمّد أُمّته في الطين ، وهم أظلّة ، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم ، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام ، وعرضهم عليهم وعرّفهم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وعرّفهم عليّاً ، ونحن نعرفهم في لحن القول »[3].

٣ ـ حديث صالح بن سهل ، عن الإمام الصادق عليه‌السلام : إنّ بعض قريش قال لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : بأي شيء سبقت الأنبياء ، وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم ؟

قال : إنّي كنت أوّل من آمن بربّي ، وأوّل من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيّين ﴿... وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ...﴾ فكنت أنا أوّل نبيٍ قال : بلى، ◄

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ و١٧٣ .

(٢) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٣٠ .

(٣) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٣١ .

. . . .

➲ فسبقتهم بالإقرار بالله »[١].

٤ ـ حديث ابن مسكان ، عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ...﴾ قلت : معاينة كان هذا ؟

قال : « نعم ، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه ، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه ، فقال الله : ﴿... فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ...﴾ »[٢].

٥ ـ حديث حبيب ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « ما تقول في الأرواح إنّها جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟

قال : فقلت : إنّا نقول ذلك .

قال : فإنّه كذلك ، إنّ الله عزّوجلّ أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلّة قبل الميلاد وهو قوله عزّوجلّ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ...﴾ إلى آخر الآية .

قال : فمن أقرّ له يومئذ جاءت اُلفته هاهنا ومن أنكره يومئذٍ جاء خلافه هاهنا »[٣].

وفي الحديث السابع والخمسين من الباب أنّه سئل عليه السلام كيف أجابوا وهم ذرّ ؟ قال عليه السلام : « جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه »[٤].

---

(١) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٣١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٥ ص٢٣٧ ب١٠ ح١٤ . والآية في سورة الأعراف : الآية ١٠١ .

(٣) بحار الأنوار : ج٥ ص٢٤١ ب١٠ ح٢٦ .

(٤) بحار الأنوار : ج٥ ص٢٥٧ ب١٠ ح٥٧ .

الفصل الثالث

السَّلامُ عَلىٰ مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللّٰهِ(١)

---

(١) ـ محالّ جمع محلّ ، وهو المكان والموضع .

والمعرفة هي إدراك الشيء .

ومعرفة الله تعالى هي ـ كما قيل ـ : الإطّلاع على صفاته الجمالية الثبوتية ، والجلالية أي السلبية ، بقدر الطاقة البشرية ، وأمّا الإطّلاع على الذات المقدّسة فممّا لا مطمع فيه لأحد[1].

وأهل البيت سلام الله عليهم وُصفوا في هذا التسليم الثالث من هذه الزيارة المباركة بأنّهم محالّ ومواضع معرفة الله تعالى وإدراكه ، وذلك بمعنيين :

المعنى الأوّل : أنّه لا يَعرِف الله تعالى حقّ معرفته إلّا هم سلام الله عليهم ، فهم أعرف الناس بالله والتامّين في معرفته .

ويشهد لهذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام : « ياعلي ما عرف الله حقّ معرفته غيري وغيرك ، وما عرفك حقّ معرفتك غير الله وغيري »[2].

وقد بلغوا أقصى غاية المعرفة الإلهية بحيث قال سيّدهم الأمير عليه السلام : « لو

---

(١) مجمع البحرين : مادّة عرف ص٤١٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣٩ ص٨٤ .

. . . .

كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً »[١].

وفي حديث الأصبغ بن نباتة أنّه قام إليه رجل يقال له : ذِعلب فقال : يـاأمير المؤمنين هل رأيت ربّك ؟

فقال : « ويلك ياذِعلب لم أكن بالذي أعبد ربّاً لم أره .

قال : فكيف رأيته ؟ صفه لنا .

قال : ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان »[٢].

وللعلم ضمناً بأدنى ما يجزي من المعرفة لاحظ أحاديث المعارف خصوصاً حديث سيّدنا عبدالعظيم الحسني سلام الله عليه[٣].

المعنى الثاني : أنّه لا يُعرف الله تعالى إلّا بهم ومن طريقهم ، ولا يُتوصّل إلى المعرفة الحقّة إلّا بتعريفهم ، فتعود المعرفة الصادقة إليهم سلام الله عليهم .

كما يدلّ على ذلك مثل حديث عبدالله بن أبي يعفور ، عن الإمام الصادق عليه السلام الذي جاء فيه : « بنا عُرف الله وبنا عُبد الله ونحن الأدلّاء على الله ولولانا ما عُبد الله »[٤].

وكذلك حديث نصر العطّار أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « ثلاث أُقسم أنّهنّ حقّ : إنّك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتكم ... »[٥].

وهكذا حديث الأصبغ بن نباتة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد فيه : « نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا »[٦].

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٠ ص١٥٣ .
(٢) بحار الأنوار : ج٤ ص٢٧ ب٥ ح٢ .
(٣) بحار الأنوار : ج٣ ص٢٦٨ ب١٠ ح٣ .
(٤) التوحيد ، للصدوق : ص١٥٢ ب١٢ ح٩ .
(٥) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٩٩ ب٩ ح٢ ـ ٨ .
(٦) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢٤٨ ب٦٢ ح٢ .

. . . .

فطلب المعارف يكون من طريقهم وبمعرفتهم وهو الإيمان ، وفي مقابله يكون سلوك طريق غيرهم هو الكفر والعصيان .

فإن رجعنا إليهم إهتدينا ، وإن أعرضنا عنهم أو رجعنا إلى غيرهم غوينا .

ويكفي شاهداً وجدانيّاً على معرفتهم التامّة بالله تعالى كلامهم وحديثهم الجميل الذي تلاحظه في روايات التوحيد ، وما ورد عنهم في بيان صفات الله تعالى الذي تلاحظه في مثل خطبة أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وكذلك ما أثر عنهم في أدعيتهم الشريفة المربّية كدعاء الإمام الحسين عليه السلام المعروف يوم عرفة الذي أورده الكفعمي في البلد الأمين ، والسيّد ابن طاووس في الإقبال ، والشيخ المجلسي في زاد المعاد .

وكذلك ما اختصّ بهم من تعليم مواليهم وتهذيب شيعتهم والكمّلين من أصحابهم مثل كميل بن زياد ، وميثم التمّار ، ورشيد الهجري ، وحبيب بن مظاهر وغيرهم .

---

(١) نهج البلاغة : ج٢ ص١٤٢ رقم الخطبة ١٨١ من الطبعة المصرية .

وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللّهِ(١)

(١) ـ المساكن جمع مسكن بفتح الكاف وكسره، هو محلّ النزول والسكون والإستقرار.

والبركة هي كثرة النعمة والخير والكرم ، وزيادة التشريف والكرامة ، والنماء والسعادة .

وأهل البيت سلام الله عليهم أجمعين هم محلّ الفيوضات الإلهية ، ومستقرّ البركات الربّانية ، وبهم يبارك الله تعالى على الخلائق بالأرزاق المادّية والمعنوية ، وبوسيلتهم يتفضّل الله الكريم على خلقه بالعطايا الجزيلة والمنائح الجميلة ، وبواسطتهم يهب الله العظيم العقل والمعرفة ، ويهدي إلى المعارف الحقّة .

فإنّه بيُمنهم رُزِقَ الورى ، وبوجودهم ثبتت الأرض والسماء .

ويدلّ على ذلك مضافاً إلى وجدان بركاتهم ، المشهودة في كراماتهم ، الأدلّة المتواترة مثل :

١ ـ حديث الإمام السجّاد عليه السلام : « وبنا يُنزّل الغيث ، وتُنشر الرحمة ، وتخرج بركات الأرض ، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها »(١).

٢ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام : « بنا أثمرت الأشجار ، وأينعت الثمار ، وجرت الأنهار ، وبنا أُنزل غيث السماء ، ونبت عشب الأرض »(٢).

٣ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(٣): « نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد ، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين ، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً ، وبنا

---

(١) إكمال الدين : ج١ ص٢٠٧ ح٢٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٩٧ ب٥٢ ح٢٤ .

(٣) سورة التكاثر : الآية ٨ .

. . . .

هداهم الله للإسلام ، وهي النعمة التي لا تنقطع ، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم به عليهم ، وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام »[١].

٤ ـ الزيارة الرجبية المعروفة : « فَبِكُم يُجبرُ المهيض ويُشفى المريض » .

٥ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام : « نحن أهل بيت الرحمة وبيت النعمة وبيت البركة »[٢].

ولقد بارك الله تعالى في آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين بأنواع البركات .

وجعل سيّدتهم الصدّيقة الطاهرة الكوثر والخير الكثير ، وسمّاها المباركة[٣].

وبارك فيهم وفي نسلهم وفي شيعتهم وفي محبّيهم وحتّى في تربتهم التي تضمّنتهم ، والمشاهد الشامخة التي تشرّفت بهم .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٤٩ ب٢٩ الآيات . كنز الدقائق : ج١٤ ص٤٢١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٥٤ ب٤ ح٢٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٤٣ ص١٠ ب٢ ح١ .

وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللهِ[١]

(١) ـ المعادن جمع مَعدِن بكسر الدال بمعنى محلّ إستقرار الجواهر وإفاضتها ، وهو مركز كلّ شيء وأصله ومبدؤه .

والحكمة في اللغة هي : العلم الذي يرفع الإنسان ويمنعه عن فعل القبيح ، مستعارٌ من حكمة اللجام وهي ما أحاط بحنك الدابّة ، ويمنعها عن الخروج والمخالفة[١]. ويكون هذا المنع للإصلاح[٢].

وعُرّفت الحكمة بأنّها هي : العلوم الحقيقيّة الإلهية[٣].

وقد وردت كلمة الحكمة في الكتاب المبين ، وفُسّرت في كلمات الأئمّة المعصومين عليهم السلام ، بما نستغني معها عن تفاسير الآخرين .

فقد قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[٤].

وقال عزّ إسمه : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[٥].

وفسّرها المعصومون عليهم السلام بضياء المعرفة ، وطاعة الله تعالى ، ومعرفة الإمام عليه السلام ، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار والعقاب ، والتفقّه في الدين ، والعقل والفهم[٦].

وأهل البيت سلام الله عليهم هم معادن أنوار الحكمة الإلهية ، وأُصول المعارف الربّانية ، وأسمى المراتب العقلانيّة .

وهم أتمّ الناس في هذه المزايا ، ومعلّموا الخلق في هذه العطايا ، كما تلمسه في كلماتهم الصريحة ، وبياناتهم المليحة ، وفي نصوصهم وتنصيص سيّدهم ←

---

(١) مجمع البحرين : مادّة حكم ص٥١١ .

(٢) مفردات الراغب : ص١٢٦ .

(٣) الأنوار اللامعة : ص٧٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٩ .

(٥) سورة لقمان : الآية ١٢ .

(٦) تفسير البرهان : ج١ ص١٥٨ ، وج٢ ص٨١٨ ، كنز الدقائق : ج٢ ص٤٤٣ .

. . . .

⮌ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فلاحظ مثل :

١ ـ حديث جابر بن عبدالله الأنصاري قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول : « ... أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب »(١).

٢ ـ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام : « أيّها الناس نحن أبواب الحكمة ، ومفاتيح الرحمة ، وسادة الأئمّة ، وأُمناء الكتاب ، وفصل الخطاب ... وإنّا أهل بيت خصّنا بالرحمة والحكمة والنبوّة والعصمة ... »(٢).

٣ ـ حديث يونس بن ظبيان ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال له : « يايونس إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت فإنّا روينا وأُوتينا شرح الحكمة وفصل الخطاب ، إنّ الله إصطفانا وآتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين »(٣).

وفي البلد الأمين بعد هذه الفقرة زيادة : « وخزنة علم الله » فجميع العلوم الإلهية مخزونة عندهم ، محفوظة لديهم ، وقد مرّ بيان ذلك مفصّلاً في الفقرة الشريفة المتقدّمة « وخزّان العلم » فلاحظ .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٠ ص ٢٠١ ب ٩٤ ح ٣ و ٩ و ١١ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٦ ص ٢٦٠ ب ٤ ح ٣٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢٦ ص ١٥٨ ب ١١ ح ٥ .

وَحَفَظَةِ سِرِّ اللّٰهِ(١)

(١) ـ حفظة : جمع حافظ، يقال: حَفَظَ المال والسرّ أي رعاه ، والمحافظة على الشيء هي المواظبة عليه ، والمراقبة له ، والإعتناء به كما يستفاد من كتب اللغة[١].

والسِرّ : جمعه أسرار ، هو في اللغة بمعنى ما يُكتم ، ومنه (هذا من سرّ آل محمّد) أي من مكتومهم عليهم السلام الذي لا يظهر لكلّ أحد[٢].

وأسرار الله تعالى هي العلوم التي لا يجوز إظهارها وإفشاؤها إلّا لمن هو أهلٌ لها من الكمّلين والمتحمّلين مثل سلمان وكميل[٣].

فمعنى حفظة سرّ الله أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الحافظون المراعون للأسرار الإلهية المودعة عندهم ، اللازم كتمانها ، ولا يظهرونها إلّا لمن يتحمّلها ، ولا يظهرون منها إلّا ما يُتحمّل ، فإنّ إلقاء السرّ إلى من لا يتحمّله تضييع للسرّ ، وإرهاق للمُلقى إليه ، وهو خلاف الحكمة .

وليس كلّ أحد قابلاً لأن يُستودع السرّ ، فكيف بأن يكون صاحب أسرار الله الحكيم في هذا العالم العظيم ، المُلك والملكوت .

فإنّ الأسرار الإلهية لا يتحمّلها إلّا مَلَكٌ مُقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ إمتحن الله قلبه للإيمان كما جاء في أحاديث كثيرة[٤].

وقد فسّرت الأحاديث الصعبة المستصعبة في إحدى تفاسيرها بأسرار الله المخزونة عندهم ، المكنونة لديهم[٥].

بل في بعض الأحاديث لا يتحمّلها لا مَلَك مقرّب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ←

---

(١) لسان العرب : ج٧ ص٤٤١ .

(٢) مجمع البحرين : مادّة سرر ص٢٦٦ .

(٣) الأنوار اللامعة : ص٧٨ .

(٤) الكافي : ج١ ص٤٠١ ح٢ .

(٥) مصابيح الأنوار : ج١ ص٣٤٤ .

. . . .

⊃ إمتحن الله قلبه للإيمان إلّا أهل البيت أو من شاء أهل البيت سلام الله عليهم كما تلاحظه في حديث أبي بصير(١).

فعدم التحمّل يدعو إلى حفظ السرّ وعدم إفشاءه كما في بعض قضايا من لم يتحمّل الإسم الأعظم.

بل حتّى بعض أهل التحمّل يجيش العلم والسرّ في صدورهم ويضيق بهم ذرعاً كما تلاحظه في حديث جابر الجعفي(٢).

ومثل النبي الكليم موسى عليه السلام إذا لم يتحمّل بعض الأسرار فما ظنّك بالآخرين فلاحظ أحاديثه الشريفة في قضايا موسى والخضر عليهما السلام الواردة في القرآن الكريم في أحاديث التفسير القويم(٣).

إلّا أنّ أهل البيت سلام الله عليهم هم المثل الأعلى والقمّة العليا لأسرار الله تعالى كما تلاحظه في مثل:

١ ـ حديث إسحاق بن غالب، عن الإمام الصادق عليه السلام في خطبته الشريفة التي يذكر فيها حال الأئمّة عليهم السلام: «استودعه سرّه، واستحفظه علمه، واستخباه حكمته، واسترعاه لدينه، وانتدبه لعظيم أمره»(٤).

٢ ـ حديث سيف التمّار، عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما إنّي أعلم منهما، ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أُعطيا علم ما كان، ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثةً»(٥).

---

(١) الكافي: ج١ ص٤٠٢ ح٥.

(٢) رجال الكشّي: ص١٧١.

(٣) بحار الأنوار: ج١٣ ص٢٧٨ الأحاديث.

(٤) الكافي: ج١ ص٢٠٤ ح٢.

(٥) الكافي: ج١ ص٢٦١ ح١.

وَحَمَلَةِ كِتابِ اللّهِ[١]

(١) ـ حملة جمع حامل وهو من يحمل الشيء .

وكتاب الله هو القرآن الكريم .

وفسّر حامل كتاب الله بمن يكون عنده جميع القرآن ، الذي فيه تبيان كلّ شيء ، على ما نَزَل من عند الله ، من غير نقصٍ ولا تغيير ، مع حفظ جميع ألفاظه بجميع المعاني ، بما فيها من ظاهر وباطن ، وتأويلٍ وتفسير ، وناسخ ومنسوخ ، وعامٍ وخاصّ ، ومطلق ومقيّد ، ومكان النزول وزمانه وشأن النزول وبيانه .

ومحمّد وآله الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين هم الحاملون لعلوم القرآن ومعارفه وأسراره ، والواقفون على معانيه وأبعاده وأغواره .

مضافاً إلى حفظهم ألفاظ القرآن من دون زيادةٍ ولا نقصان .

ودليل ذلك أحاديث كثيرة مثل :

١ ـ حديث محمّد بن فضيل قال : سألته عن قول الله عزّوجلّ : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[١].

قال : « هم الأئمّة عليهم السلام خاصّة »[٢].

٢ ـ حديث جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب ، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلّا علي بن أبي طالب والأئمّة من بعده عليهم السلام »[٣].

٣ ـ حديث عبدالأعلى مولى آل سام قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي ، فيه خبر السماء وخبر

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢١٤ ح ٥ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٢٢٨ ح ١ .

. . . .

⬅ الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن ، قال الله عزّوجلّ : ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[١]»[٢].

٤ ـ حديث عبدالرحمن بن كثير ، عن الإمام الصادق عليه‌السلام جاء فيه : « ...ففرّج أبو عبدالله عليه‌السلام بين أصابعه فوضعها على صدره ، ثمّ قال : وعندنا والله علم الكتاب كلّه»[٣].

ولاحظ أحاديث باب أنّهم الذكر وأهل الذكر[٤].

(١) سورة النحل : الآية ٨٩.

(٢) الكافي : ج١ ص٢٢٩ ح٤ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٢٩ ح٥ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٣ ص١٧٢ ب٩ الأحاديث .

وَاَوْصِياءِ نَبِيِّ اللّٰهِ(١)

(١) ـ أوصياء : جمع وصيّ ، وهو لغة مأخوذ من الوصيّة على وزن فعيلة ، من وصىٰ يصي : إذا وصل الشيء بغيره ، لأنّ الموصي يوصل تصرّفه بعد الموت بما قبله . والوصاية : هي إستنابة الموصي غيره بعد موته في التصرّف فيما كان له التصرّف فيه[١]، و : (أوصى الرجل ووصّاه أي عهد إليه)[٢].

وهذه الوصاية كانت ثابتة مستمرّة من النبي آدم عليه السلام إلى الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله .

وأوصياء نبي الله صلى الله عليه وآله هم الذين أوصى إليهم الرسول بأمر ربّه ، وجعلهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم كنفسه ، ونصبهم حججاً على خلقه ، وأئمّة على بريّته ، وخلفاء في أرضه .

وهم كرسول الله عليه وآله صلوات الله إلّا في النبوّة فهو نبي وهم أئمّة .

وهؤلاء الأوصياء هم الأئمّة الإثنى عشر ، أوّلهم أمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي بن أبي طالب ، وآخرهم الوصي الغائب والنجم الثاقب الحجّة بن الحسن المنتظر أرواحنا فداهم الذين ثبتت وصايتهم بالمعجزات الباهرات والآيات الظاهرات ، والنصوص المتواترات .

فقد تواترت الأحاديث الصريحة بالألسنة الفصيحة على وصايتهم وخلافتهم من طرق الخاصّة والعامّة ممّا جمعها في غاية المرام[٣] من الخاصّة في ١١٩ حديثاً ، ومن العامّة في ١٣٥ حديثاً .

ومنها ما رواها العامّة عن النبي صلى الله عليه وآله في صحاحهم فقط بما يزيد على ستّين ←

---

(١) مجمع البحرين : مادّة وصا ص٩٣ .

(٢) لسان العرب : ج١٥ ص٣٩٤ .

(٣) غاية المرام : ص٣٢ ـ ٢٧ ب١٢ ـ ١٣ ، وص١٥٢ ـ ١٦٨ ب٢٢ ـ ٢٣ .

. . . .

حديثاً بطرق عديدة[١] ممّا صرّحت بوصاية الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام .

وفي بعضها التنصيص على أسمائهم إلى الإمام المهدي عليه السلام ، مع ذكر سيّدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها بالنصّ الجلي .

ففي حديث الزمخشري والحمويني والقندوزي وابن حسنويه الحنفي : « فاطمة قلبي ، وإبناها ثمرة فؤادي ، وبعلها نور بصري ، والأئمّة من ولدها أمارتي وحبلي الممدود ، فمن إعتصم بهم نجى ، ومن تخلّف عنهم هوى »[٢].

هذا إلى جانب ما تواتر من الأحاديث الشريفة من طرق الخاصّة المعتبرة الواردة في أُصولهم الأصيلة .

ويكفيك في ذلك حديث لوح فاطمة سلام الله عليها الذي أهداه الله تعالى إلى رسوله وأعطاه رسول الله للزهراء عليها السلام بمناسبة ميلاد الإمام الحسين عليه السلام ليسرّها بذلك ويبشّرها بالأوصياء والأزكياء الذين يكونون من ولدها .

والحديث من طرائف الحكمة ننقله للإنتفاع والبركة .

روى جماعة من الأعلام الأعاظم منهم ثقة الإسلام الكليني عن محمّد بن يحيى ومحمّد بن عبدالله ، عن عبدالله بن جعفر ، عن الحسن بن ظريف وعلي بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن بكر بن صالح ، عن عبدالرحمن بن سالم ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أبي لجابر بن عبدالله الأنصاري : إنّ لي إليك حاجة فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها .

فقال له جابر : أي الأوقات أحببته ، فخلا به في بعض الأيّام .

فقال له : ياجابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أُمّي فاطمة عليها السلام بنت

(١) إحقاق الحقّ : ج١٣ ص١ ـ ٨٦ .

(٢) إحقاق الحقّ : ج١٣ ص٧٩ .

. . . .

رسول الله ﷺ وما أخبرتك به أمّي أنّه في ذلك اللوح مكتوب ؟

فقال جابر : أشهد بالله أنّي دخلت على أمّك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله ﷺ فهنّيتها بولادة الحسين عليه السلام ورأيت في يديها لوحاً أخضر ، ظننت أنّه من زمرّد ورأيت فيه كتاباً أبيض ، شبه لون الشمس .

فقلت لها : بأبي وأمّي يابنت رسول الله ﷺ ما هذا اللوح ؟

فقالت : هذا لوح أهداه الله إلى رسوله ﷺ فيه إسم أبي واسم بعلي واسم إبنيّ واسم الأوصياء من ولدي ، وأعطانيه أبي ليبشّرني بذلك .

قال جابر : فأعطتنيه أمّك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته .

فقال له أبي : فهل لك ياجابر أن تعرضه عليّ ؟

قال : نعم ، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رقّ .

فقال : ياجابر أنظر في كتابك لأقرأ أنا عليك ، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً ، فقال جابر : فأشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوباً :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمّد نبيّه ونوره وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين ، عظِّم يامحمّد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي ، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا قاصم الجبّارين ، ومُديل المظلومين ، وديّان الدّين ، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، فمن رجا غير فضلي ، أو خاف غير عدلي ، عذّبته عذاباً لا أُعذّب به أحداً من العالمين ، فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكّل ، إنّي لم أبعث نبيّاً فأُكملت أيّامه وإنقضت مدّته إلّا جعلت له وصيّاً ، وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيّك على الأوصياء ، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين ، فجعلت حسناً معدن علمي ، بعد إنقضاء مدّة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن وحيي

. . . .

﴿ وأكـــرمته بـــالشهادة وخـــتمت له بـــالسعادة ، فـــهو أفـــضل مـــن إستشهد وأرفع الشهداء درجةً ، جعلت كلمتي التامّة معه وحجّتي البـالغة عـنده ، بعترته أثيب وأعاقب ، أوّلهم علي سيّد العابدين وزين أوليائي الماضين ، وإبنه شبه جدّه المحمود محمّد الباقر علمي والمعدن لحكمتي ، سيهلك المرتابون في جعفر ، الرادُّ عليه كالرادّ عليّ ، حقّ القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفر ولأُسرّنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه ، أُتيحت بعد موسى فتنة عمياء حندس لأنّ خيط فرضي لا ينقطع وحجّتي لا تخفى وأنّ أوليائي يسقون بالكأس الأوفى ، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليّ ، ويل للمفترين الجاحدين عند إنقضاء مدّة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليّي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوّة وأمتحنه بالإضطّلاع بها ، يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شرّ خلقي ، حقّ القول منّي لأسرّنّه بمحمّد إبنه وخليفته من بعده ووارث علمه ، فهو معدن علمي وموضع سرّي وحجّتي على خلقي ، لا يؤمن عبد به إلّا جعلت الجنّة مثواه وشفّعته في سبعين من أهـل بـيته كـلّهم قـد استوجبوا النار ، وأختم بالسعادة لإبنه علي وليّي وناصري والشـاهد فـي خـلقي وأميني على وحيي ، أُخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن ، وأكمّل ذلك بإبنه « م ح م د » رحمة للعالمين ، عليه كمال موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيّوب ، فيذلّ أوليائي في زمانه ، وتتهادى رؤوسـهم كـما تـتهادى رؤوس التـرك والديلم ، فيُقتلون ويُحرقون ، ويكونون خائفين ، مرعوبين ، وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنّة في نسائهم ، أُولئك أوليائي حقّاً ، بهم أدفع كلّ فـتنة عمياء حندس ، وبهم أكشف الزلازل ، وأدفع الآصـار والأغـلال ، أُولئك عـليهم صلوات من ربّهم ورحمة ، وأُولئك هم المهتدون . ﴾

. . . .

➲ قال عبدالرحمن بن سالم : قال أبو بصير : لو لم تسمع في دهرك ، إلّا هذا الحديث لكفاك ، فصُنه إلّا عن أهله[١].

هؤلاء خلفاء الله تعالى في أرضه ، وأوصياء الرسول في بريّته ، ووسائل الخير إلى يوم القيامة وما بعد يوم القيامة .

وتتمثّل الخلافة والوصاية هذا اليوم في خاتمهم وقائمهم ومهديّهم المنتظر عليه السلام الذي هو المحور الأساسي لفلك الوجود ، والوسيط الرئيسي لفيض كلّ موجود ؛ فينتفع بوجوده ، ويستضاء بنور ولايته في غيبته كما ينتفع بالشمس وإن جلّلها السحاب ، كما بيّنه الرسول الناطق صلى الله عليه وآله في حديث جابر بن عبدالله الأنصاري[٢]، ثمّ ولده الإمام الصادق عليه السلام في حديث سليمان بن مهران الأعمش[٣]، ثمّ نفس الإمام المهدي عليه السلام في جواب مسائل إسحاق بن يعقوب[٤].

---

(١) الكافي ، للكليني : ج١ ص٥٢٧ ، إكمال الدين ، للصدوق : ص٣٠٨ ، الإختصاص ، للشيخ المفيد : ص٢١٠ ، إعلام الورى ، لأمين الإسلام : ص٢٢٥ ، الإحتجاج ، للطبرسي : ج١ ص٤١ ، بحار الأنوار ، للمجلسي : ج٣٦ ص١٩٦ .

(٢) إعلام الورى : ص٣٧٦ .

(٣) أمالي الصدوق : ص١٦٤ .

(٤) الغيبة ، للشيخ الطوسي : ص١٧٧ .

وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(١) وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) ـ ذرّية على وزن فُعْليّة ، وجمعها ذرّيّات وذراري .

هي في اللغة اسم لجميع نسل الإنسان من ذكرٍ وأنثى[1].

وذرّية الرجل : ولده[2].

مأخوذة من الذرّ بمعنى البثّ والنشر والتفريق[3].

فسمّي نسل الإنسان بالذرّية لأنّ الله تعالى ذرّهم ونشرهم في الأرض حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام في عالم الذرّ[4].

وكان القياس في نسبته أن يقال : ذَرّيّة بالفتح ، لكنّها لم تجيء إلّا مضمومة الأول[5].

وذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله هم أهل البيت سلام الله عليهم بدليل القرآن والسنّة ، ثمّ اللغة .

وتشمل الذرّية أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أخ الرسول لا ولده بالتغليب كما أفاده العلّامة المجلسي قدس سره[6].

والتغليب باب شائع في اللغة وهو إيثار أحد اللفظين على الآخر ، إذا كان بين مدلوليهما عُلقة وإختلاط[7].

وتشمل أيضاً الصدّيقة الطاهرة سيّدة الذرّية المطهّرة وبضعة النبي بالنصّ الجليّ ، وليس ذلك بخفي .

وتشمل السيّدين الإمامين الحسنين ثمّ أولاد الإمام الحسين عليهما السلام بالنصّ القرآني والروائي ، فهم ذرّية الرسول وأبناؤه .

---

(١) مجمع البحرين : مادّة ذرر ص ٢٦١ .

(٢) المصباح المنير : مادّة ذرّ .

(٣) المحيط في اللغة : ج ١٠ ص ٥٥ .

(٤) مرآة الأنوار : ص ١٠٢ .

(٥) لسان العرب : ج ٤ ص ٣٤ .

(٦) بحار الأنوار : ج ١٠٢ ص ١٣٦ .

(٧) المعجم الوسيط : ج ٢ ص ٦٥٨ .

. . . .

والدليل من نصّ الكتاب :

١ ـ أنّ الله تعالى سمّاهم أبناء الرسول في آية المباهلة : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

ومن المتّفق عليه من الفريقين أنّه لم يكن مع الرسول من الرجال إلّا علي ابن أبي طالب ، ومن النساء إلّا فاطمة الزهراء ، ومن الأبناء إلّا الحسن والحسين عليهما‌السلام روي في طرق الخاصّة بخمسة عشر حديثاً ، وفي طرق العامّة بتسعة عشر حديثاً[٢].

٢ ـ أنّ الله تعالى أطلق عليهم الذرّية في كتابه الكريم : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٣].

فقد نزلت في الرسول والأمير والزهراء والأبناء عليهم‌السلام في تفسير ابن عبّاس[٤] بل في حديث التفسير[٥].

والدليل من نصوص السنّة أحاديث كثيرة ، في أبواب كثار ممّا صرّحت ونصّت على الإمامين الهمامين الحسن والحسين بالذرّية ، وجعلتهما إبنا رسول الله ، وجعلت الذرّية النبوية من صلبه وصلب علي بن أبي طالب عليهما‌السلام »[٦].

من ذلك حديث أبي الجارود ، عن الإمام الباقر عليه‌السلام قال :

« ياأبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين ؟

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦١.
(٢) غاية المرام : ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٣) سورة الطور : الآية ٢١.
(٤) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٢٤١ ح٢٢.
(٥) كنز الدقائق : ج١٢ ص٤٥٤.
(٦) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٢٤١ ، وج٤٣ ص٢٢٩ ب٩ الأحاديث ، وص٢٧٠ ح٣٠ ، وص٢٨٤ ح٥٠.

. . . .

قلت : ينكرون علينا أنّهما إبنا رسول الله ﷺ .

قال : فبأي شيء احتججتم عليهم ؟

قلت : بقول الله في عيسى بن مريم : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ ـ إلى قوله : ـ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾(١) فجعل عيسى من ذرّية إبراهيم ، واحتججنا عليهم بقوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾(٢).

قال : فأي شيء قالوا ؟

قال : قلت : قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب .

قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : والله ياأبا الجارود لأعطينّكها من كتاب الله آية تسمّي لصلب رسول الله ﷺ لا يردّها إلّا كافر .

قال : قلت : جعلت فداك وأين ؟

قال : حيث قال الله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ـ إلى قوله ـ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾(٣) فسلهم ياأبا الجارود هل يحلّ لرسول الله ﷺ نكاح حليلتهما ؟ فإن قالوا : نعم فكذبوا والله ، وإن قالوا : لا ، فهما والله إبنا رسول الله لصلبه ، وما حرّمت عليه إلّا للصلب »(٤).

هذا مضافاً إلى دليل اللغة وتصريح أهلها بتفسير الذرّية بالأولاد الشامل للذكور والإناث كما تقدّم .

ومضافاً إلى أنّه قد أُطلق على الحسنين ٨ الإبن ، والأصل في الإستعمال الحقيقة .

ولابن أبي الحديد كلام شافٍ وإعتراف وافٍ قال فيه :

فإن قلت : أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما : أبناء رسول الله وولد

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٨٤ و٨٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦١ .

(٣) سورة النساء : الآية ٢٣ .

(٤) بحار الأنوار : ج٤٣ ص٢٣٢ ب٩ ح٨ .

. . . .

رسول الله ، وذرّية رسول الله ، ونسل رسول الله ؟

قلت : نعم ؛ لأنّ الله تعالى سمّاهم « أبناءه » في قوله تعالى : ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ ، وإنّما عنى الحسن والحسين ، ولو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات ، وسمّى الله تعالى عيسى ذرّية إبراهيم في قوله : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى أن قال : ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ ؛ ولم يختلف أهل اللغة في أنّ ولد البنات من نسل الرجل .

فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[1]؟

قلت : أسألك عن أبوّته لإبراهيم بن مارية ؛ فكما تجيب به عن ذلك ؛ فهو جوابي عن الحسن والحسين عليهما السلام .

والجواب الشامل للجميع أنّه عنى زيد بن حارثة لأنّ العرب كانت تقول : « زيد بن محمّد » على عادتهم في تبنّي العبيد ، فأبطل الله تعالى ذلك ، ونهى عن سنّة الجاهلية ، وقال : إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعتزي إليه بالنبوّة ،وذلك لا ينفي كونه أباً لأطفال ، لم تطلق عليهم لفظة الرجال ، كإبراهيم وحسن وحسين عليهما السلام .

فإن قلت : أتقول إنّ ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز ؟

قلت : لذاهب أن يذهب إلى أنّه حقيقة أصلية ؛ لأنّ أصل الإطلاق الحقيقة ، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر ، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما ألّا يكون حقيقة في الآخر .

ولذاهب أن يذهب إلى أنّه حقيقة عرفية ، وهي التي كثر إستعمالها ؛ وهي في الأكثر مجاز ؛ حتّى صارت حقيقة في العرف ، كالراوية للمَزادة ، والسماء للمطر .

ولذاهب أن يذهب إلى كونه مجازاً قد إستعمله الشارع ، فجاز إطلاقه في كلّ حال ؛ وإستعماله كسائر المجازات المستعملة[2].

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ج ١١ ص ٢٦ .

الفصل الرابع

السَّلامُ عَلَى الدُّعاةِ إلَى اللّهِ(١)

(١) ـ جاء في ابتداء السلام الرابع في هذه الزيارة المباركة التسليم على أهل البيت صلوات الله عليهم بوصف أنّهم الدعاة إلى الله تعالى .

والدعاة : جمع الداعي كقضاة جمع قاضٍ ، مشتقّ من الدعوة بمعنى الطلب .

والدعوة إلى الله تعالى هي الدعوة إلى معرفته ، وإطاعته ، وعبادته ، ودينه ، وشريعته .

وآل محمّد سلام الله عليهم داعون إلى الله كجدّهم الرسول الأعظم الذي كان داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، إذ هم خلفاء رسول الله ﷺ وبمنزلته كما تلاحظه في حديث محمّد بن مسلم(١).

وهم يدعون الخلق إلى معرفة الله تعالى ، ويطلبون منهم الإلتزام بطاعته ، ويهدونهم إلى عبادته ، ويرشدونهم إلى التخلّق بأخلاقه ، ويسلكون بهم مسالك التقوى وطرق الجنّة ، يهدونهم إلى ذلك ويدعونهم إليها ، ببياناتهم الوافية ، ومواعظهم الشافية .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٠ ب١٨ ح٢ .

. . . .

⬅ لا بالقول فحسب بل بالقول والعمل ، بل نفس وجودهم دعوة إلى الله ، وتذكرة بالله ، فهم الأُسوة والقدوة بأقوالهم وأفعالهم ، كما إعترف بذلك الصديق والعدوّ ، بل أقرّ بذلك ألدّ أعدائهم كمعاوية عليه الهاوية في مثل حديث عدي بن حاتم الطائي(١).

والدليل على دعوتهم إلى الله تعالى ومنصبهم في ذلك :

أوّلاً : من الكتاب قوله تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(٢) فقد ورد تفسيره بأنّ من اتّبعني هو أمير المؤمنين والأوصياء من بعده عليهم السلام(٣).

ثانياً : من السنّة الأحاديث الكثيرة الناصّة على ذلك كحديث عبدالعزيز بن مسلم ، عن الإمام الرضا عليه السلام ورد فيه : « الإمام أمين الله في خلقه ، وحجّته على عباده وخليفته في بلاده ، والداعي إلى الله ، والذابّ عن حُرُم الله »(٤).

وهم صلوات الله عليهم أعلى مُثُل الدعوة الحقّة إلى الله ، وأتمّ مصاديق الدعاة الحقيقيين إلى الربّ ، بل لا يدانيهم أحدٌ فيها ، لأنّها دعوة بأمر الله وإذنه ، وإلى رضا الله ومرضاته .

وقد بيّنت هذه الزيارة الشريفة مميّزات دعوتهم التي تختصّ بهم ويمتازون بها عن غيرهم في الفقرات التالية : « الأدلّاء على مرضات الله » ثمّ قوله : « عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ».

---

(١) سفينة البحار : ج٦ ص١٨٤ .   (٢) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

(٣) تفسير البرهان : ج١ ص٥١٥ ، كنز الدقائق : ج٦ ص٣٩٦ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ح١ .

وَالْأَدِلّاءِ عَلىٰ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ(١)

(١) ـ أدلّاء جمع دليل ، كأعزّاء جمع عزيز وأخلّاء جمع خليل ، والدليل هو الذي يدلّ ويرشد ويهدي .

والمرضات مصدر ميمي من الرضا ـ أي رضا الله عزّ إسمه ـ .

وأهل البيت عليهم السلام هم الذين يدلّون الناس على المعارف الإلهية ، والأحكام الشرعية ، وسبل الهداية ، وطريق الجنّة ، التي توجب رضا الله تعالى والقرب إليه .

وقد بذلوا في مرضات الله النفس والنفيس كما يشهد به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾(١). حيث نزلت في سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليه السلام(٢) واتّفقت عليها أحاديث الفريقين(٣).

ويدلّ على أنّهم عليهم السلام هم الأدلّاء ، الأحاديث المتظافرة مثل :

١ ـ حديث عبدالعزيز بن مسلم المبيّن لصفات الإمام عليه السلام عن مولانا الرضا سلام الله عليه قال : « الإمام الماءُ العذب على الظمأ ، والدالّ على الهدى ، والمنجي من الردى »(٤).

٢ ـ حديث الكفعمي عن الإمام الباقر عليه السلام : « انّ الأئمّة الدعاة إلى الجنّة والأدلّاء عليها إلى يوم القيامة »(٥).

٣ ـ حديث كتاب المعراج عنه عليه السلام : « نحن الدليل الواضح لمن اهتدى »(٦).

٤ ـ حديث الإمام الصادق ٧ : « بنا عُرِف الله وبنا عُبِد الله ، نحن الأدلّاء على الله »(٧).

٥ ـ دعاء العهد الشريف : « وكما جعلتهم السبب إليك ، والسبيل إلى طاعتك ⟵

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

(٢) كنز الدقائق : ج٢ ص٣٠٥ .

(٣) غاية المرام : ص٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ح١ .

(٥ و ٦) مرآة الأنوار : ص١٠٠ .

(٧) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٦٠ ب٢ ح٣٨ .

. . . .

➲ والوسيلة إلى جنّتك ، والأدلّاء على طرقك »[١].

واعلم أنّ في نسخة البلد الأمين هنا زيادة : « والمؤدّين عن الله ، والقائمين بحقّ الله ، والناطقين عن الله » .

(١) بحار الأنوار : ج٨٩ ص٣٤١ ب٩٧ ح٣ .

وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي اَمْرِ اللّٰهِ[١]

(١) ـ المستقرّين : جمع المستقرّ بمعنى الثابت ، من الاستقرار بمعنى الثبوت .

والاستقرار في أمر الله بمعنى ثبوت العمل بأوامر الله تعالى وإطـاعته ، أو أمـر الخلافة والإمامة .

وأهل البيت سلام الله عليهم في أتمّ العمل والقيام بأوامر الله تعالى واجبة كانت أو مندوبة ، عبادة أو غير عبادة .

وهم المستقرّون الثابتون في أمر الإمامة والخلافة ، والقائمون بها أحسن قيام[١].

وكلا المعنيين صادق فيهم سلام الله عليهم .

امّا بالمعنى الأوّل فهم أطوع الناس لله تعالى ، وامتثال أوامـره ، والثـبوت فـي طاعته ، كما تلاحظ ذلك في سيرتهم الغرّاء التي لم يأخذهم فيها لومة لائم ، حتّى كانوا من طاعة الله في الدرجات العلى والعصمة الكبرى ، كما تشهد به آية التطهير[٢].

فهم الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، كما يأتي في آخـر السـلام الخامس بيانه ودليله .

وأمّا بالمعنى الثاني فهم القائمون بأمر الله ، الثابتون في خلافة الله والمصطفون لولاية الأمر عن الله ، كما تشهد به آية الإطاعة[٣] وتلاحظ أحاديثه في التفسير[٤].

والعقل والنقل دالّان على استقرارهم في أمر الله .

أمّا العقل فلأنّه يحكم بلزوم أفضليّة الإمام من سائر الخلق في جميع الجهات ، وفي محاسن الصفات ، حتّى لا يلزم تقديم المفضول على الفـاضل ، ومـن تـلك الجهات الحسنة التي يلزم أفضلية الإمام فيها استقراره في أمر الله تعالى .

---

(١) والمنقول عن بعض النسخ : (المستوفرين) من الوفور بمعنى الكثرة ، أي العاملين بأوامر الله تعالى أكثر من سائر الخلق .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٢ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٤) كنز الدقائق : ج٣ ص٤٣٧ .

. . . .

➲ وأمّا النقل فمثل حديث عبدالعزيز بن مسلم المتقدّم[1] الذي جاء فيه : « الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير ... مضطلع بالإمامة ... قائم بأمر الله عزّوجلّ » .

ويشهد لثبوتهم وثباتهم في أمر الله ، وعدم ضعفهم فيه ، وعدم استكانتهم في الامتثال ، ما ذكره أديب عصره ابن دأب في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه السبعين التي ليس لأحد فيها نصيب .

فذكر في أوّل كتابه أنّه لم تجتمع هذه الخصال إلّا في علي بن أبي طالب ، ولذلك حسدوه عليها حسداً انغلّ القلوب وأحبط الأعمال ، قال في جملة ذلك :

(ثمّ ترك الوهن والاستكانة ، أنّه انصرف من أُحُد وبه ثمانون جراحة ، يدخل الفتائل من موضع ويخرج من موضع ، فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله عائداً وهو مثل المُضغة على نطع[2].

فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله بكى فقال له : « إنّ رجلاً يصيبه هذا في الله لحقّ على الله أن يفعل به ويفعل .

فقال مجيباً له وبكى : بأبي أنت وأمّي الحمد لله الذي لم يرني ولّيت عنك ولا فررت ، بأبي وأمّي كيف حرمت الشهادة ؟

قال : إنّها من ورائك إن شاء الله .

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أبا سفيان قد أرسل موعدة بيننا وبينكم حمراء الأسد.

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ـ ٢٠٢ ح١ .

(٢) النطع ـ بكسر النون وفتحها وسكون الطاء ومحرّكة وبكسر النون وفتح الطاء ـ: بساط من الجلد .

• •

فقال : بأبي أنت وأمّي والله لو حُملت على أيدي الرجال ما تخلّفت عنك .

قال : فنزل القرآن : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[1] ونزلت الآية فيه قبلها : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[2]» .

ثمّ ترك الشكاية في ألم الجراحة شكت المرأتان[3] إلى رسول الله ﷺ ما يلقى وقالتا : يارسول الله قد خشينا عليه ممّا تدخل الفتائل في موضع الجراحات ، من موضع إلى موضع ، وكتمانه ما يجد من الألم .

قال : فعُدّ ما به من أثر الجراحات عند خروجه من الدنيا فكانت ألف جراحة من قرنه إلى قدمه صلوات الله عليه)[4].

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٦ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

(٣) إحداهما نسيبة الجرّاحة ، والأُخرى امرأة غيرها تتصدّيان معالجة الجرحى في الغزوات .

(٤) الاختصاص : ص١٥٨ .

وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللّٰهِ(١)

(١) ـ يقال : أتممتُ الشيء أي أكملته ـ فمعنى التامّين ـ أي الكاملين .

وتمّ في محبّة الله تعالى : أي بلغ أعلى مراتب محبّته .

في المحيط : المحبّة مأخوذة من الحبّ ضدّ البغض(١).

وفي المفردات : الحبّ بالضمّ معناه الوداد(٢).

والمحبّة هي تلك الصفة النفسانية والعُلقة الوجدانية المعروفة ، المعبّر عنها بميل النفس ، نقيض كُره النفس .

ومحبّة العبد لله تعالى حالة يجدها العبد في قلبه ، يحصل منها التعظيم لله ، وإيثار رضاه ، والاستئناس بذكره(٣).

ويأتي مزيد بيان المحبّة في آخر هذه الفقرة إن شاء الله .

وأهل البيت سلام الله عليهم حازوا أعلى المراتب في حبّ الله عزّ شأنه ، لأنّهم عرفوا الله بأعلى درجات المعرفة ، وكلّما كانت المعرفة أرقى كانت المحبّة أقوى ، وكلّما كانت المحبّة أقوى كانت الطاعة أسنى ، فإذا ازداد المخلوق حبّاً لله ازداد توجّهه إلى الله حتّى يبلغ درجة الإنقطاع إليه .

لذلك كان أهل البيت النبوي عليهم السلام أطوع لله تعالى من جميع الخلق ، حتّى انقطعوا إلى الله ، واشتغلوا عن غير الله .

وقد بلغ المعصومون عليهم السلام في محبّة الله تعالى هذه الدرجة القصوى ، فترى أنّه جاء في دعاء الصحيفة السجّادية المباركة قول الإمام زين العابدين عليه السلام : « اللهمّ إنّي أخلصت بانقطاعي إليك ، وأقبلتُ بكُلّي عليك »(٤). ⬅

---

(١) المحيط : ج١ ص٣٢١.

(٢) المفردات : ص١٠٥ .

(٣) مجمع البحرين : ص١٠٩ .

(٤) الصحيفة السجّادية : الدعاء ٢٨ .

. . . .

وأهل البيت عليهم السلام كملوا في خصوصية حبّ الله والمحبّة التامّة لله كما يـدلّ عـليه القرآن الكريم بأحاديث تفسيره بآل محمّد سلام الله عليهم مثل :

١ ـ قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[(١)].

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾[(٢)].

وأفاد العلّامة المجلسي هنا أنّ في بعض النسخ القديمة (والنّامين) من النموّ ، أي نشأوا في بدو سنّهم في محبّة الله تعالى ، أو أنّ في كلّ آنٍ وزمان يزدادون حبّاً لله تعالى . وكلا المعنيين يصدق على أهل البيت عليهم السلام كما هو واضح .

ثمّ ما هي معنى المحبّة ؟ هذا ما يحسن تفصيل بيانه فنقول :

وقعت كلمة المحبّة في القرآن الكريم ، فلنقتبس من نوره في استفادة بيانه من أحاديث أهله .

في المجمع بعد ذكر قوله تعالى : ﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قيل : محبّة الله للعباد إنعامه عليهم ، وأن يوفّقهم لطاعته ، ويهديهم لدينه الذي إرتضاه ، وحبّ العباد لله أن يطيعوه ولا يعصوه ...

ثمّ ذكر : (إنّ المحبّة حالة يجدها المحبّ في قلبه يحصل منها طاعة المحبوب ، وتعظيمه ، وإيثار رضاه ، والاستئناس بذكره ...)[(٣)].

والأحاديث المباركة بيّنت محبّة الله وآثارها التي منها الطاعة فلاحظ مثل :

١ ـ حديث المفضّل الجعفي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كان فيما نـاجى

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٤ ، لاحظ تفسيره بأهل البيت عليهم السلام في كنز الدقائق : ج٤ ص١٤١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٥ ، لاحظ تفسيره بأهل البيت عليهم السلام في تفسير العياشي : ج١ ص٧٢ .

(٣) مجمع البحرين : مادّة حبب ص١٠٩ .

. . . .

الله عزّوجلّ به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له :

يابن عمران ! كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عنّي ، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه ؟

ها أنا ذا يابن عمران مطّلع على أحبّائي إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم ، ومثّلت عقوبتي بين أعينهم ، يخاطبوني عن المشاهدة ، ويكلّموني عن الحضور .

يابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينك الدموع في ظلم الليل ، وادعني فإنّك تجدني قريباً مجيباً »[1].

٢ ـ حديث ابن أبي عمير عمّن سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول : « ما أحبّ الله عزّوجلّ من عصاه ثمّ تمثّل فقال :

تعصي الإله وأنت تُظهر حبّه   هذا محالٌ في الفعال بديعُ
لو كان حبّك صادقاً لأطعته   إنّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ »[2]

٣ ـ حديث سليمان بن داود باسناده قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله : يارسول الله علّمني شيئاً إذا أنا فعلته أحبّني الله من السماء وأحبّني الناس من الأرض .

فقال له : « ارغب فيما عند الله عزّوجلّ يحبّك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس »[3].

٤ ـ حديث نوح بن درّاج ، عن الإمام الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أوحى الله عزّوجلّ إلى نجيّه موسى : احببني وحبّبني إلى خلقي !

(١) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ١٤ ب ٤٣ ح ٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ١٤ ب ٤٣ ح ٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ١٤ ب ٤٣ ح ٤ .

. . . .

➲ قال : ياربّ هذا أُحبّك فكيف أُحبّبك إلى خلقك ؟

قال : اذكر لهم نعماي عليهم ، وبلاي عندهم ، فإنّهم لا يذكرون أو لا يعرفون منّي إلّا كلّ الخير »(١).

٥ ـ حديث حنّان بن سدير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله : « ما تحبّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه ، وإنّه ليتحبّب إليّ بالنافلة حتّى أُحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، إذا دعاني أجبته ، وإذا سألني أعطيته ، وما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في موت المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »(٢).

وفي نسخة البلد الأمين هنا : « والمخلصين في توحيد الله ، والصادعين بأمر الله ، الثابتين في محبّة الله ، والمظهرين لأمر الله ونهيه ، وعباده المكرمين الخ » .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ١٤ ب ٤٣ ح ١٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ١٤ ب ٤٣ ح ٢١ .

وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللّٰهِ(١)

(١) ـ الخلوص هو : الصفاء والخلوّ من كل شوب ، والخالص في اللغة هو : كلّما صفا وتخلّص ولم يمتزج بغيره .

والعمل الخالص في العرف هو ما كان لوجه الله ، وكان قصد القربة فيه مجرّداً عن جميع الشوائب ، ولا تريد أن يحمدك عليه إلّا الله ؛ وهذا التجريد هو الإخلاص.

والمخلصين ، يُقرأ بكسر اللام وفتحه ، فبالكسر معناه : الذين أخلصوا في توحيد الله تعالى وكان اعتقادهم بالتوحيد خالصاً من كلّ شوب وريب .

وقد بلغ أهل البيت المرتبة العليا في هذا الإخلاص .

بدليل قوله ﷺ : « ياعلي ما عرف الله حقّ معرفته غيري وغيرك ، وما عرفك حقّ معرفتك غير الله وغيري »(١).

وبالفتح معناه : الذين إختارهم الله وأخلصهم لتوحيده ، بمعنى أنّهم هم المختارون الذين عرّفوا الله تعالى بأقصى مراتب التوحيد ، وبسبيلهم عرف التوحيد.

وقد بلغ أهل البيت عليهم السلام مرتبة أن خصّهم الله بهذه الدرجة ، بدليل قول الإمام الباقر عليه السلام في حديث جابر : « بنا عُرف الله وبنا وُحّد الله وبنا عُبِد الله »(٢).

بل إنحصرت معرفة الله بمعرفتهم كما في حديث مِقرن ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عزّوجلّ إلّا بسبيل معرفتنا »(٣).

بل هم المعيار في معرفة الله والإيمان به كما في حديث الفضيل بن يسار ، عن ⬅

(١) بحار الأنوار : ج٣٩ ص٨٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٢٠ ب١ ح٣١ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢٥٣ ب٦٢ ح١٤ .

. . . .

➲ أبي جعفر عليه‌السلام قال : « إنّ الله عزّوجلّ نصب علياً عليه‌السلام عَلَماً بينه وبين خلقه ، فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالاً ، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ، ومن جاء بولايته دخل الجنّة »[1].

والخير كلّ الخير في الإخلاص ، والنجاة كلّ النجاة يكون بالخلوص ، والثمر في العمل يكون للمخلصين ، فلاحظ أحاديث باب الإخلاص مثل :

١ ـ حديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : « من أخلص لله أربعين يوماً فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »[2].

٢ ـ حديث الإمام الرضا عليه‌السلام : « إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول : طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أُذناه ، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره »[3].

---

(١) الكافي : ج١ ص٤٣٧ ح٧ .

(٢) سفينة البحار : ج٢ ص٦٦٨ .

(٣) الكافي : ج٢ ص١٦ ح٣ و٥ و٦ .

وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللّٰهِ وَنَهْيِهِ(١)

(١) ـ المظهرين جمع المُظِهر ، اسم فاعل من الظهور : بمعنى وضوح الشيء ، وبروزه ، وتبيّنه .

يقال : ظهر الشيء : إذا بان وبرز بعد الخفاء .

وأهل البيت النبوي هم خزنة علم الله وورثة علم الرسول ، فكانوا هم العالمون بأوامر الله ونواهيه ، والمظهرون لأمر الله ونهيه كما تلاحظه في حديث خطبة الإمام الصادق عليه السلام في شأن الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين جاء فيه : « آتاه علمه ، وأنبأه فصل بيانه ... وانتدبه لعظيم أمره وأحيا به مناهج سبيله ، وفرائضه وحدوده »(١).

وهم العين الصافية، والمعدن الفيّاض بالأحكام الشرعية والمعالم الربّانية ، وجميع الموضوعات المأمورة والمنهيّة كما تلاحظه في حديث عبدالعزيز بن مسلم عن الإمام الرضا عليه السلام : « بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف ، الإمام يحلّ حلال الله ، ويحرّم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذبّ عن دين الله »(٢).

وبالعيان والوجدان نجد ما ظهر من بياناتهم الشريفة في أحاديثهم المنيفة ، المبيّنة لحلال الله وحرامه ، وأوامره ونواهيه ، وسننه وأحكامه ، ممّا حُرّرت في كتب أصحابهم ورواتهم حتّى أنّه جمعت أحاديثهم الشريفة في الكتب الكثيرة فبلغت (٦٦٠٠) كتاباً كما أفاده المحدّث الحرّ العاملي(٣).

منها أربعمائة كتاب لأربعمائة مصنّف ، سمّيت بالأصول الأربعمائة فصّلنا بيانها ←

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٣ ح٢ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ح١ .

(٣) وسائل الشيعة : ج٢٠ ص٤٩ .

. . . .

في محلّه[١]. وقد أخذ منها محدّثونا الكبار الكتب الشريفة الجوامع :

١ / الكافي ويشتمل على (١٦١٩٩) حديثاً .

٢ / الفقيه ويشتمل على (٥٩٦٣) حديثاً .

٣ / مدينة العلم وهو أكثر من أحاديث الفقيه .

٤ / التهذيب ويشتمل على (١٣٥٩٠) حديثاً .

٥ / الاستبصار ويشتمل على (٥٥١١) حديثاً .

وقد بلغ كبار أصحابهم عليهم السلام في الحديث أن كان لجابر الجعفي (٧٠٠٠٠) حديثاً ولأبان بن تغلب (٣٠٠٠٠) حديثاً ، ولكثير منهم كثيراً منها .

---

(١) الفوائد الرجالية : ص٢٨ الفائدة الثالثة .

وَعِبادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(١) وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاٰتُهُ .

---

(١) ـ عباده : أُضيفت العبودية إلى الضمير العائد إلى الله تعالى في قوله عباده لمزيد الاختصاص والتشريف .

والمكرمين : بالتخفيف وفي نسخة بالتشديد أي الذين أكرمهم الله تعالى بالعصمة والطهارة والمعرفة .

الذين لا يسبقونه بالقول : أي لا يقولون بقول إلّا بأمر الله تعالى ، بل كلامهم كلام الله العزيز كجدّهم الرسول الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى .

وهم بأمره يعملون : أي في جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .

وقد أبانت هذه الفقرة الصفات الكريمة في أهل البيت عليهم السلام من حيث شرافتهم بالعبادة ، ثمّ كرامتهم عند الله ، ثمّ أدبهم أمام الله ، ثمّ إطاعتهم لله تعالى .

وقد فسّر بهم قوله تعالى : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾(١).

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه أومأ بيده إلى صدره وقال : «﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ »(٢).

وجميع ما فعلوه وهم أهل بيت العصمة كان بعهد من الله تعالى .

وقد عقد ثقة الإسلام الكليني في الكافي باباً في أنّ الأئمّة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلّا بعهد من الله عزّوجلّ وأمر منه لا يتجاوزونه(٣).

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) تفسير البرهان : ج٢ ص٦٨٦ ، كنز الدقائق : ج٨ ص٤٠٤ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٨١ الأحاديث خصوصاً الحديث ٤ .

الفصل الخامس

السَّلامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ[1]

(١) ـ جاء في هذا التسليم الخامس والأخير من هذه الزيارة المباركة السلام على أهل البيت عليهم السلام بأوصافهم الجليلة الفائقة، ومقاماتهم الربّانية الرائعة بأنّهم : الأئمّة الدُعاة ...

والأئمّة جمع إمام مثل أكسية جمع كساء، والإمام هو المقتدىٰ الذي يأتمّ به الناس، فيتّبعونه ويأتمّون به ويأخذون عنه؛ وهو ذلك المقام الشامخ للحجّة الذي لا يكون إلّا بجعل من الله تعالى كما قال عزّ إسمه : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[1].

وقال أيضاً : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام : « سُمّي الإمام إماماً لأنّه قدوة للناس، منصوب من قبل الله تعالى ذكره، مفترض الطاعة على العباد »[3].

والأئمّة هم المحور للصفات الجليلة والمزايا النبيلة، من ذلك كونهم : الدعاة إلى الله تعالى .

والدعاة : جمع داعي مثل قضاة وقاضي، مأخوذ من الدعوة بمعنى الطلب (فراخواندن) بمعنى الدعوة إلى الله تعالى، وإلى معرفته وطاعته، وإلى تقواه وجنّته، ←

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٤ . (٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .

(٣) معاني الأخبار : ص٦٤ ح١٧ .

. . . .

وإلى هداه وعبادته .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم الأئمّة الحقّ الذين يدعون إلى الله تعالى بالدعوة الحسنى ، كما مرّ بيانه مفصّلاً في الفقرة الشريفة « السلام على الدعاة إلى الله » مع الإستدلال له بالكتاب والسنّة فلاحظ .

ويكفينا دليلاً على عظيم شأن الإمام والإمامة ـ مضافاً إلى ما مرّ من الأدلّة ـ حديث طارق بن شهاب المروي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو حديث جامع بليغ ، نذكره لعظيم نفعه وفائدته وهذا نصّه :

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « ياطارق الإمام كلمة الله ، وحجّة الله ، ووجه الله ، ونور الله ، وحجاب الله ، وآية الله ، يختاره الله ، ويجعل فيه ما يشاء ، ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه .

فهو وليّه في سماواته وأرضه ، أخذ له بذلك العهد على جميع عباده ، فمن تقدّم عليه كفر بالله من فوق عرشه ، فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء .

ويكتب على عضده : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾[١] فهو الصدق والعدل .

وينصب له عمود من نور من الأرض إلى السماء ، يرى فيه أعمال العباد ، ويلبس الهيبة وعلم الضمير ، ويطّلع على الغيب ، ويرى ما بين المشرق والمغرب فلا يخفى عليه شيء من عالم الملك والملكوت ، ويعطى منطق الطير عند ولايته .

فهذا الذي يختاره الله لوحيه ، ويرتضيه لغيبه ، ويؤيّده بكلمته ، ويلقّنه حكمته ويجعل قلبه مكان مشيّته ، وينادي له بالسلطنة ، ويذعن له بالإمرة[٢] ويحكم له بالطاعة .

وذلك لأنّ الإمامة ميراث الأنبياء ، ومنزلة الأصفياء ، وخلافة الله ، وخلافة رسل

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١١٥ .

(٢) الإمرة بالكسر : الإمارة والولاية .

. . . .

⊃ الله ، فهي عصمة وولاية وسلطنة وهداية ، وإنّه تمام الدين ورجح الموازين .

الإمام دليل للقاصدين ، ومنار للمهتدين ، وسبيل السالكين ، وشمس مشرقة في قلوب العارفين ، ولايته سبب للنجاة ، وطاعته مفترضة في الحياة ، وعدّة[١] بعد الممات ، وعزّ المؤمنين ، وشفاعة المذنبين ، ونجاة المحبّين ، وفوز التابعين ، لأنّها رأس الإسلام ، وكمال الإيمان ، ومعرفة الحدود والأحكام ، وتبيين الحلال[٢] من الحرام ، فهي مرتبة لا ينالها إلّا من اختاره الله وقدّمه وولّاه وحكّمه .

فالولاية هي حفظ الثغور ، وتدبير الأُمور ، وتعديد الأيّام والشهور[٣].

الإمام الماء العذب على الظمأ ، والدالّ على الهدى ، الإمام المطهّر من الذنوب ، المطّلع على الغيوب ، الإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار ، فلا تناله الأيدي والأبصار .

وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] والمؤمنون علي وعترته ، فالعزّة للنبي وللعترة ، والنبي والعترة لا يفترقان في العزّة إلى آخر الدهر .

فهم رأس دائرة الإيمان ، وقطب الوجود ، وسماء الجود ، وشرف الموجود وضوء شمس الشرف ونور قمره ، وأصل العزّ والمجد ومبدؤه ومعناه ومبناه ، فالإمام هو السراج الوهّاج ، والسبيل والمنهاج ، والماء الثجّاج ، والبحر العجّاج والبدر المشرق ، والغدير المغدق ، والمنهج الواضح المسالك ، والدليل إذا عمّت ⊂

---

(١) العدّة : ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح .

(٢) في نسخة : وسنن الحلال .

(٣) في نسخة : [وهي بعدد الأيّام والشهور] ولعلّه مصحّف : وهي بعدد الشهور كما في حاشية البحار .

(٤) سورة المنافقون : (الآية ٨) .

. . . .

➲ المهالك ، والسحاب الهاطل ، والغيث الهامل[١] والبدر الكامل ، والدليل الفاضل والسماء الظليلة ، والنعمة الجليلة ، والبحر الذي لا ينزف ، والشرف الذي لا يوصف والعين الغزيرة ، والروضة المطيرة ، والزهر الأريج ، والبدر البهيج[٢] والنيّر اللائح ، والطيب الفائح ، والعمل الصالح ، والمتجر الرابح ، والمنهج الواضح ، والطيّب الرفيق[٣] والأب الشفيق ، مفزع العباد في الدواهي[٤]، والحاكم والآمر والناهي .

مهيمن[٥] الله على الخلائق ، وأمينه على الحقائق ، حجّة الله على عباده ومحجّته في أرضه وبلاده ، مطهّر من الذنوب ، مبرّأ من العيوب ، مطّلع على الغيوب، ظاهره أمر لا يملك ، وباطنه غيب لا يدرك ، واحد دهره ، وخليفة الله في نهيه وأمره.

لا يوجد له مثيل ولا يقوم له بديل .

فمن ذا ينال معرفتنا ، أو يعرف درجتنا ، أو يشهد كرامتنا أو يدرك منزلتنا ؟

حارت[٦] الألباب والعقول ، وتاهت الأفهام فيما أقول .

تصاغرت العظماء ، وتقاصرت العلماء ، وكلّت الشعراء ، وخرست البلغاء ولكنت الخطباء ، وعجزت الفصحاء ، وتواضعت الأرض والسماء عن وصف شأن الأولياء .

وهل يُعرف أو يوصف أو يعلم أو يفهم أو يدرك أو يملك من هو شعاع جلال ➲

---

(١) الوهّاج : شديد الاتّقاد . والثجّاج : سيّال شديد الانصباب . والعجاج : الصياح . والمغدق : من غدق عين الماء ، غزرت وعذبت ، ويقال : هطل المطر أي نزل متتابعاً متفرّقاً . عظيم القطر . ويقال : هملت عينه أي فاضت دموعاً . والسماء : دام مطرها في سكون .

(٢) البهيج : الحسن .

(٣) لعلّه مصحّف والطبيب الرفيق .

(٤) الدواهي : المصائب والنوائب والشدائد .

(٥) المهيمن : بمعنى المؤتمن والشاهد ، والقائم على الخلق بأعمالهم وأرزاقهم .

(٦) حار : وتحيّر وتاه : تحيّر وضلّ .

. . . .

⊃ الكبرياء ، وشرف الأرض والسماء ؟

جلّ مقام آل محمّد ﷺ عن وصف الواصفين ، ونعت الناعتين ، وأن يقاس بهم أحد من العالمين ، كيف وهم الكلمة العلياء ، والتسمية البيضاء ، والوحدانية الكبرى، التي أعرض عنها من أدبر وتولّى ، وحجاب الله الأعظم الأعلى.

فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول من هذا ؟ ومن ذا عرف أو وصف من وصفت ؟

ظنّوا أنّ ذلك في غير آل محمّد ، كذبوا وزلّت أقدامهم ، اتّخذوا العجل ربّاً ، والشياطين حزباً ، كلّ ذلك بغضة لبيت الصفوة ودار العصمة ، وحسداً لمعدن الرسالة والحكمة ، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم ، فتبّاً لهم وسحقاً[١]، كيف اختاروا إماماً جاهلاً عابداً للأصنام ، جباناً يوم الزحام ؟

والإمام يجب أن يكون عالماً لا يجهل ، وشجاعاً لا ينكل ، لا يعلو عليه حسب، ولا يدانيه نسب ، فهو في الذروة من قريش ، والشرف من هاشم ، والبقيّة من إبراهيم ، والنهج من النبع الكريم ، والنفس من الرسول ، والرضى من الله ، والقول عن الله .

فهو شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، عالم بالسياسة ، قائم بالرياسة ، مفترض الطاعة إلى يوم الساعة ، أودع الله قلبه سرّه ، وأطلق به لسانه ، فهو معصوم موفّق ليس بجبان ولا جاهل ، فتركوه ياطارق واتّبعوا أهواءهم ﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾ ؟

والإمام ياطارق بشر ملكيّ ، وجسد سماويّ ، وأمر إلهي ، وروح قدسي ، ومقام عليّ ، ونور جليّ ، وسرّ خفي .

فهو ملك الذات ، إلهيّ الصفات ، زائد الحسنات ، عالم بالمغيبات ، خصّاً من ربّ ⊂

---

(١) تبّاً له أي ألزمه الله خسراناً وهلاكاً .

. . . .

العالمين ، ونصّاً من الصادق الأمين .

وهذا كلّه لآل محمّد ، لا يشاركهم فيه مشارك ، لأنّهم معدن التنزيل ، ومعنى التأويل ، وخاصّة الربّ الجليل ، ومهبط الأمين جبرئيل ، صفوة الله وسرّه وكلمته ، شجرة النبوّة ، ومعدن الصفوة ، عين المقالة ، ومنتهى الدلالة ، ومحكم الرسالة ، ونور الجلالة ، جنب الله ووديعته ، وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته ، ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته ، السبيل إلى الله والسلسبيل ، والقسطاس المستقيم ، والمنهاج القويم والذكر الحكيم ، والوجه الكريم ، والنور القديم ، أهل التشريف والتقويم والتقديم والتعظيم والتفضيل ، خلفاء النبي الكريم ، وأبناء الرؤوف الرحيم[١] وأُمناء العلي العظيم ، ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم .

السنام الأعظم ، والطريق الأقوم ، من عرفهم وأخذ عنهم فهو منهم ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[٢].

خلقهم الله من نور عظمته ، وولّاهم أمر مملكته ، فهم سرّ الله المخزون وأولياؤه المقرّبون ، وأمره بين الكاف والنون[٣]، إلى الله يدعون ، وعنه يقولون وبأمره يعملون .

علم الأنبياء في علمهم ، وسرّ الأوصياء في سرّهم ، وعزّ الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر ، والذرّة في القفر .

والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ، ويعلم برّها من فاجرها ، ورطبها ويابسها ، لأنّ الله علّم نبيّه علم ما كان وما يكون،

---

(١) المراد به النبي الأكرم ﷺ الذي وصف بذلك في قوله تعالى : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٦ .

(٣) زاد في المصدر : لا بل هم الكاف والنون .

. . . .

﴿ ووَرِثَ ذلك السرّ المصون الأوصياء المنتجبون ، ومن أنكر ذلك فهو شقي ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون .

وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض؟

وإنّ الكلمة من آل محمّد تنصرف إلى سبعين وجهاً .

وكلّ ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي ، لأنّه جنب الله ، ووجه الله ، يعني حقّ الله ، وعلم الله ، وعين الله ، ويد الله ، فهم الجنب العلي ، والوجه الرضي ، والمنهل الرويّ والصراط السوي والوسيلة إلى الله ، والوصلة إلى عفوه ورضاه .

سرّ الواحد والأحد ، فلا يقاس بهم من الخلق أحد ، فهم خاصّة الله وخالصته ، وسرّ الديّان وكلمته ، وباب الإيمان وكعبته ، وحجّة الله ومحجّته وأعلام الهدى ورايته ، وفضل الله ورحمته ، وعين اليقين وحقيقته ، وصراط الحقّ وعصمته ، ومبدأ الوجود وغايته ، وقدرة الربّ ومشيّته ، وأمّ الكتاب وخاتمته ، وفصل الخطاب ودلالته ، وخزنة الوحي وحفظته ، وآية الذكر وتراجمته ، ومعدن التنزيل ونهايته .

فهم الكواكب العُلوية ، والأنوار العَلَوية ، المشرقة من شمس العصمة الفاطميه ، في سماء العظمة المحمّدية ، والأغصان النبوية النابتة في الدوحة الأحمدية ، والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية ، والذرّية الزكية ، والعترة الهاشمية ، الهادية المهدية ، أُولئك هم خير البريّة .

فهم الأئمّة الطاهرون ، والعترة المعصومون ، والذرّية الأكرمون ، والخلفاء الراشدون ، والكبراء الصدّيقون ، والأوصياء المنتجبون ، والأسباط المرضيّون والهداة المهديّون ، والغرّ الميامين من آل طه وياسين ، وحجج الله على الأوّلين والآخرين .

إسمهم مكتوب على الأحجار ، وعلى أوراق الأشجار ، وعلى أجنحة الأطيار، ﴾

. . . .

➲ وعلى أبواب الجنّة والنار ، وعلى العرش والأفلاك ، وعلى أجنحة الأملاك وعلى حجب الجلال ، وسرادقات العزّ والجمال ، وبـإسمهم تسـبّح الأطـيار ، وتسـتغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار .

وإنّ الله لم يخلق أحداً إلّا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية والولاية للذرّية الزكية والبراءة من أعدائهم .

وإنّ العرش لم يستقرّ حتّى كتب عليه بالنور : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي ولي الله »[1].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٦٩ ب٤ ح٣٨ ، عن مشارق الأنوار : ص١١٤ ـ ١١٨ .

وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ(١)

(١) ـ القادة : جمع قائد ، وهو الأمير والرئيس ومن يقود ، يقال : (قوّاد أهل الجنّة) بمعنى الذين يسبقونهم ويقودونهم ويجرّونهم إلى الجنّة(١).

والهداة : جمع هادي ، فاعل الهداية ، وهي الدلالة والبيان والإرشاد .

وآل الرسول سلام الله عليهم هم القادة الهداة الذين يقودون شيعتهم إلى روضات الجنّات ، وأعلى الدرجات ، ويهدونهم إلى صراط الله ، وطريق النجاة .

وقد قال الله تعالى فيهم : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٢) كما تلاحظ تفسيرها بالأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين في أحاديث البرهان(٣).

وهم المعنيّون بقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٤) كما تلاحظه في حديث عبدالرحيم القصير(٥).

وتدلّ عليه الأحاديث المتظافرة ، من ذلك :

حديث الإمام الباقر عليه‌السلام أنّه قال : « آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله أبواب الله وسبيله ، والدعاة إلى الجنّة ، والقادة إليها ، والأدلّاء عليها إلى يوم القيامة »(٦).

---

(١) لاحظ مجمع البحرين : ص٢٢٤ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .

(٣) تفسير البرهان : ج٢ ص٦٩٤ ، تفسير كنز الدقائق : ج٨ ص٤٤١ .

(٤) سورة الرعد : الآية ٧ .   (٥) الكافي : ج١ ص١٩٢ ح٤ .

(٦) بحار الأنوار : ج٢ ص١٠٤ ب١٤ ح٦٠ .

وَالسّادَةِ الْوُلاٰةِ(١)

(١) ـ السادة : جمع السيّد ، مأخوذ من ساد يسود سيادةً ، والاسم : السؤدد يعني المجد الشرف .

والسيّد في اللغة هو الرئيس ، الكبير في قومه ، المطاع في عشيرته ، ويطلق على الذي يفوق في الخير ، والمالك ، والشريف ، والفاضل ، والكريم ، والحليم ، والمتحمّل أذى قومه ، والمقدّم .

من ذلك حديث النبي صلى الله عليه وآله : « أنا سيّد ولد آدم ولا فخر » .

وفي حديث الحسنين عليهما السلام : « أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة »(١).

وأهل البيت عليهم السلام حائزون هذه السيادة المثلى على جميع أهل الدنيا ، كما يدلّ عليه :

حديث الإمام الرضا عليه السلام : « نحن سادة في الدنيا ، وملوك في الآخرة »(٢).

والولاة : جمع الوالي ، وهو الأولى بالتصرّف ، والأحقّ ، والذي يلي التدبير كما هو معناه الشائع الحقيقي المعهود ، وتظافر نقله في أصل اللغة .

وأهل البيت عليهم السلام الذين هم السادة بجميع معنى الكلمة هم أولياء الله ، والولاة من قِبَلِه ، والأولى بالخلق من أنفسهم بنصّ الكتاب الأعظم ، وتنصيص الرسول الأكرم في آيات عديدة ، وأحاديث متواترة ، متّفق عليها بين الفريقين ، ذكرنا تفصيل الإستدلال بها من الأدلّة الأربعة في مبحث الإمامة(٣).

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

---

(١) مجمع البحرين : مادّة سَيَد ص٢١٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٦٢ ح٤٤ .

(٣) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٢٩١ .

. . . .

﴿ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

ونَصَّ الرسول الأكرم ﷺ في حديث الغدير الشريف بقوله : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » .

وأهل البيت عليهم السلام لهم ـ بإذن الله تعالى ـ الولاية الإلهية المطلقة على جميع الكائنات ، من الذروة إلى الذرّة ، تكوينية وتشريعية بالبيان التالي :

أمّا الولاية التشريعية فهي الولاية الإلهية الثابتة لهم في عالم التشريع ، وأولويتهم بالناس من أنفسهم في كلّ شيء ، ومنصبهم الشرعي في التصدّي لجميع الأُمور الشرعية .

وهي التي أشرنا إليها آنفاً ، الثابتة بالأدلّة الأربعة .

وأمّا الولاية التكوينية فهي السلطنة الثابتة لهم عليهم السلام ـ بإذن الله وحوله وقوّته ـ على جميع الموجودات ، فجميعها تابعة وخاضعة ومسخّرة لهم عليهم السلام ، فيتصرّفون في عالم الكون تصرّفاً تكوينياً وهذه الولاية هي التي تراها في معاجزهم الثابتة بالأدلّة المتواترة والتي هي من مظاهر ولايتهم التكوينية .

وقد دلّ على هذه الولاية في أهل البيت عليهم السلام الدليل العلمي المتواتر مثل :

١ ـ حديث يونس الذي يبيّن الطاعة العملية الكونية لهم عليهم السلام ، عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : « اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجّة ، فقالوا للنبي ﷺ : ما من نبي إلّا وله آية ، فما آيتك في ليلتك هذه ؟

فقال النبي ﷺ : ما الذي تريدون ؟

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

. . . .

➲ فقالوا : إن يكن لك عند ربّك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين .

فهبط جبرئيل فقال : يامحمّد إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك : إنّي قد أمرت كلّ شيء بطاعتك .

فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين ، فانقطع قطعتين ، فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله وسجد شيعتنا ، ثمّ رفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه ورفعوا رؤوسهم .

فقالوا : تعيده كما كان . فعاد كما كان .

ثمّ قالوا : ينشقّ رأسه فأمره فانشقّ ، فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله وسجد شيعتنا »[١].

٢ ـ حديث هشام ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[٢] ما ذلك الملك العظيم ؟

قال : « فرض الطاعة ومن ذلك طاعة جهنّم لهم يوم القيامة ياهشام »[٣].

٣ ـ حديث سلمان وأبي ذرّ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : ... ياسلمان وياجندب .

قالا : لبّيك ياأمير المؤمنين صلوات الله عليك .

قال عليه السلام : « أنا أحيي وأميت بإذن ربّي ، وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم بإذن ربّي ، وأنا عالم بضمائر قلوبكم ، والأئمّة من أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنّا كلّنا واحد ، أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وكلّنا محمّد فلا تفرّقوا بيننا ، ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله . ➲

---

(١) كنز الدقائق : ج١٢ ص٥٢٩ . (٢) سورة النساء : الآية ٥٤ .

(٣) بصائر الدرجات : ص٣٥ ب١٧ ح١ .

. . . .

⊃ الويل كلّ الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيّتنا وما أعطانا الله ربّنا ، لأنّ من أنكر شيئاً ممّا أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّوجلّ ومشيّته فينا » .

ياسلمان وياجندب ، قالا : لبّيك ياأمير المؤمنين صلوات الله عليك .

قال عليه السلام : « لقد أعطانا الله ربّنا ما هو أجلّ وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كلّه » .

قلنا : ياأمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظم وأجلّ من هذا كلّه ؟

قال : « قد أعطانا ربّنا عزّوجلّ علمنا للإسم الأعظم ، الذي لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنّة والنار ، ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ، ونغرّب ونشرّق ونتهي به إلى العرش فنجلس[1] عليه بين يدي الله عزّوجلّ ، ويطيعنا كلّ شيء حتّى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنّة والنار ، أعطانا الله ذلك كلّه بالاسم الأعظم الذي علّمنا وخصّنا به ، ومع هذا كلّه نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ، ونعمل هذه الأشياء بأمر ربّنا ونحن عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

وجعلنا معصومين مطهّرين وفضّلنا على كثير من عباده المؤمنين ، فنحن نقول : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله وحقّت كلمة العذاب على الكافرين ، أعني الجاحدين بكلّ ما أعطانا الله من الفضل والإحسان ، ياسلمان وياجندب فهذا معرفتي بالنورانية فتمسّك بها راشداً فإنّه لا يبلغ أحد من شيعتنا حدّ الإستبصار حتّى يعرفني بالنورانية ، فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم ، وارتقى درجة من الفضل ، واطّلع على سرّ من سرّ الله ، ⊂

(١) في الهامش : هذا كناية عن شدّة قربهم وعظم منزلتهم عند الله ، أو كناية عن إحاطتهم العلمية بأمور السماوات والأرضين بإفاضة الله تعالى إيّاهم ، أو قدرتهم عليها واطاعتها لهم عليهم السلام .

. . . .

ومكنون خزائنه »[١].

٤ ـ حديث جابر ، عن الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال : « ... اخترَعَنا من نور ذاته وفوّض إلينا أُمور عباده ، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ، ونحن إذا شئنا شاء الله ، وإذا أردنا أراد الله ونحن أحلّنا الله عزّوجلّ هذا المحلّ ، واصطفانا من بين عباده ، وجعلنا حجّته في بلاده .

فمن أنكر شيئاً وردّه فقد ردّ على الله جلّ إسمه وكفر بآياته وأنبيائه ورسله ياجابر من عرف الله تعالى بهذه الصفة فقد أثبت التوحيد »[٢].

٥ ـ حديث زرارة ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يحدّث عن آبائه عليهم السلام أنّ مريضاً شديد الحمّى عاده الحسين عليه السلام فلمّا دخل باب الدار طارت الحمّى عن الرجل ، فقال له : رضيت بما أُوتيتم به حقّاً حقّاً ، والحمّى تهرب عنكم .

فقال له الحسين عليه السلام : « والله ما خلق الله شيئاً إلّا وقد أمره بالطاعة لنا » ... الحديث[٣].

٦ ـ حديث ابن فضّال ، عن الإمام الصادق عليه السلام في وفد خراسان جاء فيه : « سبحان الذي سخّر للإمام كلّ شيء ، وجعل له مقاليد السماوات والأرض لينوب عن الله في خلقه ويقيم فيهم حدوده ، كما تقدّم إليه ليثبت حجّة الله على خلقه ، فإنّ الإمام حجّة الله تعالى في خلقه »[٤].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٦ ـ ٧ ب١ ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٤ ب١ ح٢ .

(٣) بحار الأنوار : ج٤٤ ص١٨٣ ب٢٥ ح٨ .

(٤) الثاقب في المناقب : ص٤١٨ ح٢ .

• •

---

٧ ـ حديث سليمان بن خالد المتقدّم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: « ما من شيء ولا من آدمي، ولا إنسي ولا جنّي، ولا ملك في السماوات إلّا ونحن الحجج عليهم، وما خلق الله خلقاً إلّا وقد عرض ولايتنا عليه، واحتجّ بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر جاحد حتّى السماوات والأرض والجبال ... »(١).

٨ ـ حديث محمّد بن سنان، عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال له : « يامحمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيته ثمّ خلق محمّداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أُمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى .

ثمّ قال : يامحمّد هذه الديانة التي من تقدّمها مَرَق ومن تخلّف عنها محق ومن لزمها لحق، خذها إليك يامحمّد »(٢).

٩ ـ حديث الثمالي، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « أوحى الله تعالى إلى محمّد صلى الله عليه وآله إنّي خلقتك ولم تك شيئاً، ونفخت فيك من روحي كرامة منّي أكرمتك بها حين أوجبت لك الطاعة على خلقي جميعاً، فمن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني، وأوجبت ذاك في علي وفي نسله ممّن اختصصته منهم لنفسي »(٣).

١٠ ـ حديث يونس، عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام قلت : جعلت فداك إنّي أُريد أن أزوره فكيف أقول وكيف أصنع ؟

• •

---

(١) مستطرفات السرائر : ج٣ ص٥٧٥ .

(٢) الكافي : ج١ ص٤٤١ ح٥ .
(٣) الكافي : ج١ ص٤٤٠ ح٤ .

. . . .

⮌ قال : إذا أتيت أبا عبدالله عليه السلام فاغتسل على شاطيء الفرات ، ثمّ البس ثيابك الطاهرة، ثمّ امش حافياً فإنّك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والتعظيم لله عزّوجلّ كثيراً ، والصلاة على محمّد وأهل بيته ، حتّى تصير إلى باب الحير ، ثمّ تقول :

السلام عليك ياحجّة الله وابن حجّته ... من أراد الله بدأ بكم ، بكم يبيّن الله الكذب وبكم يباعد الزمان الكَلِب ، وبكم فتح الله ، وبكم يختم الله ، وبكم يمحو الله ما يشاء وبكم يثبت ، وبكم يفكّ الذلّ من رقابنا ، وبكم يدرك الله ترة كلّ مؤمن يطلب بها وبكم تنبت الأرض أشجارها ، وبكم تخرج الأشجار أثمارها ، وبكم تنزّل السماء قطرها ورزقها ، وبكم يكشف الله الكرب ، وبكم ينزّل الله الغيث ، وبكم تسيخ الأرض(١) التي تحمل أبدانكم ، وتستقرّ جبالها عن مراسيها .

إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم ، والصادر عمّا فصل من أحكام العباد »(٢).

---

(١) « وبكم تسيخ » ـ بالسين المهملة والياء المثنّاة التحتانية والخاء المعجمة ـ أي تستقرّ وتثبت الأرض بكم لكونها حاملة لأبدانكم الشريفة أحياءً وأمواتاً ، وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة والهاء المهملة يعني تسبّح فيمكن أن يقرأ على بناء المفعول أي تُقدّس وتُنزّه وتُذكر بالخير بيوتكم وضرائحكم ومواضع آثاركم ، كما في مرآة العقول .

(٢) الكافي : ج٤ ص٥٧٦ ـ ٥٧٧ ح٢ .

وَالذّادَةِ الْحُماةِ[١]

(١) ـ الذادة : جمع الذائد مأخوذ من الذّود وهو دفع الضرر والضارّ ، مثل الذبّ بمعنى المنع والدفع ، أي الذين يدفعون عن دين الله تعالى ، ويُبَعّدون الناس عمّا يهلكهم ويردّون كيد الكائدين كما في حديث ابن وهب[١].

وفي الحديث الجامع لصفات الإمام عليه السلام « يَذُبّ عن دين الله » و «الذابّ عن حُرَمِ الله »[٢].

وصرّح بها حديث جابر : « نحن الكفاة والولاة والحماة »[٣].

والحماة : جمع الحامي من الحماية ، يقال : حمى الطبيبُ المريضَ أي منعه وجنّبه عمّا يضرّه ، وحمى الضعيف أي ساعَدَه. وأهل البيت سلام الله عليهم يحمون شيعتهم عن المذاهب الفاسدة ، والمهالك الكبيرة في الدنيا والآخرة ، بعناياتهم وبركاتهم وشفاعتهم .

وقد وردت بذلك الأخبار المتواترة ، والأدلّة المتظافرة وعرفه الوجدان ، وأقرّ به كلّ ذي إيمان كما تلاحظه في أحاديث الاستشفاع[٤] وأحاديث الشفاعة[٥].

وتلاحظ لطفهم عليهم السلام في عدم إهمال ذكرنا ومراعاتنا في توقيع الناحية المقدّسة للشيخ المفيد قدس سره. جاء في التوقيع الأوّل : « إنّا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء » .

وجاء في التوقيع الثاني : « لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء ، فليطمئن بذلك من أولياءنا القلوب ، وليثقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب ، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب »[٦].

(١) الكافي : ج١ ص٥٤ ح٥ .
(٢) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ح١ .
(٣) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٢٢ ب١ ح٣٨ .
(٤) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣١٩ ب٧ الأحاديث .
(٥) بحار الأنوار : ج٨ ص٢٩ ب٢١ ح٤٢ و٣١ و٥٩ .
(٦) الاحتجاج : ج٢ ص٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

وَاَهْلِ الذِّكْرِ (١)

(١) ـ إشارة إلى أنّ أهل بيت العصمة سلام الله عليهم هم أهل الذكر الذين أمر الله تعالى بمسألتهم في القرآن الكريم حيث قال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

كما ورد تفسيره بهم في الأخبار المتواترة (٢١) حديثاً من طرق الخاصّة ، و (٢٣) حديثاً من طرق العامّة(٢).

والذّكر في اللغة هو المذكّر .

وهو إمّا عبارة عن القرآن الكريم الذي لا يزال يُذكَر ويُذَكّرُ به بدليل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(٣).

وأمّا عبارة عن الرسول الأكرم ﷺ الذي هو أعظم مذكّر بالله إلى يوم القيامة ، بدليل قوله عزّ إسمه : ﴿قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَّسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ﴾(٤).

وبكلا المعنيين يكون المعصومون أهل الذكر ، إذ هم أهل بيت الوحي القرآني ، وأهل البيت النبوي ، كما تلاحظه في أحاديثه الوافرة(٥) من ذلك :

١ ـ حديث محمّد بن مسلم ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « إنّ من عندنا يزعمون أنّ قول الله عزّوجلّ : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنّهم اليهود والنصارى .

قال : إذاً يدعونكم إلى دينهم ، قال : ـ قال بيده إلى صدره ـ : نحن أهل الذكر ⇐

---

(١) سورة النحل : الآية ٤٣ .
(٢) غاية المرام : ص ٢٤٠ .
(٣) سورة الزخرف : الآية ٤٤ .
(٤) سورة الطلاق : الآية ١٠ ـ ١١ .
(٥) الكافي : ج ١ ص ٢١٠ الأحاديث التسعة ، وبحار الأنوار : ج ٢٣ ص ١٧٣ ب ٩ ٦٥ حديثاً .

. . . .

➲ ونحن المسؤولون »[١].

٢ ـ حديث الفضل ، عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ .

قال : « الذكر القرآن ونحن قومه ونحن المسؤولون »[٢].

٣ ـ حديث عبدالله بن عجلان ، عن الإمام الباقر عليه السلام : في قول الله عزّوجلّ : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الذكر أنا ، والأئمّة أهل الذكر »[٣].

---

(١) الكافي : ج١ ص٢١١ ح٧ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢١١ ح٥ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢١٠ ح١ .

وَأُولِي الأَمْرِ [١]

(١) ـ تقدّم أنّ أولي جمع لا واحد له من لفظه ، ويستعمل ذو مكان مفرده ، وأولو بمعنى أصحاب.

وأُولو الأمر أي الذين هم أولياء الأمر وولاة التدبير .

والأمر تقدّم معناه في فقرة « والمستقرّين في أمر الله » .

وهذا إشارة إلى أنّ أهل البيت سلام الله عليهم هم الذين أمر الله بإطاعتهم في قوله عزّ إسمه : ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[١].

وقد وردت الأخبار المتواترة أيضاً من طرق الفريقين بتفسيرها بـالآل الكـرام صلوات الله عليهم (١٤) حديثاً من الخاصّة ، و (١١) حديثاً من العامّة[٢].

فمن الخاصّة مثل حديث الشيخ الصدوق باسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال : سألت النبي صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ عرفنا الله ورسوله فمن أُولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟

قال صلى الله عليه وآله : « هم خلفائي ياجابر وأئمّة المسلمين من بعدي أوّلهم علي بن أبي طالب ، ثمّ الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ علي بن الحسين ، ثمّ محمّد بن علي المعروف في التوراة بالباقر ستدركه ياجابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام ، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد ، ثمّ موسى بن جعفر ، ثمّ علي بن موسى ، ثمّ محمّد بن علي ، ثمّ علي بن محمّد ، ثمّ الحسن بن علي ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن علي ، ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها ... »[٣].

ومن العامّة مثل حديث الحاكم الحسكاني بسنده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٢) غاية المرام : ص٢٦٣ ، إحقاق الحقّ : ج٣ ص٤٢٤ ، وج١٤ ص٣٤٨ .

(٣) غاية المرام : ص٢٦٧ ح١٠ .

. . . .

« شركائي الذين قرنهم الله بنفسه وبي وأنزل فيهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الآية ، فإن خفتم تنازعاً في أمر فأرجعوه إلى الله والرسول وأولي الأمر .

قلت : يانبي الله مَن هم ؟

قال : أنت أوّلهم »[١].

فهم أصحاب ولاية الأمر المقترنة ولايتهم مع ولاية الله والرسول ، بل إنحصرت بهم الولاية العظمى في قوله عزّ إسمه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢].

فقد فسّرت بأهل البيت عليهم السلام من طرق الخاصّة في (١٩) حديثاً ومن طرق العامّة في (٢٤) حديثاً[٣]، واعترف به العامّة في (٦٦) كتاباً من مصادرهم[٤]، وقد فصّلنا بيان الإستدلال به في كتاب العقائد[٥].

(١) إحقاق الحقّ : ج١٣ ص٣٤٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

(٣) غاية المرام : ص١٠٣ .

(٤) الغدير : ج٣ ص١٥٦ .

(٥) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٢٩١ .

وَبَقِيَّةِ اللّهِ(١)

(١) ـ بقيّة : جمعها بقايا وبقيّات مثل عطيّة التي جمعها عطايا وعطيّات ، هي ما يُبقى ويدّخر ، وهي تكون طبعاً ممّا هي نفيسة في ذاتها وينتفع بها في بقائها .

وبقيّة الله هم من أبقاهم الله رحمة لعباده ، وحججاً على خلقه .

وهي إشارة إلى الآية المباركة قوله تعالى : ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

فقد فُسّرت بأهل البيت الذين هم بقيّة خلفاء الله وحججه في الأرض من الأنبياء والأوصياء ، فهم الذين أبقاهم الله ويبقيهم إلى آخر الدنيا حججاً لهداية الخلق إلى الله ، ولا يخلو منهم عصر .

هذا وتأتي البقيّة أيضاً بمعنى الرحمة فهم رحمة الله التي مَنّ بها على عباده كرسول الله الذي كان رحمةً للعالمين .

والآية الشريفة هذه وإن كان تنزيلها في النبي شعيب عليه السلام ، إلّا أنّ تأويلها في المعصومين سلام الله عليهم أجمعين .

وقد تمثّل بها المعصومون عليهم السلام ووُصفوا بها في عدّة موارد وأحاديث :

١ ـ تمثّل بها الإمام الباقر عليه السلام في حديث سفره إلى الشام ننقله بتفصيله لجزيل فائدته :

ذكر السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب أمان الأخطار ناقلاً عن كتاب دلائل الإمامة تصنيف محمّد بن جرير الطبري الإمامي ، من أخبار معجزات مولانا محمّد بن علي الباقر عليهما السلام . ذكره باسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

(١) سورة هود : الآية ٨٦.

. . . .

⊃ حجّ هشام بن عبدالملك بن مروان سنة من السنين ، وكان قد حجّ في تلك السنة محمّد بن علي الباقر وإبنه جعفر بن محمّد عليهما السلام فقال جعفر بن محمّد عليه السلام : « الحمد لله الذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً وأكرمنا به فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفاؤه ، فالسعيد من اتّبعنا والشقيّ من عادانا وخالفنا » .

ثمّ قال : فأخبر مسلمة أخاه بما سمع فلم يعرض لنا ، حتّى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة ، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه فأشخصنا .

فلمّا وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً ، ثمّ أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا ، وإذا قد قعد على سرير الملك ، وجنده وخاصّته وقوف على أرجلهم سماطان متسلّحان وقد نصب البُرجاس ـ الهدف ـ حذاه ، وأشياخ قومه يرمون ، فلمّا دخلنا وأبي أمامي وأنا خلفه ، فنادى أبي وقال : يامحمّد ارم مع أشياخ قومك الغرض .

فقال له : إنّي قد كبرت عن الرمي فهل رأيت أن تعفيني ؟

فقال : وحقّ من أعزّنا بدينه ونبيّه محمّد صلى الله عليه وآله لا أعفيك ، ثمّ أومأ إلى شيخ من بني أُميّة أن أعطه قوسك فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ ثمّ تناول منه سهماً ، فوضعه في كبد القوس ، ثمّ انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه ، ثمّ رمى فيه الثانية فشقّ فواق سهمه إلى نصله ، ثمّ تابع الرمي حتّى شقّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض ، وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك إلّا أن قال : أجدت ياأبا جعفر وأنت أرمى العرب والعجم ، هلّا زعمت أنّك كبرت عن الرمي ، ثمّ أدركته ندامة على ما قال .

وكان هشام لم يكن كنّى أحداً قبل أبي ولا بعده في خلافته ، فهمّ به وأطرق إلى الأرض إطراقة يتروّى فيها وأنا وأبي واقف حذاه مواجهين له . ⊂

. . . .

⊃ فلمّا طال وقوفنا غضب أبي فهمّ به ، وكان أبي عليه السلام إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه ، فلمّا نظر هشام إلى ذلك من أبي ، قال له : إليّ يامحمّد ! فصعد أبي إلى السرير ، وأنا أتبعه ، فلمّا دنا من هشام ، قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه ، ثمّ اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي ، ثمّ أقبل على أبي بوجهه ، فقال له : يامحمّد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك ، لله درّك ، مَن علّمك هذا الرمي ؟ وفي كم تعلّمته ؟

فقال أبي : قد علمت أنّ أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيّام حداثتي ثمّ تركته ، فلمّا أراد أمير المؤمنين منّي ذلك عدت فيه .

فقال له : ما رأيت مثل هذا الرمي قطّ مذ عقلت ، وما ظننت أنّ في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي ، أيرمي جعفر مثل رميك ؟

فقال : « إنّا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيّه صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[(١)] والأرض لا تخلو ممّن يكمل هذه الأمور التي يقصر غيرنا عنها » .

قال : فلمّا سمع ذلك من أبي انقلبت عينه اليمنى فاحولّت واحمرّ وجهه ، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب ، ثمّ أطرق هُنيئة ثمّ رفع رأسه ، فقال لأبي : ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد ؟

فقال أبي : « نحن كذلك ولكنّ الله جلّ ثناؤه اختصّنا من مكنون سرّه ، وخالص علمه بما لم يخصّ أحداً به غيرنا » .

فقال : أليس الله جلّ ثناؤه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله من شجرة عبد مناف إلى الناس ⊂

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

. . . .

كافّة أبيضها وأسودها وأحمرها ، من أين ورثتم ما ليس لغيركم ؟ ورسول الله ﷺ مبعوث إلى الناس كافّة وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١) إلى آخر الآية فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد نبي ولا أنتم أنبياء ؟

فقال : « من قوله تبارك وتعالى لنبيّه ﷺ : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾(٢)، الذي لم يحرّك به لسانه لغيرنا أمره الله أن يخصّنا به من دون غيرها ، فلذلك كان ناجى أخاه عليّاً من دون أصحابه فأنزل الله بذلك قرآناً في قوله : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٣) فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : سألت الله أن يجعلها أذنك ياعلي ، فلذلك قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالكوفة : علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم ففتح كلّ باب ألف باب ، خصّه رسول الله ﷺ من مكنون سرّه بما يخصّ أمير المؤمنين أكرم الخلق عليه ، فكما خصّ الله نبيّه ﷺ خصّ نبيّه ﷺ أخاه عليّاً من مكنون سرّه بما لم يخصّ به أحداً من قومه ، حتّى صار إلينا فتوارثنا من دون أهلنا » .

فقال هشام بن عبدالملك : إنّ عليّاً كان يدّعي علم الغيب والله لم يطلع على غيبه أحداً ، فمن أين ادّعى ذلك ؟

فقال أبي : « إنّ الله جلّ ذكره أنزل على نبيّه ﷺ كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة في قوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ .

(٢) سورة القيامة : الآية ١٦ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ١٢ .

. . . .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١] وفي قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٢] وفي قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٣] وأوحى الله إلى نبيّه ﷺ أن لا يبقي في غيبه وسرّه ومكنون علمه شيئاً إلّا يناجي به عليّاً ، فأمره أن يؤلّف القرآن من بعده ويتولّى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه ، وقال لأصحابه : حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي ، فإنّه منّي وأنا منه ، له ما لي وعليه ما عليّ ، وهو قاضي دَيني ومنجز وعدي . ثمّ قال لأصحابه : علي بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلّا عند علي عليه السلام ، ولذلك قال رسول الله ﷺ لأصحابه : أقضاكم علي أي هو قاضيكم وقال عمر بن الخطّاب : لولا علي لهلك عمر ، يشهد له عمر ويجحده غيره » .

فأطرق هشام طويلاً ثمّ رفع رأسه فقال : سل حاجتك .

فقال : خلّفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي .

فقال : قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم ولا تقم ، سر من يومك ، فاعتنقه أبي ودعا له وفعلت أنا كفعل أبي ، ثمّ نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه ، إذا ميدان ببابه وفي آخر الميدان أُناس قعود عدد كثير .

قال أبي : مَن هؤلاء ؟

فقال الحجّاب : هؤلاء القسّيسون والرهبان وهذا عالم لهم يقعد إليهم في كلّ سنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم .

فلفّ أبي عند ذلك رأسه بفاضل ردائه وفعلت أنا مثل فعل أبي ، فأقبل

---

(١) سورة النحل : الآية ٨٩. (٢) سورة يس : الآية ١٢ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٣٨.

. . . .

نحوهم حتّى قعد نحوهم وقعدت وراء أبي ، ورُفع ذلك الخبر إلى هشام ، فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبي .

فأقبل وأقبل عداد من المسلمين فأحاطوا بنا ، وأقبل عالم النصارى وقد شدّ حاجبيه بحريرة صفراء حتّى توسّطنا ، فقام إليه جميع القسّيسين والرهبان مسلّمين عليه ، فجاؤوا به إلى صدر المجلس فقعد فيه ، وأحاط به أصحابه وأبي وأنا بينهم ، فأدار نظره ثمّ قال : لأبي : أمنّا أم من هذه الأُمّة المرحومة ؟

فقال أبي : بل من هذه الأُمّة المرحومة .

فقال : من أيّهم أنت من علمائها أم من جهّالها ؟

فقال له أبي : لست من جهّالها .

فاضطرب اضطراباً شديداً .

ثمّ قال له : أسألك ؟

فقال له أبي : سل .

فقال : من أين ادّعيتم أنّ أهل الجنّة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون وما الدليل فيما تدّعونه من شاهد لا يجهل ؟

فقال له أبي : « دليل ما ندّعي من شاهدٍ لا يُجهل : الجنين في بطن أُمّه يطعم ولا يحدث » ، قال : فاضطرب النصراني اضطراباً شديداً ، ثمّ قال : هلّا زعمت أنّك لست من علمائها ؟

فقال له أبي : ولا من جهّالها ، وأصحاب هشام يسمعون ذلك .

فقال لأبي : أسألك عن مسألة أُخرى ؟

فقال له أبي : سل .

. . . .

➲ فقال : من أين ادّعيتم أنّ فاكهة الجنّة أبداً غضّة طريّة موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنّة ؟ وما الدليل عليه من شاهدٍ لا يُجهل ؟ فقال له أبي : « دليل ما ندّعي أنّ ترابنا أبداً يكون غضّاً طريّاً موجوداً غير معدوم عند جميع أهل الدنيا لا ينقطع » .

فاضطرب اضطراباً شديداً ، ثمّ قال : هلّا زعمت أنّك لست من علمائها ؟

فقال له أبي : ولا من جهّالها .

فقال له : أسألك عن مسألة ؟

فقال : سل .

فقال : أخبرني عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار .

فقال له أبي : « هي الساعة التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يهدأ فيها المبتلى ، ويرقد فيها الساهر ، ويفيق المغمى عليه ، جعلها الله في الدنيا رغبة للراغبين وفي الآخرة للعاملين لها دليلاً واضحاً وحجّة بالغة على الجاحدين المتكبّرين التاركين لها » .

قال : فصاح النصراني صيحة ثمّ قال : بقيت مسألة واحدة والله لأسألك عن مسألة لا تهدي إلى الجواب عنها أبداً .

قال له أبي : سل فإنّك حانث في يمينك .

فقال : أخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمّر أحدهما خمسون سنة ، وعمّر الآخر مائة وخمسون سنة في دار الدنيا .

فقال له أبي : « ذلك عُزير وعُزيرة ولدا في يوم واحد ، فلمّا بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً ، مرّ عزير على حماره راكباً على قرية بأنطاكية وهي ➲

. . . .

⬅ خاوية على عروشها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1] وقد كان اصطفاه وهداه، فلمّا قال ذلك القول غضب الله عليه فأماته الله مائة عام سخطاً عليه بما قال.

ثمّ بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه وعاد إلى داره، وعزيرة أخوه لا يعرفه فاستضافه فأضافه، وبعث إليه ولد عزيرة وولد ولده وقد شاخوا وعزير شاب في سنّ خمس وعشرين سنة، فلم يزل عزير يذكّر أخاه وولده وقد شاخوا وهم يذكرون ما يذكّرهم ويقولون: ما أعلمك بأمر قد مضت عليه السنون والشهور، ويقول له عزيرة وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة: ما رأيت شابّاً في سنّ خمسة وعشرين سنة أعلم بما كان بيني وبين أخي عزير أيّام شبابي منك! فمن أهل السماء أنت؟ أم من أهل الأرض؟

فقال: ياعزيرة أنا عزير سخط الله عليّ بقول قلته بعد أن اصطفاني وهداني فأماتني مائة سنة ثمّ بعثني لتزدادوا بذلك يقيناً إنّ الله على كلّ شيء قدير، وهاهو هذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان.

فعندها أيقنوا فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة، ثمّ قبضه الله وأخاه في يوم واحد».

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقاموا ـ النصارى ـ على أرجلهم فقال لهم عالمهم: جئتموني بأعلم منّي وأقعدتموه معكم حتّى هتكني وفضحني وأعلم المسلمين بأنّ لهم من أحاط بعلومنا، وعنده ما ليس عندنا، لا والله لا كلّمتكم من رأسي كلمة واحدة، ولا قعدت لكم إن عشت سنة». ⬅

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

. . . .

⊃ فتفرّقوا وأبي قاعد مكانه وأنا معه ، ورفع ذلك الخبر إلى هشام .

فلمّا تفرّق الناس نهض أبي وانصرف إلى المنزل الذي كنّا فيه ، فوافانا رسول هشام بالجائزة وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس ، لأنّ الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبي وبين عالم النصارى .

فركبنا دوابّنا منصرفين وقد سبقنا بريد من عند هشام إلى عامل مَدْيَن على طريقنا إلى المدينة أنّ ابنيَ أبي تراب الساحرين : محمّد بن علي وجعفر بن محمّد الكذّابين ـ بل هو الكذّاب لعنه الله ـ فيما يظهران من الإسلام وردا عليّ ولمّا صرفتهما إلى المدينة مالا إلى القسّيسين والرهبان من كفّار النصارى وأظهرا لهما دينهما ومرقا من الإسلام إلى الكفر دين النصارى وتقرّبا إليهم بالنصرانية ، فكرهت أن أنكّل بهما لقرابتهما ، فإذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس : برئت الذمّة ممّن يشاريهما أو يبايعهما أو يصافحهما أو يسلّم عليهما فإنّهما قد ارتدّا عن الإسلام ، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابّهما وغلمانهما ومن معهما شرّ قتلة ، قال : فورد البريد إلى مدينة مدين .

فلمّا شارفنا مدينة مدين قدّم أبي غلمانه ليرتادوا لنا منزلاً ويشروا لدوابّنا علفاً ، ولنا طعاماً ، فلمّا قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب في وجوهنا وشتمونا وذكروا علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقالوا : لا نزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع ياكفّار يامشركين يامرتدّين ياكذّابين ياشرّ الخلائق أجمعين فوقف غلماننا على الباب حتّى انتهينا إليهم فكلّمهم أبي وليّن لهم القول وقال لهم : اتّقوا الله ولا تغلظوا فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما تقولون فاسمعونا . ⊂

. . . .

➲ فقال لهم : فهبنا كما تقولون افتحوا لنا الباب وشاورونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس . فقالوا : أنتم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس لأنّ هؤلاء يؤدّون الجزية وأنتم ما تؤدّون .

فقال لهم أبي: فافتحوا لنا الباب وأنزلونا وخذوا منّا الجزية كما تأخذون منهم.

فقالوا : لا نفتح ولا كرامة لكم حتّى تموتوا على ظهور دوابّكم جياعاً نياعاً أو تموت دوابّكم تحتكم ، فوعّظهم أبي فازدادوا عتوّاً ونشوزاً .

قال : فثنّى أبي رجله عن سرجه ثمّ قال لي : مكانك ياجعفر لا تبرح .

ثمّ صعد الجبل المطلّ على مدينة مدين وأهل مدين ينظرون إليه ما يصنع ، فلمّا صار في أعلاه استقبل بوجهه المدينة وجسده ، ثمّ وضع إصبعيه في أُذنيه ثمّ نادى بأعلا صوته : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ إلى قوله : ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

نحن والله بقيّة الله في أرضه ، فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة فهبّت واحتملت صوت أبي فطرحته في أسماع الرجال والصبيان والنساء ، فما بقي أحد من الرجال والنساء والصبيان إلّا صعد السطوح ، وأبي مشرف عليهم ، وصعد فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السنّ ، فنظر إلى أبي على الجبل ، فنادى بأعلا صوته :

اتّقوا الله ياأهل مدين فإنّه قد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب ﷺ حين دعا على قومه ، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب ➲

---

(١) سورة هود : الآية ٨٤ ـ ٨٦.

. . . .

فإنّي أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر » ، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا ، وكُتب بجميع ذلك إلى هشام فارتحلنا في اليوم الثاني ، فكتب هشام إلى عامل مدين يأمره بأن يأخذ الشيخ فيقتله رحمة الله عليه وصلواته وكتب إلى عامل مدينة الرسول أن يحتال في سمّ أبي في طعام أو شراب ، فمضى هشام ولم يتهيّأ له في أبي من ذلك شيء(١).

٢ ـ أشار إلى هذه الآية الشريفة أيضاً الإمام الكاظم عليه السلام حينما أُعطى ولده الإمام الرضا عليه السلام بعد ميلاده المبارك : فعن علي بن ميثم عن أبيه قال : سمعت أُمّي تقول : سمعت نجمة أُمّ الرضا عليه السلام تقول: لمّا حملت بابني علي لم أشعر بثقل الحمل ، وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني فيفزعني ذلك ويهولني ، فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً فلمّا وضعته وقع على الأرض واضعاً يده على الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء يحرّك شفتيه،كأنّه يتكلّم فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام فقال لي : « هنيئاً لك يانجمة كرامة ربّك ، فناولته إيّاه في خرقة بيضاء ، فأذّن في أُذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ودعا بماء الفرات فحنّكه به ، ثمّ ردّه إليّ وقال : خذيه فإنّه بقيّة الله تعالى في أرضه»(٢).

٣ ـ تمثّل بها أيضاً مشيراً الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف مخاطباً أحمد بن إسحاق القمّي وكيل الإمام العسكري عليه السلام قال :

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٦ ص٣٠٦ ب٧ ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٩ ص٩ ب١ ح١٤ .

. . . .

« أنا بقيّة الله في أرضه والمنتقم من أعدائه ، فلا تطلب أثراً بعد عين ياأحمد بن إسحاق »[١].

وهذه الآية الشريفة أوّل كلامٍ ينطق به الإمام الحجّة عليه السلام في ظهوره المبارك فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة ، واجتمع إليهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأوّل ما ينطق به هذه الآية : ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ثمّ يقول : « أنا بقيّة الله في أرضه ، وخليفته وحجّته عليكم » فلا يسلّم عليه مسلّم إلّا قال : السلام عليك يابقيّة الله في أرضه[٢].

وتلاحظ خطبته المباركة في كتاب الغيبة[٣].

---

(١) إكمال الدين : ص٣٨٤ ، وفي المختار : ج١ ص٣١ .

(٢) إكمال الدين : ص٣٣١ .

(٣) الغيبة للنعماني : ص٢٨١ ب١٤ ح٦٧ .

وَخِيرَتِهِ[١]

(١) ـ الخِيَرة بكسر الخاء وفتح الياء ، معناه المختار المنتخب ، مأخوذ من الاختيار بمعنى الانتخاب .

وأهل البيت عليهم السلام هم الذين اختارهم ربّ العالمين ، واصطفاهم على الملائكة المقرّبين ، وفضّلهم على الخلق أجمعين .

كما تدلّ على ذلك أحاديث متظافرة مثل :

حديث إسحاق بن غالب ، عن أبي عبدالله عليه السلام في خطبة له قال فيها : « ... فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كلّ إمام ، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم ، ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم ... »[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام : أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : « إنّ الله اختارنا معاشر آل محمّد واختار النبيين واختار الملائكة المقرّبين ، وما اختارهم إلّا على علم منه بهم أنّهم لا يوقعون ما يخرجون به عن ولايته وينقطعون به عن عصمته »[٢].

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٣ ح٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٩٥ ص٣٢٢ ب٢٤ ح٣ .

وَحِزْبِهِ(١)

(١) ـ الحِزْب بكسر الحاء وسكون الزاء ، يأتي في اللغة بمعنى : الطائفة والجماعة والجُند ، وأكثر استعماله في المعنى الأخير .

وبهذا المعنى الأخير جاء تفسيره بالأنصار ، وأصحاب الرجل الذين يكونون على رأيه وأمره ، وقد شاع إستعماله في الأنصار .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم حزب الله تعالى أي أنصاره ، اختصّوا بالله ، ولم يقصدوا غير الله .

وفي هذه الفقرة إشارة إلى قوله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلآ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١) المفسّرة بأهل البيت العظام وشيعتهم الكرام .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٢) قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام :

« فنحن وشيعتنا حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون »(٣).

وتلاحظ ذلك في أحاديث التفسير(٤)، وورد في أحاديث الفريقين(٥) ومن ذلك:

١ ـ حديث عمّار بن أبي اليقظان ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحُجزة ربّه ، ونحن آخذون بحُجزة نبيّنا ، وشيعتنا آخذون بحُجزتنا فنحن وشيعتنا حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون »(٦).

٢ ـ حديث الإمام الرضا ، عن آبائه الطيبين ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال :

(١) سورة المجادلة : الآية ٢٢ . (٢) سورة المائدة : الآية ٥٦ .
(٣) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢١٣ ب٥٦ ح٧ .
(٤) كنز الدقائق : ج٤ ص١٥٦ . (٥) إحقاق الحقّ : ج٥ ص٤٣ .
(٦) بحار الأنوار : ج٤ ص٢٥ ب٤ ح٣ .

. . . .

➲ قال رسول الله ﷺ : « ياعلي : بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم ، عليكم بالصبر ، فإنّ العاقبة للمتّقين .

أنتم حزب الله ، وأعداؤكم حزب الشيطان ، طوبى لمن أطاعكم ، وويلٌ لمن عصاكم ، أنتم حجّة الله على خلقه والعروة الوثقى ، من تمسّك بها اهتدى ، ومن تركها ضلّ ، أسأل الله لكم الجنّة ، لا يسبقكم أحد إلى طاعة الله فأنتم أولى بها »(١).

٣ ـ حديث جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حزب علي حزب الله وحزب أعدائه حزب الشيطان »(٢).

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٣ ص١٤٢ ب٧ ح٩٣ .

(٢) إحقاق الحقّ : ج٥ ص٤٣ ح٦٦ ، وفي بحار الأنوار : ج٣٨ ص٩٥ ب٦١ ح١١ .

وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ(١) وَحُجَّتِهِ(٢)

(١) ـ العَيْبَة بفتح العين وسكون الياء في أصل اللغة هو الوعاء من الجلد المدبوغ يُجعل فيها المتاع ، والصندوق يُحفظ فيه الثياب أو أفضل الثياب ، واستعيرت لحفظ العلم فيقال : عيبة العلم أي مستودعه .

وأهل البيت عليهم سلام الله عيبة علم الله ، ومستودع سرّه ، وخزنة معارفه والذين حمّلهم الله علمه .

وقد تقدّم تفصيله ودليله من الكتاب والسنّة في الفقرة الشريفة « وخزّان العلم » وقد نقلنا أبواب علومهم الشريفة ودلّلنا على أنّه استودعهم رسول الله ﷺ كلّ ما استودعه الله تعالى ، فهم عيبة علمه .

قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام : « وعندنا أهل البيت أُصول العلم ، وعُراه ، وضياؤه وأواخيه »(١).

وتقدّم بيان أنّ عندهم كتاب علي ، ومصحف فاطمة عليها السلام ، والجفر الأبيض ، والجامعة ، وعمود النور ، وعلم المنايا والبلايا ، وفصل الخطاب ، وعلم الكتاب ، وعلم المواليد ، وكتب الأنبياء ، ويعلمون بإذن الله تعالى في كلّ يوم كلّ ما يشاؤون .

(٢) ـ الحُجّة بضمّ الحاء هو الدليل والبرهان ، وجمعها حُجَج .

وأهل البيت حجج الله تعالى على جميع خلقه يحتّج بهم .

وقد أتمّ بهم حجّته البالغة على عموم الخلق بما جعل لهم من المعجزات الباهرات ، والدلائل الظاهرات .

ومرّ تفصيل ذلك في الفقرة الشريفة المتقدّمة « حجج الله على أهل الدنيا »

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣١ ب٨ ح٤٤ .

. . . .

➲ والآخرة والأُولى » وذكرنا الأدلّة على ذلك[١].

وفي حديث سلمان : « دخلت على النبي ﷺ فإذا الحسين بن علي على فخذه وتفرّس في وجهه وقبّل بين عينيه وقال : « أنت سيّد ابن سيّد أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو الأئمّة ، أنت حجّة الله ، ابن حجّة الله أبو حجج تسعة من صلبك ، تاسعهم قائمهم »[٢].

وفي نسخة البلد الأمين هنا زيادة : « وعينه وجنبه » .

---

(١) كتاب سليم بن قيس : ج٢ ص٧٣٤ .

(٢) كتاب سليم بن قيس : ج٢ ص٩٤ .

وَصِراطِهِ[1]

(١) ـ الصراط في اللغة هو الطريق المستوي ، فلذلك سُمّي الدين صراطاً ، لأنّه طريق إلى الثواب ، وسمّي أمير المؤمنين عليه السلام صراطاً لأنّ معرفته والتمسّك به هو الطريق إلى الله .

وأهل البيت عليهم السلام هم الصراط الموصل إلى الله ، والطريق المؤدّي إلى قربه كما تلاحظ أحاديثه الكثيرة في كتب الأخبار ، من ذلك :

حديث المفضّل قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط ؟

فقال : « هو الطريق إلى معرفة الله عزّوجلّ ، وهما صراطان : صراط في الدنيا ، وصراط في الآخرة .

فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة ، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة ، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه على الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم »[1].

وحديث الثمالي عن الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال : « ليس بين الله وبين حجّته حجاب فلا لله دون حجّته ستر ، نحن أبواب الله ، ونحن الصراط المستقيم ، ونحن عيبة علمه ، ونحن تراجمة وحيه ، ونحن أركان توحيده ، ونحن موضع سرّه »[2].

ثمّ إنّ هذه الفقرة إشارة إلى قوله عزّ إسمه : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3] المفسّر بأهل ←

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١١ ب٢٤ ح٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٢ ب٢٤ ح٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

. . . .

➲ البيت سلام الله عليهم في طرق الخاصّة والعامّة[١].

وقد جاء في الأخبار المتظافرة من أحاديث الفريقين أنّه (لا يجوز أحدٌ الصراط يوم القيامة إلّا من كان معه صكٌّ من علي عليه السلام بالجواز)[٢].

---

(١) غاية المرام: ص٤٣٤، كنز الدقائق: ج٤ ص٤٨٢.

(٢) غاية المرام: ص٢٦٢.

وَنُورِهِ(١)

(١) ـ النور هو الضوء المنتشر ، والكيفية الظاهرة بنفسها والمظهرة لغيرها .

وُصِفَ به أهل البيت سلام الله عليهم لأنّهم مضافاً إلى نورانيّتهم نوّروا العالم بعلم الله وهدايته ، ونوّروا الكائنات بنور الوجود ، وبهم تنوّرت القلوب ، وهم الأنـوار اللائحة ، والأدلّة الواضحة ، والمصابيح الهادية التي تهدي الخلق .

وهذه الفقرة إشارة إلى مثل قوله تعالى : ﴿فَآمِنُوا بِـاللهِ وَرَسُـولِهِ وَالنُّـورِ الَّـذِي أَنزَلْنَا﴾[1] المفسّر بهم عليهم السلام وبولايتهم في أحاديث الخاصّة والعامّة[2].

وقد عقد ثقة الإسلام الكليني باباً في أنّ الأئمّة عليهم السلام نور الله عزّوجلّ[3].

وعقد شيخ الإسلام المجلسي باباً في معرفتهم عليهم السلام بالنورانية[4].

فمن الباب الأول حديث أبي خالد الكابلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ .

فقال : « ياأبا خالد النور والله نور الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة ، وهم والله نور الله الذي أُنزل ، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض ، والله ياأبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار ، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين ، ويحجب الله عزّوجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم ، والله ياأبا خالد لا يحبّنا عبد ويتولّانا حتّى يطهّر الله قلبه ، ولا يطهّر الله قلب عبد حتّى يسلّم لنا ويكون سلماً لنا ، فإذا كان سلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب ، ⇐

---

(١) سورة التغابن : الآية ٨ .

(٢) غاية المرام : ص٤٣٧ ، كنز الدقائق : ج١٣ ص ٢٨٠ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٩٤ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١ ب١٣ الأحاديث .

. . . .

➲ وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر »[١].

ومن الباب الثاني حديث محمّد بن صدقة المفضّل ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لسلمان وأبي ذرّ : « كنت أنا ومحمّد نوراً واحداً من نور الله عزّوجلّ ، فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أن يُشقّ ، فقال للنصف : كن محمّداً ، وقال للنصف : كن عليّاً ، فمنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله : علي منّي وأنا من علي ولا يؤدّي منّي إلّا علي »[٢].

---

(١) الكافي : ج١ ص١٩٤ ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣ ب١٣ ح١ .

وَبُرْهٰانِهِ(١) وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكٰاتُهُ .

---

(١) ـ البُرْهان بضمّ الباء وسكون الراء هي الحجّة والبيان كما في اللغة .

والبرهان هو الشاهد بالحقّ(١)، وبرهانكم أي حجّتكم ، وسمّيت الحجّة برهاناً لبيانها ووضوحها(٢)، والبرهان أوكد الأدلّة ، وهو يقتضي الصدق أبداً لا محالة(٣).

وأهل البيت عليهم السلام براهين الله الصادقة ، وحججه الناطقة ، وآيات الله البيّنة ، ودلائله الظاهرة .

لذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « ما لله عزّوجلّ آية هي أكبر منّي ، ولا له من نبأ أعظم منّي »(٤).

وبحقٍّ كان صلوات الله عليه الآية العظمى ، والدلالة الكبرى لله عزّ إسمه كما تلاحظ ذلك في أحواله(٥)، وقد مرّ شيء من ذلك في الفقرة الشريفة « والمثل الأعلى » .

هذا تمام الكلمة في التسليمات الخمسة .

ويتلوه ذكر الشهادات الثلاثة : التوحيد ، والرسالة ، والإمامة .

ثمّ المناقب الفاخرة لأهل بيت العصمة عليهم السلام .

---

(١) مجمع البيان : ج٣ ص١٤٧ .
(٢) مجمع البحرين : ص٥٤٩ .
(٣) المفردات : ص٤٥ .
(٤) الكافي : ج١ ص٢٠٧ ح٣ .
(٥) بحار الأنوار : ج٤١ ـ ٤٢ الأبواب الكثيرة فيه ، ولاحظ ج٤١ ص٢٧٨ ح٤ ، وج٤١ ص٥٣

الشهادات الثلاثة

اَشْهَدُ اَنْ لاٰ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لاٰ شَرِيكَ لَهُ[1]

(١) ـ بعد تكميل السلام وأداء تحيّة الإسلام إبتدأ عليه السلام في هذه الزيارة الشريفة الجامعة بأداء شهادة التوحيد الكامل ، والتصديق الشامل الذي هو حصن النجاة ، في الحياة والممات ، يعني الشهادة بأركانها الثلاثة :

التوحيد والرسالة والإمامة .

فإنّ الموحِّد الحقّ هو من يوحّد الله بما أراده الله تعالى ، لا بما يريده هو نفسه .

والذي أراده الله من التوحيد هو التوحيد بشرطه وشروطه ، وولاية الأئمّة من شروطه كما تلاحظه في الأحاديث المتواترة ، نتبرّك بذكر بعضها تيمّناً وتبرّكاً مثل :

١ ـ حديث المفضّل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضماناً .

قال : قلت : وما هو ؟

قال : ضمن له إن هو أقرّ له بالربوبية ، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ، ولعلي عليه السلام بالإمامة ، وأدّى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره .

قال : قلت : فهذه والله هي الكرامة التي لا يشبهها كرامة الآدميين .

. . . .

قال : ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : اعملوا قليلاً تتنعّموا كثيراً »[١].

٢ ـ حديث معتّب مولى أبي عبدالله عليه السلام ، عنه ، عن أبيه عليهما السلام قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يارسول الله هل للجنّة من ثمن ؟

قال : نعم .

قال : ما ثمنها ؟

قال : لا إله إلّا الله ، يقولها العبد مخلصاً بها .

قال : وما إخلاصها ؟

قال : العمل بما بعثت به في حقّه وحبّ أهل بيتي .

قال : فداك أبي وأُمّي وإنّ حبّ أهل البيت لمن حقّها ؟

قال : إنّ حبّهم لأعظم حقّها »[٢].

٣ ـ حديث إسحاق بن راهويه قال : لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له : يابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك ؟

وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال : سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول : سمعت أبي محمّد بن علي يقول : سمعت أبي علي بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن علي يقول : سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : سمعت الله عزّوجلّ يقول : « لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي » ، قال : فلمّا مرّت الراحلة نادانا : « بشروطها وأنا من شروطها »[٣].

---

(١) بحار الأنوار : ج٣ ص٣ ح٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣ ص١٣ ب١ ح٣٠ .

(٣) عيون الأخبار : ج٢ ص١٣٤ ح٤ .

. . . .

والأساس العمدة في كلّ عمل هو هذا الاعتقاد الإسلامي الصحيح ، وبدونه لا يُقبل دين ولا يرفع عملٌ ولا ينفع شيء .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

وقد جاءت هذه الشهادات الثلاثة الأركان في هذه الزيارة المباركة التي هي من مفاهيم الإيمان .

(الشهادة الأُولى) : الشهادة بوحدانية الله تعالى .

والشهادة هي الإخبار الجازم بالشيء عن مشاهدةٍ أو ما يقوم مقام المشاهدة من الدلالات الواضحة ، والحجج اللائحة[٢].

وبمعنى الحضور مع المشاهدة امّا بالبصر أو بالبصيرة[٣].

ومعناها الإخبار القاطع[٤].

فالشهادة بالتوحيد إذاً لابدّ وأن تكون قطعيّة علميّة ، ناشئة من دليل علمي قطعي، كالمعرفة الحاصلة بالأدلّة العلميّة ، والشواهد اليقينيّة الموجودة في جميع مخلوقاته وأدلّة وحدانيّته التي تدلّ على أنّه واحد ، لا شريك له ولا نظير ، ولا شبيه له ولا عديل .

تلك الدلائل التي توجب للإنسان أن يُحسّ بالوجدان ، بل يَرى بالعيان ، ويدرك بالإيمان ، معرفة الله الواحد القادر الحكيم كما أرشد إليه أمير المؤمنين عليه السلام في حديث ذِعْلب « رأته القلوب بحقائق الإيمان »[٥].

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٢) تفسير التبيان : ج٢ ص٤١٦ .

(٣) المفردات : ص٢٦٧ .

(٤) لسان العرب : ج٣ ص٢٣٩ .

(٥) الكافي : ج١ ص١٣٨ ح٤ .

. . . .

⊃ وأدلّة التوحيد كثيرة وفيرة نشير فيها إلى القسمين الكافيين :

١ / الدليل العلمي ، كالأدلّة الثمانية التي تلاحظها في كتاب العقائد[١].

٢ / الدليل الوجداني ، وهي الآيات النفسية والآفاقية المتجلّية في مثل حديث المفضّل الجعفي[٢] وقد جاء البيان في العقائد أيضاً[٣] نحيل القارىء الكريم إليه ، رعايةً للإختصار وعدم التكرار .

وبتلك البراهين الواضحة ، والآيات الشارحة يُعلم علم اليقين بصدق شهادة الصدّيقين ، وأوّلها الشهادة بالتوحيد التي وردت في فقرة الزيارة :

(أشهد أن لا إله) أي لا معبود بحقّ ، فالإله بمعنى المألوه وهو المعبود .

(إلّا الله) المستجمع لجميع صفات الكمال لذاته ، والمُنزّه عن جميع صفات النقص .

(وحده لا شريك له) تأكيد ، لما تقدّم ، وبيان للتوحيد الذي هو بمعنى نفي الشريك والشبيه ، كما تلاحظه في حديث شريح بن هاني الذي جاء فيه معنى التوحيد الصحيح : « ... فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبه ، كذلك ربّنا ، وقول القائل : إنّه عزّوجلّ أحديّ المعنى ، يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم ، كذلك ربّنا عزّوجلّ »[٤].

---

(١) العقائد الحقّة الطبعة الأُولى : ص٤٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣ ص٥٤ ـ ١٥١ ب٤ ح١ .

(٣) العقائد الحقّة الطبعة الأُولى : ص٦٨ .

(٤) التوحيد للصدوق : ص٨٣ ب٣ ح٣ .

كَمٰا شَهِدَ اللّٰهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلاٰئِكَتُهُ وَاُولُوا الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ لاٰ اِلٰهَ اِلّاٰ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١).

---

(١) ـ « كما شهد الله لنفسه » إشارة إلى قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١) فالتوحيد الحقيقي ليس ممّا تطيقه القدرة البشرية ، لذلك نشهد له نحن بما شهد به هو لنفسه وبما أخبر به ذاته العليمة .

« وشهدت له ملائكته » أي وشهد له بتوحيده جميع ملائكته ، وأقرّت به .

« وأُولوا العلم من خلقه » أي وشَهِدَ له بتوحيده أُولوا العلم من خلقه ، من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين .

« لا إله إلّا هو العزيز الحكيم » كرّر ذلك للتأكيد ، أو للتوصيف بالعزّة والحكمة .

والعزيز هو القاهر الغالب المنيع الذي لا يُغلب ولا يصل أحدٌ إلى كبريائه ، من العـزّة بـمعنى القوّة والشـدّة والغـلبة ، ومـنه قـوله تـعالى : ﴿وَعَـزَّنِي فِـي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني .

وللعزيز معنى ثانٍ وهو المَلِك ، ويشهد له قوله تعالى حكاية عن أخوة يوسف : ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ...﴾ أي ياأيّها الملك(٢).

والحكيم هو المُحِكم لأفعاله ، والعالِم بالحِكم والمصالح ، ومعنى الإحكام هو إتقان التدبير ، وحسن التصوير والتقدير .

(الشهادة الثانية) : الشهادة برسالة خاتم النبيّين عليه وآله صلوات المصلّين كما تلاحظها في فقرة هذه الزيارة بما يلي :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

(٢) التوحيد للصدوق : ص٢٠٦ .

وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضىٰ اَرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(١).

---

(١) ـ الأدلّة القطعيّة على نبوّته ورسالته كثيرة منها :

الأول : أنّ القرآن الكريم الذي هو مسلّم الصدور عن الخالق المتعال ، والذي عجز عن الإتيان بمثله جميع البشر أخبر برسالته ، وشهد بنبوّته ، وصدّق كلمته ، في آيات كثيرة مثل :

واحد / قوله تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١).

إثنين / قوله عزّ إسمه : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٢).

هذا مضافاً إلى الكتب السماوية الأُخرى التي بشّرت برسولنا الأعظم ﷺ ، كما أخبر به تعالى في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ...﴾(٣).

وفي قوله عزّ إسمه : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ...﴾(٤).

وكفى بالقرآن سنداً قطعيّاً على صدق نبوّة ورسالة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله .

الثاني : أنّ الرسول الأكرم ﷺ أخبر بنبوّة نفسه مقروناً بمعجزاته التي تشهد بصدقه .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .
(٢) سورة الفتح : الآية ٢٩ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .
(٤) سورة الصف : الآية ٦ .

. . . .

إذ المعجز هو الإتيان بما يخرق العادة ، ويعجز عنه البشر ، ويطابق الدعوى ، ويكشف عن أنّ صاحبه مؤيّد من قبل الله تعالى فيكون دليلاً على صدق نبوّته .

وقد ظهر الكثير الكثير من المعجزات الباهرات على يده الشريفة ، وأُحصيت منها ألف معجزة فلاحظها في مدينة المعاجز للسيّد البحراني ﵀ ، وأشار إلى بعضها صاحب حقّ اليقين[١].

الثالث : نفس حقيقة رسالته ، وعلو أحكامه ، وجامعيّة شريعته شاهدة على ربّانيته ، بل نفس أخلاقه وأحواله تشهد بنبوّته ، لذلك يشهد الإنسان جزماً في هذه الزيارة الشريفة :

(أشهد أنّ محمّداً عبدُه) أي عبد الله الذي عَبَدَه حقّ العبادة ، وقام بوظائف العبودية .

(المنتجب) أي إنتجبه الله واختاره من بين النبيين ، واصطفاه من المرسلين على الخلق أجمعين كما تقدّم بيانه في فقرة (صفوة المرسلين) .

(ورسوله المرتضى) أي أنّ محمّداً رسول الله ، الذي ارتضاه الله لرسالته وسرّه .

ففي حديث محمّد بن الفضل الهاشمي عن الإمام الرضا ﵇ أنّه نظر إلى ابن هذّاب فقال : إن أنا أخبرتك أنّك مبتلى في هذه الأيّام بدم ذي رحم لك أكنت مصدّقاً لي ؟

قال : لا ، فإنّ الغيب لا يعلمه إلّا الله .

قال : أو ليس يقول : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٢]؟ فرسول الله ﷺ عند الله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه

(١) حقّ اليقين : ج١ ص١١٨ .

(٢) سورة الجن : الآية ٢٦ ـ ٢٧ .

. . . .

الله على ما يشاء من غيبه ، فعلّمه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة[١].

(أرسله بالهدى ودين الحقّ) أي أرسله الله تعالى مقروناً بالهداية فجعله هادياً إلى الله ، وإلى دين الله الحقّ الذي هو دين الإسلام الباقي إلى يوم القيامة .

(ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون) أي ليغلبه على الأديان كلّها عند الرجعة الشريفة ، والدولة الحقّة المنيفة ، في زمان حكومة الإمام المهدي أرواحنا فداه .

فإنّه يظهر هذا الدين آنذاك على الشرك كلّه ، ويغلب على جميع المشركين ولا يبقى بيت إلّا ويدخله الإسلام .

وهذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢] كما تلاحظ تفسير الآية الشريفة بالدولة الحقّة والرجعة في المصادر[٣]، ويأتي بيان ذلك تفصيلاً إن شاء الله تعالى في الفقرة الآتية « مصدّقٌ برجعتكم » و « مرتقب لدولتكم » .

هذا ما يخصّ الشهادة بالرسالة ، واعلم أنّ في نسخة الكفعمي هنا زيادة كثيرة شريفة وهي :

« فصدع صلى الله عليه وآله بأمر ربّه ، وبلّغ ما حمّله ، ونصح لأُمّته ، وجاهد في سبيل ربّه ، ودعا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وصبر على ما أصابه في جنبه ، وعبده صادقاً حتّى أتاه اليقين ، فصلّى الله عليه وآله .

وأشهد أنّ الدين كما شرع ، والكتاب كما تلىٰ ، والحلال كما أحلّ ، والحرام كما حرّم ، والفصل ما قضى ، والحقّ ما قال ، والرشد ما أمر .

---

(١) كنز الدقائق : ج١٣ ص٤٩٢ . (٢) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(٣) مجمع البيان : ج٥ ص٢٥ ، كنز الدقائق : ج٥ ص٤٤ .

. . . .

⬅ وأنّ الذين كذّبوه وخالفوا عليه ، وجحدوا حقّه ، وأنكروا فضله واتّهموه ، وظلموا وصيّه وحلّوا عقده ، ونكثوا بيعته ، واعتدوا عليه ، وغصبوه خلافته، ونبذوا أمره فيه، وأسّسوا الجور والعدوان على أهله ، وقتلوهم وتولّوا غيرهم ، ذائقوا العذاب في أسفل درك من نار جهنّم ، لا يُخفّف عنهم من عذابها وهم فيه مبلسون ، ملعونون متعبون ، ناكسوا رؤوسهم ، يعاينون الندامة والخزي الطويل ، مع الأذلّين الأشرار ، قد كبّوا على وجوههم في النار .

وأنّ الذين آمنوا به وصدّقوه ، ونصروه ووقّروه وعزّروه ، واتّبعوا النور الذي أُنزل معه ، أُولئك هم المفلحون في جنّات النعيم ، والفوز العظيم ، والثواب المقيم الكريم ، والغبطة والسرور ، والفوز الكبير ، فجزاه الله عنّا أحسن الجزاء ، وخير ما جزى نبيّاً عن أُمّته ، ورسولاً عمّن أُرسل إليه ، وخصّه بأفضل قسم الفضائل ، وبلّغه أعلى محلّ شرف المكرّمين ، من الدرجات العلى في أعلى علّيين ، في جنّات ونَهَر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأعطاه حتّى يرضىٰ وزاده بعد الرضىٰ ، وجعله أقرب النبيّين مجلساً ، وأدناهم منزلاً ، وأعظمهم عنده جاهاً ، وأعلاهم لديه كعباً ، وأحسنهم اتّباعاً ، وأوفر الخلق نصيباً ، وأجزلهم حظّاً في كلّ خير لله قاسمه بينهم ونصيباً ، وأحسن اللهمّ مجازاته عن جميع المؤمنين من الأوّلين والآخرين » .

(الشهادة الثالثة) : الشهادة بإمامة أمير المؤمنين وأبنائه الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين كما تلاحظها في بيان فقرة الزيارة الشريفة فيما يأتي : ⬅

وَاَشْهَدُ اَنَّكُمْ الأَئِمَّةُ[١]

(١) ـ الأدلّة القطعيّة على إمام الأئمّة الإثنى عشر سلام الله عليهم كثيرة متظافرة، وعلميّة متواترة أسلفنا ذكرها في مبحث الإمامة من كتاب العقائد[١] وفصّلنا البحث فيها، ونشير هنا بالمناسبة إلى خلاصة من أدلّتها من الكتاب والسنّة والعقل والإعجاز بالبيان التالي:

١ / **دليل الكتاب:** ففي القرآن الكريم الذي هو كتاب الله باتّفاق جميع البشر آيات عديدة نصّت على إمامتهم وولايتهم، ولزوم طاعتهم ومتابعتهم أحصاها القاضي التستري في المجلّد الثاني من كتاب (إحقاق الحقّ) نشير إلى آية واحدة منها وهي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢] وقد نزلت هذه الآية الشريفة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باتّفاق أحاديث تفسير الفريقين المتواترة، من طرق الخاصّة في (١٩) حديثاً، ومن طرق العامّة في (٢٤) حديثاً[٣].

وهذه الآية صريحة في إنحصار الولاية بمن إشتملت عليه دون غيرهم بواسطة كلمة (إنّما) المفيدة للحصر[٤].

على أنّ الأمّة على اختلافها مجتمعة، وأخبار الخاصّة والعامّة على كثرتها مطبقة على نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام عند تصدّقه بخاتمه في حال ركوعه كما أفاده الشيخ الطوسي[٥]. ⬅

---

(١) العقائد الحقّة الطبعة الأولى: ص٢٥٩ ـ ٢٩٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٣) غاية المرام: ص١٠٣.

(٤) مجمع البيان: ج٣ ص٢٠٩.

(٥) تلخيص الشافي: ج٢ ص١٨.

. . . .

ومصادر العامّة فقط التي ذكرت نزول هذه الآية المحكمة في أميرالمؤمنين عليه السلام تبلغ (٦٦) مصدراً كما أحصاها شيخنا الأميني[١].

وقد وردت الأحاديث في أنّ المراد بالمؤمنين الذين يعطون الزكاة وهم راكعون جميع الأئمّة الطاهرين عليهم السلام الذين وُفّقوا لمثل هذه الفضيلة في حياتهم كما أفاده العلّامة المجلسي[٢].

٢ / **دليل السنّة :** والأحاديث الشريفة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في التنصيص على إمامة الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام ما أكثرها وأوفرها .

ويكفي منها النصّ الجليّ من شخص النبي صلى الله عليه وآله بأمر الله العلي على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بعد حجّة الوداع على رؤوس الأشهاد ، في حديث الغدير الأغرّ ، المتواتر بين الفريقين .

وقد ورد من طرق الخاصّة في ثلاثة وأربعين حديثاً ، ومن طرق العامّة في تسعة وثمانين حديثاً تلاحظها باسنادها ومتونها في المصادر المعتبرة[٣].

ونقتطف زهرة أُخرى ، من الأزاهير النبويّة ، في التنصيص على إمامة سادة الإمامية ، وهو الحديث المتواتر بين المسلمين ، ورواه الخاصّة في (٥٠) حديثاً ، والعامّة في (٥٨) حديثاً وهو تصريح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله :

« أنّ علياً وأبنائه الأحد عشر هم أوصيائي والأئمّة من بعدي »[٤].

٣ / **دليل العقل :** فإنّ من البديهي عدم استواء مرتبة من يعلم ومن لا يعلم، وأنّ العقل يحكم بتقديم الأعلم والأفضل على غيره، فهو الحَسَن وعكسه هو القبيح.

---

(١) الغدير : ج٣ ص١٥٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣٥ ص٢٠٦ .

(٣) غاية المرام : ص٧٩ ـ ١٠٣ .

(٤) غاية المرام : ص١٩١ لاحظ الحديث ٤٧ .

. . . .

ومن الواضح أنّ الأعلم الأفضل من جميع الأمّة بحكم العقل وحكومة العقلاء حتّى باعتراف الخصم هو علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده الأئمّة المعصومين عليهم السلام ، وهذا أوضح من الشمس وأبين من الأمس ، فيحكم العقل بتقديمهم وإمامتهم .

وقد تصدّى العلّامة الحلّي قدس سره إحصاء الأدلّة العقلية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب (الألفين) بألف دليل عقلي ، والف دليل نقلي .

وسُئل الخليل بن أحمد الفراهيدي : ما الدليل على أنّ علياً إمام الكل في الكل ؟

فأجاب : لإحتياج الكل إليه ، واستغنائه عن الكل[1].

فدليل العقل حاكم بإمامتهم سلام الله عليهم .

٤ / دليل الإعجاز : فإنّهم سلام الله عليهم أخبروا بإمامتهم ووصايتهم وولايتهم عن الله تعالى ، مقروناً بمعجزاتهم الساطعة وبيّناتهم المصدّقة لإمامتهم التي هي شواهد قطعيّة على صدق كلامهم ، ودلائل وجدانية على انتصابهم من قِبَل ربّهم ، وإلّا لم يكونوا قادرين على إتيان ما لم يقدر عليه إلّا الله العزيز .

كما كانت المعاجز من أدلّة صدق نبيّنا العظيم ، ومَن قبله من الأنبياء المكرّمين حيث إنّ معاجزهم تنبىء عن صدقهم. فكذلك بالنسبة إلى الأئمّة الإثنى عشر صلوات الله عليهم ، تكون إعجازاتهم بإذن الله تعالى من أدلّة صدقهم في إمامتهم بالإمامة الإلهية ، والولاية الربّانية .

وقد جمع المحدّث الجليل الحرّ العاملي قدس سره معاجزهم في الأجزاء الثلاثة من كتابه (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات) وكذلك السيّد البحراني في (مدينة المعاجز) فلاحظها.

فحياتهم مليئة بالمعجزات الباهرات منذ ولادتهم إلى شهادتهم وبعد شهادتهم،

(١) تنقيح المقال : ج ١ ص ٤٠٣ .

• •

➲ ومقرونة بشهادات الصدق على إمامتهم ووصايتهم .

وقد شهدت لهم الكائنات بأوثق البيّنات ويكفينا واحدة منها منقولة من طرق الفريقين وهو حديث رسول الله ﷺ أنّه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام : « ياأبا الحسن كلّم الشمس فإنّها تكلّمك .

قال علي عليه السلام : السلام عليك أيّها العبد المطيع لله .

فقالت الشمس : وعليك السلام ياأمير المؤمنين ، وإمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، ياعلي أنت وشيعتك في الجنّة ، ياعلي أوّل من ينشقّ عنه الأرض محمّد ثمّ أنت ، وأوّل من يحيا محمّد ثمّ أنت ، وأوّل من يكسى محمّد ثمّ أنت .

ثمّ انكبّ علي ساجداً وعيناه تذرفان بالدموع ، فانكبّ عليه النبي ﷺ فقال : ياأخي وحبيبي ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات »[1].

وبهذا يجزم الإنسان بوصايتهم ، ويتّضح له بالعيان إمامتهم ، وينطق بشهادتها المكمّلة للإيمان. والشهادة بالإمامة لا تفارق الشهادة بالرسالة منذ اليوم الأوّل إلى يوم القيامة ، وأمرنا بالإتيان بها ، ولا يستطيع أحد أن يتخلّف عنها كما تلاحظه في أحاديثنا الكثيرة[2].

فيلزم الإتيان بها في كلّ مقام بعد الشهادة بالرسالة حتّى في الأذان ، فالشهادة فيه من شعائر الايمان ، ومن علائم تشيّع الإنسان ، الموجب للفوز بالجنان .

كلّ ذلك يؤكّد حتميّة الشهادة بالإمامة وعلميّة ما جاء في الزيارة الجامعة : (وأشهد أنّكم الأئمّة) .

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ص١٦٩ ب١٠٩ ح٥ المروي بطريق العلاّمة والخوارزمي .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١ ب١٠ الأحاديث .

الرّاشِدُونَ(١)

(١) ـ (الراشدون) أي الذين يُرشدون إلى الدين الحقّ المبين ، ويهدون إلى الصواب باليقين.

من رَشِدَ يرشَدُ رَشَداً فهو راشد ، والرَشَد هي الهداية[١]، في الأُمور الدنيوية والأُخروية[٢]، وهو نقيض الغيّ والضلال[٣].

والرَشَد والرُشْد والرَّشاد واحد وهي الإستقامة على طريق الحقّ ، مع تصلّب فيه[٤].

وأئمّة أهل البيت عليهم السلام هم الأئمّة الراشدون ، كما نصّ عليه سيّدهم وجدّهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في حديث الصدوق رحمه الله باسناده عن زيد بن أرقم قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه :

« أُوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا يستغني عنه العباد ، فإنّ من رغب في التقوى زهد في الدنيا .

واعلموا أنّ الموت سبيل العالمين ومصير الباقين ، يخطف المقيمين ، ولا يعجزه الخلق الهاربون ، يهدم كلّ لذّة ، ويزيل كلّ نعمة ، ويبشع كلّ بهجة ، والدنيا دار الفناء ، ولأهلها منها الجلاء ، وهي حلوة خضرة قد عجلت للطالب ، فارتحلوا عنها يرحمكم الله بخير ما يحضر بكم من الزاد ، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ ولا تمدّوا أعينكم منها إلى ما متّع به المترفون .

ألا أنّ الدنيا قد تنكّرت وأدبرت واخلولقت وأذنت بوداع ، وأنّ الآخرة قد رحلت وأقبلت باطّلاع .

معاشر الناس كأنّي على الحوض يرد قوم عليّ منكم وستؤخّر أُناس من دوني، ⇐

(١) مجمع البحرين : مادّة رشد ص٢٠٦ .

(٢) المفردات : ص١٩٦ .

(٣) المحيط في اللغة : ج٧ ص٣٠٠ .

(٤) القاموس المحيط : ج١ ص٢٩٤ .

. . . .

فأقول : ياربّ منّي ومن أُمّتي فيقال : هل شعرت بما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم .

أيّها الناس أُوصيكم في عترتي وأهل بيتي خيراً ، فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم .

وهم الأئمّة الراشدون بعدي والأُمناء المعصومون .

فقام إليه عبدالله بن العبّاس فقال : يارسول الله كم الأئمّة بعدك ؟

قال : عدد نقباء بني اسرائيل وحواري عيسى ، تسعة من صلب الحسين ، ومنهم مهدي هذه الأُمّة »[١].

فالخلافة الهادية المهديّة الراشدة ، التي ترشد إلى الحقّ ، وتهدي إلى الصواب ، وتستقيم في طريق الحقيقة ، هي خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين عليهم السلام الذين عرفت أدلّة إمامتهم الراشدة ، وعصمتهم الرشيدة .

فهم خلفاء الرسول الأمين ، والأئمّة القدوة إلى يوم الدين ، دون من سواهم ممّن لم يكن عليهم أدنى تنصيص ، ولم يكن لهم أقلّ لياقة كما تلاحظ حالهم في مثل مجلّدات الفتن والمحن من البحار ، وفي السبعة من السلف ، وفي حياة الخليفة وغيرها .

والقرآن الكريم مصرّح بأنّ عهد الإمامة لا ينال الظالم ، وهو من تلبّس في حياته بالظلم شركاً أو معصية ومن تعدّى حدود الله تعالى ، فكيف تنال غير أهل البيت ممّن لا عصمة لهم ؟!

فقد قال عزّ إسمه : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢].

---

(١) غاية المرام : ص٢٠٥ ح٤٨ . (٢) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

. . . .

➲ وقد فُسّر هذا العهد بالإمامة من قِبَل الخاصّة والعامّة كما أفاده شيخ الطائفة ﵀[١].

فالحقّ المحقّق هو رشادة خصوص من اتّفق الفريقان في أحاديثهم المتواترة على أنّه مع الحقّ والحقّ معه ، يدور الحقّ معه حيثما دار ، ولن يفترقا إلى يوم القرار، كما تلاحظه في أحاديث الخاصّة في (١٠) طرق ، وأحاديث العامّة في (١٥) طريقاً[٢].

ثبّتنا الله على ولاية الأئمّة الراشدين ، والبراءة من أعدائهم المعاندين .

---

(١) تفسير التبيان : ج١ ص٤٤٨ .

(٢) غاية المرام : ص٥٣٩ ، بحار الأنوار : ج٣٨ ص٢٦ ب٥٧ الأحاديث ، إحقاق الحقّ : ج٤ ص٢٧ ، وج٩ ص٤٧٩ .

الْمَهْدِيُّونَ[(١)]

(١) ـ من الهداية والرشاد ، والإرشاد إلى طريق الحقّ والسداد ، جمع المهدي ، والمهديّ هو من هداه الله تعالى بهدايته الخاصّة .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم الذين هداهم الله بهدايته ، وأرشدهم بدلالته ، وتولّاهم بتربيته ورعايته ، وعصمهم من كلّ خطلة وزلّة ، ثمّ جعلهم أعلام الهدى وأئمّة الهداية .

فكانوا هم المهديّون من الله ، وهم الهادون لخلق الله ، كما ترى أحاديثه المتظافرة في بابه .

ففي حديث أبي الجارود ، عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[(١)] قال : « هذه الآية لآل محمّد وأشياعهم »[(٢)].

وفي حديث حمران عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾[(٣)] قال : « هم الأئمّة »[(٤)].

وفي حديث عبدالله بن جعفر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« ليس في جنّة عدن منزل ـ أشرف ولا ـ أفضل ولا أقرب إلى عرش ربّي من منزلي ، ونحن فيه أربعة عشر إنساناً ، أنا وأخي علي وهو خيرهم وأحبّهم إليّ ، وفاطمة وهي سيّدة نساء أهل الجنّة ، والحسن والحسين ، وتسعة أئمّة من ولد الحسين ، فنحن فيه أربعة عشر إنساناً في منزل واحد أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا ⇐

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٤٣ ب٢٥ ح٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٨١ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٤٤ ب٤٥ ح٥ .

. . . .

تطهيراً ، هداة مهديين »[١].

فرسول الله صلى الله عليه وآله هو المنذر ، ولكلّ قومٍ هادٍ إلى يوم القيامة أمير المؤمنين وأولاده المعصومون سلام الله عليهم ، كلّهم هداة مهديون ، إلى أن يبلغ خاتمهم الإمام الثاني عشر الذي هو المهدي وصفاً وإسماً ، والممتاز بهذا الإسم شخصاً .

خصّه الله بهذا الإسم الشريف لأنّه يُهدي إلى أمرٍ خفي ، ويُهدي إلى أمرٍ قد دُثر وضلّ عنه الناس ، كما في حديثي أبي سعيد الخراساني ومحمّد بن عجلان[٢].

وهذا الإسم المبارك من أحلى أسمائه الكريمة وسماته العظيمة ، التي هي كثيرة ، شأن العظماء الذين تتعدّد أسماؤهم لتعدّد صفاتهم ، وكثرة جوانب عظمتهم وقد فصّلنا البيان في أسماءه الشريفة ، وكنيته المباركة ، وألقابه السامية ، في كتاب الفوائد[٣].

ويمتاز سلام الله عليه باللقب الشريف (القائم) لقيامه بالحقّ بأعظم قيام إلهي يعرفه التاريخ البشري ، وكلّهم قائمون بالحقّ .

فيلزم تعظيمه بهذا اللقب ، والقيام عنده كما قام له الإمام الرضا عليه السلام ، بل أمر به الإمام الصادق عليه السلام في حديث الزام الناصب[٤].

وهذا القيام ووضع اليد على الرأس ـ مضافاً إلى التعظيم ـ هو تسليم للإمام عليه السلام وإستعداد لقيامه ، وطلب تعجيل فرجه التي هي من الوظائف الدينيّة ، والمرغّبات الشرعية خصوصاً في عهد الغيبة .

فاللازم على المؤمن :

١ ـ انتظار الفرج مع عدم الاستعجال في ذلك ، فإنّما يهلك المستعجلون كما دلّت

---

(١) كتاب سليم بن قيس : ج٢ ص ٨٤٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٥١ ص٢٩ ـ ٣٠ ب٢ ح٢ و٦ ـ ٧ .

(٣) الفوائد الرجالية : ص٢١ .

(٤) الزام الناصب : ج١ ص٢٧١ .

. . . .

⬅ عليه الأحاديث الشريفة[١].

٢ ـ العمل بما يلازم الانتظار من إصلاح النفس ، والتمسّك بتكاليف الدين ، والدعاء للفرج ، والإستعداد لنصرة الإمام عليه السلام كما يستفاد من الأحاديث المباركة[٢].

٣ ـ العلم بأنّ نفس هذا الانتظار والحالة الانتظارية في الإنسان المؤمن مطلوب مرغوب ، مُثاب عليه شرعاً كما يستفاد من الأحاديث المرويّة[٣].

وحبّذا لو كان الدعاء لتعجيل فرجه ـ مقروناً بأن يجعلنا من أعوانه وأنصاره ـ بالأدعية المأثورة الواردة عنهم صلوات الله عليهم ، مثل دعاء يونس ابن عبدالرحمن عن الإمام الرضا عليه السلام الذي رواه شيخ الطائفة في المصباح[٤].

وهكذا صلاة ودعاء الفرج لتعجيل فرجه الشريف[٥].

ويستحسن في المقام دراسة كتاب مكيال المكارم لإستقصاء معرفة فوائد الدعاء للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف والأدعية الواردة له عليه السلام .

---

(١) الكافي : ج١ ص٣٣٦ ح١ ، وص٣٦٨ ح٢ ـ ٧ .

(٢) الكافي : ج١ ص٣٣٥ ح١ ـ ٥ .

(٣) إكمال الدين : ص٦٤٤ ب٥٥ الأحاديث .

(٤) مصباح المتهجّد : ص٤٠٩ .		(٥) منتخب الأثر : ص٥٠١ .

الْمَعْصُومُونَ(١)

(١) ـ من العصمة التي هي في اللغة بمعنى الوقاية والمنع والدفع والحفظ والحماية ، وعرّفت بأنّها هي : « الروحية القدسيّة المانعة عن مخالفة التكاليف اللزومية شرعية وعقليّة مع القدرة عليها » .

وفُسّر المعصوم في بيان أهل العصمة بأنّه هو : « الممتنع بالله عن جميع محارم الله » كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام(١).

وأهل البيت عليهم السلام معصومون من الذنوب الكبائر والصغائر ، ومحفوظون من السهو والخطأ والنسيان ، ومبرّؤون من العيوب والأدناس والأرجاس في مدّة عمرهم الشريف من زمن الطفولية إلى نهاية الحياة الدنيوية .

وهذا البحث من أهمّ مباحث الإمامة والخلافة ، بل من أهمّ مباحث النبوّة ، إذ العصمة من أهمّ مميّزات النبي وخليفته ، وممّا يلزم وجوده فيهما حتّى يكون كفيلاً بعدم الخطأ ، وضميناً لسعادة الأُمّة إلى الأبد .

وقد ذكرنا هذا البحث مفصّلاً في أُصول العقائد ، وبرهَنّا على لزوم عصمة الإمام كبروياً ، ثمّ وجود العصمة في أئمّة الهدى صغروياً .

وبيّنا الأدلّة الأربعة على عصمة أهل البيت المعصومين الإثنى عشر سلام الله عليهم أجمعين ولا نكرّر فراجع(٢).

---

(١) معاني الأخبار : ص١٣٢ ح٢ .

(٢) العقائد الحقّة الطبعة الأُولى : ص٣١٧ .

الْمُكَرَّمُونَ[1]

(١) ـ جمع المكرّم ، مأخوذ من الكَرَم ، والكرم ضدّ اللؤم .

وفُسّر الكرم بالنفع الكثير ، والكريم صفة لكلّ ما يُرضى ويُحمد من الأُمور فيقال : القرآن الكريم ، والإنسان الكريم ، والوجه الكريم ، والجوهر الكريم ، بمعنى المحمود المرضي .

والمكرّمون هم أهل البيت عليهم السلام الذين كرّمهم الله تعالى ذاتاً وصفاتاً ، وأقوالاً وأفعالاً وأحوالاً ، فكانوا عليهم السلام مرضيين محمودين من جميع هذه الجهات .

وقد تكرّم الله تعالى عليهم بنورانية المبدأ والعصمة والطهارة ، والعلم والمعرفة ، والولاية والإمامة ، وجميع الكرامات والأُمور المحمودة المرضيّة ، مادّية ومعنوية ، دنيويّة وأُخروية، بحيث آتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين ، وجعلهم أفضل الخلق أجمعين .

ولقد كرّم الله بني آدم ، وأكرم من بينهم محمّداً وآله الطاهرين بأسمى آيات الكرامة ، وفضّلهم حتّى على أنبيائه المرسلين وملائكته المقرّبين ، حيث كانوا لذلك من اللائقين .

وقد تقدّم دليل كرامتهم في حديث تفسير قوله تعالى : ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ بأهل البيت عليهم السلام وأنّه أومأ الإمام الباقر عليه السلام بيده إلى صدره عند تلاوة هذه الآية الشريفة[1].

ولقد عمّت كراماتهم الدنيا والآخرة ، وكانت من العيان المستغنى عن البيان ، وجدانية للأولياء والأعداء .

وتلاحظ نبذة منها في أحاديث معاجزهم في الدنيا ودرجاتهم في الأُخرى[2].

بل كُرّمت أرواحهم في الخِلقة الأُولى ، كما سيأتي بيانه في فقرة « خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين ».

---

(١) تفسير البرهان : ج٢ ص٦٨٦ ، كنز الدقائق : ج٨ ص٤٠٤ .

(٢) لاحظ بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢٥٩ ح١٠ ، وص٢٧٢ ح٥٤ ، وج٢٧ ص١٠٧ ح٨٠ .

الْمُقَرَّبُونَ(١)

(١) ـ المقرّبون من القرب بمعنى الدنوّ ، مقابل البُعد .

وجاء القرب هنا بمعنى قُرب المكانة والقدر والمنزلة .

وأهل البيت عليهم السلام مقرّبون عند الله تعالى قُرباً معنوياً في منزلتهم ومكانتهم وقدرهم ، فإنّ لهم ولجدّهم المحلّ الأعلى ، والدرجة الزلفى ، والمرتبة الأرقى عند الله تعالى ، بحيث لا يدانيهم ملك مقرّب ، ولا نبي مرسل ، ولا مؤمن ممتحن .

فكانوا أقرب إلى الله من كلّ من كان له قرب وجاه وشأن عند الله تعالى .

وفي حديث طارق بن شهاب المتقدّم عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« إنّ الإمام جسد سماوي ، وأمرٌ إلهي ، وروح قدسي ، ومقام عليّ ... » .

وقال أيضاً : « هذا كلّه لآل محمّد لا يشاركهم فيه مشارك ... » .

وأنّ الأئمّة عليهم السلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله « ... أولياء الله المقرّبون ، وأمره بين الكاف والنون »(١).

(١) مقدّمة مرآة الأنوار : ص٥٠ ، بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٦٩ ب٤ ح٣٨ .

الْمُتَّقُونَ[١]

---

(١) ـ مرّ في الفقرة الشريفة « وأعلام التُّقى » بيان معنى وحقيقة التقوى مفصّلاً ، وذكرنا أنّ التقوى لغةً بمعنى : التحذّر والخشية .

وعرفاً بمعنى صيانة النفس عمّا يضرّها .

ولها مراتب ثلاثة هي :

١ / تصحيح العقائد .

٢ / فعل الواجبات ، وترك المحرّمات .

٣ / التجنّب عن كلّ ما يُشغل القلب عن الحقّ .

وجُمعت معانيها في الحديث الصادقي الشريف : « أن لا يفقدك حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك »[١].

وأهل البيت سلام الله عليهم أبرز أمثلة التقوى وأعلى سادات المتّقين . وفي حديث المفضّل ، عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[٢] قال :

« هي في علي وأولاده وشيعتهم ، هم المتّقون ، وهم أهل الجنّة والمغفرة »[٣].

وهم رمز التُّقى وكلمة التقوى التي ألزمها الله تعالى على المؤمنين في قوله تعالى : ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾[٤]. كما تلاحظه في أحاديث تفسيره الشريفة .

ففي أمالي الصدوق رحمه الله بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : « إنّ الله عهد إليّ في علي [بن أبي طالب] عليه السلام عهداً .

---

(١) سفينة البحار : ج٨ ص٥٥٨ .

(٢) سورة محمّد : الآية ١٥ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ص٤١٧ .

(٤) سورة الفتح : الآية ٢٦ .

. . . .

➲ قلت : يارب بيّنه لي .

قال : اسمع .

قلت : قد سمعت .

قال : إنّ عليّاً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين ، من أحبّه أحبّني ، ومن أطاعه أطاعني »[١].

وفي كتاب الخصال : عن عبدالله بن عبّاس قال : قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ، فقال في آخر خطبته : « نحن كلمة التقوى وسبيل الهدى »[٢].

وفي كتاب التوحيد ، بإسناده إلى أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته : « أنا عروة الله الوثقى وكلمة التقوى »[٣].

---

(١) أمالي الصدوق : ص٣٨٦ ح٢٣ ، بحار الأنوار : ج٣٨ ص١٠٤ ب٦١ ح٢٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٨٤ ب٥٠ ح٢٣ ، الخصال : ص٤٣٢ ح١٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٤ ص٨ ب١ ح١٨ ، التوحيد : ص١٦٤ ح٢ .

الصّادِقُونَ[1]

(١) ـ جمع الصادق من الصدق ضدّ الكذب ، والصادق هو الذي لا يكذب، والصادقون هم الذين صدقوا في دين الله نيّة وقولاً وعملاً[1].

وأتمّ مصاديقه أهل بيت العصمة سلام الله عليهم الذين صدقوا في دين الله نيّة وقولاً وفعلاً ، وصدقوا في عهودهم المأخوذة عليهم من الله تعالى ووفوا بها ، ولازموا الصدق حتّى كانوا من الصدّيقين ، وصدّقوا النبي من عالم النور[2].

وفي حديث أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّوجلّ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

قال : « الصادقون هم الأئمّة ، والصدّيقون بطاعتهم »[4].

وأمير المؤمنين عليه السلام (هو الصدّيق الأكبر) كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله[5].

وفاطمة الزهراء عليها السلام (هي الصدّيقة الكبرى) كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام[6].

---

(١) مجمع البحرين : ص٤٣٧ .

(٢) لاحظ معاني صدقهم في مرآة الأنوار : ص١٤٤ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٠٨ ح٢ .

(٥) كتاب سليم بن قيس الهلالي : ج٢ ص٨٨١ .

(٦) بحار الأنوار : ج٤٣ ص١٠٥ ب٥ ح١٩ .

الْمُصْطَفَونَ[١]

(١) ـ جمع المصطفى ، من الاصطفاء بمعنى الاختيار .

وصفو الشيء : خالصه ، وخياره ، وجيّده ، وأحسنه ، فالمصطفى هو المختار الخالص الجيّد.

وأهل البيت عليهم السلام هم الذين اصطفاهم الله تعالى واجتباهم واختارهم على العالمين .

وقد تقدّم في « صفوة المرسلين » أنّهم المصطفون من آل إبراهيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١].

وهم المصطفون من جميع عباد الله كما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٢].

كما تلاحظ أحاديث تفسيره في الكنز[٣].

وورد في حديث أبي حمزة الثمالي ، عن الإمام الباقر عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

« إنّ الله تعالى قال في الأئمّة الهداة : لقد اصطفيتهم وإنتجبتهم وأخلصتهم ، وإرتضيتهم ، ونجّي من أحبّهم ووالاهم وسَلَّم لفضلهم »[٤].

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٣ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٣٢ .

(٣) كنز الدقائق : ج١٠ ص٥٦٤ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٠٨ ح٤ .

الْمُطِيعُونَ لِلّٰهِ[١]

(١) ـ الطاعة والإطاعة في أصل اللغة بمعنى الإنقياد .

وإطاعة الله هي الإذعان به ، والإنقياد له ، وإمتثال ما أراده .

والمطيعون لله تعالى بالإطاعة التامّة الكاملة هم الرسول والعترة صلوات الله عليهم.

والدليل على طاعتهم العليا هي عصمتهم الكبرى .

وقد ورد في زيارة صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه : « أشهد يامولاي أنّكم المطيعون لله »[١].

وقد أطاعوا الله العزيز في جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وفي كل ما أراده منهم حتّى بذلوا أنفسهم وأموالهم وأرواحهم وأبدانهم في سبيله ، وصبروا على عظيم البلاء لرضاه ، وقاتلوا حتّى قُتلوا ، واضطهدوا حتّى استشهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة دينه .

ويدلّ على طاعتهم قوله تعالى : ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٢]ـ[٣].

وفي دعاء الزيارة الحسينية المباركة : « لم يعصك في ليل ولا نهار »[٤].

كما يدلّ عليه ويشهد به تتبّع أحوالهم ، واستقراء سيرتهم ، والتعرّف على عباداتهم والإطّلاع على مصائبهم ومحنهم في أحاديث الخاصّة والعامّة وكتب التاريخ والسير ، ويكفيك في ذلك ما تحمّله أمير المؤمنين عليه السلام من الألم في سبيل ⬅

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٨١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٧ .

(٣) كنز الدقائق : ج٨ ص٤٠٤ .

(٤) بحار الأنوار : ج١٠١ ص٢٢٥ ب١٨ ح٣٤ .

. . . .

طاعة الله ورسوله الذي تقدّم عن كتاب ابن دأب[١].

وتلاحظ ما شهد به ابن أبي الحديد حيث قال :

(وأمّا العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً ، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يبسط له نطع بين الصفّين ليلة الهرير فيصلّي عليه وِرده ، والسهام تقع بين يديه ، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً ، فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته ا وما ظنّك برجلٍ كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده)[٢].

قال السيّد الهمداني : (حقيقة الطاعة عبارة عن صَرف العبد جميع ما آتاه في إرادة الله من نفسه ، وملكاته ، وتمام جوارحه ، وإضافاته .

ولم يتحقّق ذلك ، ولا يتحقّق من عبد بالنسبة إلى مولاه إلّا من محمّد وآل محمّد ﷺ بالنسبة إلى الله تعالى)[٣].

---

(١) الإختصاص : ص١٥٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢٧ .

(٣) الشموس الطالعة : ص٢٦٣ .

الْقَوّامُونَ بِأَمْرِهِ[1]

(١) ـ القوّامون : جمع القوّام : مبالغة وتكثير في القائم المتولّي للأمر .

والقَوّام بأمرٍ : هو القائم به مع الثبات والمواظبة ، والجدّ والتجلّد ، والذي أتى به وأدّاه حقّ الأداء ، مُوفياً بحقّه ، كما يستفاد من اللغة .

وفُسّر القوّامون في قوله تعالى : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[1] بمعنى دائمين على القيام بالعدل ، في القول والفعل .

وأهل البيت عليهم السلام قوّامون بأمر الله تعالى الذي هو أمر الإمامة ، أو الأعمّ من ذلك ، كما أفادته الأحاديث الشريفة مثل :

١ ـ حديث عبدالعزيز بن مسلم ، عن الإمام الرضا عليه السلام الذي ورد فيه توصيف الإمام بأنّه : « قائم بأمر الله ... جعله الحجّة على عباده ، وقيّمه في بلاده »[2].

٢ ـ حديث أبي حمزة الثمالي ، عن الإمام الباقر عليه السلام : قال فيه : كنت عند أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام ذات يوم فلمّا تفرّق من كان عنده قال لي : « ياأبا حمزة من المحتوم الذي لا تبديل له عند الله قيام قائمنا ، فمن شكّ فيما أقول لقي الله وهو به كافر وله جاحد .

ثمّ قال : بأبي وأُمّي المسمّى باسمي ، والمكنّى بكنيتي ، السابع من بعدي ، بأبي من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وقال : ياأبا حمزة من أدركه فلم يسلّم له فما سلّم لمحمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ، وقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار ، وبئس مثوى الظالمين ..

وأوضح من هذا بحمد الله وأنور وأبين وأزهر لمن هداه الله وأحسن إليه ، قول الله تعالى في محكم كتابه : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَـوْمَ

---

(١) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢٠٢ ح١ .

. . . .

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾(١).

ومعرفة الشهور : المحرّم ـ لا يكون ديناً قيّماً ، لأنّ اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل والناس جميعاً من المنافقين والمخالفين يعرفون هذه الشهور ويعدّونها بأسمائهم. وإنّما هم الأئمّة عليهم السلام القوّامون بدين الله ، والحرم منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي اشتقّ الله تعالى له إسماً من إسمه العلي ، كما اشتقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله إسماً من إسمه المحمود ، وثلاثة من ولده أسماؤهم علي : علي بن الحسين ، وعلي بن موسى ، وعلي بن محمّد ، فصار لهذا الإسم المشتقّ من اسم الله تعالى حرمة به »(٢).

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٦.

(٢) بحار الأنوار : ج٣٦ ص٣٩٣ ب٢٥ ح٩ .

الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ(١)

(١) ـ أي أنّ أهل البيت عليهم السلام أعمالهم على وفق إرادة الله ، وعلى طبق مشيئته ، بل هم أوعية مشيئة الله تعالى ، ولا يريدون إلّا ما أراد الله .

وما أحلاها وأجلاها من كلمة تبيّن أنّ أقوالهم وأفعالهم ، وحركاتهم وسكناتهم ، وكلّ ما يصدر منهم أُمور ربّانية ، صادرة بالإرادة الإلهية .

لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلّا بعهدٍ من الله المتعال وأمرٍ منه ، يطيعونه ولا يتجاوزونه ، وقد عرفت أنّهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، فهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلّا وحي يوحى .

وقد عقد لذلك ثقة الإسلام الكليني باباً[1] بأحاديث عديدة منها :

حديث ضريس الكنّاسي ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

قال له حمران : جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر علي والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّوجلّ ، وما أُصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم ، والظفر بهم ، حتّى قُتلوا وغُلبوا ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : « ياحمران إنّ الله تبارك وتعالى [قد] كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتّمه ، ثمّ أجراه ، فبتقدّم علم ذلك إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين ، وبعلم صَمَت من صَمَت منّا »[2].

وفي الزيارة المطلقة الأُولى للإمام الحسين عليه السلام : « إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم ، وتصدر من بيوتكم »[3].

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٧٩ الأحاديث .

(٢) الكافي : ج١ ص٢٨١ ح٣ .

(٣) الكافي : ج٤ ص٥٧٥ ح٢ .

الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ[١]

(١) ـ أصل الفوز في اللغة هي النجاة ، وجاء بمعنى الظفر بالخير .

والكرامة : اسم من الإكرام والتكريم ، وهي أنواع الخير والشرف والفضيلة .

وأهل البيت عليهم السلام فازوا بما لم يَفُز به أحدٌ من الخلق أجمعين ، وظفروا بأجزل كرامات ربّ العالمين .

نالوا كلّ فضيلة ، وحازوا كلّ محمدة ، وأنعم الله عليهم بكلّ كرامة ، من الإمامة والعلم والحكمة والشرف ووجوب إطاعة الناس لهم في الدنيا ، مضافاً إلى شفاعتهم ومكانتهم ومقامهم المحمود في الأُخرى .

وقد أفاضوا أجزل الكرامات ووهبوا أجمل الخيرات ، وتقدّموا بمعالي الإحسان لمخلوقات الربّ المنّان بجميع صنوفها وأصنافها ، كما ترى ذلك في كراماتهم الإعجازية الشريفة[١].

وقد اعترف بمكارمهم وجميل خصالهم كلّ عدوٍّ وصديق ، وصار من العيان الذي لا يحتاج إلى البيان .

فازوا عليهم السلام بكرامات الخالق الكريم ، وصاروا مظاهر الفيض ، ووسائط الإفاضة والتكريم .

وكانوا كغيث الرحمة الإلهية العامّة ، الذي يعمّ نفعه الشكور والكفور والصالح والطالح .

ولا غرو في ذلك فإنّهم أهل بيت من هو سيّد النبيين ومن هو رحمة الله للعالمين.

وقد أكرمهم الله بشرفه ، وشرّفهم بكرامته ، كما في حديث زياد بن المنذر عن الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه :

---

(١) لاحظ مدينة المعاجز للسيّد البحراني قدس سره .

• •

➲ « هؤلاء أهل البيت أكرمهم الله بشرفه ، وشرّفهم بكرامته ، وأعزّهم بالهدى وثبّتهم بالوحي ، وجعلهم أئمّةً هداة ، ونوراً في الظُلَم للنجاة »[١].

وتلاحظ كرامات الله لهم في الحديث الجامع الشريف في الإمامة في رواية طارق بن شهاب المتقدّمة[٢].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٤٥ ب١٣ ح١٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٦٩ ب٣ ح٣٨ ، الكافي : ج١ ص١٩٨ ح١ .

اصْطَفٰاكُمْ بِعِلْمِهِ[١]

(١) ـ الإصطفاء هو الإختيار ، وصفو الشيء هو : خالصه وخياره وجيّده وأحسنه .

أي إصطفاكم الله واختاركم على خلقه ، وفضّلكم على عباده ، عالماً بأنّكم أهل لذلك ، فأنتم صفوة الخلق وأحسن العباد .

فإنّ الله تعالى محيط بكلّ شيء علماً ، عالم بحقائق الأشخاص واقعاً ، وخبيرٌ بعواقب الأفراد حقيقةً ، وعارف بالسرّ والخفيّات ، لا يعزُب عن علمه شيء ، لا يسهو ولا يلهو .

لذلك إذا اختار شيئاً كان إختياره في أعلى مراتب الصواب والإصابة ، ولم يخطأ في ذلك قيد شعرة .

وقد اختار الله العلّام محمّداً وآل محمّد وإصطفاهم على الخلق أجمعين ، وكان إختياره لهم بعلم منه ، مع معرفته بالوفاء منهم ، مع أهليّتهم للإصطفاء على أهل الأرض والسماء .

وقد تقدّم حديث أبي حمزة الثمالي في إخبار الله تعالى عن الأئـمّة عليهم السلام في الكلام القدسي : « لقد إصطفيتهم وانتجبتهم »[١].

وفي دعاء الندبة الشريفة : « وعلمتَ منهم الوفاءَ به ، فقبلتَهم وقرّبتَهم وقدّمت لهم الذكرَ العليّ ، والثناء الجليّ »[٢].هذا معنى ، واحتمل أن يكون بمعنى أنّ الله ⇐

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٨ ح٤ .

(٢) لا يخفى أنّ هذا الدعاء الشريف من الأدعية المعتبرة المنقولة عن مولانا صاحب الزمان أرواحنا فداه لندبة شيعته له ، وطلبهم فرجه من الله تعالى في الأعياد الأربعة ـ الغدير والفطر والأضحى والجمعة ـ .

وقد جاء هذا الدعاء في مصادر كتب الزيارة التي لها الاعتبار واعتمد عليها العلماء الأبرار مثل ⇐

• •

⇐ (مزار محمّد بن المشهدي / ص١٩٠) و (مصباح الزائر للسيّد ابن طاووس / ٢٣٠) و (الإقبال / ص٢٩٥) وجاء في البحار : ج١٠٢ ص١٠٤ ب٥٦ الدعاء .

ومعلوم أنّ المصدر الأقدم هو المزار ـ وصاحبه ابن المشهدي ، هو محمّد بن جعفر المعروف بابن المشهدي الحائري ، الذي هو من مشايخ محدّثي الشيعة الأبرار ، وأُستاد الشيخ نجيب الدين ابن نما الحلّي .

وقد أفاد الميرزا النوري قدس سره في خاتمة المستدرك : ج٣ ص٣٦٨ و٤٧٧ اعتماد أصحابنا الأبرار على هذا الكتاب وتسميته بالمزار الكبير .

وقد نقل ابن المشهدي دعاء الندبة عن محمّد بن علي بن أبي قرّة الذي هو من المشايخ الثقات للشيخ النجاشي .

عن أبي جعفر محمّد بن الحسين البزوفري الذي هو من مشايخ الشيخ المفيد الذي ترحّم عليه نقل إنّه الدعاء لصاحب الزمان عليه السلام .

وسلسلة السند هؤلاء كلّهم من الأجلّاء .

وقد وثّق ابن المشهدي مشايخه الرواة إلى المعصومين عليهم السلام بالتوثيق العام في أوّل كتاب المزار بقوله :

(فإنّي قد جمعت في كتابي هذا من فنون الزيارات للمشاهد المشرّفات ، وما ورد في الترغيب في المساجد المباركات ، والأدعية المختارات ، وما يُدعى به عقيب الصلوات ، وما يُناجى به القدير تعالى ، من لذيذ الدعوات في الخلوات ، وما يُلجأ إليه من الأدعية عند المهمّات ، ممّا اتّصلت به من ثقات الرواة إلى السادات) .

فتكون أسناد رواياته موثّقة من قبله بالتوثيق العام في جميع سلسلة السند .

ومن ذلك سنده في دعاء الندبة ، فيكون هذا الدعاء من الأدعية المعتبرة ، فهو تامّ سنداً وشريف دلالة .

وقد ذكره العلّامة المجلسي في ص٣٤٣ من كتابه الشريف تحفة الزائر الذي صرّح في مقدّمته / ص٢ بأنّها مقصورة على ذكر الزيارات والأدعية والآداب المنقولة بأسانيد معتبرة عن أئمّة الدين صلوات الله عليهم أجمعين .

. . . .

➲ تعالى اصطفاكم على الخلق بسبب أن كنتم خزّان علمه. وقد مضى بيان جهات علومهم في فقرة « وخزّان العلم ». وفي زيارة أئمّة البقيع عليهم السلام : « إصطفاكم الله على الناس ، وورّثكم علم الكتاب وعلّمكم فصل الخطاب ، وأجرى فيكم مواريث النبوّة، وفجّر بكم ينابيع الحكمة ، وألزمكم بحفظ الشريعة ، وفرض طاعتكم ومودّتكم على الناس »[١].

وفي نسخة الكفعمي بعد هذا (واصطنعكم لنفسه).

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ٢٠٩ ب ٩ ح ٨.

وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ (١)

(١) ـ الرضا : ضدّ السخَطَ والكراهة .

والغَيب : هو ما غاب وخفي عن الأبصار .

والارتضاء للغيب بمعنى من رضى به الله وقَبِلَه لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلّا هو .

وأهل البيت سلام الله عليهم إرتضاهم الله لعلم الغيب ، وحمّلهم معرفة المغيبات ، وجعلهم مخزن غيبه ، والمطّلعين على الغيب بإذنه .

وفيه إشارة إلى أنّهم عليهم السلام ممّن إرتضاهم في قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾(١).

إمّا بكون الرسول شاملاً لهم على التغليب ، أو أنّ علمهم بالغيب واصل إليهم بواسطة الرسول وهو جدّهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كما أفاده في كتاب الأنوار(٢)، وجاء بيانه في حديث حمران(٣).

وقد استشهد بهذه الآية الشريفة في مفصّل حديث سلمان رضوان الله عليه عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما أراه وأخبره عن الأمور العجيبة .

فقال سلمان : كيف هذا ياسيّدي ؟

فأجاب عليه السلام : « ياسلمان أما قرأت قول الله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ فقلت : بلى ياأمير المؤمنين فقال عليه السلام : أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عزّوجلّ على غيبه »(٤).

وفي الحديث العلوي الجامع في وصف الإمام عليه السلام : « عالم بالمغيبات خصّاً من ⬅

(١) سورة الجنّ : الآية ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢) الأنوار اللامعة : ص١١٦ .
(٣) الكافي : ج١ ص٢٥٦ ح٢ .
(٤) بحار الأنوار : ج٤٣ ص٥٠ ب١١٧ ح١ .

. . . .

ربّ العالمين ، ونصّاً من الصادق الأمين »[١].

ويستفاد علمهم بالغيب بإذن الله تعالى من أحاديث كثيرة وفيرة في مختلف الأبواب من ذلك :

١ ـ أحاديث أُصول الكافي / ج١ / ص٢٥٨ / باب أنّ الأئمّة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا علموا / ح١ ـ ٣ ، وباب أنّ الأئمّة عليهم السلام يعلمون متى يموتون / ح١ ـ ٢ .

٢ ـ أحاديث بحار الأنوار / ج٤١ / ص٢٨٣ / باب ١١٤ باب معجزات كلام أمير المؤمنين عليه السلام من إخباره بالغائبات ، الأحاديث الستّة والستّين .

وكذا إخبارات باقي أئمّتنا المعصومين عليهم السلام التي تجدها مجموعة في سفينة البحار / ج٦ / ص٦٩٩ ـ ٧٠٢ .

٣ ـ أحاديث كنز الدقائق / ج١٣ / ص ٤٩١. نكتفي من تلك المجموعة الكبيرة بالأحاديث المتواترة الواردة في تفسير قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[٢] ومن ذلك :

١ ـ حديث علي بن إبراهيم المتقدّم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أُذينة ، عن عبدالله بن سليمان ، عن حمران بن أعين ، عن أبي عبدالله عليه السلام : « إنّ جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله برمّانتين ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما وكسر الأخرى بنصفين ، فأكل نصفاً وأطعم عليّاً نصفاً .

ثمّ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : ياأخي ، هل تدري ما هاتان الرمّانتان ؟

قال : لا .

قال: أمّا الأُولى فالنبوّة، ليس لك فيها نصيب، وأمّا الأُخرى فالعلم أنت شريكي فيه .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٧٢ ب٤ ح٣٨ .

(٢) سورة الجنّ : الآية ٢٦ ـ ٢٧ .

. . . .

فقلت : أصلحك الله ، كيف كان يكون شريكه فيه ؟

قال : لم يعلّم الله محمّداً صلى الله عليه وآله علماً إلّا وأمره أن يعلّمه عليّاً »[1].

٢ ـ حديث الإحتجاج للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وفيه : « وألزمهم الحجّة ، بأن خاطبهم خطاباً يدلّ على انفراده وتوحيده ، وبأنّ له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله ... وعرّف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ﴾ (الآية). قال السائل : مَن هؤلاء الحجج ؟

قال : هم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حلّ محلّه من أصفياء الله ... الذين قال : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ الذين قرنهم الله بنفسه ، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه »[2].

٣ ـ حديث الخرائج والجرائح المتقدّم : روى محمّد بن الفضل الهاشمي ، عن الرضا عليه السلام أنّه نظر إلى ابن هذّاب فقال : إن أنا أخبرتك أنّك مبتلى في هذه الأيّام بدم ذي رحم لك أكنت مصدّقاً لي ؟

قال : لا ، فإنّ الغيب لا يعلمه إلّا الله .

قال : أو ليس يقول : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ ؟! فرسول الله صلى الله عليه وآله عند الله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه ، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة » (الحديث)[3].

٤ ـ حديث كتاب الخصال في مناقب علي عليه السلام وتعدادها : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وأمّا الثالثة والثلاثون ، فإنّ رسول الله ٩ التقم أذني فعلّمني ما كان وما يكون إلى

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٦٣ ح١ . (٢) الاحتجاج : ج١ ص٢٥٢ .

(٣) الخرائج والجرائح : ج١ ص٢٤٣ ح١ .

. . . .

➲ يوم القيامة ، فساق الله ذلك إليّ على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله »[١].

ولا يخفى أنّ علمهم بالغيب لا ينافي قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾[٢].

وذلك لأنّ علمهم بالغيب ليس ذاتياً كعلم الله بالغيب ، بل هو بإذن الله وإعلامه وتعليمه ، ورضاه ومشيئته كما عرفت ذلك من بعض الأحاديث المتقدّمة ، وبالوراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، والإستفادة من كتاب الله كما في مثل :

أ ـ حديث سيف التمّار الذي ورد فيه : « وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة »[٣].

ب ـ حديث الخثعمي الذي ورد فيه : « علمت ذلك من كتاب الله عزّوجلّ »[٤].

ج ـ حديث ابن هذّاب الذي ورد فيه : « نحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه ، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة »[٥].

فيكون علمهم بالغيب باعلام الله ، ومن كتاب الله ، وعن رسول الله ، ومن المعلوم أنّ هذا لا ينافي كون الغيب لا يعلمه إلّا الله .

ثمّ لا يقال : إنّهم بعد علمهم بالغيب كيف يصحّ لهم الإقدام على أسباب الشهادة التي يعلمونها ؟

لأنّه يجاب : بعدم المحذور في ذلك لأجل ما يلي:

أوّلاً : من أجل أنّهم يخيّرهم الله تعالى في الشهادة ، ويأذن لهم في نيل الكرامة والسعادة ، ويرضى لهم الوصول إلى الدرجات العالية بالتضحية ، كما يستفاد من ➲

---

(١) كنز الدقائق : ج١٣ ص٤٨٩ .
(٢) سورة النمل : الآية ٦٥ .
(٣) الكافي : ج١ ص٢٦١ ح١ .
(٤) الكافي : ج١ ص٢٦١ ح٢ .
(٥) كنز الدقائق : ج١٣ ص٤٩٣ ، الخرائج والجرائح : ج١ ص٣٤١ ح٦ ، بحار الأنوار : ج٤٩ ص٧٣ ب٤ ح١ .

. . . .

➲ أحاديثها[1].

وكما يتّضح ذلك من خطبة الإمام الحسين عليه السلام عند المسير إلى كربلاء المقدّسة جاء فيها : « وخيّر لي مصرع أنا لاقيه »[2].

فإذا أذن الله تعالى في الشهادة لم تحرم ، حتّى يكون إقدامهم عليها إقداماً على الحرام .

ثانياً : أنّ التكاليف منوطة بالعلم العادي البَشَري الظاهري ، لا بعلم الغيب حتّى يكون وجود العلم الغيبي بالشهادة موجباً لتكليف حرمة الإقدام عليها .

فليس الأئمّة عليهم السلام مكلّفون بترتيب الآثار على علم الغيب حتّى لا يصحّ إقدامهم على الشهادة التي أذن الله لهم فيها .

فلا محذور في إقدامهم على الشهادة المعلومة غيباً ، المأذون فيها شرعاً ، كعدم المحذور لمن عَلِم وجداناً بوصوله قطعاً إلى درجة الشهادة ، عند الجهاد بإذن المعصوم عليه السلام ، وأقدم عليها تحصيلاً لكرامتها ، فهل في ذلك بأس ؟!

ثمّ إنّه لا يقال : إنّ علم الغيب غير مختصّ بهم حتّى يكون فضيلة لهم لأنّه يمكن معرفة المرتاضين للغيب أيضاً .

فإنّه يجاب : بأنّ ذلك إن صحّ كونه غيباً فهو غيب شيطاني تدليسي ، يقع فيه التخلّف كثيراً ، ولا يكون في نفسه جامعاً ولا في جميعه صادقاً .

بخلاف غيبهم عليهم السلام الذي هو غيب رحماني مأخوذ من الله تعالى كما ترى في نسبته إليه في قوله : « وارتضاكم لغيبه » ولم يقل للغيب .

والغيب الرحماني علم يقيني صادق ، جامع لكلّ الأشياء ، ليس فيه خلف أو تخلّف مأخوذ من مصدر وحي الرحمن لا إيحاء الشيطان ، وكم بينهما من فرق .

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٥٩ ح٤ و٥ و٨ ، وص٢٦١ ح٤ .

(٢) إبصار العين : ص٦ ، كشف الغمّة : ج٢ ص٢٠١ .

وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ[١]

(١) ـ السرّ في اللغة بمعنى ما يُكتم ، ومنه (هذا من سرّ آل محمّد) أي من مكتومهم ، الذي لا يظهر لكلّ أحد[١].

وسرُّ الله تعالى هي العلوم والمكاشفات والحقائق التي لا يجوز إظهارها إلّا لمن هو أهل لها من الكُمّلين ، فإنّه لا يتحمّلها إلّا ملك مُقرّب ، أو نبي مرسل ، أو عبد إمتحن الله تعالى قلبه للإيمان .

وقد مرّ بيانه في الفقرة الشريفة المتقدّمة « وحفظة سرّ الله » .

وأهل البيت عليهم السلام إختارهم الله لسرّه ، وائتمنهم على مكتوم علمه ، كما تلاحظه في حديث أبي الجارود ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

« إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليّاً عليه السلام في المرض الذي توفّي فيه فقال : ياعلي أُدنُ منّي حتّى أسرّ إليك ما أسرّ الله إليّ ، وائتمنك على ما ائتمنني الله عليه ، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي ، وفعله علي بالحسن ، وفعله الحسن بالحسين ، وفعله الحسين عليه السلام بأبي ، وفعله أبي بي ، صلوات الله عليهم أجمعين »[٢].

---

(١) مجمع البحرين : مادّة سَرَرَ ص٢٦٦ .

(٢) بصائر الدرجات : ص٣٧٧ ب٣ ح١ .

وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ[١]

(١) ـ الاجتباء : هو الاختيار والاصطفاء ، وفي الأخبار الكثيرة : « إنّ الله اجتبى محمّداً بالرسالة ، وعليّاً والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام بالوصاية والإمامة » أي إختارهم وإصطفاهم لذلك[١].

وهذه الفقرة الشريفة تبيّن أنّ الله تعالى اجتبىٰ أهل البيت عليهم السلام بقدرته ، وفي ذلك معنيان كما أفاده العلّامة المجلسي قدس سره[٢] وهما :

١ / أن تكون بمعنى أنّ نفس إختيار هذه الصفوة الطيّبة للإمامة هي من مظاهر قدرة الله وحسن إنتخابه الواقع في أليق محلّه ، فتكون إشارة إلى علوّ مرتبة إجتبائهم .

وقد مرّ ذلك مفصّلاً في فقرة « المصطفون » وفقرة « وإصطفاكم بعلمه » .

٢ / أن تكون بمعنى أنّ الله اجتباهم واصطفاهم بإعطائهم قدرته العجيبة ، فأظهر منهم فوق طاقة البشر ، وهو صاحب القدرة الكاملة ، كما ترى في القُدُرات الفائقة التي ظهرت من أهل البيت عليهم السلام في حياتهم ، وبعد حياتهم ، ممّا اعترف بها الخاصّ والعام ، والصديق والعدو ، خصوصاً مفاخر ومآثر سيّد الوصيين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الشجاعة العلويّة والقوّة الحيدرية ، التي تجلّت منه في قمّة الاشتهار ، واستبانت كالشمس في رابعة النهار ، في جميع حروبه وغزواته ، وأخصّ بالذكر منها فتح خيبر الذي روى عنه قوله فيه :

« والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوّة جسديّة ولا حركة غذائية ، لكن أُيّدتُ بقوّة ملكوتية ، ونفس بنور ربّها مضيئة ، وأنا من

(١) مشكاة الأنوار : ص٨١ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٣٧ .

. . . .

أحمد كالضوء من الضوء ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت ... »[١].

وتلاحظ مظاهر هذه القدرة الربّانية في أحاديث سيرته[٢].

من ذلك ما حكاه في البحار عن الفائق جاء فيه :

كانت لعلي عليه السلام ضربتان : إذا تطاول قدّ ، وإذا تقاصر قطّ . وقالوا : كانت ضرباته أبكاراً ، إذا اعتلى قدّ وإذا اعترض قطّ ، وإذا أتى حصناً هدّ ، وقالوا : كانت ضرباته مبتكرات لا عوناً ، يقال : ضربة بكر أي قاطعة لا تثنّى ، والعون التي وقعت مختلسة فأحوجت إلى المعاودة .

ويقال : إنّه عليه السلام كان يوقعها على شدّة في الشدّة لم يسبقه إلى مثلها بطل ، زعمت الفرس أنّ أصول الضرب ستّة وكلّها مأخوذة عنه وهي : علويّة ، وسفليّة ، وغلبة ، وماله ، وحاله ، وجر وهام ...

وله ليلة الهرير ثلاث مائة تكبيرة ، أسقط بكلّ تكبيرة عدوّاً ، وفي رواية : خمسمائة وثلاثة وعشرون ، رواه الأعثم ، وفي رواية سبعمائة .

ولم يكن لدرعه ظهر ، ولا لمركوبه كرّ وفرّ. وحمل على المشركين فما زالوا يبقّطون ـ يعني تعادوا إلى الجبال منهزمين ـ.

وكانت قريش إذا رأوه في الحرب تواصت خوفاً منه .

وقد نظر إليه رجل وقد شقّ العسكر فقال : علمت بأنّ ملك الموت في الجانب الذي فيه علي .

وقد سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله كرّاراً غير فرّار في حديث خيبر ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يهدّد الكفّار به عليه السلام[٣].

---

(١) أمالي الصدوق : ص٤٦١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ب١١٣ ص٢٧٩ ، وج٤٢ ص٣٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج٤١ ص٦٧ ـ ٦٨ .

وَأَعَزَّكُمْ بِهُدٰاهُ[١]

---

(١) ـ العِزّ : خلاف الذُلّ ، ويكون في الشيء القيّم الثمين المرغوب ، فيكون عزيزاً .

والعزّة في الأصل هي القوّة والغلبة .

وأهل البيت عليهم السلام جعلهم الله أعزّاء الخلق بواسطة اهتدائهم بالله ، وهدايتهم للناس ؛ فكانوا هم المستضيئون بالهداية الربّانية الخاصّة ، والرعاية الإلهية المخصوصة ، كما تقدّم في الفقرة الشريفة « والقادة الهداة » . مع الإستدلال له بقوله عزّ إسمه : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[١].

وقد جعل الله العزّة الشامخة لآل محمّد عليهم السلام بهاتين المزيّتين .

والعزّة الإلهية لا تزول ولا تُزال كالإعتبارات الدنيوية ، بل هي الدرجة الباقية العليا التي لا تصل إليها عزّة أُخرى .

وفي الحديث العلوي الجامع : « وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] والمؤمنون علي وعترته .

فالعزّة للنبي والعترة ، والنبي والعترة لا يفترقان في العزّة إلى آخر الدهر ... »[٣].

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .
(٢) سورة المنافقون : الآية ٨ .
(٣) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٧٠ ب٤ ح٣٨ .

وَخَصَّكُمْ بِبُرْهٰانِهِ(١) وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ(٢)

(١) ـ البُرهان : هي الحجّة والبيان ، والدليل العيان ، وهو ملازم للصدق .

وأهل البيت عليهم السلام خصّهم الله تعالى بين الخلق بأتمّ الأدلّة وأكمل البراهين وهي عبارة عن القرآن الكريم ، والإعجاز العظيم ، والآيات الباهرة ، والدلائل الظاهرة التي أدركها الوجدان ، واعترف بها الفريقان ، ودليل ذلك في حديث صفات الإمام عليه السلام(١).

ففي الخصال بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

« عشر خصال من صفات الإمام : العصمة ، والنصوص ، وأن يكون أعلم الناس، وأتقاهم لله ، وأعلمهم بكتاب الله ، وأن يكون صاحب الوصيّة الظاهرة ، ويكون له المعجز والدليل ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، ولا يكون له فَيء ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه »(٢).

(٢) ـ الانتجاب : هو الإختيار والاصطفاء .

وأهل البيت عليهم السلام إصطفاهم الله تعالى بنوره ، بأحد معنيين كما أفاده السيّد شبّر أعلى الله درجته(٣) وهما :

١ / أن يكون المعنى أنّ الله إصطفاهم للهداية بنوره المقدّس ، فكانوا هادين للناس بالأنوار الربّانية ، والهداية الإلهية ، والعلوم القرآنية فهم مع القرآن والقرآن معهم ، وهذا واضح .

٢ / أن تكون الباء بمعنى « من » أي إنتجبكم من نوره ، وخلقكم من نور

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٤٠ ب٤ ح١٢ .

(٢) الخصال : ص٤٢٨ باب العشرة ح٥ .

(٣) الأنوار اللامعة : ص١١٩ .

. . . .

⊃ عظمته، كما يشهد له حديث محمّد بن مروان ، عن أبي عبدالله عليه السلام : « إنّ الله خلقنا من نور عظمته ... »[١].

وفي نسخة الزيارة المباركة في عيون أخبار الرضا عليه السلام : « وانتجبكم لنـوره » ويحتمل فيه أن يكون بمعنى اصطفاكم لنور القرآن أو لنور الولاية ، كما تـلاحظ هذين المعنيين في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[٢]_[٣].

وقد عقد ثقة الإسلام الكليني باباً في أنّهم عليهم نور الله عزّوجلّ ، وقد إشتمل على أحاديث عديدة منها حديث أبي خالد الكابلي المتقدّم[٤].

(١) بصائر الدرجات : ص٢٠ ب١٠ ح٣ ، بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٣ ب١ ح٢٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧٤ .

(٣) كنز الدقائق : ج٣ ص٥٩٨ .

(٤) الكافي : ج١ ص١٩٤ ح١ .

وَاَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ[1]

(١) ـ الرُوح : بضمّ الراء ، وجمعه أرواح في أصل اللغة هي النفس التي يحيى بها البدن[1].

وفسّره في القاموس بما به حياة النفس ، ثمّ ذكر أنّه يؤنّث[2].

لكن قوله بتأنيثه فقط خطأ ظاهراً لقول ابن منظور في اللسان : إنّ الروح مذكّر ، والنفس مؤنّثه عند العرب ، والروح يذكّر ويؤنّث[3].

وحقيقة الروح هو جسم رقيق ، وشيء لطيف ، مجانس للريح ، كما يستفاد من أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام مثل :

حديث الاحتجاج في قوله عليه السلام : « والروح جسم رقيق قد اُلبس قالباً كثيفاً ... الروح بمنزلة الريح في الزق »[4].

وحديث السفينة في قوله عليه السلام : « إنّ الروح متحرّك كالريح ، وإنّما سمّي روحاً لأنّه اشتقّ إسمه من الريح ، وإنّما أخرجه على لفظة الريح لأنّ الروح مجانس للريح »[5].

فليس هو مجرّداً غير جسم ، كما قيل[6]. بل هو جسم لطيف كالهواء .

ثمّ إنّ المستفاد من الأحاديث الشريفة أنّ الأرواح خمسة :

روح القُدُس ، وروح الايمان ، وروح القوّة ، وروح الشهوة ، وروح البدن المعبّر عنه بروح الحياة ..

وبالترتيب الأرواح الخمسة تجتمع في النبي والإمام ، والأربعة الأخيرة تكون ⇐

---

(١) ترتيب العين : ج١ ص٧٢٥ ، والمحيط : ج٣ ص١٩٧ .

(٢) القاموس : ج١ ص٢٢٤ .

(٣) لسان العرب : ج٢ ص٤٦٢ .

(٤) الاحتجاج : ج٢ ص٩٦ .

(٥) سفينة البحار : ج٣ ص٤١٣ .

(٦) مجمع البحرين : مادّة رَوَح ص١٧٥ .

. . . .

في المؤمن ، والثلاثة الأخيرة تكون في غيرهم كما نقله الطريحي(١).

وروح القُدُس هو الروح النوري الملكوتي المقدّس ، الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ مع الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ، فهم مؤيّدون به . فاتّضح أنّ معنى « وأيّدكم بروحه » أيّدكم الله تعالى بروح القدس .

وهذا الروح لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو .

وهذا الروح يسدّدهم ، وقد عرفوا به ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى ، وقد دلّت عليه الأحاديث المستفيضة(٢) مثل :

١ ـ حديث جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن علم العالم ؟ فقال لي : « ياجابر ! إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان وروح الحياة ، وروح القوّة ، وروح الشهوة .

فبروح القدس ياجابر ! عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى .

ثمّ قال : ياجابر ! إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلّا روح القدس ، فإنّها لا تلهو ولا تلعب »(٣).

٢ ـ حديث أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾(٤).

قال : « خلقٌ من خلق الله عزّوجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يُخبره ويسدّده ، وهو مع الأئمّة من بعده »(٥).

٣ ـ حديث أبي بصير الآخر قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ :

(١) مجمع البحرين : مادّة رَوَح ص١٧٦ .

(٢) مشكاة الأنوار : ص٩٦ .

(٣) الكافي ج١ ص٢٧٢ ح٢ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٥٢ .

(٥) الكافي : ج١ ص٢٧٣ ح١ .

. . . .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(١).

قال : « خلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله ﷺ ، وهو مع الأئمّة وهو من الملكوت »(٢).

فأهل البيت عليهم السلام يؤيّدهم الله تعالى منه بهذه الروح العظيمة القدسيّة كما في هذه الفقرة : « وأيّدكم بروحه » .

وما أجمل التعبير الأوحدي في الحديث العلوي : « ... والإمام ياطارق بشر ملكي ، وجسد سماوي ، وأمر إلهي ، وروح قدسي ... »(٣).

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٥.

(٢) الكافي : ج١ ص٢٧٣ ح٣.

(٣) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٧٢ ب٤ ح٣٨.

وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي اَرْضِهِ[١]

(١) ـ الخلفاء : جمع خليفة ، وهو في اللغة من يقوم مقام الشخص ويسدّ مسدّه ، والتاء فيه للمبالغة[١].

والخليفة : هو المدبّر للأُمور من قِبَلِ غيره بدلاً من تدبيره ، وفلان خليفة الله في أرضه معناه أنّه جعل الله إليه تدبير عباده بأمره[٢].

وفي العرف يراد بالخليفة معنيان : كونه خَلَفاً لمن قبلَه ، أو مدبّراً للأُمور من قِبَل غيره[٣].

وهذه الخلافة والنيابة إن كانت من قِبَل الله تعالى فهي تشريف للخليفة ، كما في مثل : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[٤]ـ[٥].

وحقيقة الخلافة من الله تعالى هي النيابة عنه عزّ إسمه .

لذلك يلزم أن تكون بجعلٍ من حضرته ، ونصبٍ من جنابه ، ورضىً من مقامه ، فإنّه لا تصحّ نيابة بدون إستنابة ، ولا تُعقل خلافة بدون استخلاف .

وإمامة آل محمّد صلوات الله عليهم هي خلافة الله ، وخلافة الرسول ، ومقام أمير المؤمنين ، وميراث أبنائه المعصومين ، كما في حديث الإمام الرضا عليه السلام[٦].

وأهل البيت سلام الله عليهم رضى بهم الله تعالى خلفاء في أرضه ، ونصبهم مستخلَفين على بريّته ، كما تضمّنته هذه الفقرة الشريفة من الزيارة الجامعة ، فكانت خلافةً إلهية حقّة .

---

(١) مشكاة الأنوار : ص٩٦ .
(٢) مجمع البيان : ج٨ ص٤٧٣ .
(٣) مجمع البحرين : مادّة خَلَف ص٤٠٥ .
(٤) سورة صٓ : الآية ٢٦ .
(٥) مفردات غريب القرآن : ص١٥٦ .
(٦) الكافي : ج١ ص١٩٩ .

. . . .

بل تواترت بخلافتهم أحاديث الفريقين من الخاصّة في (٥٢) حديثاً، ومن العامّة في (٦٦) حديثاً جاءت في بابين خاصّين مفصّلين في تنصيص رسول الله على علي بن أبي طالب وبنيه الأحد عشر عليهم السلام أنّهم الأئمّة من بعده وخلفاؤه وأوصياؤه فراجع[١].

وبهم عليهم السلام فُسّر قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٢].

كما تراه في الكافي في بابه الخاصّ ، من ذلك :

حديث عبدالله بن سنان قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله جلّ جلاله : ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ؟

قال : هم الأئمّة عليهم السلام .

وحديث الجعفري ، عن الإمام الرضا عليه السلام : « الأئمّة خلفاء الله عزّوجلّ في أرضه»[٣].

وقد جاء من العامّة في تفسير أبي عبيدة[٤]، وكذا عن ابن حيّان في حياة النبي ، والحسكاني في شواهد التنزيل كما في الإحقاق[٥]. ومن الخاصّة في أحد عشرحديثاً[٦].

فالمستخلفون من الله تعالى في كتابه الكريم هم الأئمّة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين ، ومعلوم أنّ كمال الأمر والتمكّن لهم يكون في زمان الدولة الحقّة للإمام المهدي أرواحنا فداه، كما تلاحظ بيانه في الأحاديث المبيّنة لخصائص تلك

---

(١) غاية المرام : ص٣٢ ـ ٥٦ .
(٢) سورة النور : الآية ٥٥ .
(٣) الكافي : ج١ ص١٩٣ ح١ .
(٤) غاية المرام : ص٣٧٦ .
(٥) إحقاق الحقّ : ج١٤ ص٤٧٣ .
(٦) غاية المرام : ص٣٧٦ .

. . . .

➲ الحكومة المحقّة[١]، ويأتي ذكرها في فقرة « مرتقب لدولتكم » .

فخلافة الله تعالى الثابتة بنصّه وتنصيصه ، في أرضه وبريّته ، التي هي الخلافة الشرعية ، إنّما ثبتت بعد الأنبياء ، لنبي الإسلام وآله الأوصياء ، وتدوم إلى يوم القيامة واللقاء ، لبقاء دينه واستمرار شريعته .

خلافة إلهيّة ثابتة من الله تعالى الذي هو الجاعل في الأرض خليفة ، كما تلاحظ تفصيله في أحاديثنا الشريفة[٢].

---

(١) بحار الأنوار : ج٥٢ ص٣٠٩ ب٢٧ الأحاديث .

(٢) كنز الدقائق : ج١ ص٣٢٩ .

وَحُجَجاً عَلىٰ بَرِيَّتِهِ(١)

(١) ـ مرّ أنّ حجج جمع حجّة مثل غُرَف جمع غرفة ، وهي في اللغة بمعنى الدليل والبرهان .

وحجج الله : هم الذين يحتجّ بهم الله على خلقه ، وأتمّ الله حجّته البالغة بما جعل لهم من المعجزات الباهرات ، والدلائل الواضحات .

والبريّة بمعنى الخليقة : من برأ الله الخلق ، أي خلقهم .

وأهل البيت سلام الله عليهم حجج الله البالغة على خلقه أجمعين ، ورضى بهم الله تعالى حججاً على العالمين .

دلّت على ذلك أحاديث باب أنّهم الحجّة على جميع العوالم والمخلوقات(١).

وفي الحديث الرضوي الشريف : « إنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلّا بإمام حتّى يعرف »(٢).

لذلك ورد في زياراتهم التسليم عليهم بذلك ، ففي زيارة الإمام الصادق عليه السلام : « السلام عليك أيّها الحجّة على الخلق أجمعين ... » .

وفي زيارة الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه : « السلام عليك ياحجّة الله على من في الأرض والسماء » .

وقد تقدّم مفصّل البيان والدليل في فقرة « وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأُولى » .

وفي نسخة الكفعمي : « وجعلكم حججاً على بريّته » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٤١ ب١٥ ح٧ ، ولاحظ ما سبق من ولايتهم التكوينية وسلطنتهم على جميع الأشياء الثابتة كتاباً وسنّة في فقرة « والسادة الولاة » .

(٢) الكافي : ج١ ص١٧٧ ح٣ .

وَأَنْصاراً لِدِينِهِ(١)

(١) ـ الأنصار : جمع ناصر ، مأخوذ من النصرة بمعنى الإعانة وحسن المعونة ، كما وإنّ الانتصار هو الإنتقام .

ودينه : بمعنى دين الله ، وهو دين الإسلام كما صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[(١)].

علماً بأنّ دين الإسلام يشتمل على التوحيد والرسالة والولاية ، ولاية آل محمّد عليهم السلام .

فإنّ دين الله المقبول لا يتحقّق إلّا بمعرفتهم ، ومن جهلهم جهل الدين ، ومات ميتةً جاهلية .

والدين مع معرفتهم هو الذي اصطفاه الله تعالى لعباده بقوله عزّ إسمه : ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(٢)] كما وردت به الأحاديث الشريفة المفسّرة[(٣)].

وأهل البيت عليهم السلام هم خير الأنصار وأحسن الأعوان لدين الإسلام الشريف .

إذ هم الذين بذلوا مهجهم وقدّموا نفوسهم لإعلاء كلمة الدين ، ولنصرة شريعة سيّد المرسلين ، كما صبروا على غليظ المِحَن وسجون الضغن ، في سبيل الله العظيم ودينه القويم .

فآل محمّد صلوات الله عليهم في أعلى مراتب نصرة الدين وتأييده ، وفي أعظم مراحل الانتصار للدين والدفاع عنه .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٢ .
(٣) تفسير البرهان : ج١ ص١٠٠ .

. . . .

➲ جرى فيهم هذا من سيّدهم الأمير عليه السلام الذي ما استقام الدين إلّا بسيفه[١]، إلى خاتمهم الحجّة المهدي عليه السلام الذي لا يظهر الدين على الأرض كلّه إلّا بدولته .

قال تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢]_[٣].

وقد تقدّم في الحديث القدسي : « المهدي أنتصر به لديني »[٤].

وكلّهم كانوا أنصار دين الله والذابّين عنه ، بل كان السبط الشهيد عليه السلام هو المحيي للدين والمبقي لشريعة سيّد المرسلين .

ففي الصلاة عليه بعد الزيارة : « وقام بين يديك يهدم الجور بالصواب ويحيي السنّة بالكتاب »[٥].

وفي زيارته عليه السلام : « كنت لله طائعاً ... وللإسلام عاصماً ، تنصر الدين وتظهره »[٦]، وقال فيه جدّه الأمين : « حسين منّي وأنا من حسين »[٧] إذ نصر دين جدّه بنفسه وأولاده ، وأهله وعياله ، وأصحابه وأحبّائه ، فكانت الشريعة الغرّاء حسينيّ البقاء .

والحقيقة سجّلت الانتصار في النتيجة له لا لعدوّه ، وسيكون هو المنتصر عند رجعته ، وقيام دولته[٨].

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٦ ص١٨٠ ب٣٩ ح١٧٤ ، شجرة طوبى : ج٢ ص٢٣٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(٣) تفسير الصافي : ج٢ ص٣٣٨ .

(٤) مشكاة الأنوار : ص٢٠٨ .

(٥) مصباح الزائر : ص٢٤٨ .

(٦) مصباح الزائر : ص٢٣١ .

(٧) بحار الأنوار : ج٤٣ ص٢٧١ ح٣٦ .

(٨) بحار الأنوار : ج٥٣ ص٣٩ ب٢٩ الأحاديث .

وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ[١]

(١) ـ أي ورضيكم حفظة لسرّه ، وقد تقدّم في الفقرة الشريفة : « وحفظة سرّ الله » بيان المعنى والدليل بما حاصله : الحفظة جمع حافظ ، من الحفظ بمعنى الرعاية والمواظبة والإعتناء .

وسرّ الله تعالى هو ما يلزم أن يكتم ، ولا يجوز إظهارها إلّا لمن يتحمّلها من الكُمّلين كالملك المقرّب ، والنبي المرسل ، والعبد الممتحن .

وأهل البيت عليهم السلام هم الحافظون للأسرار الإلهية المكنونة ، وعلوم الغيب المخزونة ، وحِكَم الكائنات ، وحكمة المخلوقات .

وتضيف هذه الفقرة من الزيارة المباركة أنّ الله تعالى رَضِيَ بهم حفظة لتلك الأسرار ، وحافظين لتلك الآثار .

حيث عَلِمَ تعالى فيهم كمال القابلية ، ومنتهى التحمّل ، ورآهم المثل الأعلى والقمّة العليا لأسرار عالَم المُلك والملكوت ، وعرفهم الصفوة اللائقة لتحمّل غيب السماوات والأرضين .

وتعرف حافظيّتهم وتحمّلهم للأسرار والغيوب الإلهية من خلال دراسة سيرتهم وحياتهم وعشرتهم وكلماتهم ، التي توجب العلم بكونهم خزنة مكنون الأسرار ، والمرضيين لذلك من قبل الله القهّار .

وقد عرفت حديث سيف التمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام : « لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ، ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما »[١].

وفي حديث زياد بن المنذر ، عن الإمام الباقر ٧ : « أنا شجرة النبوّة ... وموضع ←

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٦٠ ح١ .

. . . .

سرّ الله ووديعته »[١].

وفي حديث النعمان بن سعد ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : « وأنا المؤتمن على سرّ الله »[٢].

وجاء في حديث حمران بن أعين ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « لم يُعلّم الله محمّداً صلى الله عليه وآله علماً إلّا وأمره أن يعلّمه عليّاً عليه السلام »[٣].

وفي نسخة الكفعمي : « وحفظة لحكمته ».

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٤٥ ب١٣ ح١٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣٩ ص٣٣٥ ب٩٠ ح١ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٦٣ ح١ .

وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ(١)

(١) ـ أي رضيكم الله تعالى خازنين لعلمه .

وتقدّم أنّ الخزن هو حفظ الشيء في الخزانة .

وأهل البيت سلام الله عليهم إرتضاهم الله تعالى لأن يكونوا حافظين للعلوم الإلهية ، وخزائن للمعارف الربّانية ، وكانوا هم الصفوة اللائقون لميراث العلم وحقائق الحكمة .

وقد تقدّم ذكر دليل خازنيّتهم لعلم الله تعالى ، مع بيان جهات علومهم في قوله عليه السلام : « وخزّان العلم » فراجع .

وقد عقد ثقة الإسلام الكليني باباً من الأحاديث في أنّ الأئمّة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه[1]، من ذلك :

حديث عبدالله بن أبي يعفور قال : قال أبو عبدالله عليه السلام :

« يابن أبي يعفور إنّ الله واحدٌ متوحّدٌ بالوحدانيّة ، متفرّد بأمره ، فخلق خلقاً فقدّرهم لذلك الأمر ، فنحن هم يابن أبي يعفور ، فنحن حجج الله في عباده ، وخزّانه على علمه ، والقائمون بذلك »[2].

(١) الكافي : ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ١٩٣ ح ٥ .

وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ (١)

(١) ـ المستودع بفتح الدال : هو من يودَع عنده الشيء ، من الإستيداع بمعنى الإستنابة في الحفظ ، يقال : إستودعته المال أي استحفظته إيّاه وجعلته حافظاً له .

والحكمة تقدّم بيانها بأنّها في اللغة : العلم الذي يرفع الإنسان ويمنعه عن فعل القبيح .

وفي الإصطلاح هي العلوم الحقيقية الإلهية كما عرّفه الأعاظم .

وفُسّرت في الأحاديث الشريفة بطاعة الله تعالى ، ومعرفة الإمام عليه السلام ، والولاية ، والتفقّه في الدين ، والعقل ، والفهم ، واجتناب الكبائر التي أُوجب عليها النار .

وأهل البيت عليهم السلام رضى الله تعالى بهم مستودعاً لحكمته ، ومحلاً لحفظها ، وكنزاً لمحافظتها ، وخزانةً لرعايتها .

حيث كانوا في أسمى مراتب اللياقة لأن يكونوا خزائن للحكمة الإلهية ، ومعادن للمعارف الربّانية ، فآتاهم الله الحكمة ، وفصل الخطاب .

والأدلّة تقدّم بيانها في فقرة « معادن حكمة الله » وقد تقدّم ذكر أحاديث حكمتهم كحديث أبي سعيد الخدري عن أمير المؤمنين عليه السلام[١] فراجع .

ويضاف الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام : « نحن حكماء الله في أرضه »[٢].

وفي نسخة الكفعمي : « ومستودعاً لسرّه » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٩٠ ح٣٧ .

(٢) مرآة الأنوار : ص٨٩ .

وَتَراجِمَةً لِوَحْيِهِ[١]

(١) ـ تراجمة بكسر الجيم : جمع تَرجُمان ، بفتح التاء وضمّ الجيم على الأجود .

وهو الذي يبيّن الكلام ويوضّحه ، والذي يترجم الكلام ويعبّر عنه بلغة أُخرى غير لغة المتكلّم[١].

والوحي : معروف المعنى وقد تقدّم معناه في قوله عليه السلام : « ومهبط الوحي » .

وفسّر الوحي في هذه الفقرة المباركة بأنّه يراد به القرآن الكريم ، أو الوحي الإلهي بنحوٍ عام ، ممّا أُوحي إلى نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله قرآناً ، وحديثاً قدسيّاً ، وما أُوحي إلى الأنبياء السلف سلام الله عليهم .

وأهل البيت عليهم السلام هم الذين إرتضاهم الله تعالى لبيان وحيه ، وهداية خلقه كما في خطبة الإمام الصادق عليه السلام[٢].

وهم الذين جعلهم ورثة القرآن الكريم كما في حديث الإمام الرضا عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾[٣].

قال : « ولد فاطمة عليها السلام »[٤].

وهم الذين اختارهم وجعلهم الوارثين لعلوم وكتب أنبيائه التي تجد ذكرها في حديث أبي ذرّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله[٥].

فهم ورثة الكتب الإلهية المقدّسة ، وتراجمة الوحي الربّاني الأقدس كما دلّت عليه الأحاديث الشريفة[٦]. ومن ذلك :

---

(١) مجمع البحرين : مادّة ترجم ص٥٠٦ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢٠٣ ح٢ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٣٢ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢١٥ ح٣ ، وص٢٢٨ ح١ ـ ٣ .

(٥) مجمع البيان : ج١٠ ص٤٧٦ .

(٦) الكافي : ج١ ص٢٢٢ ح٦ ، وص٢٢٥ ح٥ و٦ .

. . . .

➲ ما تقدّم عن هشام بن الحكم في حديث بريهة عن الإمام الصادق عليه السلام الذي ورد فيه:

أنّ كتب الأنبياء هي عندنا وراثة من عندهم ، نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوا[١].

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٢٧ ح١ .

وَأَرْكاناً لِتَوْحِيدِهِ[١]

(١) ـ الأركان : جمع ركن ، وهو الجانب القوي للشيء الذي يكون به قوام ذلك الشيء وعليه استناده ، ومنه ركن البيت .

وتوحيده : هو الاعتقاد بوحدانية الله تعالى .

أي رضيكم الله تعالى بأن تكونوا أركاناً لتوحيده .

بمعنى أنّ ولايتهم هو الركن لتوحيد الله ، ولا يُقبل اعتقاد التوحيد من أحد إلّا إذا كان مقروناً بالاعتقاد بولاية أهل البيت سلام الله عليهم .

كما يستفاد من الروايات الشريفة مثل حديث بُريد العجلي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « بنا عُبد الله ، وبنا عُرف الله ، وبنا وُحّد الله تبارك وتعالى »[١].

فقبول التوحيد مشروط باعتقاد الولاية كما تقدّم ذكره في فقرة « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له » مع أحاديثه المتواترة ، ويأتي بيانه في فقرة : « بموالاتكم تمّت الكلمة » .

وقد تظافرت الأخبار في عدم موحّدية أعدائهم ومخالفيهم ، وذمّ معانديهم ومبغضيهم[٢] كما سيأتي في الفقرة المذكورة .

وعلى هذا إجماع الإمامية الحقّة ، واعتقاد الطائفة المحقّة[٣].

---

(١) الكافي : ج١ ص١٤٥ ح١٠ .

(٢) الكافي : ج١ ص٤٣٧ ح٧ ، بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢١٨ ب١٠ الأحاديث .

(٣) مرآة الأنوار : ص١٤ .

وَشُهَدٰاءَ عَلىٰ خَلْقِهِ[١]

(١) ـ شهداء : جمع شاهد ، وهو : من يُخبر خبراً جزمياً عن مشاهدة ، أو ما يقوم مقام المشاهدة من الأدلّة والبراهين كما يستفاد من شيخ الطائفة ﷺ[١].

فحقيقة الشهادة هي الحضور مع المشاهدة بصراً أو بصيرة .

وأهل البيت عليهم‌السلام رضى بهم الله تعالى شهداء على الخلق في أعمالهم وأفعالهم ، وفي تصديقهم وتكذيبهم .

وقد فُسّر بهم عليهم‌السلام قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[٢]ـ[٣].

وقد أفاد والد العلّامة المجلسي تواتر الأخبار بكونهم عليهم‌السلام الشهداء على خلق الله[٤].

وقد عقد ثقة الإسلام الكليني ﷺ باباً في أنّ الأئمّة عليهم‌السلام شهداء الله عزّوجلّ على خلقه[٥] من ذلك :

حديث بريد العجلي قال : سألت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ؟

قال : « نحن الأُمّة الوسطى ، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه ... فرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزّوجلّ ، ونحن الشهداء على الناس ، فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة ، ومن كذّب كذّبناه يوم القيامة »[٦].

---

(١) تفسير التبيان : ج٢ ص٤١٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٣) تفسير الصافي : ج١ ص١٩٧ .

(٤) روضة المتّقين : ج٥ ص٤٧٢ .

(٥) الكافي : ج١ ص١٩٠ .

(٦) الكافي : ج١ ص١٩٠ .

• •

⊃ ورواه العامّة أيضاً كالحاكم الحسكاني[١].

ولا غرو ولا عجب في شهادتهم على الخلق بعد أن كانوا حجج الله على خلقه ، وسادة بريّته ، وبعد أن كانوا حججاً صدّيقين وصادقين ومسدّدين ، وبعد عرض أعمال العباد عليهم[٢]، بل بعد مشاهدتهم لها في عمود النور[٣]، فيشهدون عليها في المحكمة الإلهية العادلة ، شهادة الصدق على هذا الخلق .

وفي نسخة الكفعمي بعد هذه الفقرة : « وأسباباً إليه » .

---

(١) شواهد التنزيل : ج١ ص٩٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٣٣٣ ب٢٠ الأحاديث ، والكافي : ج١ ص٢١٩ الأحاديث .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٣٢ ب٨ الأحاديث .

وَأَعْلاماً لِعِبادِهِ[١] وَمَناراً فِي بِلادِهِ[٢]

(١) ـ الأعلام : جمع عَلَم بفتحتين مثل أسباب وسبب : يُطلق على الراية التي تكون علامة لأهلها ، والجبل الذي يُعلم به الطريق ، وسيّد القوم .

وأهل البيت عليهم السلام رضى بهم الله تعالى أعلاماً لهداية عباده كما في حديث إسحاق بن غالب ، عن الإمام الصادق عليه السلام :

« كلّ ما مضى منهم إمام ، نَصَب لخلقه من عقبه إماماً عَلَماً بيّناً ، وهادياً نيّراً ، وإماماً قيّماً ، وحجّة عالماً ، أئمّة من الله ، يهدون بالحقّ وبه يعدلون »[١].

وقد نصب الله تعالى عليّاً عَلَماً بينه وبين خلقه كما تلاحظه في حديث الفضيل بن يسار[٢].

وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام في حديث شأن أهل البيت عليهم السلام : « هم النجوم الأعلام »[٣].

(٢) ـ المنار بفتح الميم : هو الموضع المرتفع الذي يوقد في أعلاه النار للهداية .

وأهل البيت عليهم السلام رضى بهم الله تعالى نجوماً رفيعة هداة ، يهتدي بهم أهل البلاد ، وتتنوّر بهم قلوب العباد ، كما يُهتدى بالمنار .

وقد تقدّمت الإشارة إلى أحاديثها في فقرة « وأعلام التُّقى » وتقدّم دليله فراجع[٤].

وفي نسخة الكفعمي بعد هذه الفقرة زيادة « وسبيلاً إلى جنّته » .

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٣ ح٢ . (٢) الكافي : ج١ ص٤٣٧ ح٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٤٦ ب١٣ ح١٦ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٠٦ الأحاديث .

وَأَدِلّاءَ عَلىٰ صِراطِهِ[١]. عَصَمَكُمُ اللّهُ مِنَ الزَّلَلِ[٢]

(١) ـ الأدِلّاء : جمع دالّ ، وهو الهادي والمرشد .

والصراط : هو الطريق المؤدّي إلى الله ، والموصل إلى قربه ، والسالك إلى الجنّة .

وأهل البيت سلام الله عليهم رضى بهم الله تعالى هداة مرشدين إلى صراطه في الدنيا ، وصراطه في الأُخرى كما تلاحظه في أحاديث بابه[١].

وقد تقدّم بيان ذلك بدليله في فقرة « وصراطه » .

فهم الطريق الفرد ، والسبيل الأوحد إلى الله تعالى ، وسبيل الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة .

يستنقذون العباد من الغواية ، ويهدونهم صراط الهداية .

يخرجون الناس من الظلمات ، ويقودونهم إلى روضات الجنّات .

كما تلمس ذلك وجداناً في سيرتهم الشريفة وكلماتهم الهادية .

(٢) ـ تقدّم في الفقرة الشريفة « المعصومون » بيان أنّ :

العصمة في اللغة بمعنى المنع والدفع والوقاية .

فتكون العصمة من الزلل بمعنى المنع عن وقوعها ، ودفعها ، والوقاية منها .

وتقدّم أيضاً أنّ العصمة هي (الروحية القدسيّة التي تمنع عن مخالفة التكاليف اللازمة شرعاً أو عقلاً مع القدرة عليها) فيكون الامتناع عن الزلل بواسطة وجود تلك الروحية القدسيّة في المعصوم عليه السلام .

علماً بأنّ هذه الروحية القدسيّة والعصمة الربّانية إنّما تكون في المحلّ اللائق ، ومحلّها اللائق هي الأُسرة النبوية الكريمة سلام الله عليهم الذين عرف الله منهم الوفاء ، وعلم بطاعتهم عند الإصطفاء ، فعصمهم من الزلل والأخطاء .

(١) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١١ ح٣ .

. . . .

وهذه الفقرات الآتية تفيد شؤون العصمة ومراتب الإعتصام ، وأنّها حصلت فيهم بلطف الله العاصم ، وفضله الدائم ، عناية منه ورعاية لهم ، مع لياقتهم صلوات الله عليهم ، ولا تخلّف لإرادته وعلمه وعصمته .

فالله تعالى هو الذي عصم أهل البيت عليهم السلام بواسطة إعطائهم النفوس القدسيّة ، والطهارة الأصلية ، والأرواح النورانية ، والمعرفة التامّة الربّانية لطفاً منه تعالى وقابلية منهم عليهم السلام ، عصمهم من الزلل .. أي من كلّ زلّة .

والزلّة هي : المزلقة والخطأ والذنب(١).

وهي في الأصل إسترسال الرِّجل من غير قصدٍ ، وسُمّي به الذنب من غير قصد تشبيهاً بزلّة الرجل(٢).

وتطلق الزلّة على خطأ المقال أيضاً ، وعلى الزلّة الشيطانية وهو الضلال(٣).

كما تطلق على النقصان كذلك(٤).

وتطلق على زلّة الرأي أيضاً(٥).

وأهل البيت عليهم السلام معصومون عن جميع هذه الزلّات ، وعصمهم الله تعالى عن كلّ زلّة .

بدليل أدلّة العصمة الأربعة التي تقدّمت الإشارة إليها في فقرة « المعصومون » واستوفينا بحثها في محلّها(٦).

مضافاً إلى الأحاديث المستفيضة الدالّة على أنّ الله تعالى يسدّدهم بروح القدس

---

(١) مجمع البحرين : مادّة زَلَلَ ص٤٧٦ .

(٢) المفردات : ص٢١٤ .

(٣) العين : ج٧ ص٣٤٨ .

(٤) المحيط في اللغة : ج٩ ص١١ .

(٥) لسان العرب : ج١١ ص٣٠٦ .

(٦) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٣١٧ .

. . . .

النوري الملكوتي ، الذي لا ينام ولا يغفل ولا يسهو ولا يزهو[١] كما تقدّم .

مضافاً إلى التصريح بصيانتهم وعصمتهم عن الزلل في حديث الإمام الباقر عليه السلام قال : « لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمّد صلى الله عليه وآله بأطول ليلة ، حتّى ظنّوا أنّ لا سماء تظلّهم ، ولا أرض تقلّهم ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله .

فبينا هم كذلك إذ أتاهم آتٍ لا يرونه ويسمعون كلامه فقال :

« السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إنّ في الله عزاء من كلّ مصيبة ، ونجاة من كلّ هلكة ، ودركاً لما فات .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢].

إنّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم وجعلكم أهل بيت نبيّه ، واستودعكم علمه ، وأورثكم كتابه ، وجعلكم تابوت علمه ، وعصا عزّه ، وضرب لكم مثلاً من نوره ، وعصمكم من الزلل ، وآمنكم من الفتن .

فتعزّوا بعزاء الله ، فإنّ الله لم ينزع منكم رحمته ، ولن يزيل عنكم نعمته ، فأنتم أهل الله عزّوجلّ الذين بهم تمّت النعمة ، واجتمعت الفُرقة ، وائتلفت الكلمة ، وأنتم أولياؤه ، فمن تولّاكم فاز ، ومن ظلم حقّكم زهق ، مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين ، ثمّ الله على نصركم إذا يشاء قدير ، فاصبروا لعواقب الأُمور فإنّها إلى الله تصير .

قد قبلكم الله من نبيّه وديعة ، واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض ، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه ، فأنتم الأمانة المستودعة ، ولكم المودّة الواجبة ، والطاعة المفروضة .

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٨٢ ح٢ و٣ ، وص٢٧٣ الأحاديث .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

. . . .

⊃ وقد قبض رسول الله ﷺ وقد أكمل لكم الدين ، وبيّن لكم سبيل المخرج ، فلم يترك لجاهل حجّة ، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه ، والله من وراء حوائجكم ، وأستودعكم الله ، والسلام عليكم » ، فسألت أبا جعفر عليه السلام ممّن أتاهم التعزية ؟

فقال : « من الله تبارك وتعالى »[1].

وفي نسخة الكفعمي هنا « عصمكم الله من الذنوب ، وبرّأكم من العيوب ، وائتمنكم على الغيوب وجنّبكم الآفات ، ووقاكم من السيّئات ، وطهّركم من الدنس والزيغ ، ونزّهكم من الزلل والخطأ ، وأذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً ، وآمنكم من الفتن ، واسترعاكم الأنام ، وعرّفكم الأسباب وأورثكم الكتاب ، وأعطاكم المقاليد ، وسخّر لكم ما خلق » .

---

(١) الكافي : ج١ ص٤٤٥ ح١٩ .

وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ (١)

(١) ـ آمنكم : من الأمان بمعنى عدم الخوف ، أي جعلكم آمنين مأمونين من الفتن ، وأعطاكم الأمان منها .

والفِتَن : جمع فتنة ، جاءت لمعانٍ عديدة كالإبتلاء ، وبمعنى الامتحان ، والإختبار ، والذنب ، والعقوبة ، والضلالة والشرّ والفساد .

وأهل البيت عليهم السلام بعيدون عن المفاتن الدينية ، وآمنون من الفتنة في الدين ، فلا يقع منهم ذنب ولا عصيان ، ولا يؤتى منهم الكبائر ولا الصغائر ، ولا يصدر منهم ضلال ولا فساد ، ولا يكون منهم شرٌّ ولا عليهم عقوبة ، ولا يحتاجون إلى الاختبار والامتحان بعد أن كانوا صفوة الاصطفاء ، والمعلوم منهم الوفاء .

وذلك لأنّ لازم العصمة الكبرى التي ثبتت بالأدلّة المتقدّمة هو عدم وجود هذه الفتن ، بل وجود العصمة ينافي حدوث الفتنة .

فيكونون عليهم السلام مبرّئين عنها ، ومأمونين منها ، بأمان الله الوثيق الذي لا يخذل من آمنه به .

هذا مع التصريح بها في حديث الإمام الباقر عليه السلام المتقدّم الذي ورد فيه : « وآمنكم من الفتن »[1].

وأمّا الإبتلاء بالمصائب فهو ليس بابتلاء في الدين ، بل هو ابتلاءٌ دنيوي كتب على المؤمنين .

ففي حديث الإمام الباقر عليه السلام : « إنّ الله ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة ... »[2].

(١) الكافي : ج١ ص٤٤٥ ح١٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٦٧ ص٢٤٠ ب١٢ ح٦٢ .

. . . .

➲ وهم عليهم السلام سادة المؤمنين والأولياء ، والدنيا أُعدّت لبلاء النبلاء .

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الأمثل فالأمثل »[١].

فيرفع الله لهم به المقامات المنيعة والدرجات الرفيعة ، كما تلاحظه في كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لولده الإمام الحسين عليه السلام : « إنّ لك في الجنّة درجات لن تنالها إلّا بالشهادة »[٢].

---

(١) الكافي : ج٢ ص٢٥٢ ح١ .

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام : ج٢ ص٢٦٠ .

وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ(١)

(١) ـ الطهارة في الأصل هي النزاهة والنظافة .

والدنس ، بفتحتين ، وجمعه أدناس : أصله الوَسَخ ، يقال : دَنِس الثوب إذا توسّخ.

وأهل البيت عليهم السلام مطهّرون ومنزّهون من جميع ما يدنّس ساحتهم المقدّسة ، ما يدنّس النسب ، وما يدنّس العِرض ، وما يدنّس المروءة ، وما يدنّس القلب ، وما يدنّس الروح ، وما يدنّس الأخلاق .. فالدّنس لغةً يستعمل في جميع هذه المعاني ، وهم عليهم السلام مطهّرون من جميعها .

وذلك لكون الطهارة منها هي من لوازم العصمة ، وقد ثبتت العصمة بالأدلّة الأربعة كما عرفت فيما تقدّم فثبتت هذه الطهارة .

مضافاً إلى التنصيص الصريح على الطهارة المطلقة المؤكّدة في آية التطهير بقوله عزّ إسمه : ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ، وهي تقتضي التنزّه والخلوص عن لوث جميع الأرجاس ، والأنجاس والمعاصي والذنوب والخبائث والعيوب ، والنقائص الظاهرية والباطنية ، والقذارات والمآثم والأعمال القبيحة .

كلّ هذا بالإضافة إلى الأدلّة الخاصّة على طهارتهم من الأدناس نظير :

قوله عليه السلام في الزيارة الغديرية العلوية : « ولا شَرِهتَ إلى الحُطام ، ولا دَنَّسَك الآثام »(١).

وقوله عليه السلام في الزيارة المطلقة الحسينية : « أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة ، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها ، ولم تلبسك من ←

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ٣٦٢ ب ٥ ح ٦ .

. . . .

⊃ مدلّهمات ثيابها »[١].

وفي الزيارة الحسينية المفصّلة : « أشهد أنّك طهر ، طاهر مطهّر ، من طهرٍ طاهر مطهّر ، طهرت وطهرت أرض أنت بها ، وطهر حرمك »[٢].

وعرفت أنّ في نسخة الكفعمي هنا : « وطهّركم من الدَنَس والزيغ » والزيغ هو الشكّ والميل عن الحقّ .

كما جاء فيه إضافة فقرات أُخرى نظير : « وبرّأكم من العيوب » التي تفيد أنّهم مبرّؤون عن المعايب والنقائص فلاحظ .

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠١ ص٢٠٠ ب١٨ ح٣٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٠١ ص١٨٢ ب١٨ ح٣٠ .

وَاَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ (أهلَ البيت) وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً[١]، فَعَظَّمْتُمْ جَلاٰلَهُ[٢]

(١) ـ إشارة إلى عصمتهم الرفيعة الثابتة من الله تعالى في محكم كتابه بقوله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

وقد سبق منّا ذكر الإجماع على نزولها في آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين ، مع أحاديث الفريقين المتواترة في ذلك من الخاصّة في (٣٤) طريقاً ، ومن العامّة في (٤١) طريقاً[٢].

وقد فصّلناه في محلّه فراجع[٣].

(٢) ـ الفاء في فعظّمتم لبيان النتيجة ، ولإفادة أنّ في قبال ذلك الفضل الإلهي السامي عليكم أهل البيت بمنحكم العصمة الربّانية الكبرى ، وإعطائكم النعمة القدسيّة العظمى ... أنتم شكرتم النعمة ، وقدّرتم العطيّة ، فعظّمتم جلال الله تعالى ، وأكبرتم شأنه ، ومجّدتم كرمه ، وأدمتم ذكره ، ووكّدتم ميثاقه ... الخ .

والتعظيم في اللغة هو : التوقير والتبجيل والتفخيم والتكبير والخشوع .

وجلال الله تعالى : هي عظمته .

فالله تبارك وتعالى جليل ذو الجلال : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٤].

والجليل هو الموصوف بصفات العظمة من الغنى والمُلك والقدرة والعلم وكذلك المتقدّس والمنزّه عن صفات النقص كالإحتياج والضعف والنوم .

فهو تعالى الجليل الذي يصغر دونه كلّ جليل ، ويضع عنده كلّ رفيع .

و (الجليل) من أسمائه المقدّسة الحسنى الراجعة إلى كمال صفاته ، كما أنّ

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

(٢) غاية المرام : ص٢٨٧ ـ ٣٠٠ .

(٣) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٣١٧ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٧٨ .

. . . .

(الكبير) من أسمائه الشريفة الحسنى الراجعة إلى كمال ذاته ، المبيّنة لكبر شأنه وتعاليه عن شبه المخلوقين .

وقد ورد توصيفه تعالى بالجليل في أسمائه وصفاته تعالى المجموعة الألف (١٠٠٠) في دعاء الجوشن الكبير المروي عن النبي ﷺ[١].

وفي أسمائه المباركة الحسنى التسعة والتسعين (٩٩) التي من دعا الله بها استجاب له ، ومن أحصاها دخل الجنّة[٢].

فمن الأسماء الحسنى الشريفة : (الجليل) الذي يفيد سيادة الله وعظمته وجلالته ، فهو جليل بصفات الجلالة والعظمة ، وهو يجلّ عن صفات النقص والحاجة ، فهذا الإسم الكريم يجمع الصفات الثبوتية الجمالية والصفات السلبية الجلالية .

وأهل البيت سلام الله عليهم هم المثل الأعلى والقمّة العليا لتعظيم وتوقير جلال الله تعالى وعظمته ، ولم يصدر منهم أدنى ما ينافي تعظيم الله وتبجيله .

عظّموا الله تعالى معرفةً واعتقاداً ، ووقّروه قولاً وفعلاً ، وبجّلوه في السرّ والعلانية، وكبّروه عملاً وعبادةً ، وخشعوا له في جميع مراحل الحياة ، بل في جميع عوالم الوجود دائماً وأبداً .

كما يدلّنا على ذلك بوضوح سيرتهم المتلألئة ، وحياتهم الكريمة ، وأقوالهم الهادية ، وعباداتهم وصلاتهم التي يكون بها غاية التعظيم والتبجيل للمولى الجليل ..

وبكلّها عظّموا جلال الله ، وكانوا في تعظيم الله .

وفي الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام التي يرويها في المزار الكبير :

---

(١) البلد الأمين : ص٤٠٢ .

(٢) كتاب التوحيد : ص١٩٤ ب٢٩ ح٨ ، وتلاحظ شرحها من الصدوق بعد الحديث ، ومن الكفعمي في المصباح : ص٣١٢ .

. . . .

« ... وأعطاكم المقاليد ، وسخّر لكم ما خلق ، فعظّمتم جلاله ، وأكبرتم شأنه »[١].

وللمثال لاحظ كيفية عبادة سيّد أهل البيت أمير المؤمنين عليه السلام ، وكذلك عبادة سيّدة نساء العالمين ، كذلك عبادة سيّد الساجدين . حتّى تلمس أنّهم كانوا في أقصى درجة تعظيم جلال الله تعالى . ونموذج ذلك عبادة أمير المؤمنين عليه السلام .

ففي حديث عروة بن الزبير قال : كنّا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان .

فقال أبو الدرداء : ياقوم ألا أُخبركم بأقلّ القوم مالاً ، وأكثرهم ورعاً وأشدّهم اجتهاداً في العبادة ؟

قالوا : مَن ؟

قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ... ياقوم إنّي قائل ما رأيت وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا .

شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجّار ، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممّن يليه ، واستتر بمغيلات النخل ، فافتقدته وبَعُدَ عليَّ مكانه ، فقلت : لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجيّ وهو يقول : « إلهي كم من موقبة حلمتَ عن مقابلتها بنقمتك[٢]، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي ، فما أنا مؤمّل غير غفرانك ، ولا أنا براجٍ غير رضوانك » .

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه ، فاستترت له وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثمّ فرغ إلى الدعاء

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ٢٤٤ ب ٤ ح ٣٣ .

(٢) في المصدر : كم من موبقة حملت عنّي فقابلتها بنعمتك .

. . . .

والبكاء والبثّ والشكوى ، فكان ممّا به الله ناجاه أن قال : « إلهي أُفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي ، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي » ثمّ قال : « آه إن أنا قرأت في الصحف سيّئة أنا ناسيها وأنت محصيها ، فتقول : خذوه ، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، يرحمه الملأ إذا أُذن فيه بالنداء » ثمّ قال : « آه من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه من نار نزّاعة للشوى ، آه من غمرة من ملهبات لظى ».

قال : ثمّ أنعم في البكاء فلم أسمع له حسّاً ولا حركة ، فقلت : غلب عليه النوم لطول السهر ، أُوقظه لصلاة الفجر .

قال أبو الدرداء : فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة ، فحرّكته فلم يتحرّك ، وزويته فلم ينزو ، فقلت : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » مات والله علي بن أبي طالب .

قال : فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم .

فقالت فاطمة عليها السلام : ياأبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصّته ؟ فأخبرتها الخبر .

فقالت : هي والله ياأبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله .

ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ، ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقال : ممّا بكاؤك ياأبا الدرداء ؟

فقلت : ممّا أراه تنزله بنفسك .

فقال : « ياأبا الدرداء [فكيف] ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب . واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار ، قد أسلمني الأحبّاء ورحمني أهل الدنيا ، لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية » .

• •

➲ فقال أبو الدرداء : فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

وفي نهج البلاغة تلمس بوضوح أسمى آيات تعظيم الله ، ومعاني تـجليل الله ، فأمعن النظر من أوّل خطبة منه إلى آخر كلمة فيه ، تدرك أجلّ المعارف في معانيه .

وقد شهد الفريقان بشدّة تعظيمه لله جلّ جلاله ، وعظيم عبادته للمولى عزّ شأنه .

وتلاحظ شهادة عدوّه اللدود معاوية بذلك في حـديث ضـرار بـن ضـمرة[٢].

وشهادة ابن أبي الحديد في شرح النهج[٣].

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ص١١ ب١٠١ ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ص١٤ ح٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢٧ .

وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ(١) وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ(٢)

---

(١) ـ الإكبار والتكبير : هو التعظيم والإستعظام .

والشأن : هو الأمر والمقام والمنزلة .

أي أنّكم أهل البيت عظّمتم مقام الله ومنزلته الشامخة ، وأعظمتم أمر الله تعالى فيما يفعله من أفعاله الحكيمة ومقاديره العظيمة .

وذلك أنّهم أعرف الناس بعظمة الله ، وأعلم الناس بمنزلة الله ، فكانوا أكثر الناس تعظيماً لله ، وأكثرهم إكباراً لشأن الله .

وتدلّ عليه الزيارة المطلقة العلويّة المتقدّمة التي ورد فيها : « وأكبرتم شأنه » ونفس سيرتهم وعباداتهم الرائعة المفيدة للتعظيم والإكبار .

وفي نسخة الكفعمي بعد هذه الفقرة : « وهِبتم عظمته » .

(٢) ـ المجد في اللغة هو الشرف الواسع ، والرفعة العالية ، والعظمة الكاملة ، والتمجيد هو التعظيم والتشريف .

والكَرَم ضدّ اللؤم ، وفُسّر بالخير الكثير ، والكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف والكرامة .

أي أنّكم أهل البيت سلام الله عليكم عظّمتم كرم الله تعالى على خلقه وخيره بعباده .

كما عظّمتم كرامته العلياء التي أكرمكم بها في الدنيا والآخرة فعرفتم قدرها ، وعظّمتم مقدارها ، وشكرتم المنعم بها .

وعظّمتم ذاته الكريمة المشتملة على الصفات المجيدة .

وأدعيتهم الغرّاء تدلّ على تمجيداتهم العلياء هذه .

ويتجلّى ذلك بوضوح في مثل مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام ، ودعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة ، ودعاء الإمام السجّاد عليه السلام في الأسحار الذي رواه أبو حمزة الثمالي فلاحظها .

وَأَدمتُمْ ذِكْرَهُ(١)

(١) ـ أدمتم : من الدوام وهو الثبوت والاستمرار .

وفي نسخة العيون (أدمنتم) مأخوذ من الإدمان ، وهي المداومة والمواظبة ، والاستمرار .

وذِكرُ الله هو ما يذكّر بالله تعالى من الأذكار الشريفة بالقلب واللسان ، والعبادات المقرّبة كإقامة الصلاة وقراءة القرآن ، فهذه تذكّر الإنسان بالمولى المتعال لساناً وجَناناً .

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(١).

وأهل البيت عليهم السلام أعظم العاملين بهذه الآية الشريفة ، والمديمين للأذكار المنيفة .

وتشهد سيرتهم وحياتهم أنّهم بلغوا الدرجة القصوى ، والمكانة العظمى في ذكر الله تعالى بجميع معنى الكلمة .

فأوّلاً : كانوا مستمرّين في ذكر الله تعالى بالقلب واللسان في كلّ حال .

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام قال : « وكان أبي عليه السلام كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله ، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله ، ولقد كان يحدّث القوم [و] ما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلّا الله .

وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتّى تطلع الشمس ، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر »(٢).

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) الكافي : ج٢ ص٤٩٨ ح١ .

. . . .

⬅ وتلاحظ أنحاء الذكر في سفينة البحار[1].

وثانياً : كانوا مداومين على عبادة الله المذكّرة بأحسن الوجوه ، وأكثر المقادير في أدوم الأزمان ، بالليل والنهار .

ففي حديث نوف قال : بتُّ ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام فكان يصلّي الليل كلّه ، ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر إلى السماء ويتلو القرآن ، قال : فمرّ بي بعد هدءٍ من الليل فقال : « يانوف أراقد أنت أم رامق ؟

قلت : بل رامق ، أرمقك ببصري ياأمير المؤمنين .

قال : يانوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، أُولئك الذين اتّخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن دثاراً ، والدعاء شعاراً ، وقرّضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم .

إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى عيسى بن مريم : قل للملأ من بني إسرائيل : لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة ، وأكفّ نقيّة ، وقل لهم : اعلموا أنّي غير مستجيب لأحد منكم دعوة ولأحد من خلقي قِبَله مظلمة » ، الخبر[2].

وفي حديث حبّة العرني قال : بينا أنا ونوف نائمين في رحبة القصر إذ نحن بأمير المؤمنين عليه السلام في بقيّة من الليل ، واضعاً يده على الحائط شبيه الواله ، وهو يقول : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] إلى آخر الآية .

قال : ثمّ جعل يقرأ هذه الآيات ويمرّ شبه الطائر عقله ، فقال لي : أراقد أنت ⬅

---

(١) سفينة البحار : ج١ ص٤٨٦ ، معاني الأخبار : ص١٩٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤١ ص١٦ ب١٠١ ح٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٦٤ .

. . . .

يا حبّة أم رامق ؟

قال : قلت : رامق ، هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن ! فأرخى عينيه فبكى .

ثمّ قال لي : « ياحبّة إنّ لله موقفاً ولنا بين يديه موقفاً [موقف ـ خ] لا يخفى عليه شيء من أعمالنا ، ياحبّة إنّ الله أقرب إليّ وإليك من حبل الوريد ، ياحبّة إنّه لن يحجبني ولا إيّاك عن الله شيء .

قال : ثمّ قال : أراقد أنت يانوف ؟

قال : قال : لا ياأمير المؤمنين ما أنا براقد ، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة .

فقال : يانوف إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من الله تعالى قرّت عيناك غداً بين يدي الله عزّوجلّ ، يانوف إنّه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله إلّا أطفأت بحاراً من النيران ، يانوف إنّه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله ، وأحبَّ في الله ، وأبغضَ في الله ، يانوف إنّه من أحبَّ في الله لم يستأثر على محبّته ، ومن أبغض في الله لم ينل ببغضه خيراً ، عند ذلك استكملتم حقائق الإيمان ، ثمّ وعظهما وذكّرهما وقال في أواخره : فكونوا من الله على حذر ، فقد أنذرتكما .

ثمّ جعل يمرّ وهو يقول : ليت شعري في غفلاتي أمعرض أنت عنّي أم ناظر إليّ ؟ وليت شعري في طول منامي وقلّة شكري في نعمك عليّ ما حالي ؟ » .

قال : فوالله ما زال في هذا الحال حتّى طلع الفجر(١).

ثالثاً: كانوا موظبين على ذكر الله القرآني ووحيه الرحماني بأتمّ قراءة، وأحسن كيفية.

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ص ٢٣ ب ح ١٣ .

. . . .

➲ ففي حديث إبراهيم بن العبّاس قال : كان الرضا عليه السلام يختم القرآن في كلّ ثلاث ، ويقول : « لو أردت أن أختمه في أقلّ من ثلاث لختمته ، ولكن ما مررت بآية قطّ إلّا فكّرت فيها وفي أي شيء أُنزلت ، وفي أي وقت ، فلذلك صرت أختم ثلاثة أيّام»[١].

وفي حديث معاوية بن عمّار ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : الرجل لا يرى أنّه صنع شيئاً في الدعاء والقراءة ، حتّى يرفع صوته .

فقال : « لا بأس إنّ علي بن الحسين عليهما السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان يرفع صوته حتّى يسمعه أهل الدار ، وإنّ أبا جعفر عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان إذا قام من الليل ، وقرأ رفع صوته فيمرّ به مارّ الطريق من السقّائين وغيرهم ، فيقومون فيستمعون إلى قراءته »[٢].

وذكرهم القرآني الأعلى ثابت حتّى باعتراف غيرنا[٣].

ولم يسبق لهم نظير في التاريخ أن يقرأ أحد القرآن حتّى بعد وفاته ، كما قرأه سيّد الشهداء الحسين عليه السلام بعد شهادته ممّا تلاحظه في النقل المتظافر[٤].

فهم عليهم السلام أعظم الذاكرين لله تعالى ، ذكرهم الله تعالى بالسلام وحيّاهم بالتحيّة والإكرام .

---

(١) بحار الأنوار : ج٩٢ ص٢٠٤ ب٢٤ ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٩٢ ص١٩٤ ب٢١ ح٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : ج١ ص٢٧ ، الإمام الصادق : ج١ ص٥٣ ـ ٥٤.

(٤) معالي السبطين : ج٢ ص٦٨ .

وَوَكَّدْتُمْ مِيثاقَهُ[١]

---

(١) ـ وكّدتم : من التوكيد بمعنى التأكيد وهي التقوية ، والتوكيد أفصح من التأكيد .

والميثاق : هو العهد الموثّق ، مفعالٌ من الوثاق ، وهو في الأصل : الحبل الذي يُقيّد ويُشدّ به ، سمّي به العهد لوثاقته واستحكامه .

وأهل البيت عليهم السلام ممّن اتّصفوا بتقوية عهد الله تعالى ، والتزموا بالوفاء بميثاق الله ، إذ هم أطوع الخلق لله تعالى فكانوا أوفى بميثاقه .

والميثاق هذا فُسّر بمعنيين :

١ / الميثاق الذي أخذه الله تعالى من النبيّين بالدعوة إلى التوحيد ، وتبليغ الرسالة وإعلاء الكلمة ، وهو ما قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾[١]ـ[٢].

وأهل البيت عليهم السلام كانوا في أعلى درجات تأكيد هذا الميثاق ، كما يشهد له جهودهم وجهادهم إلى أن وقعت شهادتهم .

٢ / الميثاق الذي أخذه الله تعالى من بني آدم في عالم الذرّ ، المشار إليه بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٣]ـ[٤].

وأهل البيت عليهم السلام أسبق الخلق وأوفاهم بهذا الميثاق .

وقد تقدّم حديث الإمام الصادق عليه السلام : « لمّا أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين ←

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧ .

(٢) البرهان : ج١ ص٣٧٤ ، وج٢ ص٨٣٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ .

(٤) البرهان : ج١ ص٣٧٥ ، بحار الأنوار : ج٥ ص٢٢٥ ، وج٦٠ ص١٣١ .

. . . .

يديه ، فقال لهم : مَن ربّكم ؟

فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام فقالوا: أنت ربّنا »[١].

وقد مضى بيانه في الفقرة الشريفة : « وحججُ الله على أهل الدنيا والآخرة والأُولى » . فراجع .

ونُضيف هنا بمناسبة ذكر الميثاق ما أفادته الأحاديث الشريفة : أنّ هذا الميثاق الذي أخذه الله تعالى من عباده في عالم الذرّ ، وأقرّوا له بذلك سجّله الله تعالى وأثبته ، وكتب أسماء عبيده في رَقٍّ ـ وهو الجلد الرقيق الذي يكتب فيه ـ وأودعه في الحجر الأسود .

وكان لهذا الحجر آنذاك عينان ولسانان وشفتان ، لأنّه كان يومئذٍ قبل تبديله إلى هذه الصورة مَلَكاً من ملائكة الله العظام ، فقال له : إفتح فاك ، ففتح فاه ، فألقمه ذلك الرقّ ثمّ قال له : إشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ، وسيشهد .

ولهذا استحبّ للطائف حول الكعبة المعظّمة، وللداخل إلى المسجد الحرام إستلام الحجر ، وأن يقول عنده مشيراً إليه مخاطبة له : « أمانتي أدّيتُها وميثاقي تعاهدتُه ، لتشهد لي بالموافاة »[٢].

ولهذا الحجر المبارك خصوصيات فريدة ، فإنّه أنزله الله من الجنّة على آدم عليه السلام وهو بأرض الهند ، فحمله على عاتقه حتّى وافى به مكّة المكرّمة ، فجعله في ركن البيت الشريف[٣].

واعلم أنّ هذا الحجر موضوع في الزاوية الشرقية من الكعبة المعظّمة في الركن

---

(١) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٣٠ .

(٢) علل الشرائع : ص٤٢٣ ب١٦١ الأحاديث .

(٣) سفينة البحار : ج١ ص٢٢٥ .

. . . .

➲ العراقي في مبدأ الطواف ، وعلى إرتفاع مترٍ ونصف من أرض المسجد الحرام ، ملبّساً بإطارٍ من فضّة .

ويمتاز الحجر الأسود عن أحجار العالم بأنّه حجر كبير ضخامته (٣٠) سنتيمتراً ، وبالرغم من ذلك يساوي وزنه (٢) كيلو غرام فقط .

وهو أخفّ من الماء ، ولذلك لا يرسب فيه .

وهو ضدّ النار والحرارة ، ولذلك لا يتأثّر بالحرارة ، ولا يحترق بالنار ، بالرغم من إصابة الحريق له عدّة مرّات .

وأكبر خصوصية فيه أنّه (يمينُ الله في أرضه يصافح بها خلقه) كما ورد في الحديث ، فيجدر تعظيمه وتقبيله واستلامه[1].

كما وأنّه امتاز من بين الأحجار بعد وضعه في ركن البيت الشريف بخصوصية أن أنطقه الله تعالى وتكلّم بلسانٍ عربيّ مبين بإمامة مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام كما تلاحظه في حديثي زرارة[2] والكابلي[3].

---

(١) أحكام حج واسرار آن : ص٩٨ . (٢) الكافي : ج١ ص٣٤٨ ح٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج٤٦ ص٢٩ ب٣ ح٢٠ .

وَاحْكَمْتُمْ عَقْدَ طاعَتِهِ(١)

(١) ـ أحكمتم من الإحكام بالكسر بمعنى : ضبط الشيء ، وجعله مستحكماً .

والعقد بمعنى المعقود ، وهو أوكد العهود ، وفيه معنى الإستيثاق والشدّ ، مأخوذ من عقد الشيء بغيره : أي وصله به كما يعقد الحبل .

أي أنّ أهل البيت عليهم السلام ضبطوا وأتقنوا وقوّوا ميثاق إطاعة الخلق لله تعالى وعهده الذي أخذه منهم ، بواسطة هدايتهم بالمواعظ الشافية والنصائح الوافية ، وإرشادهم بتحبيب الطاعة لهم ، وتحذيرهم عن وقوع المعصية منهم ، وبترغيبهم إلى الثواب وتجنيبهم عن العقاب .

فكان من تبعهم واهتدى بهداهم مطيعاً لله ، منقاداً لحضرته ، خاضعاً لجنابه كما هو الملحوظ في الخيرة من أصحابهم الكرام وشيعتهم العظام ، الذين ربّوهم على طاعة الله ، وهذّبوهم على عبادة الله ، وزيّنوهم بترك معصية الله .

وللنموذج من ذلك راجع أحوال كبار أصحابهم وما أكثرهم وأطوعهم من أمثال محمّد بن أبي عمير الأزدي رضوان الله تعالى عليه .

ففي رجال الكشّي : وجدت في كتاب أبي عبدالله الشاذاني بخطّه : سمعت أبا محمّد الفضل بن شاذان يقول :

دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه ويقول له : أنت رجل عليك عيال ، وتحتاج أن تكتب عليهم ، وما آمن أن يذهب عيناك لطول سجودك ، فلمّا أكثر عليه قال : أكثرتَ عليّ ، ويحك لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي عمير ، ما ظنّك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما يرفع رأسه إلّا زوال الشمس .

وسمعته يقول : أخذ يوماً شيخي بيدي ، وذهب بي إلى ابن أبي عمير فصعدنا في غرفة وحوله مشايخ له يعظّمونه ويبجّلونه ، فقلت لأبي : مَن هذا ؟

. . . .

قال : هذا ابن أبي عمير .

قلت : الرجل الصالح العابد ؟

قال : نعم .

وسمعته يقول : ضُرب ابن أبي عمير مائة خشبة وعشرين خشبة بأمر هارون لعنه الله ، تولّى ضربه السندي بن شاهك على التشيّع ، وحبس فأدّى مائة وإحدى وعشرين ألفاً حتّى خلّي عنه .

فقلت : وكان متموّلاً ؟

قال : نعم كان ربّ خمسمائة ألف درهم(١).

كما كانوا هم عليهم السلام في أنفسهم المثل الأعلى ، والقدوة العُليا لطاعة الله ، وتطويع الخلق لله ، وقد تقدّم شيء من ذلك في فقرة « المطيعون لله » .

ولم يستطع أحد من الناس أن يصل إليهم في قدر الطاعة ، وما زالوا على ذلك حتّى أقاموا الحقّ والدين ، وقطعوا ظهور الشياطين ، وقامت بهم الطاعة والعبادة .

ولذلك ورد في الحديث : « ولولانا ما عُبِدَ الله »(٢).

وفي نسخة الكفعمي : « وأحكمتم عقد عُرىٰ طاعته » .

---

(١) رجال الكشّي : ص٤٩٤ .

(٢) الكافي : ج١ ص١٩٣ ح٦ .

وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلاٰنِيَةِ(١)

(١) ـ النُصح ، والإسم منه النصيحة هو : الخلوص وعدم الغشّ .

يُقال : نَصَحَه ونَصَحَ له : إذا فعل فعلاً أو تكلّم بكلامٍ أراد به الخير والصلاح للمنصوح .

وإشتقاقه من نصحت العسل إذا صفّيته ، فالناصح يُصفّي فعله وكلامه من الغشّ ، أو من نصحت الثوب إذا خطته ، فالناصح يصلح خلل أخيه كما يصلح الخيّاط خرق الثوب على ما يستفاد من اللغة .

والسرّ والعلانية هي الخفاء والظهور .

وفُسّرت النصيحة في السرّ بالنصح في الإعتقاد والنيّة فيما بين الله تعالى وبين أنفسهم .

كما فُسّرت النصيحة في العلانية بالنصح في الأقوال والأفعال فيما بينهم وبين الناس .

والمعنى أنّكم أهل البيت سلام الله عليكم نصحتم لله تعالى عباده ، وأردتم لهم الخير ، وأصلحتم خللهم ، في السرّ والعلانية(١).

فإنّهم صلوات الله عليهم أرادوا بأقوالهم وأفعالهم الخير والصلاح لجميع عباد الله تعالى صالحهم وطالحهم .

كما تشهد به سيرتهم الطيّبة مع أوليائهم وأعدائهم ، بل مع الخلق كلّهم .

لذلك تظافرت زياراتهم بالشهادة لهم أنّهم نصحوا لله ولرسوله ...

وما مرّت عليهم فرصة في حياتهم إلّا وتحرّوا الطريق الأرشد ، والمنهاج الأسعد لخير المخلوقين ، وصلاح العالمين ، وقد جَلَبوا لهم المصالح وجنّبوهم عن المفاسد.

---

(١) لاحظ روضة المتّقين : ج٥ ص٤٧٤ .

. . . .

فأهل البيت عليهم السلام اتّصفوا بالنصيحة بالنحو الأكمل والنهج الأفضل .

ولم يكتفوا بنصيحة العباد بأنفسهم ، بل أمروا المؤمنين بالنصح فيما بينهم ، وأوجبوا عليهم النصيحة لهم ، وجعلوها من أفضل الأعمال .

ففي حديث سفيان بن عيينة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « عليكم بالنصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل أفضل منه »(١).

وقد ضمنوا الجنّة لمن نصح لله ولرسوله ولكتابه ولدينه وللمسلمين ، على ما في حديث تميم الداري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من يضمن لي خمساً أضمن له الجنّة .

قيل : وما هي يارسول الله ؟

قال : النصيحة لله عزّوجلّ ، والنصيحة لرسوله ، والنصيحة لكتاب الله ، والنصيحة لدين الله ، والنصيحة لجماعة المسلمين »(٢).

وقد فسّر العلّامة المجلسي أعلى الله مقامه هذه النصائح بقوله :

(المراد بنصيحة المؤمن : إرشاده إلى مصالح دينه ودنياه ، وتعليمه إذا كان جاهلاً ، وتنبيهه إذا كان غافلاً ، والذبّ عنه عن أعراضه إذا كان ضعيفاً ، وتوقيره في صغره وكبره ، وترك حسده وغشّه ، ودفع الضرر عنه ، وجلب النفع إليه ، ولو لم يقبل النصيحة سلك به طريق الرفق حتّى يقبلها ، ولو كانت متعلّقة بأمر الدين سلك به طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه المشروع ...

ومعنى نصيحة الله : صحّة الإعتقاد في وحدانيّته ، وإخلاص النيّة في عبادته .

والنصيحة لكتاب الله هو : التصديق والعمل بما فيه .

---

(١) الكافي : ج٢ ص٢٠٨ ح٦ .

(٢) الخصال : ج١ ص٢٩٤ ح٦٠ .

. . . .

➲ونصيحة رسوله ﷺ : التصديق بنبوّته ورسالته ، والإنقياد لما أمر به ونهى عنه .

ونصيحة الأئمّة عليهم السلام : أن يطيعهم في الحقّ ، ولا يرى الخروج عليهم ..

ونصيحة عامّة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم)[١].

---

(١) مرآة العقول : ج٩ ص١٤٢ ـ ١٤٤ .

وَدَعَوْتُمْ إِلىٰ سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ[١]

(١) ـ إشارة إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المصداق الكامل العامل بقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١].

بمعنى أنّكم أهل البيت عليكم سلام الله دعوتم الخلق ، وهديتم المخلوق إلى سبيل الله القويم ، وصراطه المستقيم ، ودينه العظيم ، بلسان الحكمة والموعظة الحسنة .

فما هي الحكمة وما هي الموعظة الحسنة ؟

أمّا الحكمة فقد جاء تعريفها بالعلوم الحقيقيّة الإلهية[٢].

وفُسّرت هنا بالقرآن الكريم[٣].

وسُمّي القرآن حكمة لأنّه يتضمّن الأمر بالأفعال الحسنة والنهي عن الأفعال القبيحة ، وأصل الحكمة المنع عن القبيح والفساد كما أُفيد .

وأهل البيت سلام الله عليهم دَعَوا الخلق إلى دين الله تعالى بالقرآن الكريم وبما أخذوه من كلام الله الحكيم ، فكلّموا كلّ واحدٍ بغرر الحكم على ما يوافق عقله وبمقدار فهمه وبقدر إدراكه ، فإنّهم سلام الله عليهم كانوا كرسول الله صلى الله عليه وآله يكلّمون الناس على قدر عقولهم ، كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام[٤].

وأمّا الموعظة الحسنة فمعناه : الوعظ الحسن ، وهو الصَّرف عن القبيح ، على وجه الترغيب في تركه ، والتزهيد في فعله ، ومن ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع[٥].

---

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥ .
(٢) الأنوار اللامعة : ص٧٧ .
(٣) تفسير البرهان : ج١ ص٥٨٥ .
(٤) الكافي : ج١ ص٢٣ ح١٥ .
(٥) مجمع البيان : ج٦ ص٣٩٣ .

. . . .

فالوعظ ، والاسم منه الموعظة هو التذكير بالعواقب ، كالوصيّة بـالتقوى ، والحثّ على الطاعات ، والتحذير عن المعاصي والإغترار بالدنيا وزخارفها ، ونحو ذلك[١].

فيكون الوعظ بالزجر المـقترن بـالتخويف ، وبـالتذكير بـالخير فـيما يـرقّ له القلب[٢].

وعليه فتكون الموعظة الحسنة في محصّل معناها عبارة عن الوعظ بما يكون حسناً في نفسه ، ومؤثّراً في غيره ، بحيث يكون جاذباً للقلوب ، ومقرّباً للمطلوب .

وجاء في الآية الشريفة بعد الأمر بالدعوة إلى سبيل الله بـالحكمة والمـوعظة الحسنة الأمر بالجدال بالتي هي أحسن .

وقد فُسّرت في حديث الإمام العسكري عليه السلام بالحجج الإلهية .

مثل التي بيّنها الله تعالى لنبيّه الأكرم في جواب من قال : ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ؟

فقال الله تعالى في ردّه : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنْتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٣] كـما فـي حـديث التفسير[٤].

وأهل البيت عليهم السلام هم المـثل الأعـلى للـدعوة إلى سـبيل الله تـعالى بـالحكمة والموعظة الحسنة .

ومن لاحظ سيرتهم ومواعظهم الحسان أيقن بذلك غاية الإيقان .

---

(١) مجمع البحرين : مادّة وعظ ص٣٦٩ .

(٢) المفردات : ص٥٢٧ .

(٣) سورة يس : الآيات ٧٨ ـ ٨٠ .

(٤) تفسير البرهان : ج١ ص٥٨٥ .

. . . .

➲والدليل الوجداني ظاهرٌ بالتدبّر في مواعظهم عليهم السلام المرويّة وإرشاداتهم العالية[١].

وأخصّ بالذكر مواعظ الإمام الصادق عليه السلام في رسالته المباركة إلى أصحابه ، التي رواها ثقة الإسلام الكليني في أوّل حديث من الروضة وهي موعظة جليلة الشأن ، بليغة المتن ، مفصّلة مستوفية ، يأتي مقدار منها في فقرة « وسننتم سنّته » فراجع[٢].

(١) بحار الأنوار : كتاب الروضة ج٧٨ أبواب مواعظ الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين .

(٢) روضة الكافي : ج٨ ص٢ .

وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ(١)

(١) ـ البذل في اللغة هو العطاء ضدّ المنع .

والمرضاة : مصدر ميمي من الرضا .

أي أنّكم أهل البيت سلام الله عليكم فديتم بأرواحكم الشريفة في سبيل ما يُرضي الله تعالى من المداومة على أوفر العبادات ، والإلتزام بأعظم الطاعات وإعلاء كلمة الله في جميع المجالات ، حتّى تحمّلتم ما تحمّلتم من المشاقّ ، وأصابكم ما أصابكم من المحن ، ولاقيتم ما لاقيتم من المصائب ، إلى درجة الشهادة في سبيل الله وتحصيل مرضاته ، حتّى لم يكن منكم إلّا مسموم أو مقتول ، كما في حديث جُنادة عن الإمام المجتبى عليه السلام أنّه عهد إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله(١) .

وفي خطبته عليه السلام :

« لقد حدّثني حبيبي جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الأمر يملكه إثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ، ما منّا إلّا مقتول أو مسموم »(٢) .

ودراسة حياتهم المليئة بهذه المفاخر كفيلة بمعرفة غاية جهدهم ، في عبادتهم وجهادهم ، والإطّلاع على مدى محنهم ومصائبهم موصلٌ إلى العلم ببذل أنفسهم في سبيل مرضاة ربّهم .

وللنموذج تلاحظ بذل نفسهم في العبادة في مثل حديث عبادة الإمام السجّاد عليه السلام الذي رواه شيخ الطائفة الطوسي جاء فيه :

أنّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام لمّا نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي ابن الحسين عليهما السلام بنفسه من الدأب في العبادة ، أتت جابر بن عبدالله بن عمرو بن حزام ↩

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢١٧ ب٩ ح١٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢١٧ ب٩ ح١٩ .

. . . .

الأنصاري ، فقالت له : ياصاحب رسول الله ، إنّ لنا عليكم حقوقاً ، ومن حقّنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه إجتهاداً أن تذكّروه الله ، وتدعوه إلى البُقيا على نفسه .

وهذا علي بن الحسين بقيّة أبيه الحسين عليهما السلام ، قد انخرم أنفه ، وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه دأباً منه لنفسه في العبادة .

فأتى جابر بن عبدالله باب علي بن الحسين عليهما السلام ، وبالباب أبو جعفر محمّد ابن علي عليهما السلام في أُغيلمة من بني هاشم قد اجتمعوا هناك ، فنظر جابر إليه مقبلاً ، فقال : هذه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسجيّته ، فمن أنت ياغلام ؟

قال : فقال : أنا محمّد بن علي بن الحسين ، فبكى جابر بن عبدالله رضي الله عنه . ثمّ قال : أنت والله الباقر عن العلم حقّاً ، أُدنُ منّي بأبي أنت وأمّي ، فدنا منه فحلّ جابر ازاره ووضع يده في صدره فقبّله ، وجعل عليه خدّه ووجهه ، وقال له : أُقرئك عن جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله السلام ، وقد أمرني أن أفعل بك ما فعلت ، وقال لي : يوشك أن تعيش وتبقى حتّى تلقى من ولدي من إسمه محمّد يبقر العلم بقراً . وقال لي : إنّك تبقى حتّى تعمى ثمّ يكشف لك عن بصرك .

ثمّ قال لي : ائذن لي على أبيك ، فدخل أبو جعفر على أبيه عليهما السلام فأخبره الخبر ، وقال : إنّ شيخاً بالباب ، وقد فعل بي كيت وكيت .

فقال : يابني ذلك جابر بن عبدالله . ثمّ قال : أمن بين ولدان أهلك قال لك ما قال وفعل بك ما فعل ؟ قال : نعم [قال :] إنّا لله ، إنّه لم يقصدك فيه بسوء ، ولقد أشاط بدمك .

ثمّ أذن لجابر ، فدخل عليه فوجده في محرابه قد أنضته العبادة ، فنهض علي عليه السلام فسأله عن حاله سؤالاً حفيّاً ، ثمّ أجلسه بجنبه .

فأقبل جابر عليه يقول : يابن رسول الله ، أما علمت أنّ الله تعالى إنّما خلق

. . . .

الجنّة لكم ولمن أحبّكم ، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك ؟

قال له علي بن الحسين عليه‌السلام : ياصاحب رسول الله ، أما علمت أنّ جدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر فلم يدع الإجتهاد له ، وتعبّد ـ بأبي هو وأُمّي ـ حتّى انتفخ الساق وورم القدم ، وقيل له : أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر !

قال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

فلمّا نظر جابر إلى علي بن الحسين عليه‌السلام وليس يغني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد ، قال له : يابن رسول الله ، البُقيا على نفسك ، فإنّك لمن أُسرة بهم يُستدفع البلاء ، وتستكشف اللأواء ، وبهم تُستمطر السماء .

فقال : ياجابر ، لا أزال على منهاج أبويّ مؤتسياً بهما صلوات الله عليهما حتّى ألقاهما ، فأقبل جابر على من حضر فقال لهم : والله ما أرى في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلّا يوسف بن يعقوب عليه‌السلام ، والله لذرّية علي بن الحسين عليه‌السلام أفضل من ذرّية يوسف بن يعقوب ، إنّ منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[1].

وتلاحظ بذل النفس في مصائبهم ومحنهم في الأحاديث التي عقد لها شيخ الإسلام المجلسي باباً ، من ذلك : حديث أبان ، عن الإمام الباقر عليه‌السلام جاء فيه : قال أبان : ثمّ قال لي أبو جعفر الباقر عليه‌السلام : « ما لقينا أهل البيت من ظلم قريش وتظاهرهم علينا وقتلهم إيّانا ، وما لقيت شيعتنا ومحبّونا من الناس .

إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قُبض وقد قام بحقّنا وأمر بطاعتنا وفرض ولايتنا ومودّتنا ،

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ص٦٣٦ ح١٣١٤ .

. . . .

⊃وأخبرهم بأنّا أولى الناس بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلّغ الشاهد منهم الغائب .

فتظاهروا على علي عليه السلام ، فاحتجّ عليهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وما سمعته العامّة . فقالوا : صدقت ، قد قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن قد نَسَخَه فقال : « إنّا أهل بيت أكرمنا الله عزّوجلّ وإصطفانا ولم يرض لنا بالدنيا ، وإنّ الله لا يجمع لنا النبوّة والخلافة » ! فشهد بذلك أربعة نفر : عمر وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة ، فشبّهوا على العامّة وصدّقوهم وردّوهم على أدبارهم وأخرجوها من معدنها من حيث جَعَلها الله .

واحتجّوا على الأنصار بحقّنا وحجّتنا فَعَقَدوها لأبي بكر . ثمّ ردّها أبو بكر إلى عمر يكافيه بها . ثمّ جعلها عمر شورى بين ستّة ، فقلّدوها عبدالرحمن . ثمّ جعلها ابن عوف لعثمان على أن يردّها عليه ، فغدر به عثمان وأظهر ابن عوف كفره وجهله وطعن عليه[1] في حياته وزعم ولده أنّ عثمان سمّه فمات .

ثمّ قام طلحة والزبير فبايعا عليّاً عليه السلام طائعين غير مكرهين . ثمّ نَكَثا وغَدَرا ، ثمّ ذهبا بعائشة معهما إلى البصرة مطالبة بدم عثمان . ثمّ دعا معاوية طغاة أهل الشام⊂

---

(١) وفي « د » هكذا : فأظهر ابن عوف خلعه وكفره فذكر لنا أنّ عثمان سمّه ، فمات ابن عوف .

روى العلّامة الأميني في الغدير : ج٩ ص٨٦ : أنّه لمّا أحدث عثمان ما أحدث قيل لعبدالرحمن ابن عوف : هذا كلّه فعلك . فقال : ما كنت أظنّ هذا به . لكن لله عليّ أن لا أكلّمه أبداً . ومات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحوّل إلى الحائط ولم يكلّمه . مات عبدالرحمن سنة (٣٢) .

وروى العلّامة المجلسي في البحار : ج٨ ص٣١٩ الطبع القديم عن الثقفي في تاريخه قال : كثر الكلام بين عبدالرحمن وبين عثمان حتّى قال عبدالرحمن : أما والله لئن بقيت لك لأُخرجنّك من هذا الأمر كما أدخلتك فيه وما غررتني إلّا بالله .

. . . .

➡إلى الطلب بدم عثمان ونصب لنا الحرب . ثمّ خالفه أهل حروراء على أن يحكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ، فلو كانا حكما بما اشترط عليهما لَحَكما أنّ عليّاً عليه السلام أمير المؤمنين في كتاب الله وعلى لسان نبيّه وفي سنّته ، فخالفه أهل النهروان وقاتلوه .

ثمّ بايعوا الحسن بن علي عليه السلام بعد أبيه وعاهدوه ، ثمّ غَدَروا به وأسلموه ووثبوا عليه حتّى طعنوه بخنجر في فخذه وانتهبوا عسكره وعالجوا خلاخيل أُمّهات أولاده. فصالح معاوية وحقن دمه ودم أهل بيته وشيعته ، وهم قليل حقّ قليل ، حين لا يجد أعواناً .

ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً . ثمّ غدروا به ثمّ خرجوا إليه فقاتلوه حتّى قُتل .

ثمّ لم نَزَل أهل البيت ـ منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله ـ نذلّ ونقصي ونحرم ونقتل ونطرد ونخاف على دمائنا وكلّ مَن يحبّنا . ووجد الكاذبون لكذبهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقُضاتهم وعمّالهم في كلّ بلدة ، يحدّثون عدوّنا عن ولاتهم الماضين بالأحاديث الكاذبة الباطلة ، ويروون عنّا ما لم نقل تهجيناً منهم لنا وكذباً منهم علينا وتقرّباً إلى ولاتهم وقضاتهم بالزور والكذب .

وكان عظم ذلك وكثرته في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام ، فقُتلت الشيعة في كلّ بلدة وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على التهمة والظنّة من ذكر حبّنا والإنقطاع إلينا .

ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان ابن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام . ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم بكلّ قتلة وبكلّ ظنّة وبكلّ تهمة ، حتّى أنّ الرجل ليقال له : « زنديق» أو « مجوسي » كان ذلك أحبّ إليه من أن يُشار إليه أنّه من « شيعة الحسين➡

. . . .

صلوات الله عليه !! »[(١)]-[(٢)].

وزيارة جامعة أئمّة المؤمنين التي رواها السيّد ابن طاووس نوّهت عن شيء من مصائبهم ومحنهم صلوات الله عليهم أجمعين ولعن الله أعدائهم إلى يوم الدين ، جاء فيها :

« ياموالي ، فلو عاينكم المصطفى وسهام الأُمّة مغرقة في أكبادكم ، ورماحهم مشرعة في نحوركم ، وسيوفها مولعة في دمائكم ، يشفي أبناء العواهر غليل الفسق من ورعكم ، وغيظ الكفر من إيمانكم ، وأنتم بين صريع في المحراب قد فلق السيف هامته ، وشهيد فوق الجنازة قد شكّت أكفانه بالسهام ، وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة رأسه ، ومكبّل في السجن قد رضّت بالحديد أعضاؤه ، ومسموم قد قطّعت بجرع السمّ أمعاؤه ، وشملكم عباديد تفنيهم العبيد وأبناء العبيد .

فهل المحن ياسادتي إلّا التي لزمتكم ، والمصائب إلّا التي عمّتكم ، والفجائع إلّا التي خصّتكم ، والقوارع إلّا التي طرقتكم صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم ، وأجسادكم ورحمة الله وبركاته »[(٣)].

---

(١) كتاب سليم بن قيس : ج٢ ص٦٣٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢١١ ب٩ الأحاديث .

(٣) مصباح الزائر : ص٤٦٤ .

وَصَبَرْتُمْ عَلىٰ ما اَصابَكُمْ فِي جَنْبِهِ[1]

(١) ـ أي أنّكم أهل البيت سلام الله عليكم صبرتم على ما أصابكم من المشقّة والتعب والظلم والأذى وسفك الدماء وسبي النساء ونهب الأموال، في جنب الله وجهته وفي طريقه ومرضاته.

والصبر في اللغة: نقيض الجزع[1].

وفي الإصطلاح: (حبس النفس على المكروه إمتثالاً لأمر الله تعالى)[2].

وفسّر بالإمساك في الضيق وحبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع[3].

وفي الشموس بيّن أنّ حقيقة الصبر هو وقار النفس، ولازمه عدم الإضطراب عند الإبتلاء[4].

وعرّفه المحقّق الطوسي أنّه (حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن عن الإضطراب، واللسان عن الشكاية، والأعضاء عن الحركات غير المعتادة)[5].

والصبر يكون في مواطن كثيرة كالصبر على الطاعة، والصبر على المعصية، والصبر على المصيبة.

ولقد أشاد الله تعالى بذكر الصبر والصابرين في أكثر من (٧٠) موضع من القرآن الكريم[6].

كما مدحه المعصومون عليهم السلام بفائق المدح والثناء في أحاديث كثيرة تلاحظها في ←

---

(١) المحيط في اللغة: ج٨ ص١٣٤.

(٢) مجمع البحرين: مادّة صبر ص٢٧٢.

(٣) المفردات: ص٣٧٣.

(٤) الشموس الطالعة: ص٢٩٨.

(٥) سفينة البحار: ج٢ ص٤.

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مادّة صبر.

. . . .

⊃كتب الأخبار[١].

وأهل البيت سلام الله عليهم بلغوا أعلى مراتب الصبر ، وأعلى درجات الصابرين الذي كان جزاؤه معيّة الله تعالى والزلفى عنده عزّ إسمه ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .

ويكفي لذلك دليلاً ومثالاً ، كلام أمير المؤمنين عليه السلام :

« فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت ، وأغضيت على القذى ، وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حرّ الشفار »[٢].

وتلاحظ صبرهم في أحاديثهم الشريفة الواردة في البحار[٣].

ولقد عجبت من صبرهم ملائكة السماء ، كما في زيارة الناحية المقدّسة[٤].

وقد اعترف بعظيم صبرهم شيعتهم وغير شيعتهم كما تلاحظه في ما تقدّم من حديث ابن دأب[٥].

وفي نسخة الكفعمي بعد هذه الفقرة : « وصدعتم بأمره ، وتلوتم كتابه ، وحذّرتم بأسه ، وذكّرتم بأيّامه ، وأوفيتم بعهده » .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧١ ص٥٦ ب٦٢ الأحاديث .

(٢) نهج البلاغة : قسم الخطب ، الخطبة ٢٦ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٤١ ص١ ب٩٩ ، وج ٢٤ ص٢١٤ ب٥٧ .

(٤) بحار الأنوار : ج ١٠١ ص٢٤٠ ب١٨ ح٣٨ .

(٥) الاختصاص : ص١٠٨ .

وَاَقَمْتُمُ الصَّلاٰةَ(١)

(١) ـ الصلاة هي العبادة القربيّة المعروفة التي هي معراج المؤمن ، وقربان كلّ تقيّ ، وقرّة عين الصالحين .

وإقامتها فُسّرت بمعانٍ ثلاثة :

١ / بمعنى تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ وإنحراف في أفعالها ، أخذاً من أقام العُود يعني عود الخيمة : أي قوّمه .

٢ / بمعنى المواظبة على الصلاة وترويجها ، أخذاً من قامت السوق : أي راجت.

٣ / بمعنى التشمير والاستعداد لأدائها من غير فتور ولا توانٍ ولا تهاون ، أخذاً من قام بالأمر : أي جدّ فيه ، وتجلّد ، ولم يتهاون(١).

ولعلّ جامع المعاني في إقامة الصلاة هي المحافظة عليها ، تلك المحافظة التي أمر بها في قوله عزّ إسمه : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ﴾(٢).

والتي هي من صفات المؤمنين المفلحين المبشَّرين بالجنّة في كتاب الله الكريم في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣).

وأهل البيت عليهم السلام هم الذين أقاموا الصلاة حقّ إقامتها بكلّ خضوع وخشوع ، وإخلاص وحضور قلب ، وجاؤوا بها تامّة الأجزاء والشرائط ، وحافظوا على أدائها بكلّ ما هو من شروط قبولها وكمالها ، وواظبوا على إتيانها بكلّ جدٍّ واجتهاد ، واستعدّوا لها أتمّ الإستعداد ، وعلّموها أحسن التعليم ، ومنحوها غاية التعظيم ، والتزموا بها في الشدّة والرخاء ، واعتنوا بها غاية الاعتناء .

(١) مجمع البحرين : مادّة قَوَمَ ص٥٣٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٨ .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ٩ ـ ١١ .

. . . .

كما تلاحظ ذلك بوضوح في سيرتهم وحياتهم ، وفي سفرهم وإقامتهم ، حتّى في حروبهم وسجونهم .

وغني عن البيان صلاة أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وصلاة الإمام السجّاد عليه السلام[2].

وصلاة الإمام الكاظم عليه السلام[3].

نقل أحمد بن عبدالله عن أبيه قال : دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لي : أشرفْ على هذا البيت وانظر ما ترى ؟

فقلت : ثوباً مطروحاً .

فقال : انظر حسناً .

فتأمّلت فقلت : رجل ساجد .

فقال لي : تعرفه ؟ هو موسى بن جعفر ، أتفقّده الليل والنهار ، فلم أجده في وقت من الأوقات إلّا على هذه الحالة ، إنّه يصلّي الفجر فيعقّب إلى أن تطلع الشمس ، ثمّ يسجد سجدة ، فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس ، وقد وكّل من يترصّد أوقات الصلاة ، فإذا أخبره وثب يصلّي من غير تجديد وضوء ، وهو دأبه ، فإذا صلّى العتمة أفطر ، ثمّ يجدّد الوضوء ثمّ يسجد ، فلا يزال يصلّي في جوف الليل حتّى يطلع الفجر .

وقال بعض عيونه : كنت أسمعه كثيراً يقول في دعائه : « اللهمّ إنّك تعلم أنّني كنت أسألك أن تفرّغني ... »[4].

ولقد شهد بسموّ عباداتهم حتّى غير شيعتهم ، كما تقدّم عن أبي الحديد في

---

(١) بحار الأنوار : ج٤١ ص١١ . (٢) سفينة البحار : ج٦ ص٣٨٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٤٨ ص١٠٠ ب٣٩ الأحاديث .

(٤) بحار الأنوار : ج٤٨ ص١٠٧ ب٣٩ ح٩ .

. . . .

شرحه حيث قال في صلاة أمير المؤمنين عليه السلام :

وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يُبسط له نطعٌ بين الصفّين ليلة الهرير ، فيصلّي عليه وِرْدَه ، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صِماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته ! ثمّ قال : وأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته ، والخشوع لعزّته والاستخذاء له ، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص ، وفهمت من أي قلب خرجت ، وعلى أي لسان جرت !

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ـ وكان الغاية في العبادة : أين عبادتك من عبادة جدّك ؟ قال : « عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله »[١].

فإقامة الصلاة وإتمام العبادات كانت بأهل بيت العصمة سلام الله عليهم كما في حديث الإمام الرضا عليه السلام :

« بالإمام تمام الصلاة والصيام والحجّ والجهاد ... »[٢].

وأهل البيت سلام الله عليهم قد أتمّوا الحجّة ، وأوضحوا المحجّة في بيان الحثّ على الصلوات ، والمحافظة عليها في جميع الأوقات ، والترغيب إليها في جميع المناسبات كما تشاهده في أحاديثهم الوافية[٣].

وقد بيّنوا حدود الصلاة وأبوابها وأحكامها بجميع سننها وآدابها .

وقد فسّر الشهيد الأوّل قدس سره حديث (إنّ للصلاة أربعة آلاف حدّ) بواجباتها ومندوبها ، فجعل أحكام الواجبات ألفاً وصنّف لها كتاب الألفية ، وجعل مندوباتها

(١) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢٧ . (٢) الكافي : ج١ ص٢٠٠ .

(٣) بحار الأنوار : ج٨٣ ص١ ب٦ الأحاديث .

. . . .

ثلاثة آلاف وصنّف لها كتاب النفليّة[١].

فأهل البيت عليهم السلام هم الذين أقاموا الصلاة حقّ إقامتها ، بل علّموا وهذّبوا وأمروا الخلق بالصلاة التامّة الكاملة التي يلزم مراعاتها .

ويحسن التدبّر لذلك في مفصّل حديث حمّاد في هذا الباب قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام يوماً : « تحسن أن تصلّي ياحمّاد ؟ قال :

قلت : ياسيّدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة .

قال : فقال عليه السلام : لا عليك قم صلّ .

قال : فقمت بين يديه متوجّهاً إلى القبلة فاستفتحت الصلاة ، وركعت ، وسجدت .

فقال عليه السلام : ياحمّاد لا تحسن أن تصلّي ، ما أقبح بالرجل (منكم) أن يأتي عليه ستّون سنة أو سبعون سنة ، فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة ؟!

قال حمّاد : فأصابني في نفسي الذلّ فقلت : جعلت فداك فعلّمني الصلاة .

فقام أبو عبدالله عليه السلام مستقبل القبلة ، منتصباً ، فأرسل يديه جميعاً على فخذيه قد ضمّ أصابعه ، وقرّب بين قدميه حتّى كان بينهما ثلاثة أصابع مفرجات ، واستقبل بأصابع رجليه (جميعاً) لم يحرّفهما عن القبلة ، بخشوع واستكانة فقال : الله أكبر ، ثمّ قرأ الحمد بترتيل ، وقل هو الله أحد ، ثمّ صبر هنيئة بقدر ما تنفّس وهو قائم ، ثمّ قال : الله أكبر وهو قائم ، ثمّ ركع وملأ كفّيه من ركبتيه مفرّجات ، وردّ ركبتيه إلى خلفه حتّى استوى ظهره ، حتّى لو صبّت عليه قطرة ماء أو دهن لم تزل لاستواء ظهره وتردّد ركبتيه إلى خلفه ، ونصب عنقه ، وغمض عينيه ، ثمّ سبّح ثلاثاً بترتيل وقال: سبحان ربّي العظيم وبحمده ، ثمّ استوى قائماً ، فلمّا استمكن من القيام قال:

---

(١) سفينة البحار : ج١ ص٤٣ .

. . . .

سمع الله لمن حمده ، ثمّ كبّر وهو قائم ، ورفع يديه حيال وجهه ، وسجد ، ووضع يديه إلى الأرض قبل ركبتيه وقال : سبحان ربّي الأعلى وبحمده ثلاث مرّات ، ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه ، وسجد على ثمانية أعظم : الجبهة ، والكفّين ، وعيني الركبتين ، وأنامل إبهامي الرجلين ، والأنف ، فهذه السبعة فرض ، ووضع الأنف على الأرض سنّة وهو الإرغام ، ثمّ رفع رأسه من السجود فلمّا استوى جالساً قال : الله أكبر ، ثمّ قعد على جانبه الأيسر ، ووضع ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى ، وقال : استغفر الله ربّي وأتوب إليه ، ثمّ كبّر وهو جالس ، وسجد الثانية وقال : كما قال في الأولى ، ولم يستعِنْ بشيء من بدنه على شيء منه في ركوع ولا سجود ، وكان مجنّحاً ، ولم يضع ذراعيه على الأرض ، فصلّى ركعتين على هذا .

ثمّ قال : ياحمّاد هكذا صلّ ، ولا تلتفت ، ولا تعبث بيديك وأصابعك ، ولا تبزق عن يمينك ولا (عن) يسارك ولا بين يديك »[١].

---

(١) وسائل الشيعة : ج٤ ص٦٧٣ ب١ ح١ .

وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ(١)

(١) ـ الإيتاء هو البذل والإعطاء .

والزكاة جاءت لغةً بمعنى الطهارة وبمعنى النماء .

لأنّها إمّا مصدر زكّىٰ بالتشديد بمعنى طَهَّرَ ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(١) أي طهّر نفسه ، أو مصدر زكىٰ بالتخفيف بمعنى نَما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾(٢) أي أنمى لكم .

والزكاة تناسب كلا المعنيين الطهارة والنمو ، فزكاة المال طهر للمال ، وزكاة الفطرة طهر للأبدان .

وكذلك زكاة المال تطهّر المال من الخبث فتكون بمعنى الطهارة ، وتستجلب البركة في المال فتكون بمعنى النموّ(٣).

وحكى صاحب الجواهر عن الشهيد الأول ﷺ معنىً ثالثاً للزكاة وهو العمل الصالح فإنّه قد تطلق عليه ، ثمّ أفاد أنّه لعلّ منه قوله تعالى : ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾(٤)ـ(٥).

فتكون معاني الزكاة في اللغة ثلاثة : الطهارة ، والنماء ، والعمل الصالح .

هذا لغةً وأمّا إصطلاحاً فالمستفاد من تعاريف الفقهاء رضوان الله عليهم أنّ الزكاة: (اسم للصدقة المقدّرة بأصل الشرع ، المتعلّقة بالنصاب ، الثابتة في المال أو في الذمّة) .

وأهل البيت سلام الله عليهم آتوا الزكاة ، وأعطوا الصدقات الواجبة والمستحبّة ، بكلّ معنى الكلمة ، وبأكمل ما يمكن ، وبأسخى بذلٍ يتصوّر .

---

(١) سورة الشمس : الآية ٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٢ .

(٣) مجمع البحرين : مادّة زكا ص٤١ .

(٤) سورة مريم : الآية ٣١ .

(٥) جواهر الكلام : ج١٥ ص٢ .

. . . .

وقد صنعوا المعروف ، وجادوا بكلّ خير ، وأحسنوا إلى كلّ ذي روح ، لا يريدون في قبال ذلك جزاءً ولا شكوراً ، فبارك الله لهم كثيراً وطهّرهم تطهيراً .

ويشهد بذلك تصفّح سيرتهم الغرّاء ، وحياتهم العلياء ، المليئة بالبذل السخيّ والعطاء الوافي ، لأنحاء الصدقات وأبرّ الخيرات ..

فإنّه يظهر ذلك بوضوح في أحوال جميعهم رسول الله وأمير المؤمنين ، وفاطمة سيّدة نساء العالمين ، وأولادهم الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

وقد اتّفق على هذا الفريقان ، واعترف بذلك المؤالف والمخالف .

قال المعتزلي في أمير المؤمنين عليه السلام :

وأمّا السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة ، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده ، وفيه أُنزل : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُوراً﴾(١).

وروى المفسّرون أنّه لم يكن يملك إلّا أربعة دراهم ، فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية ، فأنزل فيه : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾(٢).

وروي عنه أنّه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة ، حتّى مَجَلَت(٣) يده ، ويتصدّق بالأُجرة ، ويشدّ على بطنه حجراً .

وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام : كان أسخى الناس ، كان على الخُلُق الذي يحبّه الله: السخاء والجود ، ما قال : « لا » لسائل قطّ .

وقال عدوّه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمِحفَن

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٨ ـ ٩ . (٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٤ .

(٣) مجلت يده : أي ثخن جلده وتعجّر وظهر فيه ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة .

. . . .

بن أبي مخقَن الضبي لمّا قال له : جئتك من عند أبخل الناس ، فقال : ويحك ! كيف تقول إنّه أبخل الناس ، لو مَلَك بيتاً من تِبْر وبيتاً من تِبْن لأنفد تبره قبل تبنه .

وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها . وهو الذي قال : « ياصفراء ، ويابيضاء، غرّي غيري ، وهو الذي لم يخلّف ميراثاً ، وكانت الدنيا كلّها بيده إلّا ما كان من الشام»(١).

وتلاحظ إنفاقهم الزكوات وبذلهم الخيرات ، وشيمتهم السخيّة ، ومكارمهم الزكيّة في أحاديثنا الشريفة في أبواب صدقاتهم وإنفاقاتهم(٢).

وقد بذلوا كلّ ما لديهم من الله في سبيل الله حتّى نزل فيهم كتاب الله ، فإنّه نزل في أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣)_(٤).

ونزل فيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥).

ونزل فيهم عليهم السلام قوله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٦)_(٧).

وسجّل شيخ الإسلام المجلسي المصادر من الفريقين فيما أوقفه أمير المؤمنين عليه السلام من أمواله بخيبر ، ووادي القرى ، وأبي نيزر ، والبغيبغة ، وأرباح،

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزلي : ج١ ص٢١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣٦ ص٥٩ ب٣٦ ح١ ـ ٣ ، وج٤١ ص٢٤ ب١٠٣ ، وج٤٢ ص٧١ ب١١٩ ، ووسائل الشيعة : ج٦ ص٢٨٤ ب١٩ ح١ و٣ و٥ ، وص٣١٩ ب٣٩ ح٢ و٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٥ .

(٤) تفسير العياشي : ج١ ص١٤٨ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٧٤ .

(٦) سورة الحشر : الآية ٩ .

(٧) كنز الدقائق : ج١٣ ص١٧٥ .

. . . .

وأُدينة ، ورغد ، ورزين ، ورياح. ثمّ ما أوقفه من مساجده، وآباره، ونخيله، وأنّه كانت غلّته أربعين ألف دينار، جعلها صدقة ..

وإنّه كان يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتّى قال بعض أصحابه: لوددت أنّي كنت يتيماً..

وأنّه كان مثالاً للجود والعطاء حتّى نزل فيه قوله تعالى في سورة الليل : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[1].

كما تلاحظه في حديث فرات الكوفي بسنده عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال:« كان رجل مؤمن على عهد النبي صلى الله عليه وآله في دار حديقة ، وله جار له صِبية، فكان يتساقط الرطب من النخلة فينشدون صبيته يأكلونه ، فيأتي الموسر فيخرج الرطب من جوف أفواه الصبية .

وشكا الرجل ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فأقبل وحده إلى الرجل فقال : بعني حديقتك هذه بحديقة في الجنّة .

فقال له الموسر : لا أبيعك عاجلاً بآجل !

فبكى النبي صلى الله عليه وآله ورجع نحو المسجد ، فلقيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: يارسول الله ما يبكيك لا أبكى الله عينيك ؟ فأخبره خبر الرجل الضعيف والحديقة .

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتّى استخرجه من منزله وقال له : بعني دارك .

قال الموسر : بحائطك الحسنيّ .

فصفق علي يده، ودار إلى الضعيف فقال له: تحوّل إلى دارك فقد ملّكها الله ربّ العالمين لك.

وأقبل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال له : يامحمّد اقرأ : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[2] إلى آخر السورة، فقام النبي صلى الله عليه وآله وقبّل بين عينيه، ثمّ قال: بأبي أنت قد أنزل الله فيك هذه السورة الكاملة »[3].

---

(١) سورة الليل : الآية ٥ ـ ٧ .

(٢) سورة الليل : الآية ١ ـ ٣ إقرأها إلى آخرها .

(٣) بحار الأنوار : ج ٤١ ص ٣٧ ب ١٠٢ ح ١٥ .

وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ (١)

(١) ـ الأمر بالشيء : الدعوة إلى ذلك الشيء ، والحثّ على إتيانه .

والمعروف : اسم جامع لكلّ ما عُرف من طاعة الله تعالى ، والإحسان إلى الناس، والمندوبات في الشرع ، والأفعال الحسنة الراجحة .

وهو يشمل الواجبات والمستحبّات ، فيكون الأمر بالواجب واجباً والأمر بالمستحبّ مستحبّاً ، كما صرّح به كثير من الفقهاء .

والنهي عن الشيء : الزجر عن ذلك ، والتحذير عن إتيانه .

والمنكر : ضدّ المعروف ، وهو كلّما قبّحه الشارع ، ولذلك ذكروا أنّه يكون فرض النهي عن المنكر في المحرّمات فقط .

لكن أفاد بعض الفقهاء عمومية المنكر وشموله للمحرّمات والمكروهات ، فان كان الشيء محرّماً كان النهي عنه واجباً ، وإن كان مكروهاً كان النهي عنه محبوباً .

وقد وقع شرعاً النهي عن المكروهات أيضاً فيما تلاحظه في حديث مناهي النبي صلى الله عليه وآله (١).

كما نُهي عن الذنوب وبُيّن آثارها في حديث الإمام السجّاد عليه السلام (٢) وأُحصيت الكبائر الأربعين المنهيّة ، في الكتب المفصّلة الفقهية ، مثل مفتاح الكرامة للسيّد العاملي قدس سره فلاحظ (٣).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الأساسية في الشريعة المقدّسة .

وقد أمر الله تعالى بهما في قوله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٦ ص٣٥٩ ب٦٧ ح٣٠ .

(٢) وسائل الشيعة : ج١١ ص٥١٩ ب٤١ ح٨ .

(٣) مفتاح الكرامة : ج٣ ص٥٩ .

. . . .

﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وتظافرت بهما السنّة الشريفة كما تجده في الأحاديث[٢].

وقام عليهما إجماع المسلمين ، وحكم العقل المستقلّ[٣].

فالأدلّة الأربعة محقّقة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأهل البيت سلام الله عليهم خير من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وهدى بأمر الله ، وبذل كلّ غالٍ ونفيس في سبيل إقامة الحقّ وتشييد العدل .

ففي حديث حمران ، عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٤].

قال : « هم الأئمّة »[٥].

وفي حديث أبي حمزة عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٦].

قال : « نحن هم »[٧].

فهم عليهم السلام خير من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

وكانت هذه سيرتهم وسنّتهم في مدى حياتهم .

وقد تجلّت هذه المنقبة بأسمىٰ معانيها في عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام ، حيث

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٠٠ ص٦٨ ب١ الأحاديث التسعة والتسعون .

(٣) جواهر الكلام : ج٢١ ص٣٥٨ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٨١ .

(٥) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٤٤ ب٤٥ ح٥ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٧) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٥٥ ب٤٦ ح٨ .

. . . .

⊃كانت شهادته وخروجه إليها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الإصلاح في دين جدّه صلى الله عليه وآله كما في الوصيّة المروية عنه عليه السلام[1].

وفي نسخة الكفعمي بعد هذه الفقرة : « وجادلتم بالتي هي أحسن » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٤ ص٣٢٩ .

وَجاهَدْتُمْ فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ[1]

(١) ـ الجهاد بكسر الجيم : مأخوذ في اللغة من الجهد بالفتح بمعنى التعب والمشقّة ، أو من الجُهد بالضمّ بمعنى الوسع والطاقة .

وفي الإصطلاح هو : بذل النفس وما يتوقّف عليه كالمال في محاربة المشركين أو الباغين ، على وجه مخصوص .

وبذل النفس والمال والوُسع في سبيل إعلاء كلمة الإسلام ، وإقامة شعائر الايمان .

قال تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[1].

وذكر في مجمع البيان : أنّ أكثر المفسّرين حملوا الجهاد هٰهنا على جميع أعمال الطاعات ، وقالوا : حقّ الجهاد أن يكون بنيّة صادقة خالصة لله تعالى[2].

وفي الأنوار فسّر حقّ الجهاد بالجهاد لساناً وجَناناً وأركاناً[3].

وأهل البيت سلام الله عليهم أتمّ المصاديق ، وأكمل موردٍ حقيق للجهاد في الله عزّ إسمه ، كما يشهد به حياتهم الغرّاء وسيرتهم العلياء .

وهم المعنيّون بهذه الآية الشريفة كما تلاحظه في حديث الإمام الباقر عليه‌السلام الوارد في تفسيرها[4].

وللنموذج إقرأ جهاد أمير المؤمنين عليه‌السلام الذي شهد به الفريقان .

ففي ما حكي عن المناقب : اجتمعت الأُمّة أنّ عليّاً كان المجاهد في سبيل الله ، والكاشف للكرب عن وجه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، المقدّم في سائر الغزوات ، وصاحب الراية ... وما رُئي أحد عمل في الجهاد ما عمل علي عليه‌السلام .

(١) سورة الحجّ : الآية ٧٨ .

(٢) مجمع البيان : ج٧ ص٩٧ .

(٣) الأنوار اللامعة : ص١٣١ .

(٤) تفسير البرهان : ج٢ ص٧١٦ .

. . . .

وقال سفيان الثوري : كان علي بن أبي طالب عليه السلام كالجبل بين المسلمين والمشركين ، أعزّ الله به المسلمين ، وأذلّ به المشركين[١].

وقال ابن أبي الحديد : (وأمّا الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوّه أنّه سيّد المجاهدين ، وهل الجهاد لأحد من الناس إلّا له)[٢].

ولا يخفى على مسلم مدىٰ جهاد سلالته الطيّبة وريحانته الطاهرة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء الذي أحيا به السنّة وأقام به القرآن كما تلاحظه في زيارة الناحية المباركة[٣].

وقد واصلوا عليهم السلام جهادهم وجهدهم حتّى تحقّقت الغايات التالية في هذه الزيارة الشريفة ، يعني الفقرات الآتية : « حتّى أعلنتم دعوته ... » .

---

(١) لاحظ بحار الأنوار : ج٤١ ص٦٠ ـ ٦٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : ج١ ص٢٤ .

(٣) تحفة الزائر : ص٢٧٧ .

حَتّىٰ أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ[١] وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ[٢]

(١) ـ العلانية : خلاف السرّ ، والإعلان هو النشر والإظهار .

وأعلنتم دعوته : أي أظهرتم ونشرتم دعوة الله الحقّة بين الناس ، وبعلانية الدعوة حصل للناس العلم والمعرفة ، وتمّ البيان والحجّة .

ودعوة الله التي أعلنوها هي دعوته تعالى خلقه إلى معرفته ومعرفة أوليائه وعبادته ، وسنّته وفرائضه ، وأوامره ونواهيه .

وهي دعوة إلى أسباب السعادة ، ودعوة إلى الجنّة ، ودعوة إلى الحياة الأبدية كما نطق به الكتاب الكريم في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[(١)ـ(٢)].

وكلّ ما أعلنه أهل البيت عليهم السلام هي دعوة الله تعالى ، إذ هم خلفاء رسول الله فهم الدعاة إلى الله .

وفي نسخة الكفعمي زيادة : « وقمعتم عدوّه ، وأظهرتم دينه » .

(٢) ـ التبيين : إظهار الشيء وتمييزه بحيث لا يشتبه بغيره ، من البيان بمعنى الوضوح والإنكشاف .

أي أوضحتم فرائض الله تعالى .

وفرائض الله تعالى هي واجباته المفروضة ، أو أحكامه بنحو عام .

وفي الشموس الطالعة : (إنّ الفرائض هي ما بيّن الله وجوبه في كتابه كالصلاة والصوم والحجّ والجهاد ...)[(٣)].

وأهل البيت سلام الله عليهم هم أوصياء النبي الأعظم ، والخلفاء على الدين ⟵

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

(٢) كنز الدقائق : ج٥ ص٣١٥ .

(٣) الشموس الطالعة : ص٣٠٢ .

. . . .

الأقوم ، والمخبرون عن الأنبياء ، وموضّحوا الشريعة الغرّاء ، فيكونون قد بيّنوا فرائض الله تعالى بدليل الوجدان ومشاهدة العيان ، كما سيأتي في فقرة « ونشرتم أحكامه » .

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام : « حتّى كان أبو جعفر ففتح لهم وبيّن لهم مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم ... »[1].

---

(١) بحار الأنوار : ج٦٨ ص٣٣٧ ب٢٧ ح١١ .

وَاَقَمْتُمْ حُدُودَهُ(١)

(١) ـ إقامة الشيء : تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ وإنحراف ، والمواظبة عليه ، والتشمير لأدائه من غير فتور ولا توانٍ(١).

والحدود : جمع حدّ ، وحدّ الشيء هو ما يتميّز به الشيء عمّا سواه .

ولكلّ شيء من أُمور الدين حدّ كما في أحاديثه(٢).

وحدود الله تعالى أحكامه ، وسمّيت حدوداً لأنّها كالحدود المضروبة للمكلّفين ، لا يجوز لهم أن يتجاوزوها(٣).

ومن حدود الله تعالى المناهي الشرعية والممنوعات ، والتأديبات المقرّرة على الجنايات.

وأهل البيت عليهم السلام هم الذين أقاموا حدود الله تعالى حقّ الإقامة ، وبيّنوها وعلّموها في كلّ زمانٍ بحسبه ، وللأزمنة الآتية تلوه ، كما تلاحظه في سيرتهم الشريفة .

فجميع ما جاء في الحدود الشرعية بمعناها العام والخاصّ ، فإنّما هو منهم سلام الله عليهم ، خصوصاً سيّدهم أمير المؤمنين عليه السلام ، الذي تلاحظ إقامته الحدود الشرعية الحقّة في أصعب الموارد القضائية بما علّمه الله تعالى من العلم والحكمة ، كما تصل إليه وجداناً في باب قضاياه سلام الله عليه(٤).

أقام حدود الله من دون أن تأخذه لومة لائم أو تضييع حقّ ، حتّى ذكر ابن دأب في كتابه أنّه أحجم الناس عن إقامة الحدّ عن غير واحد من أهل الشرف ، والنباهة ، وأقدم هو عليه السلام بإقامة الحدود عليهم ، فهل سمع أحد أنّ شريفاً أقام عليه أحد حدّاً غيره)(٥).

---

(١) مجمع البحرين : ص٥٣٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢ ص١٧٠ ب٢٢ الأحاديث .

(٣) مجمع البحرين : ص٢٠٢ .

(٤) بحار الأنوار : ج٤٠ ص٢١٨ ب٩٧ الأحاديث .

(٥) لاحظ الإختصاص : ص١٥٩ .

وَنَشَرْتُمْ شَرايعَ اَحْكامِهِ[(١)]

(١) ـ النشر : مأخوذ من نشرت الخبر أي أذعته ، وانتشر الخبر أي ذاع .

والشرائع : جمع شريعة ، وهي في الأصل اللغوي بمعنى مورد الناس للاستقاء ، سمّيت بذلك شريعة الإسلام المقدّسة التي هي المورد الصافي والمنهل العذب للعلم والحكمة.

وشريعة الإسلام هي ما شرّع الله تعالى وافترضه على الناس .

وإضافة الشرائع إلى الأحكام بيانيّة ، أي نشرتم الشرائع التي هي أحكام الله عزّوجلّ .

وأهل البيت عليهم السلام هم المعدن الفيّاض لنشر الأحكام الإلهية ، والأدلّة الدينية ، وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام : « وأقمت أحكام الله »[(١)].

وقد سارت بعلومهم الركبان ، وعمّ ذكرهم كلّ إنسان .

كما تربّى عندهم جيل كبير من الرواة العلماء ، وأعاظم الفقهاء حتّى أحصى ذكر أصحابهم الرواة في رجال شيخ الطائفة فكانوا زهاء (٨٩٠٠) راوياً .

وقد تخرّج على يد الإمام الصادق عليه السلام ما يقارب (٤٠٠٠) من الرواة ، وكتب من مسائله المروية عنه أربعمائة مصنّف[(٢)].

وأمّا ما كتب من الروايات عن جميع المعصومين عليهم السلام فقد قال المحدّث الحرّ العاملي : إنّ ما نقلوا عنه الأحاديث ، وذكرت في كتب الرجال يزيد على (٦٦٠٠) كتاباً كما أحصيناه[(٣)].

ومن تلك الكتب أربعمائة كتاب ، أصول معروفة بالأصول الأربعمائة لأربعمائة مصنّف[(٤)].

(١) بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ٢٧٩ ب ٤ ح ١٥ .

(٢) المعتبر : ص ٥ .

(٣) وسائل الشيعة : ج ٢٠ ص ٤٩ .

(٤) الذكرى : ص ٦ .

. . . .

ومن تلك الأُصول اختيرت أحاديث الكتب الأربعة الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار بأحاديثها الوفيرة[١].

مضافاً إلى كتاب مدينة العلم المشتمل على أحاديث كثيرة ، وهو أكبر من الفقيه[٢].

بالإضافة إلى كتب الحديث الأُخرى المحرّرة بعدها ، مثل :

بحار الأنوار ، وعوالم العلوم ، والوسائل ، والمستدرك ، والوافي ، وجامع الأحكام وغيرها ، ممّا هي دلائل حيّة وشواهد صادقة على أنّ أهل البيت عليهم‌السلام هم الذين نشروا الشرائع الإلهية والأحكام الربّانية .

وفي نسخة الكفعمي بدل هذه الفقرة : « وشرّعتم أحكامه » .

---

(١) تأسيس الشيعة : ص٢٨٨ ، ولنا تفصيل بيان لذلك في الفوائد الرجالية : ص٢٨ .

(٢) الفهرست : ص١٨٥ .

وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ(١)

(١) ـ أي بيّنتم سنّة الله عزّوجلّ ، وسلكتم طريقه .

والسنّة وجمعها سنن مثل غرفة وغُرف : هي في اللغة بمعنى الطريقة والسيرة .

وفي الصناعة والإصطلاح : هي طريقة النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً وتقريراً(١).

فسنّة الله تعالى هي سنّة الرسول ، وسنّة الرسول هي سنّة أهل البيت عليهم السلام . وقد جاهدوا حقّ الجهاد حتّى أدّوا غاية الأداء سنّة الله وطريقه ، وأمروا بمتابعتها وأوصوا بإتّباعها كما تلاحظه في أحاديثهم الغرّاء ؛ خصوصاً في رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى جماعة الشيعة ، المشتملة على أهمّ الوصايا التي ينبغي تعاهدها ، وأنفع السنن التي ينبغي التزامها .

والحديث هذا رواه ثقة الإسلام الكليني بأسانيد ثلاثة عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام في الروضة وممّا جاء فيه من مضامينه العالية :

قوله عليه السلام : « واتّبعوا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنّته فخذوا بها ولا تتّبعوا أهواءكم وآراءكم فتضلّوا ، فإنّ أضلّ الناس عند الله من اتّبع هواه ورأيه بغير هدى من الله ، وأحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم ، فإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، وجاملوا الناس ولا تحمّلوهم على رقابكم ، تجمعوا(٢) مع ذلك طاعة ربّكم . وإيّاكم وسبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عَدْواً بغير علم ، وقد ينبغي لكم أن تعلموا حدّ سبّهم لله كيف هو ؟ إنّه من سبّ أولياء الله فقد انتهك سبّ الله ، ومن أظلم عند الله ممّن استسبّ لله ولأولياء الله ، فمهلاً مهلاً فاتّبعوا أمر الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله» .

---

(١) مجمع البحرين : ص٥٦١ .

(٢) جواب للأمر أي أنّكم إذا جاملتم الناس عشتم مع الأمن وعدم حمل الناس على رقابكم بالعمل بطاعة ربّكم فيما أمركم به من التقيّة .

. . . .

وقال : « أيّتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم : عليكم بآثار رسول الله ﷺ وسنّته وآثار الأئمّة الهداة من أهل بيت رسول الله ﷺ من بعده وسنّتهم ، فإنّه من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ ، لأنّهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم ، وقد قال أبونا رسول الله ﷺ : المداومة على العمل في اتّباع الآثار والسنن وإن قلّ أرضى لله وأنفع عنده في العاقبة من الإجتهاد في البدع واتّباع الأهواء ، ألا إنّ اتّباع الأهواء واتّباع البدع بغير هدى من الله ضلال ، وكلّ ضلالة بدعة ، وكلّ بدعة في النار .

ولن ينال شيء من الخير عند الله إلّا بطاعته والصبر والرضا ، لأنّ الصبر والرضا من طاعة الله ، واعلموا أنّه لن يؤمن عبد من عبيده حتّى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه وصنع به على ما أحبّ وكره ، ولن يصنع الله بمن صبر ورضي عن الله إلّا ما هو أهله وهو خير له ممّا أحبّ وكره ، وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم وإيّاكم ...

وعليكم بحبّ المساكين المسلمين فإنّه من حقّرهم وتكبّر عليهم فقد زلّ عن دين الله والله له حاقر ماقت ، وقد قال أبونا رسول الله ﷺ : أمرني ربّي بحبّ المساكين المسلمين منهم ، واعلموا أنّ من حقّر أحداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقّرة حتّى يمقته الناس والله له أشدّ مقتاً ، فاتّقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين فإنّ لهم عليكم حقّاً أن تحبّوهم فإنّ الله أمر رسوله ﷺ بحبّهم ، فمن لم يحبّ مَن أمر الله بحبّه فقد عصى الله ورسوله ، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات وهو من الغاوين .

وإيّاكم والعظمة والكبر فإنّ الكبر رداء الله عزّوجلّ ، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذلّه يوم القيامة .

وإيّاكم أن يبغي بعضكم على بعض فإنّها ليست من خصال الصالحين، فإنّه من بغى

. . . .

صيّر الله بغيه على نفسه وصارت نصرة الله لمن بُغي عليه، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله.

وإيّاكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإنّ الكفر أصله الحسد .

وإيّاكم أن تعينوا على مسلم مظلوم فيدعو الله عليكم ويستجاب له فيكم ، فإنّ أبانا رسول الله ﷺ كان يقول : إنّ دعوة المسلم المظلوم مستجابة .

وليعن بعضكم بعضاً ، فإنّ أبانا رسول الله ﷺ كان يقول : إنّ معونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام .

وإيّاكم وإعسار أحد من إخوانكم المسلمين أن تعسروه بالشيء يكون لكم قِبَله وهو معسر فإنّ أبانا رسول الله ﷺ كان يقول : ليس لمسلم أن يعسر مسلماً ، ومن أنظر معسراً أظلّه الله بظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه .

وإيّاكم أيّتها العصابة المرحومة المفضّلة على مَن سواها وحبس حقوق الله قبلكم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ، فإنّه من عجّل حقوق الله قِبَله كان الله أقدر على التعجيل له إلى مضاعفة الخير في العاجل والآجل ، وإنّه من أخّر حقوق الله قِبَله كان الله أقدر على تأخير رزقه ، ومن حبس الله رزقه لم يقدر أن يرزق نفسه ، فأدّوا إلى الله حقّ ما رزقكم يطيّب الله لكم بقيّته وينجز لكم ما وعدكم من مضاعفته لكم الأضعاف الكثيرة التي لا يعلم عددها ولا كنه فضلها إلّا الله ربّ العالمين » .

وقال عليه السلام :« واعلموا أيّتها العصابة أنّ السنّة من الله قد جرت في الصالحين قبل. وقال: من سرّه أن يلقى الله وهو مؤمن حقّاً فليتولّ الله ورسوله والذين آمنوا وليبرأ إلى الله من عدوّهم ويسلّم لما انتهى إليه من فضلهم، لأنّ فضلهم لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك.

ألم تسمعوا ما ذكر الله من فضل أتباع الأئمّة الهداة وهم المؤمنون قال: ﴿أُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ

. . . .

رَفِيقاً﴾[(١)] فهذا وجه من وجوه فضل أتباع الأئمّة فكيف بهم وفضلهم .

ومن سرّه أن يتمّ الله له إيمانه حتّى يكون مؤمناً حقّاً حقّاً [فليتّق] الله بشروطه التي اشترطها على المؤمنين فإنه قد اشترط مع ولايته وولاية رسوله وولاية أئمّة المؤمنين إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإقراض الله قرضاً حسناً ، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فلم يبق شيء ممّا فسّر ممّا حرّم الله إلّا وقد دخل في جملة قوله[(٢)]، فمن دان الله فيما بينه وبين الله مخلصاً لله ولم يرخّص لنفسه في ترك شيء من هذا فهو عند الله في حزبه الغالبين وهو من المؤمنين حقّاً .

وإيّاكم والإصرار على شيء ممّا حرّم الله في ظهر القرآن وبطنه ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(٣)]» .

« ... ومن سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله وليتّبعنا ، ألم يسمع قول الله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[(٤)]؟ والله لا يطيع الله عبدٌ أبداً إلّا أدخل الله عليه في طاعته اتّباعنا .

ولا والله لا يتّبعنا عبد أبداً إلّا أحبّه الله ، ولا والله لا يَدَع أحد اتّباعنا أبداً إلّا أبغضنا ، ولا والله لا يبغضنا أحد أبداً إلّا عصى الله ، ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبّه على وجهه في النار والحمد لله ربّ العالمين »[(٥)].

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٩ .

(٢) أي في الفواحش ، فقوله تعالى اجتناب الفواحش يشمل اجتناب جميع المحرّمات . وقوله : « فمن دان الله » أي عبد الله فيا بينه وبين ربّه أي مختفيّاً ولا ينظر إلى غيره ولا يلتفت إلى مَن سواه .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٥ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٥) روضة الكافي : ج٨ ص٢ ح١ .

وَصِرْتُمْ فِي ذٰلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضا[١]

(١) ـ أي صرتم في الجهاد وفيما ذكر من الأُمور أي : بذل نفسكم ، وصبركم على ما أصابكم ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنـهي عـن المـنكر ، وإعلان دعوة الله ، وبيان فرائضه ، وإقامة حدوده ، ونشر أحكامه ، وتبيين سنّته ، إلى الرضا ورضوان الله ، بحيث رضى الله عنكم ، ورضيتم عنه ، فبلغتم رضوان الله الذي هو أكبر ، قال تعالى في شأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وكانوا خير البريّة وهم آل محمّد عليهم السلام كما ورد في التفسير : ﴿رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[١]ـ[٢].

ومقام الرضا هو من أعظم المقامات العالية التي ينالها الصدّيقون ، بل هو أعلى درجة اليقين ، بل هو الموجب لاستجابة الدعاء من قِبَل ربّ العالمين كما تلاحظه في الأحاديث مثل :

١ ـ حديث عمرو بن نهيك بيّاع الهروي قال : قال أبـو عـبدالله عليه السلام : قـال الله عزّوجلّ : « عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلّا جعلته خيراً له ، فليرض بقضائي وليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، أكتبه يامحمّد من الصدّيقين عندي » .

٢ ـ حديث علي بن أسباط ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لقي الحسن بن علي عليهما السلام عبدالله بن جعفر فقال : ياعبدالله ! « كيف يكون المؤمن مؤمناً وهـو يسخط قسمه ويحقّر منزلته والحاكم عليه الله ، وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلّا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له » .

٣ ـ حديث ابن سنان ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : بأي شيء يُعلم المؤمن بأنّه مؤمن ؟

---

(١) سورة البيّنة : الآية ٨.

(٢) كنز الدقائق : ج ١٤ ص ٣٨١ .

. . . .

قال : « بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط »[١].

ومقام الرضا هذا هو الداعي إلى محبوبية المخلوق عند ربّ العالمين ، بغاية الحبّ المتين كما تلاحظه في حديث حديقة الحكمة المنقول في السفينة جاء فيما أراده النبي موسى عليه السلام من الله تعالى :

أنّ موسى عليه السلام قال : « أرني أحبّ خلقك إليك وأكثرهم لك عبادة » .

فأمره الله تعالى أن ينتهي إلى قرية على ساحل بحر ، وأخبره أنّه يجده في مكان قد سمّاه له ، فوصل عليه السلام إلى ذلك المكان فوقع على رجل مجذوم مقعد أبرص يسبّح الله تعالى ، فقال موسى : ياجبرئيل أين الرجل الذي سألت ربّي أن يُريني إيّاه ؟

فقال جبرئيل : هو ياكليم الله هذا .

فقال : ياجبرئيل إنّي كنت أُحبّ أن أراه صوّاماً قوّاماً .

فقال جبرئيل : هذا أحبّ إلى الله تعالى وأعبد له من الصوّام والقوّام ، وقد أُمرت بإذهاب كريمتيه فاسمع ما يقول ، فأشار جبرئيل إلى عينيه فسالتا على خدّيه ، فقال: متّعتني بهما حيث شئت ، وسلبتني إيّاهما حيث شئت ، وأبقيت لي فيك طول الأمل ياسارّ ياوصول .

فقال له موسى عليه السلام : ياعبد الله إنّي رجل مجاب الدعوة فإن أحببت أن أدعو لك تعالى يردّ عليك ما ذهب من جوارحك ويبريك من العلّة ، فعلت .

فقال (رحمة الله عليه) : لا أُريد شيئاً من ذلك ، اختياره لي أحبّ إليّ من اختياري لنفسي (وهذا هو الرضا المحض كما ترى) .

فقال له موسى: سمعتك تقول: ياسارّ ياوصول، ماهذا البرّ والصلة الواصلان إليك من ربّك؟

---

(١) الكافي : ج٢ ص٦٠ باب الرضا بالقضاء الأحاديث ٦ و١١ و١٢ .

. . . .

فقال : ما أحد في هذا البلد يعرفه غيري ، أو قال يعبده .

فراح عليه السلام متعجّباً وقال : هذا أعبد أهل الدنيا »[١].

وأهل البيت عليهم السلام هم المثل الأعلى وأصحاب الدرجة القصوى في هذا المقام الأوفى .

ودليله ما عرفت من نطق الله تعالى به في آية الرضا المتقدّمة .

خصوصاً سيّدنا ومولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي هو التجلّي الأعظم لهذا المقام المكرّم ، مضافاً إلى أنّه رضى به المخالفون من أعدائه كما رضى به الموافقون من أوليائه .

ففي حديث البزنطي قال : قلت لأبي جعفر محمّد بن علي بن موسى عليهم السلام : إنّ قوماً من مخالفيكم يزعمون أنّ أباك إنّما سمّاه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده؟

فقال عليه السلام : « كذبوا والله وفجروا ، بل الله تبارك وتعالى سمّاه بالرضا عليه السلام لأنّه كان رضي لله عزّوجلّ في سمائه ، ورضي لرسوله والأئمّة بعده صلوات الله عليهم في أرضه .

قال : فقلت له : ألم يكن كلّ واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضي الله عزّوجلّ ولرسوله والأئمّة بعده عليهم السلام ؟

فقال : بلى .

فقلت : فلِمَ سمّي أبوك عليه السلام من بينهم الرضا ؟

قال : لأنّه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه ، ولم يكن ذلك لأحد من أبائه عليهم السلام فلذلك سمّي من بينهم الرضا عليه السلام »[٢].

وهو الإمام الرؤوف العطوف والرضيّ المرضي ، فعليه صلوات الله الربّ العلي .

---

(١) سفينة البحار : ج٣ ص٣٦٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٩ ص٤ ب١ ح٥ .

وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضٰاءَ(١)

(١) ـ أي أنّكم أهل البيت حيث صرتم إلى رضا الله تعالى في جميع أعمالكم سلّمتم له القضاء في جميع أُموركم ؛ فكنتم تسليماً لجميع ما قدّره الله لكم حتّى الشهادة التي كتبت عليكم كرامةً لشأنكم ، وتعليةً لدرجتكم ، وترفيعاً لمنزلتكم .

والتسليم هو : عدم الإعتراض بل الإنقياد ظاهراً وباطناً ، كما يستفاد من تفسيره الوارد عند قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(١).

كما تلاحظه في كتب التفسير(٢).

والتسليم لله تعالى من أبرز الصفات الحسنة ، والملكات المستحسنة، ففي الحديث السجّادي الشريف:«إنّ المراتب الرفيعة لا تُنال إلّا بالتسليم لله عزّوجلّ»(٣).

ولقد بلغ أهل البيت عليهم السلام القمّة في هذا المقام ، فسلّموا أمرهم كاملاً إلى الله ربّهم واطمأنّوا بما قدّره الله وقضاه عليهم في قيامهم وقعودهم .

ففي حديث ضريس الكنّاسي عن الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ـ وعنده أناس من أصحابه ـ : « عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم ، فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا .

أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ، ثمّ يُخفي عنهم ←

(١) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٢) كنز الدقائق : ج٣ ص٤٥٧ ، تفسير البرهان : ج١ ص٢٤٠ .

(٣) سفينة البحار : ج٤ ص٢٣٦ .

. . . .

أخبار السماوات والأرض ، ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم ؟!

فقال له حمران : جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره وما أُصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتّى قُتلوا وغلبوا ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : ياحمران ! إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتّمه على سبيل الاختيار ثمّ أجراه .

فبتقدّم علمٍ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام ، وبعلمٍ صمت من صمت منّا ، ولو أنّهم ياحمران ! حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّوجلّ وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزّوجلّ أن يدفع عنهم ، وألحّوا عليه في طلب إزالة تلك الطواغيت ، وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم ، ثمّ كان إنقضاء مدّة الطواغيت ، وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم إنقطع فتبدّد .

وما كان ذلك الذي أصابهم ياحمران ! لذنب اقترفوه ، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله، أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم»[١].

ولقد أحسنوا في هدايتهم، وصبروا في مصيبتهم، وسلّموا الأمر لربّهم إلى حين شهادتهم، لتتمّ الحجّة البالغة، وليميّز الله الخبيث من الطيّب، وليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة.

ولذلك ترى لهجة التسليم الكامل في كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع تلك المصائب العظيمة التي تحمّلها في سبيل الله تعالى يقول : « شكراً لله على نعمائه ، وصبراً على بلائه ، وتسليماً ورضاً بقضائه »[٢].

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٦١ ح٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣٣ ص١٥٣ ب١٦ ح٤٢١ .

وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضىٰ[١]

(١) ـ يقال : صدّقه تصديقاً أي نسبه إلى الصدق ، واعترف بصدقه ، وحقّقه .

أي إنّكم أهل البيت صدّقتم رسل الله تعالى السابقين ، ورسالة أنبياءه الماضين .

ولو لم يكن تصديقهم عليهم السلام للمرسلين لم تعلم رسالة الأنبياء وأحوالهم وعددهم وسيرتهم وزهدهم وعبادتهم ومواعظهم ومكارمهم وصبرهم وسجاياهم وأحكامهم وشرائعهم .

مع طول الزمان ، وبُعد المكان ، وخيانة الأهواء المختلفة ، والأغراض المتخالفة ، وافتراءات أعدائهم ، وتحريفات رؤسائهم .

فبإخبار الله العلّام أخبر أهل البيت الكرام بالرسالات الماضية ، وصدّقوا رسله السالفين ، وبيّنوا أنباء الأنبياء السابقين بالحقّ والصدق .

فكان لهم الحقّ العظيم على كلّ رسول كريم في استدامة حقيقتهم الإلهية وامتداد شخصيتهم الربّانية ، ولولاهم لشوّه الأمم تأريخ الأنبياء حتّى شخصية أنبيائهم .

ولم يكن تصديق أهل البيت للأنبياء بالقول فقط ، بل صدّقوهم بالعمل أيضاً حيث كانوا النموذج الحي لعمل الأنبياء ، والمثل الأعلى لرسالات السماء ، والدليل الواضح على علم المرسلين وعبادتهم وزهدهم وعصمتهم ومعجزتهم وصبرهم وكرمهم وكلّ فضيلة ومكرمة عندهم .

وهذه منقبة خاصّة بأهل البيت النبوي سلام الله عليهم أجمعين .

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال عزّ إسمه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ⟵

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠١ .

. . . .

﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

قال في كنز الدقائق في تفسيره أي : (رقيباً على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ، ويشهد لها بالصحّة والثبات)[2].

وقد أُثبت ذكر الكتب السماوية والشرائع الإلهية التي تبلغ (١٠٤) كتاب وصحيفة ، مع ذكر الأنبياء الكرام في أحاديثنا[3].

وأهل البيت وسيّدهم الرسول الأعظم عليهم سلام الله آمنوا بتلك الكتب المقدّسة كلّها ، وصدّقوا جميع المرسلين ، وشهدوا بالإخلاص لجميع النبيين كما تلاحظه في حديث مناجاة موسى عليه السلام وهي مناجاة جميلة جليلة جاء فيها :

« أُوصيك ياموسى وصيّة الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب[4]، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر، الطيّب الطاهر المطهّر ، فمَثله في كتابك أنّه مؤمن مهيمن على الكتب كلّها ، وأنّه راكع ساجد ، راغب ، راهب ، إخوانه المساكين وأنصاره قوم آخرون ويكون في

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٢) كنز الدقائق : ج٤ ص١٣٢ .

(٣) بحار الأنوار : ج١١ ص٣٢ ب١ ح٢٤ و٢٥ و٢٨ .

(٤) الأتان ـ بالفتح : الحمارة . والبرنس ـ بالضمّ ـ : قلنسوة طويلة وكان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام . والمراد بالزيتون والزيت : الثمرة لأنّه عليه السلام كان يأكلها أو نزلتا له في المائدة من السماء ، أو المراد بالزيتون مسجد دمشق أو جبال الشام كما ذكره الفيروزآبادي أي أعطاه الله بلاد الشام . وبالزيت الدهن الذي روي أنّه كان في بني إسرائيل وكان غليانها من علامات النبوّة . والمحراب لزومه وكثرة العبادة فيه . كما في مرآة العقول : ج٢٥ ص٩٢ .

. . . .

زمانه أزل وزلزال وقتل ، وقلّة من المال ، إسمه أحمد ، محمّد الأمين من الباقين من ثلّة الأوّلين الماضين ، يؤمن بالكتب كلّها ، ويصدّق جميع المرسلين ويشهد بالإخلاص لجميع النبيين .

أمّته مرحومة مباركة ما بقوا في الدين على حقائقه ، لهم ساعات موقّتات يؤدّون فيها الصلوات أداء العبد إلى سيّده نافلته ، فبه فصدّق ومنهاجه فاتّبع فإنّه أخوك .

ياموسى إنّه أمّي ، وهو عبد صدق يبارك له فيما وضع يده عليه ويبارك عليه كذلك كان في علمي وكذلك خلقته ، به أفتح الساعة وبأمّته أختم مفاتيح الدنيا فمر ظلمة بني إسرائيل أن لا يدرسوا إسمه ولا يخذلوه وإنّهم لفاعلون .

وحبّه لي حسنة ، فأنا معه وأنا من حزبه وهو من حزبي وحزبهم الغالبون ، فتمّت كلماتي لأظهرنّ دينه على الأديان كلّها ، ولأعبدنّ بكلّ مكان ، ولأنزلنّ عليه قرآناً فرقاناً شفاءاً لما في الصدور من نفث الشيطان ، فصلّ عليه يابن عمران فإنّي أصلّي عليه وملائكتي »(١).

(١) روضة الكافي : ج٨ ص٤٣ ح٨ .

فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ(١)

(١) ـ الفاء تفريع ونتيجة لما تقدّم ، أي بعد ما ثبت أنّكم الأئمّة الراشدون المـهديّون المعصومون ـ إلى آخره ـ يكون الراغب عنكم أي المعرض عـنكم مـارقٌ ، أي خارج عن دين الله .

يقال: رَغِبَ عن الشيء أي : أعرض عنه وزهد فيه ولم يُرِدْه ، بخلاف الرغبة فيه.

ويقال : مَرَقَ من الدين أي : خرج منه وتجاوزه وتعدّى عنه ، مأخوذ من مرق السهم عن القوس أي تجاوز عنه بغير مهلة ، فمن أعرض عن أهل البيت عليهم السلام كان خارجاً عن الدين ، وضالاً عن شريعة سيّد المرسلين ، وداخلاً في حزب الشيطان اللعين ، ومعدوداً من الكافرين .

بأي وجه من وجوه الاعراض عنهم سواء بمعاداتهم ، أو ردّ قولهم ، أو تصغير قدرهم ، أو إنكار فضائلهم ، أو جحود ولايتهم ، أو صرف وجوه الناس عنهم ، أو تقديم غيرهم عليهم ، أو الحرب معهم .

وقد تواترت بذلك الأحاديث الشريفة من الخاصّة والعامّة من ذلك :

١ ـ حديث ابن عباس قال : قلت للنبي صلى الله عليه وآله : أوصني .

قال : « عليك بمودّة علي بن أبي طالب عليه السلام ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا يقبل الله من عبد حسنة حتّى يسأله عن حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو تعالى أعلم ، فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه ، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ، ثمّ أمر به إلى النار .

يابن عبّاس والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ النار لأشدّ غضباً على مبغض علي عليه السلام منها على من زعم أن لله ولداً .

يابن عبّاس لو أنّ الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذّبهم الله بالنار .

. . . .

قلت : يارسول الله وهل يبغضه أحد ؟

قال : يابن عبّاس نعم يبغضه قوم يذكرون أنّهم من أُمّتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً .

يابن عبّاس إنّ من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه ، والذي بعثني بالحقّ ما بعث الله نبيّاً أكرم عليه منّي ، ولا أوصياء أكرم عليه من وصيّي علي .

قال ابن عبّاس : فلم أزل له كما أمرني رسول الله ﷺ وأوصاني بمودّته ، وإنّه لأكبر عملي عندي » .

٢ ـ حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من ناصب عليّاً حارب الله ، ومن شكّ في علي فهو كافر » .

٣ ـ حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « التاركون ولاية علي عليه السلام ، المنكرون لفضله ، المظاهرون أعداءه ، خارجون عن الإسلام من مات منهم على ذلك »(١).

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢١٨ ـ ٢٣٨ ب١٠ الأحاديث ٤ و٤٤ و٦٠ ، فهرس إحقاق الحقّ : ص٤٨٧ مادّة كفر .

وَاللاَّزِمُ لَكُمْ لاَحِقٌ[1]

(١) ـ يقال : لزم الشيء أي : اعتنقه ولازمه ، وثبت ودام عليه ولم يفارقه .

أي أنّ من لازمكم ، ولزم طريقتكم ، وقال بإمامتكم ، وأخذ بأقوالكم ، وتبع أعمالكم كان لاحقاً بكم في الدنيا والآخرة ، ومدركاً للدرجات العالية ، وواصلاً إلى الحقّ والحقيقة .

وتدلّ عليه الأخبار المتظافرة مثل :

١ ـ حديث بشر بن غالب ، عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام قال : قال لي : « يابشر بن غالب من أحبّنا لا يحبّنا إلّا لله جئنا نحن وهو كهاتين ـ وقدّر بين سبّابتيه ـ ، ومن أحبّنا لا يحبّنا إلّا للدنيا فإنّه إذا قام قائم العدل وسع عدله البرّ والفاجر » .

٢ ـ حديث جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الروح والراحة والفلج والفلاح والنجاح والبركة والعفو والعافية والمعافاة والبشرى والنضرة والرضا والقرب والقرابة والنصر والظفر والتمكين والسرور والمحبّة من الله تبارك وتعالى على من أحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام ، ووالاه ، وائتمّ به ، وأقرّ بفضله ، وتولّى الأوصياء من بعده .

وحقّ عليّ أن أدخلهم في شفاعتي ، وحقّ على ربّي أن يستجيب لي فيهم ، وهم أتباعي ، ومن تبعني فإنّه منّي » .

٣ ـ حديث الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أحبّنا وانتحل محبّتنا أسكنه الله معنا ، وتلا هذه الآية : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1] »[2] .

---

(١) سورة القمر : الآية ٥٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ب٤ ص٩٠ ـ ١٢٩ الأحاديث ٤٤ و٥٢ و١٢٠ .

. . . .

---

٤ ـ حديث الشيخ الذي كان يحبّ أهل البيت عليهم السلام ويبغض أعدائهم، صرّح فيه الإمام السجّاد عليه السلام بقوله: « إن تمّت ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ويثلج قلبك، ويبرد فؤادك، وتقرّ عينك، وتستقبل بالروح والريحان، مع الكرام الكاتبين »[١].

وهذا مضافاً إلى أنّ ملازمة أهل البيت عليهم السلام هي السعادة العظمى التي توجب التفضّل منهم بملازمتهم لنا أيضاً وعدم مفارقتهم إيّانا، كما في حديث إبراهيم بن أبي محمود، عن الإمام الرضا عليه السلام: « من لزمنا لزمناه »[٢].

والتوقيع الشريف الصادر من الإمام الحجّة عليه السلام للشيخ المفيد جاء فيه: « إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، وإصطلمكم الأعداء ... »[٣].

---

(١) روضة الكافي: ج٨ ص٧٦ ح٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص١١٥ ب١٦ ح١١.

(٣) الإحتجاج: ج٢ ص٣٢٢.

وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زاهِقٌ(١)

(١) ـ التقصير في الشيء هو : التواني فيه .

والحقّ هو: كلّ شيء ثابت محقّق ذو حقيقة، ضدّ الباطل الذي لا حقيقة له ولا ثبات فيه .

قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(١).

والزهوق هو : الهلاك والتلف ، من قولهم زَهَقَت نفسه أي خرجت روحه ، وزهق الباطل . أي اضمحلّ ، أي إنّ من قصّر في إمامتكم وولايتكم وحبّكم وطاعتكم ومتابعتكم ورتبتكم العالية وحقوقكم الراقية يكون من الهالكين المعذّبين .

فإنّ لأهل البيت عليهم السلام علينا حقوقاً شرعية ووظائف دينية يلزم علينا أداؤها والوفاء بها مثل : معرفتهم ، والإقرار بإمامتهم ، والتسليم لهم ، وموالاتهم ، والتبرّي من أعدائهم ، وإطاعتهم ، والرجوع إليهم ، والاستغاثة بهم ، وحبّهم ، ونصرتهم .

ذكرناها بأدلّتها تفصيلاً في العقائد فلاحظ(٢).

وقد دلّت الأحاديث الشريفة أنّ المقصّر في حقّهم يكون من الهالكين ، من ذلك :

١ ـ حديث ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم من ادّعى إمامة من الله ليست له ، ومن جحد إماماً من الله ، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً »(٣).

٢ ـ حديث الحلّال قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عمّن عاندك ولم يعرف حقّك من ولد فاطمة هو وسائر الناس سواء في العقاب ؟

فقال : « كان علي بن الحسين عليه السلام يقول : عليهم ضعفا العقاب »(٤).

وفي نسخة الكفعمي : « والمقصّر عنكم زاهق » .

---

(١) سورة الحجّ : الآية ٦٢ .

(٢) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٣٤ .

(٣) الكافي : ج١ ص٣٧٤ ح١٢ .

(٤) الكافي : ج١ ص٣٧٧ ح٢ .

وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ(١)

(١)ـ أي أنّ الحقّ والحقيقة منتسبة إليكم من جميع الجهات، فهي دائماً معكم وفيكم ومنكم وإليكم.

فمعكم الحقّ ، كما قال رسول الله ﷺ في علي وأهل بيته : أنّ الحقّ معهم حيث كانوا ، وأنّ علياً مع الحقّ والحقّ معه ، يدور حيثما دار .

كما تلاحظه في أحاديث الفريقين المتواترة من الخاصّة في عشرة أحاديث ، ومن العامّة في خمسة عشر حديثاً[١].

وفيكم الحقّ ، أي في متابعتكم وإطاعتكم .

حيث قد أمرنا الله تعالى بذلك في مثل قوله عزّ إسمه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢] المفسّرة بأهل البيت عليهم السلام في أحاديث الخاصّة والعامّة[٣].

ومنكم الحقّ ، فكلّ ما صدر منكم هو الحقّ ، وما لم يخرج منكم وخالفتموه هو باطل فإنّكم المتّصلون بوحي السماء والحقيقة العلياء .

كما تلاحظه في الأحاديث المتظافرة[٤].

وإليكم مرجع الحقّ ، فكل حقّ يكون في أيدي الناس يرجع إليكم ، ويؤخذ منكم ، أو مستنبط من كلامكم ، أو مستفاد من حكمتكم ، أو واصل إلى الخلق ببركتكم ، حتّى أنّ أعداءهم أخذوا ما حقّ في كلماتهم منهم عليهم السلام كما تلاحظه في أحوال البصري وغيره[٥]. ويدلّ عليه معيّة الحقّ لهم ، ومعرفة الحقّ بهم .

---

(١) غاية المرام : ص٥٣٩ ـ ٥٤٢ ب٤٥ و٤٦ الأحاديث ، وفهرس إحقاق الحقّ : ص١٧٨، ومنها حديث شدّاد بن أوس ، فلاحظ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٣) غاية المرام : ص٢٦٣ ـ ٢٦٥ ب٥٨ و٥٩ .

(٤) الكافي : ج١ ص٣٩٩ ح٢ و٣ و٥ .

(٥) سفينة البحار : ج٢ ص٢٠٧ .

وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ(١)

(١) ـ أهل الرجل بمعنى أتباعه وأشياعه .

ومعدن الجوهر بمعنى محلّ استقرار الجوهر وإفاضته .

فمعنى هذه الفقرة الشريفة هو أنّكم أهل البيت سلام الله عليكم أهل الحقّ يعني أتباع الحقّ وأشياعه ، ومحلّ استقرار الحقّ وإفاضته .

حيث إنتهت إليكم العلوم الحقّة ، والمعالم الصادقة ، وصدر منكم كلّ حقّ وصدق ، وكنتم النموذج الكامل للحقائق ظاهراً وباطناً ، قولاً وعملاً .

فهم عليهم السلام المحور المركزي للحقّ ، يدور معهم الحقّ حيثما دار ، وهم المحك لمعرفة الحقّ عن الباطل .

وقد تواترت الأحاديث في ذلك من الفريقين[١].

ونموذج ذلك قوله صلى الله عليه وآله :«فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه»[٢].

وفي الحديث الجامع الذي رواه الحمويني في فرائد السمطين :

فقام زيد بن أرقم والبراء بن عازب وسلمان وأبو ذرّ والمقداد بن عمّار فقالوا : نشهد لقد حفظنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قائم على المنبر وعلي عليه السلام إلى جنبه وهو يقول : « أيّها الناس إنّ الله عزّوجلّ أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي ، والذي فرض الله عزّوجلّ على المؤمنين في كتابه طاعته فقرنه بطاعته وطاعتي ، آمركم بولايته ، وإنّي راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني لتبلغنّها أو ليعذّبني .

أيّها الناس إنّ الله أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيّنتها لكم ، والزكاة والصوم والحجّ ←

---

(١) غاية المرام : ص٥٣٩ ، فهرس إحقاق الحقّ : ص١٧٨ .

(٢) إحقاق الحقّ : ج٩ ص٤٧٩ ح٧٧ .

. . . .

فبيّنتها لكم وفسّرتها ، وأمركم بالولاية وإنّي أُشهدكم أنّها لهذا خاصّة ووضع يده على علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قال : لابنيه بعده ثمّ للأوصياء من بعدهم من ولدهم ، لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن حتّى يردوا عليّ حوضي .

أيّها الناس : قد بيّنت لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم وهو أخي علي بن أبي طالب ، وهو فيكم بمنزلتي فيكم ، فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم ، فإنّ عنده جميع ما علّمني الله من علمه وحكمته ، فسلوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده ، ولا تعلّموهم ، ولا تتقدّموهم ، ولا تخلّفوا عنهم ، فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم لا يزايلوه ولا يزايلهم »[١].

---

(١) إحقاق الحقّ : ج ٥ ص ٣٦ ح ٦٣ .

وَمِيراثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ(١)

(١) ـ الميراث : مفعالٌ من الإرث ، بمعنى ما يورث .

وفسّر بالقُنية التي تنتقل إليك عن غيرك من غير عقدٍ ولا ما يجري مجرى العقد ، وسمّي بذلك المنتقل عن الميّت ، فيقال للقُنية الموروثة : ميراث وإرث(١).

وميراث النبوّة : هو الذي كان عند الأنبياء ووصل إلى خاتمهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

وقد وصل مع مواريثه صلوات الله عليه وآله إلى أهل بيته الطاهرين عليهم السلام خلفاً بعد سلف .

فصار عندهم ميراث النبوّة ، لأنّهم كانوا الورثة المحقّين للأنبياء ، وقد أُوحي إلى الرسول الأكرم بجعلها عند أهل بيته الكرام عليهم السلام .

دلّ عليه حديث الثمالي ، عن الإمام السجّاد عليه السلام قال : قلت له : أسألك جعلت فداك عن ثلاث خصال أنفي عنّي فيه التقيّة ؟

قال : فقال : ذلك لك .

قلت : أسألك عن فلان وفلان ؟

قال : « فعليهما لعنة الله بلعناته كلّها ، ماتا والله هما كافران مشركان بالله العظيم .

ثمّ قلت : الأئمّة يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء ؟

قال : ما أعطى الله نبيّاً شيئاً قطّ إلّا وقد أعطاه محمّداً صلى الله عليه وآله ، وأعطاه ما لم يكن عندهم.

قلت : وكلّ ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال : نعم ، ثمّ الحسن والحسين عليهما السلام ثمّ من بعد كلّ إمام إماماً إلى يوم القيامة ، مع الزيادة التي تحدث في كلّ سنة وفي كلّ شهر ، ثمّ قال : إي والله في كلّ ساعة»(٢).

وقد تقدّم بيانه ودليله في فقرة : « ورثة الأنبياء » .

---

(١) المفردات : ص٥١٨ .

(٢) بصائر الدرجات : ص٢٧٠ ب٣ ح٢ ، بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٩ ب١٣ ح١ .

. . . .

⮌وذكرنا هناك مفصّلاً المواريث التي وصلت إليهم ، وهي موجودة الآن عند خاتمهم الإمام المهدي أرواحنا فداه ممّا نصّت عليها الأخبار الشريفة التي أشرنا إليها وإلى مؤدّاها فيما سبق فراجع .

وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ(١)

(١) ـ الإياب بكسر الهمزة : بمعنى الرجوع .

أي إنّ رجوع الخلق للحساب والشفاعة إليكم أهل البيت في الآخرة ، كما كان رجوعهم في أُمور دينهم وأحكام شرائعهم إليكم في الدنيا .

فهم المرجع والميزان في حساب الإنسان في يوم المعاد وبعث العباد ، كما يدلّ عليه النقل والعقل ممّا يأتي بيانه في الفقرة التالية .

وهم الشهداء على الخلق والعارفون بأعمال العباد كما ثبت بقوله تعالى : ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(١)، حيث فسّر الشهداء بأهل البيت عليهم السلام عند الخاصّة والعامّة(٢).

فيكون رجوع الخلق إلى من هم الشهداء على أعمالهم بشهادة الصدق ، ويدلّ على إياب الخلق إليهم عليهم السلام أخبار الباب ، ومنها :

حديث جابر ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : « إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين لفصل الخطاب دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فيُكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب ، ويُكسى علي عليه السلام مثلها ، ويكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة وردية تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علي عليه السلام مثلها .

ثمّ يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس ، فنحن والله ندخل أهل الجنّة الجنّة ، وندخل أهل النار النار .

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٢) الكافي : ج١ ص١٩٠ ، شواهد التنزيل ، للحاكم الحسكاني : ج١ ص٩٢ ، كما نقله في إحقاق الحقّ : ج١ ص٥٥٣ .

. . . .

ثمّ يدعى بالنبيين عليهم السلام فيقامون صفّين عند عرش الله عزّوجلّ حتّى نفرغ من حساب الناس .

فإذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار بعث الله تبارك وتعالى عليّاً فأنزلهم منازلهم في الجنّة وزوّجهم ، فعليٌّ والله الذي يزوّج أهل الجنّة في الجنّة ، وما ذلك إلى أحد غيره ، كرامة من الله عزّ ذكره له ، وفضلاً فضّله به ، ومنّ به عليه .

وهو والله يدخل أهل النار النار ، وهو الذي يغلق على أهل الجنّة إذا دخلوا فيها أبوابها ، ويغلق على أهل النار إذا دخلوا فيها أبوابها ، لأنّ أبواب الجنّة إليه وأبواب النار إليه »[١].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٣١٦ ب٩ ح١٤ .

وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ[١]

---

(١) ـ أي أنّ حساب الخلق يوم القيامة فيما لهم أو عليهم لإثابتهم أو معاقبتهم يكون عليكم أهل البيت ، وأنتم تتولّون الحساب من قبل الله تعالى الملك الحاكم العدل الرحيم ، وهذا ثابت عقلاً ونقلاً .

أمّا العقل : فلأنّ الله تعالى أعظم وأجلّ من أن يبرز للخلق ليحاسبهم بذاته المقدّسة ، بل لابدّ من نصب خليفة عنه في إيفاء الحساب في الآخرة ، كما كان خليفة منه في إبلاغ الأحكام وشرائع الأديان في الدنيا .

ولا شكّ في أنّ أهل البيت خلفاؤه وحججه على الخلق أجمعين ، فلهم الأولوية بأن يتولّوا حساب العالمين .

وأمّا النقل فقد ورد ذلك كتاباً وسنّة ، بالروايات المتواترة المبيّنة والمفسّرة بالبيان التالي :

أوّلاً : قال الله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[١].

وهي مفسّرة بأهل البيت عليهم السلام ويشعر به صيغة الجمع وعدم التعبير بالإفراد ، وتصرّح به أحاديث تفسيره في الكنز[٢].

ثانياً : وردت الأحاديث المتواترة المفيدة للعلم بذلك ، والتي هي حجّة في الإستدلال ، ومنها :

١ ـ حديث جابر الجعفي المتقدّم عن الإمام الباقر عليه السلام الذي ورد فيه : « فيدفع إلينا حساب الناس ، فنحن والله ندخل أهل الجنّة الجنّة ، وأهل النار النار »[٣].

٢ ـ حديث سماعة ، عن الإمام الكاظم عليه السلام جاء فيه : كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول عليه السلام والناس في الطواف في جوف الليل .

---

(١) سورة الغاشية : الآية ٢٥ و٢٦ .

(٢) كنز الدقائق : ج١٤ ص٢٥٨ ـ ٢٦٣ .

(٣) الكافي : ج٨ ص١٥٩ ح١٥٤ .

. . . .

فقال : « ياسماعة إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزّوجلّ حتّمنا على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عزّوجلّ »(١).

٣ ـ حديث داود بن سليمان ، عن الإمام الرضا عليه‌السلام ، عن آبائه الكرام عليهم‌السلام ، عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال : « إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا ، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزّوجلّ حكمنا فيها فأجابنا ، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا ، ومن كانت مظلمته بينه وبيننا كنّا أحقّ ممّن عفى وصفح »(٢).

٤ ـ حديث عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : « إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا ، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم ، وما كان لنا فهو لهم ، ثمّ قرأ أبو عبدالله عليه‌السلام : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ »(٣).

٥ ـ حديث زيد الشحّام ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : دخلت على أبي عبدالله عليه‌السلام فقال لي : « يازيد جدّد التوبة واحدث عبادة .

قال : قلت : نعيت إليّ نفسي ؟

قال : فقال لي : يازيد ما عندنا لك خير وأنت من شيعتنا ، إلينا الصراط وإلينا الميزان وإلينا حساب شيعتنا ، والله لأنّا لكم أرحم من أحدكم بنفسه .

يازيد كأنّي أنظر إليك في درجتك من الجنّة ورفيقك فيها الحارث بن المغيرة النصري »(٤).

---

(١) الكافي : ج٨ ص١٦٢ ح١٦٧ .
(٢) عيون الأخبار : ج٢ ص٥٧ ح٢١٣ .
(٣) أمالي الشيخ الطوسي : ص٤٠٦ ح٩١١ .
(٤) رجال الكشّي : ص٢٨٦ .

. . . .

٦ ـ حديث القمّي ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : « كلّ أُمّة يحاسبها إمام زمانها ، ويعرف الأئمّة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم ، وهو قوله : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾(١) وهم الأئمّة يعرفون كلّاً بسيماهم فيعطون أولياءهم كتابهم بيمينهم ، فيمرّون إلى الجنّة بغير حساب ، ويعطون أعداءهم كتابهم بشمالهم ، فيمرّون إلى النار بغير حساب »(٢).

٧ ـ حديث شرح الآيات الباهرة عن الإمام الباقر عليه السلام ، في قوله : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ .

قال : « إذا كان يوم القيامة ، وكّلنا الله بحساب شيعتنا ، فما كان لله سألناه أن يهبه لنا ، فهو لهم ، وما كان لمخالفيهم فهو لهم ، وما كان لنا فهو لهم .

ثمّ قال : هم معنا حيث كنّا »(٣).

٨ ـ حديثه الآخر عن جميل بن درّاج ، عن الإمام الكاظم عليه السلام جاء فيه : قلت لأبي الحسن عليه السلام : أحدّثهم بتفسير جابر ؟

قال : « لا تحدّث به السفلة فيذيعوه ، أما تقرأ : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ ؟

قلت : بلى .

قال : إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين ولّانا حساب شيعتنا ، فما كان بينهم وبين الله حكمنا على الله فيه فأجاز حكومتنا ، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم فوهبوه لنا ، وما كان بيننا وبينهم ، فنحن أحقّ من عفى وصفح »(٤).

٩ ـ حديث صفوان الجمّال قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت : جعلت

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٥ .

(٢) كنز الدقائق : ج١٤ ص٢٦٠ .

(٣) كنز الدقائق : ج١٤ ص٢٦١ .

(٤) كنز الدقائق : ج١٤ ص٢٦١ .

. . . .

فداك سمعتك تقول : « شيعتنا في الجنّة ، وفيهم أقوام مذنبون ، يركبون الفواحش . ويأكلون أموال الناس ، ويشربون الخمور ويتمتّعون في دنياهم .

فقال عليه‌السلام : هم في الجنّة ، اعلم أنّ المؤمن من شيعتنا لا يخرج من الدنيا حتّى يبتلي بدَين أو بسقم أو بفقر ، فإن عفي عن هذا كلّه شدّد الله عليه في النزع عند خروج روحه حتّى يخرج من الدنيا ولا ذنب عليه .

قلت : فداك أبي وأُمّي فمن يردّ المظالم ؟

قال : الله عزّوجلّ يجعل حساب الخلق إلى محمّد وعلي عليهما‌السلام فكلّ ما كان على شيعتنا حاسبناهم ممّا كان لنا من الحقّ في أموالهم ، وكلّ ما بينه وبين خالقه استوهبناه منه ، ولم نزل به حتّى ندخله الجنّة برحمة من الله ، وشفاعة من محمّد وعلي عليهما‌السلام »(١).

١٠ ـ حديث قبيصة ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ .

قال : « فينا ، قلت : إنّما أسألك عن التفسير ؟

قال : نعم ياقبيصة إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا إلينا ، فما كان بينهم وبين الله استوهبه محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله من الله ، وما كان فيما بينهم وبين الناس من المظالم أدّاه محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله عنهم ، وما كان فيما بيننا وبينهم وهبناه لهم حتّى يدخلوا الجنّة بغير حساب »(٢).

---

(١) بحار الأنوار : ج٦٨ ص١١٤ ب١٨ ح٣٣ .

(٢) الأنوار اللامعة : ص١٣٧ ، ويوجد هذا الحديث في البحار : ج٧ ص٢٠٣ ب٨ ح٨٩ ، وص٢٧٤ ب١١ ح٤٨ . ويرويه العلّامة عن تفسير فرات بن إبراهيم .

وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ[١]

(١) ـ الفصل في اللغة : إبانة أحد الشيئين من الآخر حتّى يكون بينهما فُرجة[١].

والخطاب لغةً هو : توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ، وقد ينقل إلى الكلام الموجّه[٢].

وفُسّر فصل الخطاب بالخطاب الفاصل بين الحقّ والباطل[٣].

فتكون إضافته من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي الخطاب الفصل ، نحو كريم الأب ، وطيّب النفس .

وقد ورد في الأخبار الشريفة أنّ الأئمّة عليهم السلام فصل الخطاب كما في تفسير فرات الكوفي عن الإمامين الباقرين عليهما السلام .

قالا : « نحن فصل الخطاب ودلالة الخير »[٤].

وقد ذكر في معنى فصل الخطاب معانٍ عديدة هي :

١ ـ فصل الخصام والخصومة بتمييز الحقّ عن الباطل .

٢ ـ الكلام المخلَص ـ الواضح ـ الذي ينبّه المخاطب على المقصود ، من غير التباس .

٣ ـ الخطاب القصد يعني الذي ليس فيه اختصار مُخل ولا إشباع مملّ .

٤ ـ معرفة جميع اللغات[٥].

٥ ـ الحكم المخصوص في كلّ واقعة ، والجواب المُسكت للخصم في كلّ مسألة.

٦ ـ القرآن الكريم الذي فيه بيان الحوادث من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة[٦].

وجميعها معانٍ مناسبة للموضوع وتناسب أهل البيت عليهم السلام .

فقد أُعطوا معرفة جميع اللغات كما أُعطي النبي سليمان بن داود عليهما السلام بما فسّر ←

---

(١) المفردات : ص٣٨٠ .

(٢) مجمع البحرين : ص١١٣ .

(٣) الأنوار اللامعة : ص١٣٨ .

(٤) مرآة الأنوار : ص١٧٦ .

(٥) كنز الدقائق : ج١١ ص٢١٢ .

(٦) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٤٢ .

. . . .

من قوله تعالى : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[1]، كما يدلّ عليه حديث الهروي ، قال : كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم ، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة .

فقلت له يوماً : يابن رسول الله إنّي لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها .

فقال : « ياأبا الصلت أنا حجّة الله على خلقه ، وما كان الله ليتّخذ حجّة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم ، أوَ ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام : « أُوتينا فصل الخطاب » فهل فصل الخطاب إلّا معرفة اللغات »[2].

وأُعطوا عليهم السلام أيضاً غير ذلك من معاني الكلام الفصل كما يستفاد من إطلاق حديث المفضّل الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام .

قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أُعطيت تسعاً لم يُعطها أحد قبلي سوى النبي صلى الله عليه وآله لقد فتحت لي السبل ، وعلمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب »[3]. وقد فسّره العلّامة المجلسي رحمه الله بالخطاب الفاصل بين الحقّ والباطل ، والخطاب الواضح ، والخطاب المسكت .

---

(١) سورة ص : الآية ٢٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٩ ص٨٧ ب٦ ح٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٤١ ب٩ ح١٤ .

وَآيَاتُ اللّٰهِ لَدَيْكُمْ(١)

(١) ـ الآيات جمع آية وهي : العلامات والعجائب(١).

أي أنّ آيات الله تعالى عندكم أهل البيت .

وهذه الفقرة الشريفة تحتمل معانٍ ثلاثة اتّصفوا بها عليهم السلام وهي :

١ ـ أنّ معرفة آيات الله تعالى القرآنية كاملة عندكم .

وذلك لأنّهم أهل الذكر ومنزل الوحي ، والعارفون ببطون القرآن والإستدلال به في الدين .

٢ ـ إنّ الآيات الإعجازية التي أُعطيت للأنبياء عندكم أيضاً .

كما يدلّ عليه معاجزهم المذكورة في كتب الفريقين .

٣ ـ أنّ مطلق براهين الله وآياته موجودة عندكم .

كما يشهد به إحتجاجاتهم وبياناتهم .

وفي الحديث الرضوي الشريف : « وقال في الأئمّة من أهل بيت نبيّه وعترته وذرّيته صلوات الله عليهم : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾(٢).

وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّوجلّ لأُمور عباده شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يعي بعده بجواب ، ولا يحير فيه عن الصواب »(٣).

---

(١) مجمع البحرين : ص٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٤ ـ ٥٥ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٠٢ .

وَعَزائِمُهُ فِيكُمْ(١)

(١) ـ العزائم جمع عزيمة ، وقد جاءت في اللغة بمعنى : إرادة الفعل والقطع عليه والجدّ فيه ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾(١).

وجاءت أيضاً بمعنى المحافظة على ما أمر ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾(٢).

وبمعنى الفريضة مقابل الرخصة ومنه عزائم السجود أي ما فرض الله السجود فيها وهي السور الأربعة : الم تنزيل ، وحم السجدة ، والنجم ، واقرأ .

وبمعنى القسم والإقسام بشيء ومنه الدعاء على الأسد : « عزمت عليك بعزيمة الله وعزيمة محمّد وعزيمة سليمان بن داود وعزيمة أمير المؤمنين » .

هذا في اللغة ، وأمّا في هذه الفقرة الشريفة فقد فُسّرت عزائمه بما يلي :

١ ـ إنّ الجدّ والاجتهاد ، والاهتمام في التبليغ ، والمحافظة على ما أُمرتم بـه ، والصبر على المكاره ، والصدع بالحقّ ، وردت فيكم ، ووجبت عليكم .

٢ ـ إنّ الفرائض اللازمة التي لم يرخص العباد في تركها مثل الاعتقاد بإمامتكم وولايتكم وعصمتكم قد وردت فيكم ، أي في شأنكم .

٣ ـ إنّ معاني العزائم التي أقسم الله تعالى بها في القرآن الكريم كالشمس والقمر والضحى والتين والزيتون والبلد الأمين ونحوها إنّما هي فيكم ، فأنتم المقصودون بها كما جاء في تفسيرها .

٤ ـ إنّ السور العزائم في القرآن الكريم المشتملة على الآيات المادحة نزلت فيكم .

٥ ـ إنّ قبول الفرائض والواجبات يكون بمتابعتكم وبوسيلتكم .

وكلّها معانٍ مناسبة لشأنهم الإلهي ، ومقامهم الربّاني .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ . (٢) سورة طه : الآية ١١٥ .

. . . .

⬅أمّا المعنى الأول : فلأنّهم الخلفاء الإلهيون وأوصياء الرسول الأمين ، وحجج ربّ العالمين .

وأمّا المعنى الثاني : فهو ثابت لركنية إمامتهم ، وقد مضى بيانه في دليل الإمامة والولاية والعصمة .

وأمّا المعنى الثالث والرابع : فلأنّهما وردا في تفسير تلك الآيات المباركات فلاحظ مثل تفسير البرهان .

وأمّا المعنى الخامس : فلما سيأتي بيانه تفصيلاً واستدلالاً في فقرة : « وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة » فراجع .

وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ عِنْدَكُمْ[١]

(١) النور في اللغة هو : الضوء المنتشر ، الظاهر في نفسه والمظهر لغيره .

وفسّر هنا بالقرآن الكريم الذي هو نور مبين أنزله الله تعالى .

والبرهان في اللغة هي : الحجّة والبيان والدليل الصادق .

وفسّر بالقرآن الكريم أيضاً الذي هو حجّة على الخلق ، واحتجّ به أئمّة الحقّ ، وفسّر أيضاً بالمعجزات الباهرة .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[١].

ومن الواضح أنّ النور القرآني موجود عند أهل البيت عليهم السلام الذي نزل في بيتهم الكتاب .

وقد مرّ بيانه ودليله في فقرة : « وحملة كتاب الله » .

كما وأنّ الإحتجاج بالكتاب بالنحو الأتمّ عندهم .

وهو مشهود بوضوح في إحتجاجاتهم البهيّة وكلماتهم الدرّية والمعجزات الباهرة والدلائل الحقّة الظاهرة ، بل هم نور الله في السماوات والأرض ونور الزهراء عليها السلام أضاءت السماوات والأرض كما في الحديث[٢].

وهم برهان الله تعالى وآيته الباهرة كما في أحاديثنا الزاهرة[٣].

وفي نسخة الكفعمي : « ونوره معكم ، وبرهانه عندكم » .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٧٤ .

(٢) الكافي : ج١ ص١٩٤ ح١ ، وبحار الأنوار : ج٤٣ ص١٢ ب٢ ح٥ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٠٧ ح٣ .

وَاَمرُهُ اِلَيْكُمْ[١]

(١) ـ يقال : الأمر إليك بمعنى أنّ الأمر مفوّض إليك كما بيّنه الشيخ الطبرسي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[١]ـ[٢].

وأهل البيت عليهم السلام قد فُوّض إليهم أمر الله تعالى في الإمامة والولاية وبيان العلوم وإظهار الأحكام ، وهم لا يأمرون إلّا بما يأمر الله ، ولا ينهون إلّا عمّا ينهى الله ، ولا يبيّنون إلّا ما يريد الله ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

وقد جعلهم الله تعالى تراجمة وحيه وأوعية مشيئته وحفظة علمه ، فيكون نطقهم عن الله ، وكلامهم من الله ، وسكوتهم بأمر الله .

فلا عجب في أن يُفوّض إليهم دين الله ، ويُجعل إليهم أمر الله .

وقد عقد ثقة الإسلام الكليني أعلى الله مقامه في أُصول الكافي بابين في هذا المعنى[٣].

أحدهما : في التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمّة عليهم السلام في أمر الدين .

ثانيهما : في معرفتهم أولياءَهم والتفويض إليهم .

وذكر قدس سره الأحاديث المتظافرة في ذلك ومنها :

١ ـ حديث موسى بن أشيم قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عزّوجلّ فأخبره بها ، ثمّ دخل عليه داخلٌ فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأوّل ، فدخلني من ذلك ما شاء الله حتّى كأنّ قلبي يُشرّح بالسكاكين ، فقلت في نفسي : تركت أبا قتادة بالشام لا يخطىء في الواو وشبهه وجئت إلى هذا ، يخطي هذا الخطأ كلّه ، فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي ، فسكنت نفسي فعلمت أنّ ←

---

(١) سورة النمل : الآية ٣٣.

(٢) مجمع البيان : ج٧ ص ٢٢٠ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٦٥ ص٤٣٨ .

. . . .

ذلك منه تقيّة ، قال : ثمّ التفت إلي فقال لي :

« يابن أشيم إنّ الله عزّوجلّ فوّض إلى سليمان بن داود فقال : ﴿هَـذَا عَـطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

وفوّض إلى نبيّه ﷺ فقال : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٢].

فما فوّض إلى رسول الله ﷺ فقد فوّضه إلينا »[٣].

٢ ـ حديث الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر : « إنّ الله عزّوجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه ، فلمّا أكمل له الأدب قال : ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤] ثمّ فوّض إليه أمر الدين والأُمّة ليسوس عباده ، فقال عزّوجلّ : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وإنّ رسول الله ﷺ كان مسدّداً موفّقاً مؤيّداً بروح القدس ، لا يزلّ ولا يخطىء في شيء ممّا يسوس به الخلق ، فتأدّب بآداب الله ... »[٥].

٣ ـ حديث عبدالله بن سليمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن الإمام فوّض الله إليه كما فوّض إلى سليمان بن داود ؟ فقال : « نعم ... »[٦].

وفي نسخة الكفعمي : « وأمره نازل إليكم » .

---

(١) سورة صٓ : الآية ٣٩.

(٢) سورة الحشر : الآية ٧.

(٣) الكافي : ج١ ص٢٦٥ ح٢.

(٤) سورة القلم : الآية ٤.

(٥) الكافي : ج١ ص٢٦٦ ح٤.

(٦) الكافي : ج١ ص٤٣٨ ح٣.

مَنْ وٰالاٰكُمْ فَقَدْ وٰالىٰ اللّٰهَ(١)

(١) ـ وٰالاٰ : بمعنى تابَعَ ، والولاية بمعنى المتابعة .

والمتابعة لأهل البيت عليهم السلام متابعة لله تعالى ، والمعاداة معهم معاداة مع الله جلّ شأنه .

ومحبّتهم محبّة لله المتعال ، والبغض لهم بغض لله العزيز .

والإعتصام والتمسّك بهم تمسّك بالله الكريم .

وذلك لأنّهم حجج الله تعالى وأولياؤه وخلفاؤه ومظاهر صفاته وأخلاقه ، والأدلّاء عليه والدعاة إليه .

وأمر الله تعالى بموالاتهم ومحبّتهم والتمسّك بهم ، ونهى عن معاداتهم وبغضهم .

فكانوا المظاهر الربّانية التامّة لطاعة الله وعصيانه ، وحبّه وبُغضه ، ومتابعته والمخالفة معه .

في حين أنّهم عباده ، وخلقه ، لكن عبادٌ مكرمون وخلق مصطفون .

وَمَنْ عٰاداٰكُمْ فَقَدْ عٰادَ اللّٰهَ ، وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللّٰهَ ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللّٰهَ ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللّٰهِ(١)

---

(١) ـ المعنى واضح ، ويدلّ على ذلك آيات الكتاب الكريم ، وروايات الحجج المعصومين عليهم السلام المبيّنة لها فيما يلي :

١ ـ حديث ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ولاية علي بن أبي طالب ولاية الله عزّوجلّ ، وحبّه عبادة الله ، واتّباعه فريضة الله ، وأولياؤه أولياء الله ، وأعداؤه أعداء الله ، وحربه حرب الله ، وسلمه سلم الله عزّوجلّ »(١).

٢ ـ حديث حمزة بن بزيع ، عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿فَلَمَّآ آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾(٢).

فقال : « إنّ الله عزّوجلّ لا يأسف كأسفنا ولكنّه خَلَق أولياء لنفسه ، يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه ، لأنّه جعلهم الدعاة إليه والأدلّاء عليه ، فلذلك صاروا كذلك ، وليس أنّ ذلك يصل [إلى الله كما يصل] إلى خلقه ، لكن هذا معنى ما قال من ذلك ، وقد قال : « من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها » .

وقال : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾(٣).

وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٤).

فكلّ هذا وشبهه على ما ذكرت لك ، وهكذا الرضا ، الغضب وغيرهما من الأشياء ممّا يشاكل ذلك »(٥). ⊂

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٨ ب٥٧ ص٣١ ح٩ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٥٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٠ .

(٤) سورة الفتح : الآية ١٠ .

(٥) الكافي : ج١ ص١٤٤ ح٦ .

. . . .

٣ ـ حديث زرارة ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّوجلّ : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١).

قال : « إنّ الله تعالى أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من أن يُظلم ، ولكنّه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته ، حيث يقول : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢) يعني الأئمّة منّا »(٣).

٤) حديث جابر بن عبدالله الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّما فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله »(٤).

٥ ـ حديث التفسير عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « آل محمّد عليهم السلام هم حبل الله الذي أُمر بالإعتصام به ، فقال : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٥)»(٦).

فيلزم علينا ولايتهم وحبّهم والإعتصام بهم تحصيلاً لولاية الله وحبّه والاعتصام به الموجبة للفوز في الدنيا والآخرة .

كما يلزم علينا الاجتناب عن معاداتهم وبغضهم والتفرّق عنهم الموجبة للهلاك في الدنيا والآخرة .

فهم أولياء أُمورنا وحجج ربّنا ، والذين جعلهم الله تعالى مصابيح هدايتنا ، وسفن نجاتنا .

إن التجأنا إليهم وتمسّكنا بهم كنّا من الناجين ، وإن تركناهم وتخلّفنا عنهم كنّا من الهالكين .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٥٧ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٥٥ .
(٣) الكافي : ج١ ص١٤٦ ح١١ .
(٤) بحار الأنوار : ج٤٣ ص٣٩ ب٣ ح٤٠ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .
(٦) كنز الدقائق : ج٣ ص١٨٥ .

. . . .

⬅واتّضح من مظهريّة أهل البيت عليهم السلام لله تعالى أنّ من والاهم فقد والى الله عزّ إسمه ، ومن عاداهم كان معادياً لله تعالى ، وأنّ محبّهم محبّ لله العزيز ، ومبغضهم مبغض لله القهّار .

وإنّ المعتصم بهم معتصم بالمولى القدير ، فمن ترك الاعتصام بهم ترك الإعتصام بالله تعالى .

ثبّتنا الله تعالى على ولايتهم ومحبّتهم والإعتصام بهم ومودّتهم سلام الله عليهم .

وفي نسخة الكفعمي هنا زيادة : « أنتم ياموالِيّ نعم الموالي لعبيدهم » .

اَنْتُمُ السَّبِيلُ الأَعْظَمُ(١)

(١) ـ السبيل في اللغة بمعنى : الطريق ، وجمعه سُبل يعني طرق ..

والسبل التي يسلكها الناس مختلفة ، إلّا أن السبيل الذي من سلكه نجا ومن تخلّف عنه هوى هو سبيل أهل البيت عليهم السلام ، وهو سبيل الله الحقّ ، وليس بعد الحقّ إلّا الضلال .

لذلك كان ذلك السبيل الإلهي هو السبيل الأعظم ومسلكه هم آل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

فإنّهم سبيل الله الأعظم كما دلّت عليه الأدلّة الوفيرة من الكتاب الكريم والروايات الشريفة المفيّرة مثل :

١ ـ حديث جابر ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : سئل عن قول الله : ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ﴾(١).

قال : أتدري ياجابر ما سبيل الله ؟

فقلت : لا والله إلّا أن أسمعه منك .

قال : « سبيل الله علي عليه السلام وذرّيته ، فمن قُتل في ولايته قتل في سبيل الله ، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله ... الحديث »(٢).

٢ ـ حديث الخطبة العلوية الشريفة الوسيلة :

« فأنا الذكر الذي عنه ضلّ ـ الشيطان ـ والسبيل الذي عنه مال ، والإيمان الذي به كفر ، والقرآن الذي إيّاه هجر ، والدين الذي به كذّب ، والصراط الذي عنه نكب »(٣).

٣ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٤).

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٧ .
(٢) كنز الدقائق : ج٣ ص٢٤٩ .
(٣) روضة الكافي : ج٨ ص٢٨ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .

. . . .

قال : « هذه نزلت في آل محمّد صلى الله عليه وآله وأشياعهم »(١).

٤ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام أيضاً في قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾(٢).

قال : « اتّبع سبيل محمّد وعلي عليهما السلام »(٣).

٥ ـ حديث أسباط قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله عزّوجلّ : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾(٤). قال : فقال : « نحن المتوسّمون والسبيل فينا مقيم »(٥).

واعلم أنّ هذه الفقرة الشريفة وإن كانت لم تذكر في نسخة الفقيه ، لكن ذكرت في عيون الأخبار وسائر المزارات .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢١ ح٣٨ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢١ ح٣٩ .

(٤) سورة الحجر : الآية ٧٥ ـ ٧٦ .

(٥) الكافي : ج١ ص٢٠٨ ح١ .

وَالْصِّراطُ الأَقْوَمُ[(١)]

---

(١) ـ الصراط في اللغة هو : الطريق ، ومنه سمّي الدين صراطاً لأنّه طريق إلى الله ، وكذلك سمّي صراط الآخرة الصراط لأنّه طريق إلى الجنّة .

والأقوم : تفضيل للقويم ، مأخوذ من الإستقامة بمعنى الثُبات والتمامية والعدل .

وأهل البيت عليهم السلام مضافاً إلى كونهم السبيل الأعظم هم الصراط المستقيم الثابت والطريق القويم الموصِل في جميع أُمور الحياة الدنيا ، وهم الطريق الأقوم لسعادة الحياة الأُخرى في كلّ العقائد والأفعال ، وعموم الأقوال والأعمال ، وفي مطلق الحالات والأحوال .

بل هم الطريق الوحيد إلى الله المجيد كما دلّ عليه الدليلان الكتاب والسنّة فيما يلي:

١ ـ أحاديث تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(١)] جاءت أحاديث تفسيرها بهم عليهم السلام في الكنز[(٢)].

٢ ـ حديث الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقاً﴾[(٣)].

قال : « يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءاً غدقاً ، يقول : لأشربنا قلوبهم الإيمان والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء »[(٤)].

٣ ـ حديث الفضيل بن يسار ، عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٥)].

قال : « يعني والله علياً والأوصياء عليهم السلام »[(٦)].

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(٢) كنز الدقائق : ج٤ ص٤٨٢ .

(٣) سورة الجنّ : الآية ١٦ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٢٠ ح١ .

(٥) سورة الملك : الآية ٢٢ .

(٦) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢٢ ح٤٤ .

وَشُهَدٰاءُ دٰارِ الْفَنٰاءِ(١)

(١) ـ أي شهداء الله تعالى على خلقه في دار الدنيا التي هي دار الفناء لأنّها تفنى وتضمحل وتزول ، مقابل الآخرة التي هي دار البقاء لأنّها تبقى وتخلد وتدوم .

وقد تقدّم في الفقرة السابقة : « وشهداء على خلقه » أنّ أهل البيت عليهم السلام مشاهدين وشاهدين لجميع الأعمال والأفعال .

وهذه الدنيا الفانية دار امتحان للعباد في سبيل يوم المعاد ، لتنال كلّ نفس جزاءها بالقسط والعدل .

ومن تمام الحجّة وعدالة المحجّة أن يُوفّى الناس حسابهم على طبق شهادة شهودهم .

ومن أصدق شهادة من أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين هم الصادقون المصدّقون ، والذين يُعرض عليهم أعمال العباد من قبل ربّهم ، بل يشاهدونها في عمود نورهم .

وقد عرفت الدليل على شاهديتهم عليهم السلام من الكتاب في قوله تعالى : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾(١)ـ(٢).

ومن السنّة في الأحاديث المتواترة التي عقد لها باب كما تقدّم(٣).

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٢) كنز الدقائق : ج٢ ص١٧٧ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٩٠ .

وَشُفَعٰاءُ دٰارِ الْبَقٰاءِ[1]

---

(١) أي الشفعاء إلى الله تعالى لشيعتهم في الدار الأُخرى .

والشفاعة هي : السؤال في التجاوز عن الجرائم والذنوب[1].

وأهل البيت عليهم السلام لهم وسام الشرف في الوجاهة عند الله تعالى ، ولهم مقام التكريم من قبل الله عزّوجلّ ، إعظاماً لهم وإحساناً إلى شيعتهم .

فيشفعون إلى الله الذي ارتضى شفاعتهم في العفو عن أهل الخطأ من مذنبي المؤمنين .

وهذا ثابت بالأدلّة الأربعة كما فصّلنا بيانها في العقائد فلا نودّ التكرار[2]، لكنّا نشير إليها باختصار :

١ ـ أمّا دليل الكتاب فمثل قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[3] وتلاحظ أحاديث تفسيره في الكنز[4].

٢ ـ وأمّا دليل السنّة فالأحاديث التي تفوق على المئة ممّا جمعت في بابي الشفاعة والصفح عن الشيعة في المجلّد الثامن والستّين من بحار الأنوار .

ونتبرّك هنا بذكر حديثين فقط من طرق الخاصّة والعامّة وهما :

أمّا أولاً : فمن طريق الخاصّة حديث فرات الكوفي بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام .

قال جابر لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك يابن رسول الله حدّثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة عليها السلام إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك .

قال أبو جعفر عليه السلام : حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور ، فيكون منبري أعلى منابرهم يوم ←

---

(١) مجمع البحرين : ص٣٨٣ .

(٢) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٤٥٤ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .

(٤) كنز الدقائق : ج٨ ص٤٠٦ .

. . . .

القيامة ثمّ يقول الله : يامحمّد اخطب . فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها .

ثمّ ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيي علي بن أبي طالب في أوساطهم منبر من نور فيكون ، منبره أعلى منابرهم ثمّ يقول الله : ياعلي اخطب فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها .

ثمّ ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور ، فيكون لإبنيّ وسبطيّ وريحانتيّ أيّام حياتي منبر من نور ، ثمّ يقال لهما : اخطبا فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما .

ثمّ ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام : أين فاطمة بنت محمّد ؟ أين خديجة بنت خويلد ؟ أين مريم بنت عمران ؟ أين آسية بنت مزاحم ؟ أين أمّ كلثوم أمّ يحيى بن زكريا ؟ فيقمن .

فيقول الله تبارك وتعالى : ياأهل الجمع لمن الكرم اليوم ؟

فيقول محمّد وعلي والحسن والحسين : لله الواحد القهّار .

فيقول الله جلّ جلاله : ياأهل الجمع إنّي قد جعلت الكرم لمحمّد وعلي والحسن والحسين وفاطمة ، ياأهل الجمع طأطؤا الرؤوس وغضّوا الأبصار فإنّ هذه فاطمة تسير إلى الجنّة ، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنّة مدبّجة الجنبين ، خطامها من اللؤلؤ المحقّق الرطب ، عليها رحل من المرجان ، فتناخ بين يديها ، فتركبها ، فيبعث إليها مائة ألف ملك فيصيروا على يمينها ، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتّى يصيّروها عند باب الجنّة ، فإذا صارت عند باب الجنّة تلتفت .

فيقول الله : يابنت حبيبي ، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنّتي ؟

فتقول : ياربّ أحببت أن يُعرف قدري في مثل هذا اليوم .

. . . .

فيقول الله : يابنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحد من ذرّيتك خذي بيده فأدخليه الجنّة » .

قال أبو جعفر عليه السلام : « والله ياجابر أنّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الردي ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا يقول الله : ياأحبّائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي ؟

فيقولون : ياربّ أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم .

فيقول الله : ياأحبّائي ارجعوا وانظروا من أحبّكم لحبّ فاطمة ، انظروا من أطعمكم لحبّ فاطمة ، انظروا من كساكم لحبّ فاطمة ، انظروا من سقاكم شربة في حبّ فاطمة ، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة خذوا بيده وأدخلوه الجنّة » .

قال أبو جعفر عليه السلام : « والله لا يبقى في الناس إلّا شاكّ أو كافر أو منافق فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فيقولون : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

قال أبو جعفر عليه السلام : هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[2]»[3].

وأمّا ثانياً : ومن طريق العامّة فحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « الزموا مودّتنا أهل البيت ، فإنّه من لقى الله عزّوجلّ وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده

---

(١) سورة الشعراء : الآيات ١٠٠ ـ ١٠٢ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٢٨ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ص٢٩٨ ح٤٠٣ .

. . . .

لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفة حقّنا » .

رواه نور الدين بن أبي بكر في مجمع الزوائد ، والهيثمي في الصواعق ، والسيوطي في إحياء الميت ، والقندوزي في الينابيع ، والنبهاني في الشرف المؤبّد ، والحمزاوي في مشارق الأنوار ، والطبراني في الأوسط ، والصبّان في الإسعاف ، والحضرمي في رشفة الصادي ، وباكثير في وسيلة المآل ، والسمهودي الشافعي في الأشراف ، كما تلاحظ كامل مصادر جميعها في الإحقاق[١].

٣ ـ وأمّا دليل الإجماع فقد أفاده الشيخ الصدوق[٢]، والشيخ الطبرسي[٣]، والعلّامة شبّر[٤].

٤ ـ وأمّا دليل العقل فلإبتناء الشفاعة على عفو الله تعالى ، وهو إحسان حسن ، والعقاب حقّه فجاز إسقاطه ، كما إستدلّ به العلّامة أعلى الله مقامه[٥].

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٩ ص٤٢٨ ، وج١٨ ص٥٣١ .

(٢) الإعتقادات : ص٦٦ .

(٣) مجمع البيان : ج١ ص١٠٣ .

(٤) حقّ اليقين : ج٢ ص١٣٤ .

(٥) نهج المسترشدين : ص٨٢ .

وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ(١)

(١) ـ الرحمة من الله تعالى : عطفه وبرّه ورزقه وإحسانه(١).

وهي الإحسان والإنعام والإفضال إلى الغير(٢).

والموصولة : مأخوذة من الوصل مقابل القطع ، يعني الرحمة المتّصلة غير المنقطعة .

وأهل البيت عليهم السلام رحمة الله تعالى الموصولة إلى خلقه ، والنعمة التي يتنعّم بها العباد .

وهم عليهم السلام أيضاً قد اتّصلت الرحمة فيما بينهم حيث كان كلّ إمام منهم يخلفه إمام آخر إلى آخر الدنيا ، إذ هم عليهم السلام ورثة جدّهم صلى الله عليه وآله الذي كان بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وهم أسباب الرحمة الإلهية ، ومحور استقرار الكرة الأرضية ، ومظاهر الألطاف الربّانية ، كما تقدّمت أدلّته في الفقرة السابقة : « ومعدن الرحمة » .

ونضيف للتبرّك حديثاً آخر في ذلك ، وهو حديث الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

« نحن المثاني الذي أعطاه الله نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ، ونحن وجه الله نتقلّب في الأرض بين أظهركم ، ونحن عين الله في خلقه ، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده ، عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا ... »(٣).

وهم عليهم السلام سلالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي بعث رحمةً للعالمين ، حيث إنّ ما بُعث به سبب لإسعادهم ، وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم(٤).

وكان رحمةً لا للبشر فقط بل لجميع العالمين ، حتّى الملائكة المقرّبين كما ينبىء عنه حديث المجمع :

(١) مجمع البحرين : ص٥١٦ .

(٢) المفردات : ص١٩١ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٤٣ ح٣ .

(٤) كنز الدقائق : ج٨ ص٤٨٤ .

. . . .

روي أنّ النبي ﷺ قال لجبرائيل لمّا نزلت هذه الآية : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ : هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟

قال : نعم ، إنّي كنت أخشى عاقبة الأمر فآمنت بك لمّا أثنى الله عليّ بقوله : ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[(١)]-[(٢)].

ولقد كان ﷺ رحمة للدين والدنيا كليهما .

أمّا في الدين فلأنّه بُعث سراجاً للخلق ، وهادياً إلى الحقّ ، ومبيّناً للأحكام ومميّزاً للحلال عن الحرام ، بُعث والناس في جاهلية وضلالة ، وأهل الكتاب في جهل وحيرة للتحريفات التي وقعت عندهم ، والاختلافات التي حدثت بين علماءهم .

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[(٣)].

وأمّا في الدنيا فلأنّه بعث بركة على العباد والبلاد ، وتخلّصوا بسببه من مذلّات الجاهلية وحروبها ، وأنجاس تلك العصور وخبائثها .

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٤)].

فببركة الرسول الأكرم ﷺ طابت مآكلهم وحسنت معيشتهم ، بعد أن كان من أفضل مآكلهم العِلهز ، وهو الوبر المخلوط والمطبوخ بالدم .

---

(١) سورة التكوير : الآية ٢٠ .
(٢) مجمع البيان : ج٧ ص٦٧ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٤ .
(٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

. . . .

وفي الخطبة الفاطمية المباركة : « وكنتم على شفا حفرةٍ من النار ، مُذقةَ الشارب ، ونُهزةَ الطامع ، وقُبسةَ العجلان ، وموطئَ الأقدام ، تشربون الطَرَق ، وتقتاتون القدّ [والورق] ، أذلّةً خاسئين ، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم ، فأنـقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله بعد اللّتيا والتي »(١).

ممّا تعلم من ذلك أنّه صلوات الله عليه وآله كان رحمة للدين والدنيا معاً .

بل كان رحمة للمؤمن والكافر كليهما في دنياهما .

حيث إنّ بيمنهم رُزق الورى كلّهم ، وبوجودهم ثبتت الأرض والسماء فـانتفع بهما جميعهم ، وبواسطتهم عمّت النعم لأصناف الخلق عمومهم .

هذا مضافاً إلى أنّ نفس تعريض الكافر للإيمان والثواب الدائم تـرحّـم عـليه ورحمة له ، وهو نعمة عليه وإن لم يهتد بهدايته ، نظير من قدّم طعاماً إلى جائع فلم يأكل الجائع من ذلك ، فإنّ المقدِّم منعم عليه وإن لم يقبل(٢).

قال شيخ الطائفة رحمه الله : (وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبّرة في أنّه ليس لله على الكافرين نعمة ، لأنّه تعالى بيّن أنّ إرسال الله رسوله نعمة للعالمين وعلى كلّ من أُرسل إليهم ، ووجه النعمة على الكافر أنّه عرّضه للإيمان ولطف له في ترك معاصيه)(٣).

وعلى الجملة أهل البيت كسيّدهم الرسول الأعظم (صلوات الله عليهم) رحمة الله المتّصلة والموصولة إلى خلقه وخليقته ، تلك الرحمة الإلهية التي وسعت كلّ شيء ، ولم تضِق بشيء كما تلاحظه في أحاديثه المجموعة(٤).

ويكفيك في سعة الرحمة الإلهية حديث الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى :

---

(١) الإحتجاج : ج١ ص١٣٥ .

(٢) مقتنيات الدرر : ج٧ ص٢٠٥ .

(٣) التبيان : ج٧ ص٢٨٥ .

(٤) سفينة البحار : ج٣ ص٣٣٣ .

. . . .

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ﴾[1] قال عليه السلام :

« المختصّ بالرحمة نبي الله ووصيّه صلوات الله عليهما وآلهما ، إنّ الله خلق مائة رحمة ، تسعة وتسعون رحمة عنده مذخورة لمحمّد وعلي وعترتهما عليهم السلام ، ورحمة واحدة مبسوطة على سائر الموجودين »[2].

لذلك روي أنّه قيل للإمام السجّاد عليه السلام يوماً : إنّ الحسن البصري قال : ليس العجب ممّن هلك كيف هلك ؟ وإنّما العجب ممّن نجى كيف نجى .

فقال عليه السلام : « أنا أقول : ليس العجب ممّن نجى كيف نجى ، وأمّا العجب ممّن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله »[3].

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٦١ ب٢٩ ح٤٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٧٨ ص١٥٣ ب٢١ ح١٧ .

وَالآيَةُ الْمَخْزُونَةُ(١)

(١) ـ الآية هي : العلامة والعجيبة(١).

والمخزونة بمعنى : المكتومة مأخوذة من قولهم : خزنت المال واختزنته أي كتمته وجعلته في المخزن ، وكذا خزنت السرّ أي كتمته ولم أذعه(٢)، والخزن هو حفظ الشيء في الخزانة .

أي أنّ أهل البيت عليهم السلام علامة قدرة الله وعظمته المخزونة ، ومعرفة ذلك كما ينبغي مخزونة عند خالص عباده العارفين بعظيم مراتبهم ، ومكتومة عن الناس إلّا الخواصّ من أولياءهم .

وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام : « إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أكبر آية من آيات الله عزّوجلّ »(٣). وبحقّ كان أعظم آية في جميع الفضائل والكمالات حتّى في البدن والصفات كما تلاحظ أخباره(٤).

وهنا باب في أنّ الآيات الواردة في القرآن الحكيم هم الأئمّة الطاهرون عليهم السلام ، وجاء فيه حديث تفسير القمّي في قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾(٥).

قال عليه السلام : « أنّ الآيات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام »(٦).

قال العلّامة المجلسي أعلى الله مقامه بعد هذا الحديث : (إنّما أطلق عليهم الآيات لأنّهم علامات جليلة واضحة لعظمة الله وقدرته وعلمه ولطفه ورحمته) .

---

(١) مجمع البحرين : ص٨ .
(٢) المجمع : ص٥٥٦ .
(٣) الكافي : ج١ ص٢٠٧ ح٣ .
(٤) بحار الأنوار : ج٤١ ص٢٧٤ ب١١٣ .
(٥) سورة ص : الآية ٢٩ .
(٦) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٠٧ ب١١ ح٨ . وتفسير القمّي : ج٢ ص٢٣٤ .

وَالْأَمٰانَةُ الْمَحْفُوظَةُ[(١)]

(١) ـ الأمانة هي : ما يؤتمن عليها الإنسان .

وهو أمين أي ثقة مأمون به .

والمحفوظة أي : التي يجب حفظها ويلزم الاعتناء بها ، فإنّ الأمانة وديعة .

والوجوه المفسّرة بها هذه الفقرة الشريفة ثلاثة :

١ ـ بمعنى أنّكم أهل البيت الأمانة المستودعة .. وديعة الله ورسوله التي إستودعها أولياءه المؤمنين في أرضه ، والتي يجب على العالمين حفظها وبذل أنفسهم وأموالهم في حراستها ، شأن الودائع الإلهية .

مضافاً إلى أنّ بهم قوام دينهم ونظام اُمورهم في دنياهم وآخرتهم ، فيلزم مراعاتهم .

قال في المرآة : (الظاهر أنّ المراد وجوب مراعاتهم وموالاتهم وإطاعتهم وترك ما لا يرضيهم كما ورد في حديث الثقلين)[(١)].

يعني قوله صلى الله عليه وآله في الحديث المتّفق عليه بين الفريقين :

« إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي أبداً وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ألا وإنّي سائلكم عنهما فانظروا كيف تخلّفوني فيهما ، فاحفظوني فيهما » .

وقد ورد حديث الثقلين الشريف هذا متواتراً من الطريقين ، فمن الخاصّة في (٨٢) حديثاً ومن العامّة في (٣٩) حديثاً[(٢)].

٢ ـ بمعنى أنّكم ذو الأمانة المحفوظة ، يعني صاحب الولاية التي هي الأمانة المحفوظة التي عرضت على السماوات والأرض .

---

(١) مرآة الأنوار : ص٥٩ .

(٢) غاية المرام : ص٢١١ ـ ٢٣٥ .

. . . .

⬅كما يشهد له الأخبار الشريفة الكثيرة الواردة في بيان أنّ الأمانة المعروضة هي الولاية ، ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[1]ـ[2].

٣ ـ بمعنى أنّكم صلوات الله عليكم أصحاب الأمانة المحفوظة ، بمعنى أمانة الإمامة التي أُمر كلّ إمام منكم أن يؤدّيها إلى الإمام الذي بعده ، مثل العلم والكتب الإلهية وسلاح رسول الله صلى الله عليه وآله .

وهو المعنى المفسّر به قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[3] وله باب خاصّ من الأحاديث الشريفة[4].

وعلى الجملة يصدق في حقّهم سلام الله عليهم جميع المعاني الثلاثة ، لما عرفت من الشواهد والأدلّة .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٧٩ ب١٦ الأحاديث ٢٠ و٢٢ و٢٧ ، تفسير البرهان : ج٢ ص٨٦٤ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٧٦ الأحاديث ١ ـ ٧ ، وقد جاءت أيضاً في بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٧٥ ب١٦ الأحاديث ، وتفسير البرهان : ج١ ص٢٣٤ .

وَالْبابُ الْمُبْتَلىٰ بِهِ النّاسُ (١)

(١) ـ أي الباب الممتحن به الناس ، من الإبتلاء بمعنى الامتحان .

فإنّ الإبتلاء في الأصل هو : الاختبار والامتحان[(١)].

قال تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[(٢)] أي اختبره[(٣)].

واعلم أنّه يقال في الله تعالى : أنّه أبلى فلاناً فليس المراد منه إلّا ظهور جودته أو رداءته دون التعرّف على حاله والوقوف عليه ، لأنّ الله لا يجهل ذلك وهو علّام الغيوب[(٤)].

وبالامتحان يحصل تمييز الخبيث من الطيّب ، والغشّ من الذهب ، والجيّد من الرديء ، إتماماً للحجّة ، وإظهاراً للمحجّة ، وهو عام للجميع .

وقد ورد الامتحان في القرآن الكريم .

قال عزّ إسمه : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[(٥)].

وقال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[(٦)].

ونطقت به الأحاديث الكثيرة مثل :

١ ـ حديث ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه : « لابدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلقٌ كثير » .

٢ ـ حديث منصور قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : « يامنصور ! إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلّا بعد إياس ، ولا والله حتّى تميّزوا ولا والله حتّى تمحّصوا ولا والله حتّى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد » .

(١) مرآة الأنوار : ص٧٢.
(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .
(٣) مجمع البحرين : ص١٢ .
(٤) المفردات : ص٦١ .
(٥) سورة العنكبوت : الآية ٢ .
(٦) سورة الملك : الآية ٢ .

. . . .

٣ـ حديث معمّر بن خلّاد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1] ثمّ قال لي : « ما الفتنة ؟ قلت : جعلت فداك الذي عندنا الفتنة في الدِّين .

فقال : يفتنون كما يفتن الذهب ، ثمّ قال : يخلّصون كما يخلّص الذهب »[2].

فالإبتلاء الإمتحاني عام للناس أجمعين حتّى الأنبياء المكرّمين ، كما تلاحظه في ابتلاء سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في التكاليف الموضوعة عليه والأوامر الملقاة إليه[3].

إلّا أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الباب الإلهي الذين اصطفاهم الله تعالى في بدء الخلق ، ثمّ جعلهم باباً لامتحان الناس ليتبيّن المطيع من العاصي ، والمحسن من المسيء ، والسعيد من الشقي ، كباب حطّةٍ التي امتحن الله تعالى بها بني اسرائيل بدخوله سُجّداً وأن يقولوا عند دخولهم حطّة يعني حطّة لذنوبنا ، أو حطّ عنّا ذنوبنا ، فدخلها قوم قائلين حطّةً فنجوا ، وبدّل الذين ظلموا قولاً غير ذلك فهلكوا .

وأهل البيت عليهم السلام مثل ذلك الباب الامتحاني ، من دخل في باب متابعتهم نجى وغفر له ، ومن لم يدخل هلك وعوقب عليه .

بل هم أفضل من باب حطّة بني إسرائيل ، التي كانت من الخشب ، وأهل البيت ناطقون صادقون هادون .

وقد ورد في ذلك الأحاديث المتّفق عليها بين الفريقين كما تلاحظها في المصادر ، منها :

١ ـ ما عن ابن عبّاس قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من دان بديني ، وسلك منهاجي ، واتّبع سنّتي فليُدِن بتفضيل الأئمّة من أهل بيتي على جميع أُمّتي ، فإنّ مثلهم في هذه

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٢ .

(٢) الكافي : ج١ ص٣٧٠ باب التمحيص والامتحان ح٢ ـ ٤ .

(٣) كنز الدقائق : ج٢ ص١٣٣ .

. . . .

الأُمّة مثل باب حطّة في بني إسرائيل » .

٢ ـ ما عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : « هؤلاء بنو إسرائيل نصب لهم باب حطّة وأنتم يامعشر أُمّة محمّد نصب لكم باب حطّة أهل بيت محمّد عليهم السلام ، وأُمرتم باتّباع هداهم ، ولزوم طريقتهم ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم ، وليزداد المحسنون منكم .

وباب حطّتكم أفضل من باب حطّتهم ، لأنّ ذلك كان بأخاشيب ونحن الناطقون الصادقون المؤمنون الهادون الفاضلون ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ النجوم في السماء أمان من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الضلالة في أديانهم لا يهلكون ما دام منهم من يتّبعون هديه وسنّته .

أما إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال : من أراد أن يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، وأن يسكن جنّة عدن التي وعدني ربّي وأن يمسك قضباً غرسه بيده وقال الله : كن فكان ، فليتولّ علي بن أبي طالب عليه السلام ، وليوال وليّه ، وليعاد عدوّه ، وليتولّ ذرّيته الفاضلين المطيعين لله من بعده ، فإنّهم خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي » .

٣ ـ ما عن أبي ذرّ الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق ، ومثل

مَنْ اَتاكُمْ نَجىٰ وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ (١)

باب حطّة يحطّ الله بها الخطايا »(١).

فأهل البيت عليهم السلام مضافاً إلى أنّهم باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله هم باب النـجاة للعالم(٢).

وهم أبواب الله تعالى وبيوته التي يؤتى منها حيث قال تعالى : ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾(٣)، كما تلاحظ في أحاديث تفسيره(٤).

(١) ـ النجاة : الخلاص من الهلاكة ، والهلاك : العطب .

أي من أتاكم أهل البيت وعرفكم واتّبعكم وأطاعكم ووالاكم كان ناجياً ، ومن تخلّف عنكم كان هالكاً .

لأنّهم عليهم السلام ـ مضافاً إلى كونهم باب حطّة النجاة ـ هم الطريق إلى الله الرحمن ، وخلفاء الربّ المنّان ، فمن أتاهم فقد أتى الله وكان ناجياً ، ومن أباهم فقد أبى الله وكان هالكاً .

وهم عليهم السلام أبواب الإيمان ، فمن توجّه إليهم كان مؤمناً ، ومن أدبر كان كافراً .

بل طريق النجاة منحصر بهم ، وسلوك الفوز لا يكون إلّا منهم . دلّ على ذلك الكتاب والسنّة .

فمن الكتاب : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٥) حيث هي مفسّرة بأهل البيت عليهم السلام(٦).

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٣ ص١١٩ ـ ١٢٣ ب٧ الأحاديث ٣٩ و٤٧ و٤٨ ، إحقاق الحقّ : ج٥ ص٨٦ ، وج٩ ص٣٨٥ ، وج١٨ ص٣١٢ .

(٢) لاحظ حديث مدينة العلم المتّفق عليه بين الفريقين في غاية المرام : ص٥٢٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

(٤) كنز الدقائق : ج٢ ص٢٦٠ .

(٥) سورة الصفّ : الآية ١٠ .

(٦) كنز الدقائق : ج١٣ ص٢٣٦ .

. . . .

ومن السنّة : الأحاديث المتظافرة في ذلك منها :

١ ـ حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى : « أنّه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ، وصل الله طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله ... »[١].

٢ ـ حديث مقرن قال : سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول : جاء ابن الكوّا إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال : ياأمير المؤمنين ! ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيَماهُمْ﴾[٢]؟

فقال : « نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله عزّوجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرّفنا الله عزّوجلّ يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه .

إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه ، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا ، فإنّهم عن الصراط لناكبون .

فلا سواء من اعتصم الناس به ، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة ، يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربّها ، لا نفاد لها ولا إنقطاع »[٣].

٣ ـ حديث أبي سلمة ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : سمعته يقول : « نحن الذين فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس إلّا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا ، من عرفنا

(١) الكافي : ج١ ص١٨٢ ح٦ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٤٦ .
(٣) الكافي : ج١ ص١٨٤ ح٩ .

. . . .

كان مؤمناً ، ومن أنكرنا كان كافراً .

ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتّى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء »[1].

٤ ـ حديث داود الرقي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزّوجلّ : « لولا أنّي أستحيي من عبدي المؤمن ما تركت عليه خرقة يتوارى بها ، وإذا كملت له الإيمان ابتليته بضعف في قوّته وقلّة في رزقه ، فإن هو حرج أعدت عليه ، فإن صبر باهيت به ملائكتي .

ألا وقد جعلت علياً علماً للناس ، فمن تبعه كان هادياً ومن تركه كان ضالاً ، لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق »[2].

٥ ـ حديث السفينة المتقدّم المتّفق عليه بين الفريقين أنّه قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله : « مَثَل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق »[3].

واعلم أنّ في البلد الأمين جاء بعد هذه الفقرة الشريفة قوله : « ومن أباكم هوى».

---

(١) الكافي : ج١ ص١٨٧ ح١١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٣٩ ص٢٥٣ ب٨٧ ح٢٢ ، ولاحظ بقيّة أحاديث الباب التي تفيد أنّ النجاة من النار لا يكون إلّا بولايتهم .

(٣) غاية المرام : ص٢٣٧ .

اِلىَ اللّٰهِ تَدْعُونَ(١)

(١) ـ هذه الفقرة الشريفة والفقرات التي تليها إلى قوله : « وبقوله تحكمون » تبيّن اختصاص أهل البيت عليهم السلام بذات الله المقدّسة في جميع ما يتعلّق بهم من أفعالهم وأقوالهم ، وأنّهم الإلهيون الحقيقيّون بجميع معنى الكلمة .

فدعوتهم إلى الله فقط ، ودلالتهم على الله فقط ، وإيمانهم بالله فقط ، وتسليمهم إلى الله فقط ، وعملهم بأمر الله فقط ، وإرشادهم إلى سبيل الله فقط ، وحكمهم بقول الله فقط . كما يشهد به الوجدان ودليل العيان .

فهم المختصّون بالله خاصّة في جميع شؤونهم عامّة .

ومن كان بهذا الشأن العظيم ترتّب عليه ما يأتي في الفقرات المتعقّبة بعدها أنّه : « سعد من والاكم وهلك من عاداكم » الخ .

ويفهم الحصر والاختصاص من تقديم قوله إلى الله ، وعليه ، وبه ، وله ، وبأمره ، وإلى سبيله ، وبقوله ، على أفعالها .

إذ أنّ تقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر ، فيستفاد إنحصار شؤونهم بربّهم المتعال جلّ جلاله .

فمعنى هذه الجملة الشريفة أنّكم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الله تدعون بالحكمة والموعظة الحسنة ، ودعوتكم منحصرة بالله تعالى .

فإنّه قد يكون لغيرهم في حال من أحواله دعوة إلى غير الله أو غفلة عن الدعوة إلى الله ، لكن أهل البيت عليهم السلام يدعون إلى الله فقط من دون غفلة ولا سهو ، فهم الدعاة وأكمل الدعاة إلى الله تعالى لا غير .

وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ(١)، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ(٢)، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ(٣)، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ(٤)

(١) ـ أي على الله تعالى لا على غيره تدلّون بمعارفكم الحقّة، وبراهينكم الناطقة، وعلمكم الفيّاض، وقدرتكم الفائقة.

فكلّها منكم تدلّ على الله المتعال وصفاته المتعالية.

والدلالة هي ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعاني بحيث متى أُطلقت فُهم منها معانيها.

وأهل البيت عليهم السلام هم المظهر الأتمّ المنبىء عن الحقّ المطلق، والمذكّر بالله تعالى، والدالّ عليه، والهادي إليه.

(٢) ـ أي بالله تعالى لا بغيره تؤمنون، بالإيمان الحقيقي الكامل التامّ الخالص من جميع شوائب الشرك الجلي والخفي.

(٣) ـ أي لله تعالى لا لغيره تسلّمون ـ بتشديد اللام ـ أي تسلّمون أُموركم وتفوّضونها إلى الله تعالى، وتنقادون فيها له عزّ إسمه.

من التسليم بمعنى الإنقياد ظاهراً وباطناً، وعدم الإعتراض أبداً.

وقد يقرأ بتخفيف اللام يعني تُسلمون ويكون بنفس المعنى المتقدّم.

(٤) ـ أي بأمر الله تعالى لا بأمر غيره تعملون في جميع أقوالكم وأفعالكم وأحوالكم وشؤونكم، فإنّهم عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلّا بعهد من الله عزّوجلّ وأمرٍ منه لا يتجاوزونه كما مرّ ذكره بأحاديثه(١).

---

(١) الكافي: ج١ ص٢٧٩ ح١، وص٢٨٣ تتمّة الحديث ٤.

وَإِلىٰ سَبيلِهِ تُرْشِدُونَ(١)، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ(٢)

(١) ـ أي إلى سبيل الله تعالى القويم وصراطه المستقيم ودينه العظيم لا إلى غيره ترشدون الخلق بأكمل إرشاد وأجمل بيان وأفضل هداية .

وسبيل الله تعالى هو : دينه وطاعته وأولياؤه وولاية أوليائه(١).

والإرشاد هي : الهداية إلى طريق الحقّ ، مأخوذ من الرُشد والرشاد الذي هو بمعنى الهدى والهداية .

يقال : أرشده الله تعالى أي هداه ، والأئمّة الراشدون أي الهادون إلى طريق الحقّ والصواب ، والطريق الأرشد أي الأصوب والأقرب إلى الحقّ(٢).

(١) ـ أي بقول الله تعالى وبالإستناد إليه فقط لا بالإستحسانات والآراء والقياسات تحكمون بين الناس ، فإنّهم عليهم السلام كرسول الله صلى الله عليه وآله إنّما يحكمون بما أعلمهم الله تعالى حيث قال في كتابه الكريم : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللهُ﴾(٣)، فهي جارية في أوصياءه عليهم السلام كما صرّح به في حديث عبدالله ابن سنان(٤).

واعلم أنّ في البلد الأمين بعد هذه الفقرة زيادة : « وإليه تنيبون ، وإيّاه تعظّمون ».

---

(١) مشكاة الأنوار : ص١٢٤ .

(٢) مجمع البحرين : ص٢٠٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٠٥ .

(٤) الكافي : ج١ ص٢٦٧ ح٨ .

سَعَدَ مَنْ وٰالاٰكُمْ[١]

(١) ـ هكذا في الفقيه ، لكن في العيون : « سعد والله من والاكم » ، وفي البلد الأمين : « سعد والله بكم من والاكم » .

وهذه الفقرات الآتية تفيد البشارات العظمى التي توجبها التولّي لأهل البيت عليهم السلام والتمسّك بهم والإلتجاء إليهم وتصديقهم والإعتصام بهم .. ثبّتنا الله تعالى على ذلك .

وفي مقابلها سوء العقبى الذي يوجبه معاداة أهل البيت أو جحودهم أو مفارقتهم أعاذنا الله تعالى من ذلك .

وما أقرّها للعين من بشارة سارّة هذه الكلمة الفاخرة : « سعد من والاكم » .

أي سعد في الدنيا والآخرة ، وفاز في النشأة الأُولى والأُخرى من كان من مواليكم وشيعتكم .

وسعد مأخوذ من السعادة خلاف الشقاوة ، ومنه سعد الرجل في دين أو دنيا خلاف شقي فهو سعيد والجمع سعداء[١].

والسّعد والسعادة : (معاونة الأُمور الإلهية للإنسان على نيل الخير)[٢].

والسعادة والشقاوة تكون باختيار العبد لنفسه ما يسعدها أو يشقيها وليست باجبار أو اضطرار حتّى يستلزم إشكال ، كما هو ثابت في محلّه ، وراجع بشأنه إذا شئت الأحاديث الشريفة[٣].

وممّا يوجب السعادة بل لا تكون السعادة إلّا بها ولاية أهل البيت عليهم السلام التي فرضها الله تعالى كما تطابقت عليه الأدلّة من الكتاب والسنّة في مبحث الإمامة ، والأحاديث متواترة في ذلك منها :

(١) مجمع البحرين : ص٢١٠ .
(٢) المفردات : ص٢٣٢ .
(٣) بحار الأنوار : ج٥ ص١٥٤ ب٦ ح٤ و٥ و١٠ .

. . . .

١ ـ حديث عبّاد الكلبي، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن علي، عن أُمّه فاطمة بنت محمّد صلوات الله عليهم قالت: خرج علينا رسول الله ﷺ عشيّة عرفة فقال:

« إنّ الله تبارك وتعالى باهى بكم وغفر لكم عامّة ولعلي خاصّة، وإنّي رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي، هذا جبرئيل يخبرني أنّ السعيد كلّ السعيد حقّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته، وإنّ الشقي كلّ الشقي حقّ الشقي من أبغض عليّاً في حياته وبعد وفاته ».

٢ ـ حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: « من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته كتب الله عزّوجلّ له من الأمن والإيمان ما طلعت عليه شمس وغربت.

ومن أبغضه في حياته وبعد موته مات موتة جاهلية وحوسب بما عمل ».

٣ ـ حديث الثمالي، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام:

« ياعلي ما ثبت حبّك في قلب امرىء مؤمن فزلّت به قدم على الصراط إلّا ثبتت له قدم حتّى يدخله الله عزّوجلّ بحبّك الجنّة »[١].

فولاية آل محمّد عليهم السلام هي السعادة العظمى والفوز الأكبر كما ثبت حتّى في أحاديث العامّة.

فقد ورد حديث عبّاد الكلبي المتقدّم في المناقب للخوارزمي، وذخائر العقبى للطبري، وشرح النهج للمعتزلي، ومنتخب كنز العمّال لحسام الدين الهندي، والينابيع للقندوزي، والأربعين للهروي، ومفتاح النجا للبدخشي، وأرجح المطالب

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٧٣ ـ ٧٧ ب٤ ح١ و٧ و٨.

. . . .

للأمرتسري ، كما تلاحظ النقل مفصّلاً في الإحقاق[١].

فولاية أهل البيت عليهم السلام توجب سعادة الدنيا بالحياة الطيّبة ، والتوفيق لأعمال الخير المقبولة ، وغفران الذنوب ، وحياة القلوب .

وتوجب أيضاً سعادة الأخرى بفوز الحساب ، وشفاعة الأولياء ، ودخول الجنّة ، ورضوان من الله أكبر .

كما أنّ ترك ولايتهم أو معاداتهم توجب الشقاء ، والجاهلية الجهلاء ، وسوء العقبى ، والنار الكبرى .

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٢].

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٧ ص٢٥٣ .

(٢) سورة هود : الآية ١٠٦ ـ ١٠٨ .

وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ(١)

(١) ـ الهلاك هو : العطب والفناء .

والهلاك المعنوي هي الهلاكة الأبدية ، التي هي الخلود في النار(١).

أي أنّ من كان عدوّاً لكم أهل البيت كان من الهالكين في الدين ، ومن الخالدين في عذاب ربّ العالمين ، وهي الشقاوة الأبدية ، وفقد السعادة الحقيقيّة ، فيشقى عدوّكم في آخرته بواسطة سوء مصيره ، بل يشقى في دنياه بواسطة فقده الحياة الطيّبة والروح المطمئنة والمغفرة والرحمة .

وقد تظافرت الأحاديث في ذلك ، نتبرّك منها بذكر حديث واحد منها وهو :

حديث ميسّر ، عن أبي عبدالله عليه السلام (في حديث) قال : أي البقاع أعظم حرمة ؟

قال : قلت : الله ورسوله وابن رسوله أعلم .

قال : « ياميسّر ما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنّة ، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنّة ، والله لو أنّ عبداً عمّره الله ما بين الركن والمقام ، وما بين القبر والمنبر ، يعبده ألف عام ، ثمّ ذبح على فراشه مظلوماً كما يذبح الكبش الأملح ، ثمّ لقى الله عزّوجلّ بغير ولايتنا لكان حقيقاً على الله عزّوجلّ أن يكبّه على منخريه في نار جهنّم »(٢).

---

(١) مرآة الأنوار : ص٢٢٦ .

(٢) وسائل الشيعة : ج١ ص٩٤ ب٢٩ ح١٦ ، وفي ثواب الأعمال : ص٢٥٠ ح١٦ .

وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ(١)

(١) ـ خاب : مأخوذ من الخيبة وهي الحرمان والخسران .

والخائب هو الذي فاته الظفر بالمطلوب(١).

والجحود هو : الإنكار مع العلم ، يقال : جحد حقّه أي أنكره مع علمه بثبوته(٢).

أي خاب وخسر ولم يظفر بمطلوبه من جحد وأنكر إمامتكم ولم يؤمن بها .

فإنّ إنكار إمامتهم إنكار لنعمة الله ، وإنكار لرسول الله ، وهو يوجب ميتة الجاهلية وخسران الدنيا والآخرة ، كما تلاحظه في أحاديثه الشريفة(٣).

وفي خطبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله : « ياعلي : ما عُرف الله إلّا بي ثمّ بك ، من جحد ولايتك جحد الله ربوبيته »(٤).

في نسخة الكفعمي : « وخاب من جهلكم » .

(١) مجمع البحرين : ص١١٣ .

(٢) مجمع البحرين : ص١٩٨ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٧٦ ـ ١٠٣ ب٤ ـ ٦ الأحاديث ١٦ و٢٤ و٣٤ و٣٨ ، و٤ و٥ و٤ .

(٤) كتاب سليم بن قيس : ج٢ ص٨٥٥ .

وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ(١)

(١) ـ الضلال والضلالة : ضدّ الهدى والهداية(١).

والضلالة عن الطريق : ضدّ الرشاد(٢).

والضلال هو : العدول عن الطريق المستقيم(٣).

أي قد ضلّ وعدل عن طريق الحقّ ولم يهتد إلى الحقّ من فارقكم أهل البيت وترك متابعتكم .

إذ هو مفارقة لرسول الله صلى الله عليه وآله كما نُصّ عليه في أحاديث الفريقين(٤).

والحقّ فيكم ومنكم وإليكم أهل البيت ، وليس بعد الحقّ إلّا الضلال ، فمن تخطّى عن الحقّ وقع في الضلالة ، والضلالة خسران مبين.

قال عزّ إسمه : ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٥).

فملازمة أهل البيت عليهم السلام توجب الهداية ، ومفارقتهم توجب الضلالة كما تستفيده من حديث الثقلين المتقدّم نقله ، الذي يفيد كون الهداية مقيّدة بالتمسّك بهما فقط .

وخصوص حديث ابن عبّاس ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لن تضلّوا ولن تهلكوا وأنتم في موالاة علي ، وإن خالفتموه فقد ضلّت بكم الأهواء في الغي ، فاتّقوا الله ، فإنّ ذمّة الله علي بن أبي طالب »(٦).

وأهل البيت عليهم السلام من اقتدى بهم هدي إلى الصراط المستقيم كما في حديث جابر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل البيت عليهم السلام قال :

---

(١) مرآة الأنوار : ص١٤٩ .

(٢) مجمع البحرين : ص ٤٨٠ .

(٣) المفردات : ص٢٩٧ .

(٤) غاية المرام : ص٥٤٢ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٧٨ .

(٦) إحقاق الحقّ : ج٦ ص٥٧ ب٤٢ ح١ عن ينابيع المودّة ، وغيره من الأحاديث الأُخرى التي تجدها في غاية المرام : ص٥٤٢ .

• •

⬅« هم أبواب العلم في أُمّتي من تبعهم نجى من النار ، ومن اقتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم ، لم يهب الله محبّتهم لعبد إلّا أدخله الله الجنّة »[١].

وهم الثابتون على الهدى والملازمون للحقّ فلا يخرجونا من الهدى ولا يُدخلونا في الضلالة كما في حديث عمّار بن ياسر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

« من أحبّ أن يحيى حياتي ويموت موتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي ... فليتولّ علي بن أبي طالب فإنّه لن يخرجكم من هدى، ولم يدخلكم في ضلالة »[٢].

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٤ ص٥٩ عن الينابيع .

(٢) إحقاق الحقّ : ج٥ ص١٠٩ عن كنز العمّال .

وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ[١]

(١) ـ الفوز هو : النجاة والظفر بالخير[١].

وهو الظفر بالخير مع حصول السلامة[٢].

والتمسّك بالشيء هو : الإعتصام به[٣]، وهو التعلّق به وحفظه[٤].

والمعنى نجى وظفر بالخير وسلم من اعتصم بكم وتمسّك بحبل ولايتكم وتعلّق بحجزتكم ، وهو الفوز العظيم .

فإنّ من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله ، وهو الفوز اليقين .

قال عزّ إسمه : ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٥]ـ[٦].

وقال عزّ إسمه : ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[٧]ـ[٨].

وفي الحديث الثابت من طريق الفريقين : « شيعة علي هم الفائزون »[٩].

---

(١) مجمع البحرين : ص٣١٨ .

(٢) المفردات : ص٣٨٧ .

(٣) مجمع البحرين : ص٤٥٥ .

(٤) المفردات : ص٤٦٨ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٦) كنز الدقائق : ج٣ ص٢٨٢ .

(٧) سورة الأحزاب : الآية ٧١ .

(٨) كنز الدقائق : ج١٠ ص٤٤٩ .

(٩) لمصادر الخاصّة بحار الأنوار : ج٣٨ ص٩٥ ب٦١ ح١١ ، وج٣٩ ص٣٠٤ ب٨٧ ح١٢٠ ، وج٤٠ ص٢٥ ب٩١ ح٥٠ ، وج٦٨ ص٩ ب١٥ ح٥ . ولمصادر العامّة إحقاق الحقّ : ج٥ ص٤٣ ، وج٧ ص٢٩٨ ، وج١٤ ص٢٥٨ ، وج١٧ ص٢٦٢ ، وج٢٠ ص٢٥٧ .

وَاَمِنَ مَنْ لَجَأَ اِلَيْكُمْ(١)

(١) ـ أصل الأمن : طمأنينة النفس وزوال الخوف .

والأمن والأمان والأمانة مصادر تجعل تارةً للحالة التي يكون عليها الإنسان عند الأمن[١].

وأمِنَ هنا فعل ماضٍ بمعنى : اطمأنّ وزال خوفه .

أي اطمأنّ ولم يخف عذاب الله تعالى وغضبه من لجأ إليكم أهل البيت .

ولجأ : مأخوذ من اللجوء .

يقال : لجأ إلى الحصن والتجأ إليه أي اعتصم به ، فالحصن هو الملجأ .

والجأت ظهري إليك أي اعتمدت في أموري عليك ، والجأت أمري إلى الله تعالى أي أسندته إليه[٢].

فاللجوء بمعنى الاعتصام والاعتماد والاستناد .

ومعنى هذه الفقرة الشريفة : أمن من اعتصم بكم واعتمد عليكم واستند إليكم أهل البيت بالاعتقاد والاتّباع والاستشفاع ، فأنتم الملجأ الأمين ، والحصن الحصين لخلق الله إلى يوم الدين .

يدلّ عليه :

١ ـ تأويل قوله تعالى : ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾[٣] المفسّر بالسير في ولايتهم عليهم السلام[٤].

٢ ـ الأحاديث الدالّة على أنّ أهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء ، ولولاهم لهلك أهل الأرض ، كما تلاحظه في أحاديثه ←

---

(١) المفردات : ص٢٥ .

(٢) مجمع البحرين : ص٧٨ .

(٣) سورة سبأ : الآية ١٨ .

(٤) كنز الدقائق : ج١٠ ص٤٨٦ .

. . . .

المتظافرة، من ذلك :

حديث فضيل الرسّان قال : كتب محمّد بن إبراهيم إلى أبي عبدالله عليه السلام : أخبِرنا ما فضلكم أهل البيت ؟

فكتب إليه أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ الكواكب جعلت في السماء أماناً لأهل السماء ، فإذا ذهبت نجوم السماء جاء أهل السماء ما كانوا يوعدون ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : جُعل أهل بيتي أماناً لأُمّتي ، فإذا ذهب أهل بيتي جاء أُمّتي ما كانوا يوعدون »[1].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ب٨ ص٣٠٩ ح٥ .

وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ[١]

(١) ـ سَلِمَ : مأخوذ من السَّلْم والسلامة ، وهي التعرّي عن الآفات الظاهرة والباطنة[١].

وصدّقكم : مأخوذ من التصديق ، يقال : صدّقه أي اعترف بصدق كلامه ، واعتبره صحيحاً مخلَصاً لا كذب فيه[٢] وبمعنى حقّقه[٣].

أي سَلِمَ من العذاب والهلاك ، ومن الزيغ والشكّ والضلال من صدّقكم في الإمامة وغيرها من شؤونكم ، واعترف بصدقكم واعتبر كلامكم .

وذلك لأنّهم لا ينطقون إلّا عن الله تعالى ، فيكون تصديقهم تصديقاً لله عزّ إسمه ، وهو مقرون ومضمون بالسلامة القطعية والسَّلْم اليقين .

وقد أمر الله تعالى بإطاعتهم في آية أُولي الأمر الشريفة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٤].

وأمر بالكون معهم في آية الصادقين المباركة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٥].

والآيتان واردتان في شأن أهل البيت عليهم السلام في أحاديث الفريقين[٦].

فهل يكون طريقهم إلّا طريق السعادة والسلامة .

---

(١) المفردات : ص٢٣٩ .

(٢) الرائد : ص٩١٦ .

(٣) المعجم الوسيط : ج١ ص٥١٠ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٥) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٦) غاية المرام : ص٢٦٣ و٢٤٨ .

وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ(١)

(١) ـ هُدِيَ : مأخوذ من الهدى ، وهي الهداية والإرشاد إلى طريق الحقّ والسداد والاعتصام بالشيء هو : التمسّك بالشيء والتعلّق به(١).

أي هُدي إلى طريق النجاة ، واهتدى به من اعتصم بكم ، وتمسّك بحبلكم وتعلّق بحُجزتكم .

لأنّهم عليهم السلام حبل الله المتين الذي من تمسّك به نجى ، ومصباح الهداية الذي من استضاء به اهتدى ، فالاعتصام بهم إعتصام بالله تعالى ، ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم .

قال الله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٢).

وفي حديث جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « آل محمّد عليهم السلام هم حبل الله الذي أُمر بالإعتصام به فقال : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ »(٣).

وفي حديث شرح الآيات الباهرة عن الإمام السجّاد عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في المسجد ، وأصحابه حوله ، فقال لهم : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة يسأل عمّا يعنيه .

قال : فطلع علينا رجل شبيه برجال مصر ، فتقدّم وسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس ، وقال : يارسول الله ، إنّي سمعت الله يقول : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فما هذا الحبل الذي أمر الله بالإعتصام ولا نتفرّق عنه ؟

قال : فأطرق ساعة ، ثمّ رفع رأسه وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال : هذا حبل الله الذي من تمسّك به عُصِم في دنياه ، ولم يضلّ في أُخراه .

---

(١) المفردات : ص٣٣٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٣) كنز الدقائق : ج٣ ص١٨٥ .

. . . .

قال : فوثب الرجل إلى علي بن أبي طالب واحتضنه من وراء ظهره ، وهو يقول : اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله ، ثمّ قام فولّى وخرج . فقام رجل من الناس فقال : يارسول الله ـ صلّى الله عليك وأهلك ـ أَلحقُه وأسأله أن يستغفر لي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا تجده مرفقاً .

قال : فلحقه الرجل وسأله أن يستغفر له .

فقال له : هل فهمت ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وما قلت له ؟

قال الرجل : نعم .

فقال له : إن كنت متمسّكاً بذلك الحبل فغفر الله لك ، وإلّا فلا غفر الله لك وتركه ومضى »[(١)].

وفي حديث جعفر بن محمّد بن سعيد الأحمسي مسنداً ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « نحن حبل الله الذي قال : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [و] ولاية علي عليه السلام من استمسك بها كان مؤمناً ، ومن تركها خرج عن الإيمان »[(٢)].

وقد تظافرت الأحاديث الشريفة في إنحصار الهداية بهم في بابين فلاحظ :

١ ـ (باب إنّ الناس لا يهتدون إلّا بهم)[(٣)].

٢ ـ (باب إنّهم عليهم السلام الهداية والهدى والهادون في القرآن)[(٤)].

---

(١) كنز الدقائق : ج٣ ص١٨٦ .

(٢) كنز الدقائق : ج٣ ص١٨٨ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٩٩ ب٦ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٤ ص١٤٣ ب٤٥ .

مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوٰاهُ وَمَنْ خٰالَفَكُمْ فَالنّٰارُ مَثْوٰاهُ(١)

(١) ـ المأوى : اسم للمكان الذي يُأوىٰ إليه ، مأخوذ من الايواء بمعنى النزول والرجوع ، فالمأوى معناه المنزل والمرجع(١).

والمثوى : اسم مكان أيضاً مأخوذ من الثواء بمعنى الإقامة مع الإستقرار كما في قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٢).

فالمثوى معناه المقام والمنزل الذي يُقام فيه ، والجمع مثاوي(٣).

ومعنى الفقرتين في الزيارة الشريفة إنّ من كان تابعاً لكم فالجنّة منزله ومرجعه الذي يؤوي إليه في الآخرة .

ومن كان مخالفاً لكم فنار جهنّم مقامه ومنزله الذي ينزله ويستقرّ فيه يوم القيامة فهو مخلّد في النار .

وهذا أمر مصيري ، وغاية نهائية تكشف عن عظمى الأهمية في متابعة أهل البيت عليهم السلام ، ومدى خسران الصفقة في مخالفة أهل البيت عليهم السلام .

وقد تظافرت الأخبار في تفسير آيات الجنّة في القرآن الحكيم أنّها في أولياء أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي آيات النار في القرآن الكريم أنّها في أعداء أمير المؤمنين عليه السلام ، ويمكنك ملاحظتها من طريق الفريقين في غاية المرام للسيّد الجليل البحراني أعلى الله مقامه .

ونموذجها قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٤)ـ(٥)ـ(٦).

(١) المرآة : ص٦١ ، المفردات : ص٣٢ .

(٢) المفردات : ص٨٤ .

(٣) مجمع البحرين : ص١٧ .

(٤) سورة الحشر : الآية ٢٠ .

(٥) كنز الدقائق : ج١٣ ص١٩١ .

(٦) غاية المرام : ص٣٢٨ .

. . . .

والمستفاد من كتاب الشموس : أنّ الأخبار في ذلك بحدّ التواتر ، بل المطلب من ضروريات المذهب ، بل من ضروريات الدين في الجملة بحيث لا نحتاج إلى ذكر دليل آخر(١).

لكن نتبرّك بذكر حديث واحد تيمّناً ، وهو ما رواه ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« ياعلي إنّ جبرئيل أخبرني عنك بأمر قرّت به عيني وفرح به قلبي ، قال : يامحمّد قال الله عزّوجلّ : اقرأ محمّداً منّي السلام واعلمه أنّ علياً إمام الهدى ، ومصباح الدجى ، والحجّة على أهل الدنيا ، وأنّه الصدّيق الأكبر ، والفاروق الأعظم .

وإنّي آليت وعزّتي وجلالي أن لا أدخل النار أحداً تولاه وسلّم له وللأوصياء من بعده .

حقّ القول منّي لأملأنّ جهنّم وأطباقها من أعدائه ، ولأملأنّ الجنّة من أوليائه وشيعته »(٢).

فالجنّة مأوى تابعيه ، والنار مثوى معاديه ، بل هو قسيم الجنّة والنار وبيده مفاتيحهما ، فيُدخل شيعته الجنّة التي أعدّها الله تعالى للمتّقين ، ويُدخل أعدائه النار التي أعدّها الله تعالى للكافرين .

وقد تظافرت في ذلك أحاديث الفريقين مثل : ما رواه ابن عبّاس عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وعليّاً ينصب لهما منبر فيه الف مرقاة ثمّ يتسلّم النبي صلى الله عليه وآله مفاتيح

---

(١) الشموس الطالعة : ص٣٤٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١٣٢ ب٤ ح١٢٤ .

. . . .

الجنّة والنار فيسلّمها لعلي عليه السلام فيدخل شيعته الجنّة ، وأعداءه النار[١].

وما أحلى الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال: « من عرف حقّ علي ذكا وطاب ، ومن أنكر حقّه لُعن وخاب ، أقسمت بعزّتي أن أُدخل الجنّة من أطاعه وإن عصاني ، وأقسمت بعزّتي أن أُدخل النار من عصاه وإن أطاعني »[٢].

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٦ ص٢١٣ ب٩١ ح١ وله أسانيد عديدة من طرف العامّة .

(٢) لاحظه عن مصادر العامّة في إحقاق الحقّ : ج٤ ص٢٢١ .

وَمَنْ جَحَدَكُمْ كافِرٌ[1]

---

(١) ـ الجحود هو : الإنكار مع العلم كما تقدّم ، يقال : جحد حقّه جحداً وجحوداً أي أنكره مع علمه بثبوته ، قال تعالى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1]، أي جحدوا بالآيات بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم ، والاستيقان أبلغ من الإيقان[2].

فالمعنى هو أنّ من جحد أهل البيت عليهم السلام وأنكر حقّهم أو ولايتهم أو فضلهم كان كافراً .

فإنّ حقّهم ثبت من رسول الله من قبل الله تعالى ، فيكون إنكاره إنكاراً لرسالة الرسول ، وردّاً على الله ، وهو كفر بالله العظيم .

فمن البديهيات العقليّة أنّه لا معنى لأن يقول أحد أنّ الله تعالى معبودي ، لكنّي لا أعترف بما عبّدني به من ولاية أولياءه المعصومين عليهم السلام .

ولا معنى لأن يدّعي أحد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نبيّي ، لكنّي أنكر ما أُرسل به من إمامة أوصياءه الطيّبين عليهم السلام .

وليس الإنكار هذا إلّا ردّاً على الله ورسوله ، وهو كفر قطعاً .

وقد تواترت الروايات في كفر من جحد أهل البيت عليهم السلام .

مثل : حديث يحيى بن القاسم عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

قال : « الأئمّة بعدي إثنا عشر أوّلهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم ... المقرّ بهم مؤمن ، والمنكر لهم كافر »[3].

بل في حديث الإمام الباقر عليه السلام أنّ ترك ولاية علي بن أبي طالب وإنكار فضله ←

---

(١) سورة النمل : الآية ١٤ . (٢) مجمع البحرين : ص١٩٨ .

(٣) وسائل الشيعة : ج١٨ ص٥٥٧ ب١٠ الأحاديث٨ و١١ و١٣ و١٨ و١٩ و٢٧ و٢٨ و٣٤ و٣٨ و٤٠ و٤٣ و٤٨ و٤٩ .

. . . .

ومظاهرة عدوّه يُخرج عن الإسلام[١].

هذا وقد ورد كفر جحود ولاية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام في أحاديث كثيرة من طرق العامّة أيضاً منها : ما ذكره الخوارزمي بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ وعلا : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ﴾[٢].

قلت : والمؤمنون ؟

قال : صدقت يامحمّد ، من خلّفت في أمّتك ؟

قلت : خيرها .

قال : علي بن أبي طالب ؟

قلت : نعم ياربّ .

قال : يامحمّد إنّي اطلعت إلى أهل الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك إسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلّا ذكرت معي ، فأنا المحمود وأنت محمّد ، ثمّ اطلعت الثانية فاخترت عليّاً وشققت له إسماً من أسمائي ، فأنا الأعلى وهو علي.

يامحمّد إنّي خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من سنخ نور من نوري ، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض ، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ، ومن جحدها كان عندي من الكافرين .

يامحمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي ، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٣٨ ب١٠ ح٦٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

. . . .

⊃ يامحمّد أتحبّ أن تراهم ؟

قلت : نعم ياربّ .

فقال لي : التفت عن يمين العرش فالتفتُّ فإذا أنا بعلي ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمّد بن علي ، وجعفر بن محمّد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمّد بن علي ، وعلي بن محمّد ، والحسن بن علي ، والمهدي في ضحضاح من نور ، قياماً يصلّون ، وهو في وسطهم « يعني المهدي » كأنّه كوكب درّي . قال :

يامحمّد هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك ، وعزّتي وجلالي أنّه الحجّة الواجبة لأوليائي ، والمنتقم من أعدائي »[1].

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٥ ص٤٥ .

وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ(١)

(١) ـ الحرب في اللغة هو : القتال كما هو معروف .

أي من قاتلكم أهل البيت كان مشركاً بالله تعالى ، ومطيعاً لهوى نفسه ويدخل فيه كلّ من أطلق لسانه بسبّهم ومعارضتهم ومضادّتهم فإنّه حربٌ عرفاً .

وقد تظافرت الأحاديث من الفريقين في أنّ حرب علي عليه السلام حرب الله ، وحرب رسول الله ، وقول النبي صلى الله عليه وآله لأهل البيت عليهم السلام : « أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم » والحرب مع الله ورسوله كفر وشرك .

دلّت على ذلك أحاديث الخاصّة مثل ما تقدّم من حديث ابن عبّاس :

« أنّ أعداء علي أعداء الله ، وحرب علي حرب الله » .

حديث أبي أيّوب الأنصاري : « من تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي قلّده الله تعالى يوم القيامة وشاحاً من نار »(١).

كما دلّت على ذلك أحاديث العامّة أيضاً التي نقلها في الإحقاق(٢).

هذا مضافاً إلى أنّ المحاربة مع أهل البيت عليهم السلام إنكار لإمامتهم ودفع لها وهو كفر ، كما أنّ دفع النبوّة وإنكارها كفر ، فأنّ من آمن بنبيٍّ أو إمامٍ لا يحاربه .

وهو شرك لا يغفر كما فسّر به قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾(٣) ففي حديث جابر ، عن الإمام الباقر عليه السلام : يعني أنّه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي عليه السلام(٤).

قال شيخ الطائفة قدس سره : (عندنا أنّ من حارب أمير المؤمنين عليه السلام وضرب وجهه ←

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٨ ص٣١ ب٥٧ ح٩ ـ ١٠ ، وج٣٢ ص٣١٩ ب٨ الأحاديث ، العوالم : ج١١ ص٩٣٣ . والوشاح هو ما يُتقلّد به .

(٢) إحقاق الحقّ : ج٥ ص٤٣ ، وج٦ ص٤٣٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٤٨ .

(٤) تفسير العياشي : ج١ ص٢٤٥ ح١٤٩ .

. . . .

⬅ووجه أصحابه بالسيف كافر .

والدليل المعتمد في ذلك إجماع الفرقة المحقّة من الإمامية على ذلك ، فإنّهم لا يختلفون في هذه المسألة على حال من الأحوال ، وقد دللنا أنّ إجماعهم حجّة فيما تقدّم ...) .

ثمّ تمسّك ﷺ بالأحاديث الشريفة الدالّة على ذلك فراجع(١).

(١) تلخيص الشافي : ج٤ ص١٣١ .

وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي اَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ(١)

(١) ـ يقال : ردّ عليه الشيء أي : لم يقبله منه(١).

والدَّرْك هو : الطبَق الأسفل ، فإنّ للنار دركات متسافلة ، كما أنّ للجنّة درجات متعالية .

والمنافق في أسفل طبقة من جهنّم لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٢)ـ(٣).

والمعنى أنّ من لم يقبل شيئاً من أقوالكم أو أخباركم أو أحكامكم أهل البيت كان صالياً نار الحميم ، وفي الدرك الأسفل من الجحيم .

فإنّ أقوالهم وأخبارهم وأحكامهم صادرة عن رسول الله عن ربّ العزّة ، فيكون ردّه ردّاً وتكذيباً لكلام الله تعالى وهو كفر وجحود موجب للنار ، ويكون هذا الردّ نفاقاً من المتظاهر بالإسلام يوجب الحشر مع المنافقين في أسفل دركٍ من الجحيم .

فردّ كلامهم يكون كفراً بالله العظيم كما تلاحظه في الأحاديث الشريفة مثل :

١ ـ حديث جابر ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن به إلّا ملك مقرّب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد صلوات الله عليهم فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه ، وما اشمأزّت قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمّد عليهم السلام .

وإنّما الهالك أن يحدّث بشيء منه لا يحتمله فيقول : والله ما كان هذا شيئاً ⟵

---

(١) مجمع البحرين : ص٢٠٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٥ .

(٣) مجمع البحرين : ص٤٥٠ .

. . . .

والإنكار هو الكفر »[١].

٢ ـ حديث جابر ـ الآخر ـ عن الإمام الباقر عليه السلام : « ما أحد أكذب على الله ولا على رسوله ممّن كذّبنا أهل البيت ، أو كذب علينا لأنّا إنّما نتحدّث عن رسول الله وعن الله ، فإذا كذّبنا فقد كذّب الله ورسوله »[٢].

٣ ـ حديث فرات الكوفي باسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « لمّا نزلت هذه الآية : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾[٣] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يردّ أحد على عيسى بن مريم عليه السلام ما جاء به فيه إلّا كان كافراً ، ولا يردّ على علي ابن أبي طالب عليه السلام أحد ما قال فيه النبي صلى الله عليه وآله إلّا كافر »[٤].

٤ ـ حديث أبي خالد الكابلي ، عن الإمام السجّاد عليه السلام قال : قلت له : كم الأئمّة بعدك ؟

قال : « ثمانية لأنّ الأئمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إثنا عشر ـ إلى أن قال : ـ ومن أبغضنا وردّنا ، أو ردّ واحداً منّا فهو كافر بالله وبآياته »[٥].

٥ ـ الأخبار الأُخرى التي صرّحت بأنّ الرادّ عليهم عليهم السلام رادّ على الله تعالى مثل حديث ابن حنظلة ، عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه :

« الرادّ علينا الرادّ على الله ، وهو على حدّ الشرك بالله »[٦].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢ ص١٨٩ ب٢٦ ح٢١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢ ص١٩١ ب٢٦ ح٢٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٥٩ .

(٤) وسائل الشيعة : ج١٨ ص٥٦١ ب١٠ ح٢١ .

(٥) وسائل الشيعة : ج١٨ ص٥٦٣ ب١٠ ح٢٩ .

(٦) وسائل الشيعة : ج١٨ ص٩٩ ب١١ ح١ .

اَشْهَدُ اَنَّ هٰذا سابِقٌ لَكُمْ فِيما مَضىٰ وَجارٍ لَكُمْ فِيما بَقِيَ (١)

(١) ـ احتمل في معنى هذه الفقرة الشريفة وجوه عديدة هي :

أمّا بالنسبة إلى المشار إليه بقوله عليه السلام (هذا) فيحتمل :

١ ـ أن يكون هذا إشارة إلى ما تقدّم قريباً من وجوب متابعتهم في قوله عليه السلام : « من اتّبعكم فالجنّة مأواه الخ » .

٢ ـ أن يكون إشارة إلى جميع الأوصاف المذكورة بالنسبة إليهم صلوات الله عليهم من أوّل الزيارة الشريفة أو من قوله : « وأشهد أنّكم الأئمّة الراشدون » ، أو من قوله : « من والاكم فقد والى الله » أو من قوله : « أنتم السبيل الأعظم » أو من قوله : « من أتاكم نجى » أو من قوله : « سعد من والاكم » .

وأمّا بالنسبة إلى معنى « ما مضى » و « ما بقى » فيحتمل فيه أيضاً :

١ ـ أن يكون بمعنى ثبوت هذه الأوصاف لكم فيما مضى من الأزمنة السابقة من أوّل زمان خلقتكم المباركة ، إلى ما يبقى من الأزمنة الآتية من دون إختصاص بزمانٍ دون زمان .

٢ ـ أن يكون بمعنى ثبوتها فيما مضى منكم من الأئمّة الطاهرين ، وما يبقى منكم من الأئمّة المعصومين إلى الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف .

٣ ـ أن يكون بمعنى ثبوتها فيما مضى من الكتب المقدّسة المتقدّمة ، وما بقى منها إلى القرآن الكريم .

وجميع هذه المعاني صادقة فيهم ومنطبقة عليهم قطعاً ، لكن لعلّ الذي يلوح أقرب في النظر بالنسبة إلى هذه الفقرة هما المعنيان الأوّلان .

أمّا بالنسبة إلى كلمة هذا فلقرب المرجع الأوّل ومناسبته مع كلمة هذا التي هي إشارة إلى القريب .

. . . .

↩وأمّا بالنسبة إلى معنى وما بقى فلمناسبة المعنى الأوّل أيضاً مع سياق ما يأتي في الزيارة الشريفة بدون تكرار الشهادة يعني فقرة : « وإنّ أرواحكم » وفقرة : « خلقكم الله » التي تبيّن بدو خلقتهم النورية وطينتهم العُلوية ، فتناسب أزمنة الخلقة .

وعلى هذا يكون المعنى ـ والله العالم ـ : إنّي أشهد أنّ ما تقدّم من وجوب متابعتكم وحرمة مخالفتكم الخ لا يختصّ بزمان دون زمان ، بل هو جارٍ ثابت لكم منذ بدو خلقتكم المباركة ، وباقٍ لكم إلى الأزمنة الآتية ، إلى ما شاء الله ، وإلى الأبد.

إذ هم الصفوة الطيّبة الذين إستخلصهم الله تعالى لنفسه ، واختار لهم أسنى نعمه ، وأوجب طاعة الخلق لهم ، وتصديق المخلوقين إيّاهم منذ عالم الذرّ ، كما جعل دينهم هو الإسلام الخالد الباقي مدى الدهر .

وذلك بعد أن علم منهم عليهم السلام الوفاء بشرطه وعهده كما في دعاء الندبة الشريفة :

« الذين إستخلصتهم لنفسك ودينك ، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا إضمحلال ، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة ، فشرطوا لك ذلك ، وعلمت منهم الوفاء فقبلتهم وقرّبتهم ، وقدّمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي ... »[١].

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٠٤ .

وَاَنَّ اَرْواحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ واحِدَةٌ طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ (١)

(١) ـ أي وأشهد أنّ أرواحكم الشريفة ، ونوركم الذي خُلقتم منه ، وطينتكم التي جبلتم منها واحدة وطيبةٌ طاهرة ، مخلوقة من أعلى علّيين كما أنّ أبدانكم من علّيين .

وقد ورد ذلك في الأخبار الكثيرة ، نختار منها ثلّة منها يكون بها البيان والتبيين مثل :

١ ـ حديث أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الله خلقنا ـ أي أجسادنا ـ من علّيين وخلق أرواحنا من فوق ذلك ، وخلق أرواح شيعتنا من علّيين وخلق أجسادهم من دون ذلك ، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحنّ إلينا »[١].

٢ ـ حديث معاذ بن جبل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام .

قلت : فأين كنتم يارسول الله ؟

قال : قدّام العرش ، نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده .

قلت : على أي مثال ؟

قال : أشباح نور ، حتّى إذا أراد الله عزّوجلّ أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور ، ثمّ قذفنا في صلب آدم ، ثمّ أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات ، ولا يصيبنا نجس الشرك ، ولا سفاح الكفر ، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون .

فلمّا صيّرنا إلى صلب عبدالمطّلب أخرج ذلك النور فشقّه نصفين ، فجعل نصفه في عبدالله ، ونصفه في أبي طالب ، ثمّ أخرج الذي لي إلى آمنة ، والنصف إلى ←

(١) الكافي : ج١ ص٣٨٩ باب خلق أبدان الأئمّة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام ح١ .

. . . .

فاطمة بنت أسد ، فأخرجتني آمنة ، وأخرجت فاطمة علياً .

ثمّ أعاد عزّوجلّ العمود إليّ فخرجت منّي فاطمة ، ثمّ أعاد عزّوجلّ العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين ـ يعني من النصفين جميعاً ـ فما كان من نور علي فصار في ولد الحسن ، وما كان من نوري صار في ولد الحسين ، فهو ينتقل في الأئمّة من ولده إلى يوم القيامة »[١].

٣ ـ حديث سلمان الفارسي رضوان الله عليه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : « ياسلمان فهل علمت مَن نقبائي ومَن الإثنا عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدي ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : ياسلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت ، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه ، وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته ، وخلق منّي ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه ، فسمّانا بالخمسة الأسماء من أسمائه :

الله المحمود وأنا محمّد ، والله العلي وهذا علي ، والله الفاطر وهذه فاطمة ، والله ذو الإحسان وهذا الحسن ، والله المحسن وهذا الحسين ، ثمّ خلق منّا من صلب الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة وأرضاً مدحيّة ، أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً ، وكنّا بعلمه نوراً نسبّحه ونسمع ونطيع » الخبر[٢].

٤ ـ حديث محمّد بن حرب الهلالي ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « إنّ محمّداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله جلّ جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام ، وإنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً وقد انشعب منه شعاع لامع .

فقالت : إلهنا وسيّدنا ما هذا النور ؟

---

(١) بحار الأنوار : ج١٥ ب١ ص٧ ح٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٥ ب١ ص٩ ح٩ .

. . . .

فأوحى الله عزّوجلّ إليهم : هذا نور من نوري أصله نبوّة ، وفرعه إمامة ، فأمّا النبوّة فلمحمّد عبدي ورسولي ، وأمّا الإمامة فلعلي حجّتي ووليي ، ولولاهما ما خلقت خلقي » الخبر[١].

٥ ـ حديث جابر الجعفي قال : كنت مع محمّد بن علي عليهما السلام فقال : « ياجابر خُلقنا نحن ومحبّينا من طينة واحدة بيضاء نقيّة من أعلى علّيين فخُلقنا نحن من أعلاها وخلق محبّينا من دونها ، فإذا كان يوم القيامة التفّت العليا بالسفلى .

وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجزة نبيّنا ، وضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا ، فأين ترى يصيّر الله نبيّه وذرّيته ؟ وأين ترى يصيّر ذرّيته محبّيها ؟

فضرب جابر يده على يده فقال : دخلناها وربّ الكعبة ثلاثاً »[٢].

وقد طابت تلك الأرواح الزكيّة .

وطهرت تلك الأبدان الشريفة .

وقد كانت واحدة تشعّب بعضها من بعض ، كما قال عزّ إسمه : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[٣].

وقد خلقوا جميعاً من نور عظمة الله تعالى ، خلقهم الله من نور تحت العرش الإلهي كما في حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[٤]. وخلق عدوّهم من سجّين كما تلاحظه في الحديث[٥].

واعلم أنّ الطيّب مقابل الخبيث ، والطيّب من الإنسان هو : من تعرّى من نجاسة

---

(١) بحار الأنوار : ج١٥ ب١ ص١١ ح١٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٥ ب١ ص١١ ح١٦ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣٤ .

(٤) كتاب سليم بن قيس : ج٢ ص٨٥٤ .

(٥) البصائر : ص١٤ ح٢ و٥ .

. . . .

الجهل والفسق وقبائح الأعمال ، وتحلّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال ومنه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[١]ـ[٢].

كما وأنّ التطهير هو : التنزّه والتخليص عن لوث الأرجاس والأنجاس والخبائث والمعاصي وغيرها من المعايب الظاهرية والباطنية[٣].

وأهل البيت عليهم السلام نور واحد طيّبون طاهرون روحاً وبدناً ، من نفس طينة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد تظافرت أخبار الطينة في ذلك حتّى من العامّة بطرقٍ عديدة نختار منها حديث الحافظ أبي نعيم باسناده عن ابن عبّاس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال علياً من بعدي وليوال وليّه وليقتد بالأئمّة من بعدي ، فإنّهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، رزقوا فهماً وعلماً ، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي للقاطعين فيهم صلتي ولا أنالهم الله شفاعتي »[٤].

واعلم أنّ في نسخة مصباح الشيخ الكفعمي وردت هذه الفقرة هكذا :

« وأنّ أنواركم وأشباحكم وسناءكم وظلالكم وأرواحكم وطينتكم واحدة ، جلّت وعظمت وبوركت وقدّست وطابت وطهرت بعضها من بعض ، لم تزالوا بعين الله وعنده في ملكوته أنواراً تأمرون ، وله تخافون ، وإيّاه تسبّحون ، وبعرشه محدقون ، وبه حافّون ، حتّى مَنّ بكم علينا » .

---

(١) سورة النحل : الآية ٣٢.

(٢) المفردات : ص٣٠٩ .

(٣) مرآة الأنوار : ص١٥٠ .

(٤) إحقاق الحقّ : ج٥ ص١١١ .

خَلَقَكُمْ اللّٰهُ اَنْوٰاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ حَتّىٰ مَنَّ عَلَيْنٰا بِكُمْ(١)

(١) أي خلقكم الله مُذ خلقكم ـ أنواراً من نور عظمته ـ كما تقدّم ـ فجعلكم بعرشه محدقين ، أي : طائفين حوله ..

من أحدق بالشيء أي أطاف وأحاط به(١).

وأمّا معنى العرش فهو وإن كان لا يعلم حقيقته العليا إلاّ الله تعالى وأهل بيت الهدى عليهم السلام(٢) إلاّ أنّا نستضيء بأشعّةٍ ممّا يمكن فهمه فنقول :

كلمة العرش أساساً في اللغة العربية جاءت لمعانٍ عديدة منها :

١ ـ سرير الملك ، ويكنّى به عن العزّة والسلطان والمملكة والملك .

٢ ـ عرش الرجل : قوام أمره ، فإذا زال عنه ذلك قيل ثُلَّ عرشه .

٣ ـ ركن القصر وجانبه .

٤ ـ سقف البيت .

٥ ـ ما عرّش من بناء يُستظلّ به .

٦ ـ عرش الكُرم إذا حمل على خشب ونحوه ليمتدّ عليه .

٧ ـ وعرش القوم رئيسهم المدبّر لأمرهم .

٨ ـ وعرش القدم ما ارتفع من ظهر القدم كما يستفاد من كتب اللغة(٣).

وأمّا معناه الشرعي فقد قال الشيخ الصدوق رحمه الله :(اعتقادنا في العرش أنّه جملة ←

---

(١) مجمع البحرين : ص٤٢٥ .

(٢) جاء في دعاء تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : « وأسألك باسمك الذي خلقت به عرشك الذي لا يعلم ما هو إلاّ أنت » . بحار الأنوار : ج٥٨ ص٣٦ ب١ ح٦٠ .

(٣) العين : ج٢ ص١١٧١ ، مجمع البحرين : ص٣٤٠ ، المفردات : ص٣٢٩ ، مرآة الأنوار : ص١٦٠ ، لسان العرب : ج٦ ص٣١٣ ، النهاية الأثيرية : ج٣ ص٢٠٧ ، المصباح : مادّة عرش ، القاموس : ج٢ ص٢٧٧ ، تاج العروس : ج٤ ص٣٣١ ، أساس البلاغة : ص٤١٤ .

. . . .

جميع الخلق .

والعرش في وجه آخر هو العلم .

فأمّا العرش الذي هو جملة جميع الخلق فحَمَلَته ثمانية من الملائكة .

وأمّا العرش الذي هو العلم ، فحملته أربعة من الأوّلين ، وأربعة من الآخرين .

فأمّا الأربعة من الأوّلين : فنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى . وأمّا الأربعة من الآخرين : فمحمّد ، وعلي ، والحسن ، والحسين ، صلّى الله عليهم .

هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمّة عليهم السلام في العرش وحملته)[1].

فيستفاد من كلامه رحمه الله أنّ للعرش معنيان في الشرع .

وجاء في التصحيح :

(فأمّا العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك ، وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة ، وتعبّد الملائكة عليهم السلام بحمله وتعظيمه ، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض وأمر البشر بقصده وزيارته والحجّ إليه وتعظيمه .

وقد جاء في الحديث : أنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه : البيت المعمور ، تحجّه الملائكة في كلّ عام ، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سمّاه الضرّاح وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله ، وخلق البيت الحرام في الأرض وجعله تحت الضراح .

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « لو أُلقي حجر من العرش لوقع على ظهر البيت المعمور ، ولو أُلقي حجر من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام .

ولم يخلق الله عرشاً لنفسه ليستوطنه ، تعالى الله عن ذلك . لكنّه خلق عرشاً

---

(١) الإعتقادات : ص ٤٥ .

. . . .

أضافه إلى نفسه تكرمة له وإعظاماً وتعبّد الملائكة بحمله ،كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا ليسكنه ، تعالى الله ذلك كلّه . لكنّه خلقه لخلقه وأضافه لنفسه إكراماً له وإعظاماً ، وتعبّد الخلق بزيارته والحجّ إليه »)[١].

وأمّا الأحاديث الشريفة الواردة في ذلك فهي كثيرة وفيرة نتبرّك منها بما يلي :

١ ـ حديث البرقي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه : « إنّ العرش خلقه الله تعالى من أنوارٍ أربعة : نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة ، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة ، ونور أبيض منه [ابيضّ] البياض وهو العلم الذي حمّله الله الحملة ... »[٢].

٢ ـ حديث صفوان بن يحيى ، عن الإمام الرضا عليه السلام الذي جاء فيه : « العرش ليس هو الله ، والعرش اسم علم وقدرة ، وعرش فيه كلّ شيء ... »[٣].

٣ ـ حديث داود الرقي ، عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ﴾[٤] أنّه قال :

« إنّ الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر ، فلمّا أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم : مَن ربّكم ؟

فأوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة صلوات الله عليهم فقالوا : أنت ربّنا ، فحمّلهم العلم والدين ... »[٥].

٤ ـ حديث مقاتل بن سليمان قال : سألت جعفر بن محمّد عليهما السلام عن قول الله

---

(١) تصحيح الإعتقاد : ص٧٦ .

(٢) الكافي : ج١ باب العرش والكرسي ص١٢٩ ح١ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٣٠ ح٢ .

(٤) سورة هود : الآية ٧ .

(٥) الكافي : ج١ ص١٣٢ ح٧ .

. . . .

عزّوجلّ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١].

قال : « استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء »[٢].

٥ ـ حديث المفضّل ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما ؟

فقال : « العرش في وجه هو جملة الخلق ، والكرسي وعاؤه ، وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه ، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحداً من أنبيائه [ورسله] وحججه عليهم السلام »[٣].

هذا تفسير العرش في الأحاديث التي بيّنها الأئمّة الطاهرون عليهم السلام الذين هم الألسنة الناطقة عن صاحب العرش جلّ جلاله .

وأهل البيت عليهم السلام خلقهم الله أنواراً كانوا يطوفون حول العرش الإلهي حتّى مَنّ علينا بهم فجعلهم أئمّتنا وسادتنا وقادتنا في الدنيا والآخرة ، وأولياءنا وموالينا وهداتنا إلى الكتاب والحكمة ، ووسائل البركة لنا بدين الإسلام وسعادة الختام .

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٤].

والمَنّ هو الإنعام والإحسان ، وقد أنعم الله علينا وأحسن إلينا بأهل البيت أئمّتنا عليهم السلام ، الذين هم النعمة الكبرى والعطيّة العظمى ، والحمد لله ربّ العالمين .

---

(١) سورة طه : الآية ٥ .

(٢) التوحيد : ص٣١٧ ح٧ ، معاني الأخبار : ص٢٩ ح١ .

(٣) معاني الأخبار : ص٢٩ ح١ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٦٤ .

فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ اَذِنَ اللّٰهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ[١]

(١) ـ أي أنّ الله تعالى حيث خلقكم أنواراً ثمّ مَنّ علينا بكم جعلكم في بيوتٍ أذن في رفعة قدرها وذكر إسمه الشريف فيها .

وهذه الفقرة الشريفة إشارة إلى قوله عزّ إسمه : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

فإنّها نزلت في أهل البيت عليهم السلام باتّفاق الفريقين .

وقد نقل رواياته العلّامة البحراني قدس سره في تسعة أحاديث من طرق الخاصّة وأربعة أحاديث من طرق العامّة[٢].

وأضاف العلّامة التستري قدس سره في الإحقاق نقل نصوصه عن ثلّة من أعلام العامّة في كتبهم مثل الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، والسيوطي في الدرّ المنثور ، والبدخشي في مفتاح النجا ، وابن حسنويه في دُرّ بحر المناقب ، والثعلبي في الكشف والبيان ، والأمرتسري في أرجح المطالب ، والبغدادي في عوارف المعارف ، والآلوسي في روح المعاني[٣].

وللتبرّك بتفسير الآية الشريفة نذكر بعض أحاديث تفسيرها :

١ ـ حديث أنس بن مالك وبريدة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قالا : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ فقام إليه رجل فقال : أيّ بيوت هذه يارسول الله ؟

(١) سورة النور : الآية ٣٦ ـ ٣٨. (٢) غاية المرام : ص٣١٧ .

(٣) إحقاق الحقّ : ج٣ ص٥٥٨ ، وج٩ ص١٣٧ ، وج١٤ ص٤٢١ ، وج١٨ ص٥١٥ .

. . . .

فقال : « بيوت الأنبياء .

فقام إليه أبو بكر فقال : يارسول الله هذا البيت منها ؟

وأشار إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام .

قال : نعم من أفضلها »[1].

٢ ـ حديث الثمالي ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : أتى قتادة بن دعامة البصري أبا جعفر عليه السلام فقال عليه السلام له : « أنت فقيه أهل البصرة ؟

قال : نعم .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : ويحك ياقتادة إنّ الله عزّوجلّ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه ، فهم أوتاد في أرضه ، قوّام بأمره ، نجباء في علمه ، إصطفاهم قبل خلقه أظلّة عن يمين عرشه .

قال : فسكت قتادة طويلاً ثمّ قال : أصلحك الله ، والله لقد جلستُ بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عبّاس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : أتدري أين أنت ؟ بين يدي ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ فأنت ثَمّ ، ونحن أُولئك .

فقال له قتادة : صدقت والله جعلني الله فداك ، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين »[2].

٣ ـ حديث عيسى بن داود ، عن الإمام الكاظم عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ *

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٣٢٥ ب١٩ ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٣٢٩ ب١٩ ح١٠ .

. . . .

رِجَالٌ﴾ .

قال : « بيوت آل محمّد ﷺ بيت علي وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر عليهم السلام .

قلت : ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

قال : الصلاة في أوقاتها ، قال : ثمّ وصفهم الله عزّوجلّ وقال : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ قال : هم الرجال لم يخلط الله معهم غيرهم ، ثمّ قال : ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ قال : ما اختصّهم به من المودّة والطاعة المفروضة ، وصيّر مأواهم الجنّة ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ »(١).

كما وأنّ الآيات التي تليها نزلت في أعدائهم بما تلاحظه في حديث صالح ابن سهل الهمداني عن الإمام الصادق عليه السلام فراجع(٢).

ثمّ أنّ البيوت : يحتمل أن يراد بها البيوت المعنويّة التي هي بيوت العلم والحكمة وغيرهما من الكمالات ، والذكر فيها كناية عن إستفاضة تلك الأنوار منهم .

أو البيوت الصورية التي هي بيوت النبي والأئمّة صلوات الله عليه وعليهم في حياتهم ومشاهدهم بعد وفاتهم كما فسّره العلّامة المجلسي قدس سره(٣).

وأضاف أعلى الله مقامه عند احتمال إرادة البيوت المعنوية قوله : فانّه شائع في العرب والعجم التعبير عن الأنساب الكريمة والأحساب الشريفة بالبيوت(٤).

وأمّا إذن الله تعالى : ففُسّر بأمره تعالى في مثل الحديث الرضوي الشريف الوارد

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٣٢٦ ب١٩ ح٤ .

(٢) الكافي : ج١ ص١٩٥ ح٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٤١ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٣٢٦ .

. . . .

في تفسير قوله عزّ إسمه : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾[١] جاء فيه : « وإذنه أمره لها بالإيمان »[٢].

وأن ترفع : فسّر بمعنى أن ترفع بالتعظيم ورفع القدر من الأرجاس ، والتطهير من المعاصي والأدناس .

وقيل : رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى ، أو عمومها مع الرفع بالبناء ، حيث قال المفسّر المشهدي : والأولى الحمل على الأعمّ منهما ومن الرفع بالبناء ، ثمّ قال : (ويذكر فيها إسمه عام فيما يتضمّن ذكره)[٣].

واعلم أنّ في نسخة المصباح للكفعمي هنا بعد هذه الفقرة إضافة كثيرة جاء فيها : « تولّى عزّ ذكره تطهيرها ، ورضى من خلقه بتعظيمها ، فرفعها على كلّ بيت قدّسه ، وأعلاها على كلّ بيت طهّره في السماء ، لا يوازيها خطر ، ولا يسمو إلى سمائها النظر ، ولا يقع على كنهها الفكر ، ولا يطمح إلى أرضها البصر ، ولا يغادر [ولا يعادل] سكّانها البشر ، يتمنّى كلّ أحد أنّه منكم ، ولا يتمنّون [تتمنّون] أنّكم من غيركم ، إليكم انتهت المكارم والشرف ، وفيكم استقرّت الأنوار والعزم والمجد والسؤدد ، فما فوقكم أحد إلّا الله ، ولا أقرب إليه ، ولا أخصّ لديه ، ولا أكرم عليه منكم . أنتم سكن البلاد ، ونور العباد ، وعليكم الإعتماد يوم التناد ، كلّما غاب منكم حجّة ، أو أفل منكم عَلَم أطلع الله على خلقه (لخلقه نسخة) من عقب الماضي خَلَفاً إماماً ونوراً هادياً ، وبرهاناً مبيّناً نيّراً ، داعياً عن داع ، وهادياً بعد هادٍ ، وخزنة وحفظة ، لا يفيض بكم غوره ، ولا تنقطع عنكم موادّه ، ولا يسلب منكم أريجه ، سبباً موصولاً من الله إليكم ، ورحمة منه علينا ، يرشدنا إليه ، ويقرّبنا منه ويزلفنا لديه ».

---

(١) سورة يونس : الآية ١٠٠ .
(٢) مرآة الأنوار : ص٥٨ .
(٣) كنز الدقائق : ج٩ ص٣١٢ .

وَجَعَلَ صَلَواتِنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طِيباً لِخَلْقِنا[١]

(١) ـ صلواتِنا ـ ورد هكذا في العيون والفقيه ، وفي بعض النسخ صلاتنا ـ مأخوذة من الصلاة ، وألفها في الأصل واو لأنّ جمعها صلوات[١].

وصلوات الله على أنبيائه والصالحين من خلقه : حسن ثنائه عليهم ، وحسن ذكره لهم[٢].

والصلاة في الأصل اللغوي هو : الدعاء ، وطلب الرحمة من الله بالصلوات دعاء[٣].

ويراد بالصلوات في الإستعمال : الإعتناء بإظهار الشرف ورفع الشأن .

وجاءت بمعنى التعظيم ، قيل : ومنه اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد أي عظّمه في الدنيا بإعلاء ذكره ، وإظهار دعوته ، وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بتشفيعه في أُمّته وتضعيف أجره ومثوبته[٤].

هذا ما في اللغة ، وأمّا المستفاد من الأخبار الشريفة في معنى الصلوات فقد أفاد في المرآة:

(الصلوات قد نسبت في القرآن الكريم إلى الله تعالى ، وإلى الملائكة ، وإلى المؤمنين .

فهي من الله الرحمة والتزكية والثناء ، ومن الملائكة مدحهم وتزكيتهم ، ومن المؤمنين والناس الدعاء والتصديق والإقرار بالفضل وفعل العبادة كما يستفاد من الأخبار)[٥].

---

(١) المحيط : ج٨ ص١٨٤ .

(٢) كتاب العين : ج٢ ص١٠٠٦ .

(٣) لسان العرب : ج١٤ ص٤٦٤ .

(٤) مجمع البحرين : ص٥٤ .

(٥) مرآة الأنوار : ص١٤٦ .

. . . .

وهناك معنى إقتضائي دقيق للصلوات في حديث معاني الأخبار بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه :

« من صلّى على النبي صلى الله عليه وآله فمعناه أنّي أنا على الميثاق والوفاء الذي قبلتُ حين قوله : ألست بربّكم قالوا : بلى »(١).

وولايتكم : من الولاية بالكسر وهي الأولوية الثابتة لهم عليهم السلام .

وقد تقرأ بفتح الواو فتكون بمعنى المحبّة .

وولايتهم عليهم السلام هي الولاية الإلهية التامّة المطلقة على الجميع ، الثابتة لله تعالى ولرسوله بقرينة المسانخة والحصر في قوله عزّ إسمه :

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٢).

وهي الولاية الثابتة للنبي الأكرم في قوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٣).

وقد أثبتها الرسول بأمر الله تعالى ، وجاءت في الأحاديث المتواترة بين الفريقين مثل حديث الغدير الشريف ، لأمير المؤمنين وأولاده المعصومين سلام الله عليهم أجمعين .

فولايتهم هي الولاية العظمى ، والإمامة الكبرى ، والمالكية المُثلى ، التي هي أساس الدين في شريعة سيّد المرسلين كما تشهد به الأحاديث المتظافرة(٤).

وقد تقدّم بيان ولايتهم التكوينية والتشريعية في فقرة : « والسادة الولاة » .

---

(١) معاني الأخبار : ص١١٥ ح١ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٥٥ .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٦ .
(٤) الكافي : ج٢ ص١٨ باب دعائم الإسلام الأحاديث .

. . . .

وطِيْباً : مفعول ثانٍ لجَعَلَ ، والطيب يطلق على معانٍ عديدة :

الأول : المستلذّ ، الثاني : ما حلّله الشارع ، الثالث : ما كان طاهراً ، الرابع : ما خلى عن الأذى في النفس والبدن ، والطيّب يقابله الخبيث[1].

وطيب الخَلق : بفتح الخاء هي طهارة المولد ، يقال : فلان طاب مولده أي ولد من حلال .

وقد يقرأ طيب الخُلق بضمّ الخاء فهو بمعنى تزكية الأخلاق ، والأخلاق الحسنة .

فمعنى هذه الفقرة الشريفة أنّه جعل الله تعالى صلواتنا عليكم أهل البيت ، وموالاتكم التي خصّنا الله تعالى بها موجبة لطيب ولادتنا ، وسبباً لتزكية أخلاقنا ـ على قراءة ضمّ الخُلق ـ فإنّهم أُسوة الأخلاق الحسنة ، فالصلوات عليهم يذكّر بأخلاقهم ويُبارك لشيعتهم ، وفي جدّهم جاء : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

والصلوات حينما كانت تصديقاً بالنبي وآله ، وإقراراً بفضلهم ، ووفاءً بميثاقهم كانت قبولاً لولايتهم ومحبّة لهم .

وقبول ولايتهم وحبّهم علامة لطيب الولادة ، وموجب لطهارة المولد كما إستفاضت وتواترت به الأخبار الشريفة ، ومنها :

أوّلاً / أحاديث كتاب المحاسن مثل :

١ ـ حديث المدائني قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إذا برد على قلب أحدكم حبّنا فليحمد الله على أولي النعم .

قلت : على فطرة الإسلام ؟

قال : لا ، ولكن على طيب المولد ، إنّه لا يحبّنا إلّا من طابت ولادته ولا يبغضنا

---

(١) مجمع البحرين : ص١٢٥ .

(٢) سورة القلم : الآية ٤ .

. . . .

إلّا الملزق الذي [تأتي] به أُمّه من رجل آخر فتلزمه زوجها ، فيطّلع على عوراتهم ويرثهم أموالهم ، فلا يحبّنا ذلك أبداً ، ولا يحبّنا إلّا من كان صفوة ، من أي الجيل كان » .

٢ ـ حديث إسحاق قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « من وجد منكم برد حبّنا على قلبه فليحمد الله على أولىٰ النعم .

قلت : وما أولى النعم ؟

قال : طيب الولادة ».

٣ ـ حديث الحسين بن علوان عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا كان يوم القيامة يُدعى الناس جميعاً بأسمائهم وأسماء أُمّهاتهم ستراً من الله عليهم إلّا شيعة علي عليه السلام فإنّهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وذلك أن ليس فيهم عهر »[1].

ثانياً / أحاديث كتاب البحار مثل :

١ ـ حديث الطبرسي ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام : « ياعلي لا يحبّك إلّا من طابت ولادته ، ولا يبغضك إلّا من خبثت ولادته ، ولا يواليك إلّا مؤمن ولا يعاديك إلّا كافر » .

٢ ـ حديث الكرخي ، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : « علامات ولد الزنا ثلاث : سوء المحضر ، والحنين إلى الزنا ، وبغضنا أهل البيت » .

٣ ـ حديث قيس العطّار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « إنّما يحبّنا من العرب والعجم أهل البيوتات وذوو الشرف وكلّ مولود صحيح ، وإنّما يبغضنا من هؤلاء كلّ مدنّس

---

(١) المحاسن : ص١٠٤ باب٩ طيب المولد الأحاديث ٢٥ و٢٦ و٣٤ .

. . . .

مطرّد[١]» .

٤ ـ حديث جابر بن عبدالله الأنصاري قال : كنّا بمنى مع رسول الله ﷺ إذ بصرنا برجل ساجد وراكع ومتضرّع .

فقلنا : يارسول الله ما أحسن صلاته ؟

فقال عليه السلام : هو الذي أخرج أباكم من الجنّة .

فمضى إليه علي عليه السلام غير مكترث فهزّه هزّة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى ، ثمّ قال : لأقتلنّك إن شاء الله .

فقال : لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من عند ربّي ، ما لك تريد قتلي ؟ فوالله ما أبغضك أحد إلّا سَبَقت نطفتي إلى رحم أُمّه قبل نطفة أبيه ، ولقد شاركت مبغضيك في الأموال والأولاد ، وهو قول الله عزّوجلّ في محكم كتابه : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[٢].

قال النبي ﷺ : صدق ياعلي لا يبغضك من قريش إلّا سفاحي ، ولا من الأنصار إلّا يهودي ، ولا من العرب إلّا دعي ، ولا من سائر الناس إلّا شقي ، ولا من النساء إلّا سلقلقية وهي التي تحيض من دبرها .

ثمّ أطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال : معاشر الأنصار أعرضوا أولادكم على محبّة علي .

قال جابر بن عبدالله : فكنّا نعرض حبّ علي عليه السلام على أولادنا فمن أحبّ عليّاً علمنا أنّه من أولادنا ، ومن أبغض عليّاً انتفينا منه »[٣].

---

(١) يقال : دنّس ثوبه أي فعل به ما يشينه ، وطردته أي نفيته عنّي .

(٢) سورة إسراء : الآية ٦٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١٤٥ ب٥ الأحاديث الثلاثون ومنها الحديث ١ و٢ و١٤ و٢٠ .

. . . .

⬅هذا كلّه في فضل الولاية ، وأمّا الفضائل الشامخات في أنواع الصلوات فتلاحظها مجموعة في كتاب الوصايا[1] عند بيان وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في قوله : « ياعلي : من نسى الصلاة عليَّ فقد أخطأ طريق الجنّة .. » فلاحظها ، ومن تلك الفضائل السنيّة ما صرّحت به هذه الزيارة المباركة : أنّ الصلاة عليهم مع ولايتهم تكونان طيباً لخلقنا .

وفي نسخة الكفعمي : « وجعل صلواتنا عليكم وذكرنا لكم وما خصّنا به من ولايتكم وعرفناه من فضلكم طيباً لخلقنا » .

---

(١) وصايا الرسول لزوج البتول عليهما السلام : ص١٢٣ .

وَطَهارَةً لأَنْفُسِنا[١] وَتَزْكِيَةً لَنا[٢]

(١) ـ وطهارة لأنفسنا ، أي وتكونان يعني الصلوات والولاية سبباً لطهارة أي نزاهة أنفسنا أي أرواحنا .

فإنّ التطهّر هو التنزّه عن لوث الأرجاس والأنجاس والمعاصي والنقائص الظاهرية والباطنية .

والصلوات والولاية توجبان طهارة الباطن والنفس وصفائها ، وخلوصها عن الرذائل ، وتحليتها بالفضائل .

فإنّ ذكرهم مع ولايتهم عبادة مقبولة ومغفرة موفورة تقتضي القرب إليهم في الصفات الفضائل ، والبعد عن أعداءهم أصحاب الصفات الرذائل .

وخير صفاءٍ للروح وكرامة للباطن يكون بإزدياد الولاء لأهل البيت عليهم السلام وارتقاء درجات الإيمان بهم ، كما تلاحظه في صفوة أصحابهم ، وخُلّص المؤمنين بهم ، من دون حاجة إلى الرياضات الباطلة .

فإنّ الولاء لهم يوجب الإطاعة لهم ، إذ المحبّ مطيعٌ لمن أحبّ ، وطاعتهم هي طاعة الله تعالى .

لذلك تكون الولاية محصّلة للتقوى التي هي طاعة الله في إتيان الواجبات وترك المحرّمات فتوجب طهارة النفس وتزكية الإنسان .

(٢) ـ أي تطهيراً لنا من الأعمال القبيحة ، والعقائد الفاسدة ، والآراء الباطلة .

إذ التزكية هي : التطهير من الأخلاق الذميمة الناشئة من شَرَه البطن والكلام ، والغضب ، والحسد ، والبخل ، وحبّ الجاه ، وحبّ الدنيا ، والكبر، والعجب[١].

والزكاة هو : ما أخرجته من مالك لتطهّره به ، وزكى المال أي : نمى وزاد ، ⇐

---

(١) مجمع البحرين : ص٤١ .

. . . .

والزكيّ من الطعام : الطيّب الحلال ، ومن الناس الطاهر من الذنوب ، وقيل : التامّ في أفعال الخير[١].

والصلوات والولاية توجبان طهارة نفوسنا ، للملاك المتقدّم أي القرب إليهم عليهم السلام.

والمحكي عن بعض النسخ هنا « وبركةً لنا » فإنّ الصلاة عليهم مع ولايتهم جالبة للبركة الدائمة والخيرات المهمّة ، فهم مستقر بركة الله كما تلاحظ شرحه في الفقرة المتقدّمة من هذه الزيارة الشريفة : « ومساكن بركة الله » .

(١) مرآة الأنوار : ص١١٥ .

وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنا[١]

(١) أي ماحيّةً لذنوبنا الكبائر والصغائر .

من التكفير الذي هو محو السيّئات والذنوب .

يقال : كفّر الله عنه الذنوب أي محاها ، ومنه الكفّارة ، وهيَ فَعّالة من الكَفر وهي التغطية ، لأنّها تكفّر الذنب عن الإنسان أي تمحوه وتستره وتغطّيه[١].

وفي قوله تعالى : ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾[٢].

فُسّرت الذنوب بالكبائر ، والسيّئات بالصغائر[٣].

فالصلوات والولاية توجبان محو الذنوب حتّى الكبائر .. للوجه المتقدّم مضافاً إلى الأدلّة الخاصّة في فضل الصلوات وأنّها تمحو الذنوب وقد ذكرناها في كتاب الوصايا فلا نعيد[٤].

وكذا الأدلّة الأُخرى في أنّ ولايتهم ومحبّتهم تحطّ الذنوب ، كما تلاحظه في باب ثواب حبّهم ونصرهم وولايتهم مثل :

١ ـ حديث الأزدي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « من أحبّنا نفعه الله بذلك ولو كان أسيراً في يد الديلم ، ومن أحبّنا لغير الله فإنّ الله يفعل به ما يشاء .

إنّ حبّنا أهل البيت ليحطّ الذنوب عن العباد كما تحطّ الريح الشديدة الورق عن الشجر » .

٢ ـ حديث حفص الدهّان قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ فوق كلّ عبادة عبادة ، وحبّنا أهل البيت أفضل عبادة » .

(١) مجمع البحرين : ص٣٠١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٣ .

(٣) مجمع البحرين : ص١١٥ .

(٤) وصايا الرسول لزوج البتول عليهما السلام : ص١٢٤ .

. . . .

٣ـ حديث الحسين بن مصعب قال : سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول : « من أحبّنا وأحبّ محبّنا لا لغرض دنيا يصيبها منه ، وعادى عدوّنا لا لإحنة كانت بينه وبينه ثمّ جاء يوم القيامة وعليه من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر غفر الله تعالى له » .

٤ ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله زوّار قبره الملائكة بالرحمة .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة .

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله .

ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة »(١).

بل ثبت في المؤمنين الذين تابوا وعملوا صالحاً أنّه تبدّل سيّاتهم حسنات كما في سورة الفرقان (الآية ٧٠)(٢) وتلاحظ حكاية دعاء مولاهم الإمام المنتظر عليه السلام

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٧٣ ب٤ الأحاديث خصوصاً الحديث٩ و٤٨ و٧٧ و٨٤ .
(٢) كنز الدقائق : ج٩ ص٤٣١ .

. . . .

لهم بالغفران[١].

كلّ هذا الفيض يضاف إليه : أنّ الصلاة عليهم مع لعن أعدائهم من مصاديق التولّي والتبرّي اللذين هما الركنان الأساسيان في الدين الحنيف .. « وهل الدين إلّا الحبّ والبغض »[٢].

فلا عجب في أن يكون الولاء لهم والصلاة عليهم كفّارة للذنوب ، وماحية للعيوب.

(١) كتاب جنّة المأوى المطبوع في البحار : ج٥٣ ص٣٠٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٦٨ ص٦٣ ب١٥ ح١١٤ .

فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ(١)

(١) ـ قوله عليه السلام: « فكنّا » : مرتبط بجعل الصلاة والتولّي طيباً لخلقنا الخ ، وكبيان الوجه له .

وعنده : أي في علمه ، أو في اللوح المحفوظ .

ومسلّمين : بالتشديد أي منقادين ، من التسليم بمعنى الإنقياد .

وبفضلكم : أي بفضلكم على العالمين ، واعلائية درجتكم عليهم .

فالمعنى إنّه كنّا نحن في علم الله تعالى منقادين بالإنقياد القلبي الحقيقي بفضلكم أهل البيت على العالمين .

ويدلّ على هذا أخبار الطينة وعرض الولاية علينا في العالم السابق ، وقبولنا للولاية في الذرّ والأظلّة ، وقد أشرنا إليها في آخر الفصل الثاني في فقرة : « وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى » فراجع .

وتلاحظ أخبار الطينة مجموعة عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(١)ـ(٢).

واعلم أنّ في بعض النسخ مسمّين ـ بدل مسلّمين ـ أي كنّا مكتوبة أسماؤنا أنّنا من شيعتكم .

ويدلّ عليه الحديث الرضوي الشريف : « ... وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسماءهم وأسماء آبائهم ، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق ، يردون موردنا ، ويدخلون مدخلنا ، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم »(٣).

وفي نسخة الكفعمي : « إذ كنّا عنده بكم مؤمنين مسوّمين ، وبفضلكم معروفين ، وبتصديقنا إيّاكم مشكورين ، وبطاعتنا لكم مشهورين » .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ .

(٢) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٢٨ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢٢٣ ح١ .

وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنا اِيّاكُمْ(١)

(١) ـ أي وكنّا عند الله تعالى معروفين أيضاً بتصديقنا إيّاكم في الإمامة والفضيلة وفرض الطاعة .

والتصديق هو : الإعتراف بالصدق .

وفي تلك النشأة الأُولى حصل تصديق الشيعة الأبـرار للأئـمّة الأطـهار عليهم السلام ، وعُرفوا عند الله تعالى بتصديقهم لحججه وخلفائه ، والحمد لله على آلائه .

ويدلّ عليه أخبار الطينة والميثاق التي تقدّم ذكرها ومنها :

حديث بكير بن أعين ، عن الإمام الباقر عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار له بالربوبية ، ولمحمّد بالنبوّة ، وعرض على محمّد صلى الله عليه وآله أمّته في الظلّ وهم أظلّة ، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم ، وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عـام ، وعـرضهم عـليه ، وعرّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام ونحن نعرفهم في لحن القول »(١).

فالمؤمنون بأهل البيت عليهم السلام معروفون عند الله تعالى .

وسيعرّفهم يوم القيامة بنور الايمان الذي يتجلّى منهم ، مع بشارة الملائكة لهم بجنّات الخلد كما في قوله عزّ إسمه : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢)ـ(٣).

وفي حديث جابر بن عبدالله الأنصاري قال : كنت ذات يوم عند النبي إذ أقبل بوجهه على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : « ألا أُبشّرك ياأبا الحسن ؟

(١) بحار الأنوار : ج٥ ص٢٥٠ ب١٠ ح٤٣ .

(٢) سورة الحديد : الآية ١٢ .

(٣) كنز الدقائق : ج١٣ ص٨٦ .

. . . .

قال : بلى يارسول الله .

قال : هذا جبرئيل يخبرني عن الله جلّ جلاله أنّه قد أعطى شيعتك ومحبّيك سبع خصال : الرفق عند الموت ، والأُنس عند الوحشة ، والنور عند الظلمة ، والأمن عند الفزع ، والقسط عند الميزان ، والجواز على الصراط ، ودخول الجنّة قبل النـاس ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم »[1].

(١) الخصال : باب السبعة ص٤٠٢ ح١١٢ .

فَبَلَغَ اللّٰهُ بِكُمْ اَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ وَاَعْلىٰ مَنٰازِلِ الْـمُقَرَّبِينَ وَاَرْفَـعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلِينَ[١]

(١) يعني بلّغكم الله تعالى أشرف محلّ عباده المكرّمين ، أي أفضل مراتبهم ، وأعلى منازل المقرّبين من الأنبياء والمرسلين .

وأرفع درجات المرسلين وهي درجة نبيّ الإسلام عليه وآله أفضل التحيّة والسلام .

وهذه الفقرات تقتضي بل تلازم أفضلية أهل البيت عليهم السلام على الأنبياء كأفضلية خاتم النبيين عليهم .

لأنّ لازم الأشرفية والأعلائية والأرفعية هي الأفضلية ، إذ غير الأفضل لا يكون أشرف أو أعلى أو أرفع .

ويدلّ على هذا المقام الكتاب الكريم والأحاديث الشريفة .

أمّا الكتاب : فقوله تعالى في آية المباهلة : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[١].

فالأنفس مفسّرة بأمير المؤمنين عليه السلام عند الخاصّة والعامّة .

والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله أفضل من جميع الأنبياء ، فيكون نفسه يعني أمير المؤمنين عليه السلام أفضل منهم أيضاً ، فلاحظ تفسير الآية من طرق الخاصّة في الكنز[٢] ومن طرق العامّة بتسعة عشر حديثاً في الغاية[٣].

والأئمّة الطاهرون عليهم السلام بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله كما صرّح به في حديث محمّد ابن ←

(١) سورة آل عمران : الآية ٦١ .

(٢) كنز الدقائق : ج٣ ص١٢١ .

(٣) غاية المرام : ص٣٠٠ .

. . . .

مسلم المتقدّم[١].

وأمّا الأحاديث فهي متواترة في ذلك، كما صرّح بالتواتر في روضة المتّقين[٢] ومن ذلك :

١ ـ حديث عبدالله بن الوليد قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : أي شيء يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين عليه السلام ؟

قلت : يقولون : إنّ عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام .

قال : فقال : أيزعمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله ؟

قلت : نعم، ولكن لا يقدّمون على أولوا العزم من الرسل أحداً .

قال أبو عبدالله عليه السلام : فخاصمهم بكتاب الله .

قال : قلت : وفي أي موضع منه أُخاصمهم ؟

قال : قال الله تعالى لموسى : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾[٣] إنّه لم يكتب لموسى كلّ شيء وقال الله تبارك وتعالى لعيسى : ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[٤] وقال الله تعالى لمحمّد صلى الله عليه وآله : ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٥].

٢ ـ حديث الحسين بن علوان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الله خلق أُولوا العزم من الرسل وفضّلهم بالعلم، وأورثنا علمهم وفضلهم، وفضّلنا عليهم في علمهم، وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعلّمنا علم الرسول صلى الله عليه وآله وعلمهم »[٦].

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٠ ب١٨ ح٢ .
(٢) روضة المتّقين : ج٥ ص٤٨٥ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ١٤٥ .
(٤) سورة الزخرف : الآية ٦٣ .
(٥) سورة النحل : الآية ٨٩ .
(٦) بصائر الدرجات : ص٢٢٧ ب٥ ح٢ .

. . . .

٣ ـ حديث علي بن إسماعيل عن بعض رجاله قال : قال أبو عبدالله عليه السلام لرجل : تمصّون الثماد[١] وتدعون النهر الأعظم .

فقال له الرجل : ما تعني بهذا يابن رسول الله ؟

فقال : عُلّم النبي صلى الله عليه وآله علم النبيين بأسره ، وأوحى الله إلى محمّد صلى الله عليه وآله فجعله محمّد صلى الله عليه وآله عند علي عليه السلام .

فقال له الرجل : فعلي عليه السلام أعلم أو بعض الأنبياء ؟

فنظر أبو عبدالله عليه السلام إلى بعض أصحابه فقال : إنّ الله يفتح مسامع من يشاء ، أقول له : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل ذلك كلّه عند علي عليه السلام فيقول : علي عليه السلام أعلم أو بعض الأنبياء »[٢].

٤ ـ حديث سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « لمّا لقي موسى العالم كلّمه وسائله نظر إلى خطّاف يصفر ويرتفع في السماء ويتسفّل في البحر .

فقال العالم لموسى : أتدري ما يقول هذا الخطّاف ؟

قال : وما يقول ؟

قال : يقول : وربّ السماء وربّ الأرض ما علمكما في علم ربّكما إلّا مثل ما أخذت بمنقاري من هذا البحر .

قال : فقال أبو جعفر عليه السلام أما لو كنت عندهما لسألتهما عن مسألة لا يكون عندهما فيها علم »[٣].

---

(١) الثماد : جمع الثمد بالفتح وبالتحريك ، هو ماء المطر يبقى محقوناً تحت رمل فإذا كشفت عنه أدّته الأرض .

(٢) بصائر الدرجات : ص٢٢٧ ب٥ ح٤ ، بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٩٥ ب١٥ ح٣ .

(٣) بصائر الدرجات : ص ٢٣٠ ب٦ ح٢ ، بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٩٦ ب١٥ ح٥ .

. . . .

➲ ٥ ـ حديث أبي ذرّ الغفاري قال : بينما ذات يوم من الأيّام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى ، ثمّ قال :

« ياجندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في خلّته ، وإلى موسى في مناجاته ، وإلى عيسى في سياحته ، وإلى أيّوب في صبره وبلائه ، فلينظر إلى هذا الرجل المقابل [المقبل] الذي هو كالشمس والقمر الساري، والكوكب الدرّي ، أشجع الناس قلباً ، وأسخى الناس كفّاً ، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

قال : فالتفت الناس ينظرون من هذا المقبل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام »[1].

فالدليل تامّ صريح على أفضلية أهل البيت عليهم السلام حتّى من الأنبياء أُولي العزم من الرسل .

وهذا المقام السامي تجري فيه الأوصاف التالية في هذه الزيارة المباركة : « حيث لا يلحقه لاحق » الخ .

وفي نسخة الكفعمي : « فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين ، وأفضل شرف المشرّفين » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٩ ص٣٨ ب٧٣ ح٩ .

حَيْثُ لاٰ يَلْحَقُهُ لاٰحِقٌ(١) وَلاٰ يَفُوقُهُ فاٰئِقٌ(٢) وَلاٰ يَسْبِقُهُ سٰابِقٌ(٣)

(١) ـ يقال : لحقه أي أدركه ، فعدم اللحوق هو عدم الإدراك .

أي لا يلحق ذلك المقام الأسمى والمحلّ الأشرف أحد غيركم ولا يبلغه أيّ واحد ممّن هو دونكم ، بل هو مختصّ بكم أهل البيت لا يدرككم أحد .

فإنّ مناقبهم الجميلة لا تنتهي إلى حدّ ، ولا تستقصى بالعدّ ، فكيف يلحقها لاحق ؟!

كما يدلّ على ذلك حديث الإمام الهادي عليه السلام عند سؤال يحيى بن أكثم منه عن قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

قال عليه السلام : « ... ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى »(٢).

(٢) ـ يقال : فاق الرجل أصحابه : أي علاهم في الفضل والشرف وغلبهم .

أي لا يعلوكم ولا يغلبكم في مقامكم الأسمى غالبٌ من المتفوّقين كالأنبياء حتّى أُولي العزم من المرسلين ، غير رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو سيّدكم أهل البيت ، ولا يتوصّل فكر أحدٍ إلى مقامهم الأسمى ، بل تقصر العقول عن الوصول إلى معرفتهم العليا.

كما تجلّى ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية: «ولا يرقى إليّ الطير »(٣).

(٣) يقال : سبق الشيء : أي تقدّمه وتجاوز عنه .

أي لا يتقدّم ولا يتجاوز عن مقامكم الأرفع أحد من السابقين إلى الفضائل . فإنّه إذا لم يتمكّن أحد من أن يلحقهم لم يتمكّن من سبقهم بالأولوية .

(١) سورة لقمان : الآية ٢٧ . (٢) الإحتجاج : ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ .

وَلاٰ يَطْمَعُ فِي إِدْرٰاكِهِ طٰامِعٌ[١] حَتّىٰ لاٰ يَبْقىٰ[٢]

(١) ـ يقال : طمع في الشيء : إذا حرص عليه ورجاه ، ولا مطمع له في هذا الأمر أي أنّه يائس منه ولا أمل له فيه .

فالمعنى أنّه لا يرجو راجٍ من الأنبياء والأوصياء والملائكة الإدراك والوصول إلى المقام الأسمى الذي وصلتم إليه أنتم أهل البيت .

فإنّهم يعلمون أنّه موهبة خاصّة من الله تعالى لكم ، فلا يمكن الوصول إليه بالسعي والجدّ والإجتهاد ، ولا يشاركهم أحد فيه من العباد .

كما تعرف كلّ ذلك من الحديث العلوي الشريف الذي جاء فيه :

« فلا يقاس بهم من الخلق أحد ، فهم خاصّة الله وخالصته ، وسرّ الديّان وكلمته ، وباب الإيمان وكعبته ، وحجّة الله ومحجّته ، وأعلام الهدى ورايته ، وفضل الله ورحمته ، وعين اليقين وحقيقته ، وصراط الحقّ وعصمته ، ومبدؤ الوجود وغايته ، وقدرة الربّ ومشيّته ، وأمّ الكتاب وخاتمته ، وفصل الخطاب ودلالته ، وخزنة الوحي وحفظته ، وآية الذكر وتراجمته ، ومعدن التنزيل ونهايته ...»[١].

(٢) أي حتّى لم يبق في عالم الأرواح ولا في عالم الأجساد من سائر أصناف الموجودات ، إلّا وعرّفهم الله تعالى في الكتب الإلهية والصحف السماوية على ألسنة الأنبياء والمرسلين جلالة أمركم.

بل إنّ ولايتهم جعلت في فطرة المكلّفين ، وميثاق إمامتهم أُخذت حتّى من الأنبياء والمرسلين.

كما تدلّ على ذلك الأحاديث الكثار التي عقد لها باب مستقلّ في البحار يشتمل ⇐

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٧٤ ب٣ ح٣٨ .

. . . .

على (٨٨) حديثاً[١] نختار منها ما يلي :

١ ـ حديث التفسير أنّه قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ الآية ، كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ولرسوله بالنبوّة ولأمير المؤمنين والأئمّة بالإمامة ، فقال : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ومحمّد نبيّكم وعلي إمامكم والأئمّة الهادون أئمّتكم ؟ فـ﴿قَالُوا بَلَى﴾ فقال الله : ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة : ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٢].

فأوّل ما أخذ الله عزّوجلّ الميثاق على الأنبياء بالربوبية ، وهو قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ فذكر جملة الأنبياء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال : ﴿وَمِنْكَ﴾ يامحمّد ، فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[٣] فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ، ورسول الله أفضلهم »[٤].

٢ ـ حديث عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٥] قال : « التوحيد ، ومحمّد رسول الله ، وعلي أمير المؤمنين عليه السلام »[٦].

٣ ـ حديث حذيفة بن أسيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما تكاملت النبوّة لنبي في الأظلّة حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له ، فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم »[٧].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٦٧ ب٦ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٨ .

(٤) المصدر المتقدّم : ص٢٦٨ ح٢ .

(٥) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٦) المصدر المتقدّم : ص٢٧٧ ح١٨ .

(٧) المصدر المتقدّم : ص٢٨١ ح٢٧ .

. . . .

٤ ـ حديث حبّة العرني قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض ، أقرّ بها من أقرّ وأنكرها من أنكر ... »[١].

٥ ـ حديث ابن محرز ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى علّم آدم أسماء حجج الله كلّها ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنّكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم :

قالوا : سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم .

قال الله تبارك وتعالى : ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره ، فعلموا أنّهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته ، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم وقال لهم : ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »[٢].

والمستفاد من هذه الأحاديث الشريفة أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام وجلالة شأنهم قد عُرّفت لجميع المَخلوقات في الأرضين والسماوات .

بل عُرضت حتّى على نفس السماوات والأرضين ، والحيوانات والنباتات[٣]، فكل بقعة آمنت بها جعلها طيّبة زكيّة وجعل ثمرتها ونباتها حلواً عذباً وجعل ماءها زلالاً ، وكلّ بقعة جحدت بها وأنكرتها جعلها سبخاً ، وجعل نباتها مرّاً علقماً كما

---

(١) المصدر المتقدّم : ص٢٨٢ ح٣٤ .

(٢) المصدر المتقدّم : ص٢٨٣ ح٣٨ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٨١ ب١٦ ح٢٧ .

. . . .

في الحديث[١].

ولا عجب في أن تعرض ولايتهم حتّى على الجمادات فتصدّقها الطيّبات منها ، بقدرة الله تعالى التي تُنطق كلّ شيء ، وتخلق الشعور في الأشياء .

كما يشهد به النظائر في الكتاب الكريم ، وكذلك الروايات التي ورد فيها نطق الجمادات إعجازاً .

فاسرح الفكر في قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٢].

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣].

وتدبّر في الأحاديث التي تبيّن نطق الحيوانات بأمر المعصومين عليهم السلام وإعجازهم كحديث ابن عبّاس المروي من طريق الفريقين .

قال : خرج أعرابي من بني سليم يدور في البرية ، فصاد ضبّاً فصيّره في كمّه ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وقال : يامحمّد ، أنت الساحر الكذّاب الذي تزعم أنّ في السماء إلهاً بعثك إلى الأسود والأبيض ؟ فواللات والعزّى لولا أن يسمّيني قومي العجول لضربتك بسيفي حتّى أقتلك .

فقام عمر بن الخطاب ليبطش به ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « مهلاً ياأبا حفص ، فإنّ الحليم كاد أن يكون نبيّاً » .

ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله : « ياأخا بني سليم ، هكذا تفعل العرب ؟ تأتينا في مجالسنا وتهجونا بالكلام ! أسلم ياأعرابي فيكون لك ما لنا ، وعليك ما علينا ، وتكون في الإسلام أخانا » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٨٠ ب١٧ ح٤ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٣) سورة فصّلت : الآية ٢١ .

. . . .

فقال : فواللات والعزّى ، لا أؤمن بك حتّى يؤمن بك هذا الضبّ . وألقى الضبّ من كمّه .

قال : فعدا الضبّ ليخرج من المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « ياضبّ » فالتفت إليه ، فقال صلى الله عليه وآله له : « من أنا ؟ » .

فقال : أنت محمّد رسول الله .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : من تعبد .

فقال : أعبد من اتّخذ إبراهيم خليلاً ، وناجى موسى كليماً ، وإصطفاك حبيباً .

فقال الأعرابي : سبحان الله ، ضبّ إصطدته بيدي ، لا يفقه ولا يعقل ، كلّم محمّداً وشهد له بالنبوّة ، لا أطلب أثراً بعد عين ، أشهد أن لا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله .

وأنشأ يقول :

ألا يــارسول الله إنّك صــادق ... فبوركت مهديّاً وبوركت هاديا

شرعت لنا دين الحنيفة بعد مـا ... غدونا كأمثال الحمير الطواغـيا

فياخير مدعوٍّ ويـاخير مـرسلٍ ... إلى الإنس ثمّ الجنّ لبّيك داعيا

فنحن أُناس من سـليم عـديدنا ... أتيناك نرجو أن نـنال العـواليـا

فبوركت في الأقوام حيّاً وميّتاً ... وبوركت طفلاً ثمّ بوركت ناشيا

فقال النبي صلى الله عليه وآله : « علّموا الأعرابي » فعُلّم سوراً من القرآن »[1].

---

(١) الثاقب في المناقب : ص٧٣ .

مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاٰ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَلاٰ صِدِّيقٌ[١]، وَلاٰ شَهِيدٌ ، وَلاٰ عٰالِمٌ وَلاٰ جٰاهِلٌ وَلاٰ دَنِيٌّ وَلاٰ فٰاضِلٌ[٢] وَلاٰ مُؤْمِنٌ صٰالِحٌ وَلاٰ فٰاجِرٌ طٰالِحٌ[٣] وَلاٰ جَبّٰارٌ عَنِيدٌ[٤]

---

(١) ـ الصدّيق : هو المداوم على التصديق بما يوجب الحقّ ، والذي عادته الصدق .

(٢) ـ الدنيّ : هو الخسيس من الرجال ، والدناءة : النقص .

بينما الفضيلة هي خلاف النقيصة ، وهي الدرجة الرفيعة ، وصاحبها هو الفاضل .

(٣) ـ الصالح : هو صاحب الصلاح ، ويقال : صلح الرجل ، خلاف فسد .

والطالح : ضدّ الصالح ، فهو الرجل الفاسد .

(٤) ـ الجبّار : هو المتسلّط والمتكبّر .

والعنيد : هو الجائر عن القصد ، والباغي الذي يردّ الحقّ مع العلم به ، يقال : عَنَد، أي خالف الحقّ وردّه وهو يعرفه .

وَلاٰ شَيْطٰانٌ مَرِيدٌ[(١)] وَلاٰ خَلْقٌ فِيمٰا بَيْنَ ذٰلِكَ شَهِيدٌ[(٢)] اِلّاٰ عَرَّفَهُمْ[(٣)] جَلاٰلَةَ اَمْرِكُمْ[(٤)] وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ[(٥)] وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ[(٦)] وَتَمٰامَ نُورِكُمْ[(٧)]

(١) ـ المَريد بفتح الميم : هو الخارج عن الطاعة وهو متمكّن منها .

(٢) ـ أي خلق في حدّ الاعتدال شهيد ، أي عالم أو حاضر .

(٣) ـ يقال : عرّفته الشيء أي أعلمته إيّاه .

وعَرِفْت الشيء أي أدركته واطّلعت عليه .

وحقيقة التعريف : تمييز الشيء بما لا يشتبه بغيره[(١)].

(٤) ـ يقال : جلّ فلان جلالةً أي عظم قَدْرُه .

فالمعنى : عرّفهم الله تعالى عظمة أمركم أهل البيت .

(٥) ـ عِظَم : على وزن عنب ضدّ الصِغَر .

والخطر : بفتحتين هو القدر والمنزلة .

أي عرّفهم عظم قدركم ومنزلتكم عند الله تعالى .

(٦) ـ أي كبر أمركم وحالكم وولايتكم المطلقة .

(٧) ـ أي نوركم التامّ الكامل .

فإنّ أبا الأئمّة أمير المؤمنين عليه السلام خُلق مع رسول الله صلى الله عليه وآله من نور واحد من نور الله عزّوجلّ وكذا الصدّيقة الطاهرة والذرّية الباهرة عليهم السلام كما صرّحت به أحاديث معرفتهم بالنورانية مثل حديث سلمان وأبي ذرّ المتقدّم[(٢)]. وغيره ممّا ذكرناها في فقرة « خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين ».

(١) الشموس الطالعة : ص٣٧٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣ ب١٣ ح١ .

وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ(١) وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ(٢) وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ(٣) وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ(٤)

---

(١) ـ أي أنّكم أهل البيت صادقون في مقاماتكم ومراتبكم السامية ، وهي حقّكم ومرتبتكم المختصّة بكم .

قال العلّامة شبّر : ولعلّه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[١].

وفي نسخة الكفعمي : « وصدق مقالكم » .

(٢) ـ الثبات : هو الإستقرار .

أي إستقرار مقامكم المرضي ، وقيامكم في طاعة الله ومرضاته ومعرفته .

(٣) ـ الشرف : هو العلوّ والمكان العالي ، وسمّي الشريف شريفاً تشبيهاً للعلوّ المعنوي بالعلو المكاني .

أي علوّ مقامكم ومنزلتكم عند الله تعالى .

(٤) يقال : كرُم الشيء أي عزّ ونَفُس ، ومنه التكريم ، والإسم منه الكرامة .

أي عزّفهم كرامتكم وعزّتكم على الله تعالى .

فإنّ النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أعزّ الخلق على الله وأوجههم عند الله ، وببركتهم وصل من وصل إلى عالي المقام وشرافة الأنام ، وبالتوسّل بهم والاستشفاع بمقامهم استجيب دعاء الأنبياء ودعوات الأولياء كما تلاحظ ذلك في أبوابها الكثيرة ومواردها الوفيرة ، نختار منها بعض الأحاديث الشريفة مثل :

١ ـ حديث معمّر بن راشد المتقدّم قال : سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول : أتى يهودي النبي صلى الله عليه وآله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه ، فقال : يايهوديّ ما حاجتك ؟ ←

---

(١) سورة القمر : الآية ٥٥ .

. . . .

قال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلّمه الله ، وأنزل عليه التوراة والعصا ، وفلق له البحر ، وأظلّه بالغمام ؟

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : « إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه ، ولكنّي أقول .

إنّ آدم عليه السلام لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي ، فغفرها الله له .

وإنّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب في السفينة وخاف الغرق قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني من الغرق ، فنجّاه الله عنه .

وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أُلقي في النار قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً .

وإنّ موسى عليه السلام لمّا ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال : اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا آمنتني فقال الله جلّ جلاله : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾[1].

يايهودي إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً ، ولا نفعته النبوّة .

يايهودي ومن ذرّيتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام لنصرته فقدّمه وصلّى خلفه »[2].

٢ ـ حديث المفضّل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعلي

(١) سورة طه : الآية ٦٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٦ ص٣٦٦ ب١٦ ح٧٢ عن جامع الأخبار : ص٨ ، أمالي الصدوق : ص١٨١ ح٤ .

. . . .

وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم صلوات الله عليهم ، فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم .

فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال : هؤلاء أحبّائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمّة بريّتي ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منهم [و] لهم ولمن تولّاهم خلقت جنّتي ، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري .

فمن ادّعى منزلتهم منّي ومحلّهم من عظمتي عذّبته عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين ، وجعلته مع المشركين في أسفل دركٍ من ناري .

ومن أقرّ بولايتهم ولم يدّع منزلتهم منّي ومكانهم من عظمتي جعلتهم معهم في روضات جنّاتي ، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي ، وأبحتهم كرامتي وأحللتهم جواري ، وشفّعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي ، فولايتهم أمانة عند خلقي ، فأيّكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه دون خيرتي ؟

فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها ، وأشفقن من ادّعاء منزلتها وتمنّي محلّها من عظمة ربّها .

فلمّا أسكن الله عزّوجلّ آدم وزوجته الجنّة قال لهما : ﴿كُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] فنظر إلى منزلة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة [من] بعدهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنّة فقالا : يا ربّنا لمن هذه المنزلة ؟

فقال الله جلّ جلاله : ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي ، فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة [بعدهم] صلوات الله عليهم

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٥ .

. . . .

مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبّار جلّ جلاله .

فقالا : ياربّنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك ، وما أحبّهم إليك ، وما أشرفهم لديك ؟!

فقال الله جلّ جلاله : « لولاهم ما خلقتكما ، هؤلاء خزنة علمي وأُمنائي على سرّي ، إيّاكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد وتتمنّيا منزلتهم عندي ، ومحلّهم من كرامتي فتدخلا بذلك في نهيي وعصياني ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الحديث[١].

٣ ـ أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : « لمّا أراد الله عزّوجلّ أن يهلك قوم نوح عليه السلام أوحى [الله] إليه : أن شقّ ألواح الساج ، فلمّا شقّها لم يدر ما يصنع بها ، فهبط جبرئيل فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت فيه مائة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار ، فسمّر بالمسامير كلّها السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير. فضرب بيده إلى مسمار [منها] فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدرّي في أُفق السماء ، فتحيّر [من ذلك] نوح ، فأنطق الله [ذلك] المسمار بلسان طلق ذلق فقال له : ياجبرئيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله ؟

قال : هذا باسم خير الأوّلين والآخرين : محمّد بن عبدالله ، أسمره في أوّلها على جانب السفينة اليمين .

ثمّ ضرب بيده على مسمارٍ ثانٍ فأشرق وأنار ، فقال نوح : وما هذا المسمار ؟

فقال : مسمار أخيه وابن عمّه علي بن أبي طالب فأسمره على جانب السفينة الأيسر في أوّلها .

ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار .

---

(١) بحار الأنوار : ج١١ ص١٧٢ ب٣ ح١٩ ، عن معاني الأخبار : ص١٠٨ ح١ باب معنى الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض .... .

. . . .

فقال : هذا مسمار فاطمة فأسمره إلى جانب مسمار أبيها .

ثمّ ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار .

فقال : هذا مسمار الحسن فأسمره إلى جانب مسمار أبيه .

ثمّ ضرب بيده إلى مسمار خامس ، فأشرق وأنار وبكى فقال : ياجبرئيل ما هذه النداوة ؟

فقال: هذا مسمار الحسين بن علي سيّد الشهداء فأسمره إلى جانب مسمار أخيه.

ثمّ قال النبي ﷺ : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾(١) قال النبي ﷺ : الألواح خشب السفينة ، ونحن الدّسر ، [و] لولانا ما سارت السفينة بأهلها »(٢).

ومعاجزهم الباهرة تنبىء عن عظيم كرامتهم على الله تعالى ، ومقاماتهم الزاهرة في الدنيا والآخرة تشهد بأنّهم أعزّ الخلق عند الله .

---

(١) سورة القمر : الآية ١٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج١١ ص٣٢٨ ب٣ ح٤٩ .

وَخاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ[١] وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ[٢]

(١) ـ الخاصّة : مأخوذة من الخصوصية ، يقال : خصّ الشيء خلاف عمَّ ، وفي الدعاء محمّد حبيبك وخاصّتك ، أي اختصصته من سائر خلقك .

فالمعنى عرَّفَهم خصوصيتكم أهل البيت عند الله تعالى .

وقد خصّهم بفضائل ومناقب ومقامات لم يشترك فيها معهم حتّى الأنبياء . فجمعوا عليهم السلام صفات الأنبياء وزادوا عليهم وفاقوهم .

وقد تقدّم بيانه ودليله في فقرة « فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرمين » فلاحظ .

(٢) ـ المنزلة : هي المرتبة ، ومنه الحديث « اعرفوا منازل الرجال على قدر روايتهم عنّا » أي منزلتهم ومراتبهم في الفضيلة والتفضيل[١].

أي أنّ الله تعالى عَرَّف من سبق ذكرهم قرب منزلتكم ومرتبتكم عنده .

فإنّكم أهل البيت أقرب المقرّبين والمرسلين عند ربّ العالمين . فقد اختاركم صفوة أوليائه ، وخوّلكم معالي درجاته ، وجعلكم مظاهر قدرته وأفضل خليقته ، وهذا يدلّ على أنّكم أقرب الخلق منزلة عند الله .

وأيّ قربٍ ودُنوٍّ معنوي أعظم من أن يكتب اسم أمير المؤمنين على عرش ربّ العالمين مقروناً باسم الله واسم نبيّه .

ففي حديث الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في وصيّته لي :

« ياعلي إنّي رأيت إسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن ، فآنست بالنظر إليه ، إنّي لمّا بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرتها مكتوباً : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره ، فقلت لجبرئيل : مَن وزيري ؟ ←

(١) مجمع البحرين : ص٤٩٨ .

. . . .

فقال : علي بن أبي طالب .

فلمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت مكتوباً عليها : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي ، محمّد صفوتي من خلقي ، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره . فقلت لجبرئيل : مَن وزيري ؟

فقال : علي بن أبي طالب .

فلمّا جاوزت السدرة انتهيت إلى عرش ربّ العالمين جلّ جلاله فوجدت مكتوباً على قوائمه : أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي محمّد حبيبي أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره .

فلمّا رفعت رأسي وجدت على بُطنان العرش مكتوباً : أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي، محمّد عبدي ورسولي أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره »[١].

إلى أن يرقى مع النبي في المعراج إلى قاب قوسين أو أدنى كما في حديث شيخ الطائفة ، قال رسول الله ﷺ : « لمّا عُرج بي إلى السماء دنوت من ربّي عزّوجلّ حتّى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى[٢]، فقال : يامحمّد ، من تُحبّ من الخلق؟

قلت : ياربّ عليّاً .

قال : التفِت يامحمّد ، فالتفتُّ عن يساري ، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام »[٣].

---

(١) الخصال : ص٢٠٧ ح٢٦ .

(٢) لا يخفى أنّ الدنو هنا بمعنى الدنوّ المعنوي ، أو الدنو بالعلم أو الدنو من نعمة الله ورحمته ، أو الدنوّ من حجب النور كما تلاحظه في أحاديثه في الكنز : ج١٢ ص٤٧٥ .

(٣) الأمالي : ص٣٥٢ ح٧٢٧ .

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي (١)

(١) ـ هذه الكلمات إنشاء للتحبيب ، وتعظيم للمحبوب ، بتفدية ما أحبّ الإنسان من الأب والأمّ والأهل والمال والأُسرة لمحبوبه[١].

وجاء في الحديث : « بآبائنا وأُمّهاتها يارسول الله » ، وهذه الباء يسمّيها بعض النحّاة باء التفدية ، حذف فعلها في الغالب ، والتقدير نفديك بآبائنا وأُمّهاتنا[٢].

فالمعنى هنا : أفديكم أهل البيت بأبي وأُمّي ... ، أو أنتم مفديّون بأبي وأُمّي ...

وأُسرة الرجل : بالضمّ هم رهطه وعشيرته وأهل بيته الذين يتقوّى بهم ، والرهط الأدنون.

ولقد حقَّ أن نفدي أهل البيت عليهم السلام بآبائنا وأُمّهاتنا ، ونبذل في سبيلهم غوالي ما يعزّ علينا ، حتّى نقيهم عن كلّ محذور ، وندفع عنهم كلّ محظور .

فإنّ المحافظة على أنفسهم الزكيّة ، ونفوسهم القدسيّة لازمة علينا بكلّ ما نملكه من النفس والنفيس .

لأنّهم أولياؤنا ، والأولى بأنفسنا ، وودائع الله ورسوله عندنا ، فيكون حفظهم لازماً علينا . كما بيّنا ذلك في فقرة « والأمانة المحفوظة » .

ولأنّهم زمام الدين ، وأساس الإسلام المبين ، وقرين القرآن الكريم ، فيكون حفظهم حفظاً للدين القويم ، كما عرفت ذلك من حديث عبدالعزيز بن مسلم المتقدّم[٣].

وفي نسخة الكفعمي هنا زيادة : (ياسادتي وأئمّتي) .

(١) الشموس الطالعة : ص٣٨٥ .

(٢) مجمع البحرين : ص٣ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٨٨ ح١ .

أُشْهِدُ اللّٰهَ وَأُشْهِدُكُمْ(١)

(١) ـ هذا تجديدٌ للعهد ، واستشهادٌ من العبد .

فيُقرّ الزائر بالمعتقدات الحقّة التي بيّنها بقوله : « إنّي مؤمن بكم ... » الخ .

وهي من أبرز المعالم الإعتقادية الشريفة التي يشهد بها المؤمن ، ويستشهد عليها شاهدين :

الشاهد الأوّل : أصدق الصادقين وهو ربُّ العالمين ، وكفى بالله شهيداً .

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾(١).

الشاهد الثاني : نفس أهل البيت عليهم السلام الذين يخاطبهم بهذه الشهادات فإنّهم الشهداء الصادقون على ما يعمله المخلوقون .

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(٢).

فما أعظمهم من شهود صدق : ربّ العزّة ، وحججه الأعزّة .

وما أعظمها من شهادات حقّ : أركان الإيمان ، ومُسعدات الإنسان .

وهي ما يلي في الفقرات التالية : « أنّي مؤمن بكم » الخ .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٩٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

اَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ(١)

(١) ـ أي إنّي مؤمن بإمامتكم ووجوب طاعتكم وفضلكم وعصمتكم ومقاماتكم القدسيّة ، فإنّ إمامتهم من أُصول الدين ، وخلافتهم من دعائم شريعة سيّد المرسلين ، وولايتهم ثابتة بالبرهان المبين .

وتعرف من أحاديث دعائم الإسلام أنّ الإمامة من الأركان .

كما تعرف من أحاديث معرفة إمام الزمان أنّ تركها يوجب الجاهلية الجهلاء .

ولمزيد المعرفة لاحظ مبحث الإمامة ، فقد فصّلنا البحث هناك في الأدلّة الخمسة للإمامة يعني دليل الكتاب والسنّة والعقل والإجماع والإعجاز(١).

وكذلك إنّي مؤمن بما آمنتم به إيماناً بجميعها ، لأنّها أُمور حقّة يقيناً ، فيكون الإيمان بها حقّاً ، أكون مؤمناً بها جملةً وإن لم أعلمها تفصيلاً .

إذ أنّ أهل البيت عليهم السلام متّصلون بمبدأ الوحي الإلهي والعلم الربّاني، فتكون قلوبهم منيرة بالمعارف الحقيقية ، ومشرقة بالعلوم اللدنّية .

---

(١) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٢٥٩ .

كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ(١)

(١) ـ الكفر : ضدّ الإيمان ، وقد كفر بالشيء أي جحده وأنكره .

أي إنّي منكر وجاحد لأعدائكم ، فإنّ أعدائهم أعداء الله ، والبراءة من أعداء الله لازمة .

قال السيّد شبّر في شرحه : (وفيه إشارة إلى أنّ الايمان بهم لا يتمّ إلّا مع الكفر بعدوّهم والبراءة منه ، وإنّ حبّهم لا يجتمع مع حبّ أعدائهم ، فإنّ المحبّ من يحبّ أولياء المحبوب ويبغض أعدائه .

وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾(١)) .

فالتبرّي من أعداء أهل البيت من الأركان الأُخرى التي بها يتمّ الدين كما تلاحظه في الأحاديث المتظافرة مثل :

١ ـ حديث أبي الجارود ، عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله : ﴿مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾(٢) « فيحبّ بهذا ويبغض بهذا ، فأمّا محبّنا فيخلص الحبّ لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه .

من أراد أن يعلم حبّنا فليمتحن قلبه فإن شاركه في حبّنا حبّ عدوّنا فليس منّا ولسنا منه ، والله عدوّهم وجبرئيل وميكائيل والله عدوّ للكافرين »(٣).

٢ ـ حديث الأعمش ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

« حبّ أولياء الله واجب ، والولاية لهم واجبة .

والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمّد صلّى الله عليهم ، وهتكوا

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ . (٢) سورة الأحزاب : الآية ٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥١ ب١ ح١ .

. . . .

حجابه وأخذوا من فاطمة عليها السلام فدك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما وهمّوا باحراق بيتها وأسّسوا الظلم وغيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة ، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمّة الضلال وقادة الجور كلّهم أوّلهم وآخرهم واجبة ، والبراءة من أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود قاتل أمير المؤمنين عليه السلام واجبة ، والبراءة من جميع قتلة أهل البيت عليهم السلام واجبة .

والولاية للمؤمنين الذين لم يغيّروا ولم يبدّلوا بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله واجبة ، مثل سلمان الفارسي ، وأبي ذرّ الغفاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وعمّار بن ياسر ، وجابر بن عبدالله الأنصاري ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي الهيثم بن التيهان ، وسهل بن حنيف ، وأبي أيّوب الأنصاري ، وعبدالله بن الصامت ، وعبادة بن الصامت ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، وأبي سعيد الخدري ، ومن نحا نحوهم وفعل مثل فعلهم ، والولاية لأتباعهم والمقتدين بهم وبهداهم واجبة »[(١)].

٣ ـ حديث هشام بن سالم ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « من جالس لنا عائباً ، أو مدح لنا قالياً ، أو واصل لنا قاطعاً ، أو قطع لنا واصلاً ، أو والى لنا عدوّاً ، أو عادى لنا وليّاً ، فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم »[(٢)].

٤ ـ حديث الصفواني عن الإمام الصادق عليه السلام قيل للصادق عليه السلام : إنّ فلاناً يواليكم إلّا أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم .

فقال : « هيهات كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرّأ من عدوّنا »[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٢ ب١ ح٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٢ ب ح٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٨ ب١ ح١٨ .

. . . .

---

٥ ـ حديث سليمان الأعمش، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي أنت أمير المؤمنين وإمام المتّقين.

ياعلي أنت سيّد الوصيّين ووارث علم النبيّين وخير الصدّيقين وأفضل السابقين.

ياعلي أنت زوج سيّدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين.

ياعلي أنت مولى المؤمنين والحجّة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنّة من تولّاك، واستوجب دخول النار من عاداك.

ياعلي والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمّة من ولدك.

وإنّ ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمّة من ولدك.

بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر»(١).

لذلك قال الصدوق رحمه الله في كتاب الإعتقادات:

(واعتقادنا في البراءة أنّها واجبة من الأوثان الأربعة، والإناث الأربع، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنّهم شرّ خلق الله عزّوجلّ، ولا يتمّ الإقرار بالله وبرسوله وبالأئمّة عليهم السلام إلّا بالبراءة من أعدائهم)(٢).

وغير خفي على المنصفين أنّ أعداء أهل البيت قد غيّروا الدين وبدّلوا شريعة سيّد المرسلين فكان عليهم وزر الوازرين إلى يوم الدين كما تلاحظه في الأحاديث الشريفة مثل:

١ ـ حديث القمّي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «والله ما أُهريقت محجمة من دم، ولا قُرعت عصا بعصا، ولا غُصب فَرْج حرام، ولا أُخذ مال من غير حلّه،

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٦٣ ب١ ح٢٢.

(٢) الإعتقادات، للشيخ الصدوق: ص١٠٥.

. . . .

إلّا ووزرُ ذلك في أعناقهما ، من غير أن ينقص من أوزار العالمين شيء »[١].

٢ ـ حديث سدير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عنهما ؟

فقال : « ياأبا الفضل ! ما تسألني عنهما ؟! فوالله ما مات منّا ميّت قطّ إلّا ساخطاً عليهما ، وما منّا اليوم إلّا ساخطاً عليهما يوصّي بذلك الكبير منّا الصغير ، إنّهما ظلمانا حقّنا ، ومنعانا فيئنا ، وكانا أوّل من ركب أعناقنا وبثقا[٢] علينا بَثقاً في الإسلام لا يسكر أبداً حتّى يقوم قائمنا أو يتكلّم متكلّمنا .

ثمّ قال : أما والله لو قد قام قائمنا وتكلّم متكلّمنا لأبدئ من أُمورهما ما كان يُكتَم ، وَلَكتَمَ من أُمورهما ما كان يظهر .

والله ما أُسّست من بليّة ولا قضيّة تجري علينا أهل البيت إلّا هما أسّسا أوّلها ، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[٣].

لذلك كلّه تعرف الوجه في البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام ، ويتّضح الدليل لقوله عليه السلام في هذه الزيارة الشريفة « كافر بعدوّكم » .

وأمّا قوله عليه السلام : « وبما كفرتم به » فمعناه : إنّي كافرٌ ومنكرٌ لكلّ ما كفرتم به وأنكرتموه وإن لم أعلمها تفصيلاً . فإنّ ما كفر به أهل البيت عليهم السلام وأنكروه هو الطاغوت بجميع أفراده من المشركين والكافرين والمنافقين ، وبجميع أعمال الطاغوت من المعاصي والمنكرات والسيّئات والأباطيل .

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٠ ص١٤٩ ب٢٠ ح٤ .

(٢) من قولهم : بثق النهر : انكسر شطّه ، أي ثلما علينا ثلمة في الإسلام لا يسدّها شيء ، ويقال : بثقت الماء بثقاً ـ من بابي ضرب وقتل ـ : إذا أهرقته .

أُنظر : مجمع البحرين : ص٤٢٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٣٠ ص٢٦٩ ب٢٠ ح١٣٨ .

. . . .

➲ وبعبارة موجزة : الذي آمن به أهل البيت عليهم السلام هو الحقّ ، فيكون الايمان بما آمنوا به هو الايمان بالحقّ .

والذي كفر به أهل البيت عليهم السلام هو الباطل ، فيكون الكفر بما كفر به أهل البيت هو إنكار الباطل .

فالمدار في الواقع هنا هو الايمان بالحقّ واستنكار الباطل .

مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ(١)

(١) ـ الاستبصار : هو طلب البصيرة .

والبصيرة والبُصرة هي الخبرة والعلم ، والبصائر هي البيّنات والدلائل التي يبصر بها الهدى ويميّز بها الحقّ عن الباطل ، والمستبصر هو المستبين للشيء[1].

فالمعنى إنّي طالب للبصيرة والعلم والخبرة بشأنكم ، أي مقامكم وأمركم وحالكم .

وفيه إشارة إلى الاعتراف بالعجز عن ادّعاء البصيرة بمقامهم السامي ومرتبتهم العليا فنطلب البصيرة الكاملة بها .

فإنّهم أنوار الله ومظاهر صفاته ، والقوّة البشرية لا تطيق الإحاطة بمعرفتها وكمال التبصّر فيها .

(١) لاحظ مجمع البحرين : ص٢٤٢ .

وَبِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكُمْ(١) مُوالٍ لَكُمْ وَلأَوْلِيائِكُمْ مُبْغِضٌ لأَعْدائِكُمْ وَمُعادٍ لَهُمْ(٢)

---

(١) ـ الضلالة : ضدّ الهداية ، والضلال هو العدول عن الطريق المستقيم ، فإنّ المخالفة مع أهل البيت عليهم‌السلام ضلالة ، وعدم معرفتهم جاهلية .

وقد تقدّم دليل ذلك في فقرة : « وضلّ من خالفكم » .

وفي نسخة الكفعمي : « عارف بضلالة من خالفكم » .

(٢) ـ قد سلف الإستدلال في فقرة : « من والاكم فقد والى الله ، ومن عاداكم فقد عادى الله » بالآيات الشريفة والروايات المباركة على ذلك .

فيلزم التولّي لهم ، ولأوليائهم ، والتبرّي من أعدائهم ومعاداتهم .

وتلاحظ وجوب ذلك ـ مضافاً إلى ما تقدّم ـ في الحديث الرضوي الشريف في بيان محض الإسلام وشرائع الدين الذي ورد فيه :

« والبراءة من الذين ظلموا آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله وهمّوا بإخراجهم وسنّوا ظلمهم وغيّروا سنّة نبيّهم صلى‌الله‌عليه‌وآله ، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين الذين هتكوا حجاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ونكثوا بيعة إمامهم وأخرجوا المرأة وحاربوا أمير المؤمنين عليه‌السلام وقتلوا الشيعة المتّقين رحمة الله عليهم واجبة .

والبراءة ممّن نفى الأخيار وشرّدهم وآوى الطرداء اللعناء وجعل الأموال دولة بين الأغنياء واستعمل السفهاء مثل معاوية وعمرو بن العاص لعينَي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله .

والبراءة من أشياعهم والذين حاربوا أمير المؤمنين عليه‌السلام وقتلوا الأنصار والمهاجرين وأهل الفضل والصلاح من السابقين .

والبراءة من أهل الاستيثار ومن أبي موسى الأشعري وأهل ولايته ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وبولاية أمير المؤمنين عليه‌السلام ﴿وَلِقَائِهِ﴾ كفروا بأن لقوا الله بغير إمامته ﴿فَحَبِطَتْ

. . . .

أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[(١)] فهم كلاب أهل النار .

والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمّة الضلالة وقادة الجور كلّهم أوّلهم وآخرهم .

والبراءة من أشباه عاقري الناقة أشقياء الأوّلين والآخرين وممّن يتولّاهم .

والولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والذين مضوا على منهاج نبيّهم صلى الله عليه وآله ولم يغيّروا ولم يبدّلوا مثل سلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري والمقداد بن الأسود وعمّار بن ياسر وحذيفة اليماني وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة ابن الصامت وأبي أيّوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري وأمثالهم رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم والولاية لأتباعهم وأشياعهم والمهتدين بهداهم والسالكين منهاجهم رضوان الله عليهم ... »[(٢)].

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٤ و١٠٥ .

(٢) عيون الأخبار : ج٢ ص١٢٥ .

سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ(١) مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِما اَبْطَلْتُمْ(٢)

---

(١) ـ السِّلم : بكسر السين هي المسالمة والمصالحة والإنقياد ، مقابل الحرب .

أي إنّي مسالم ومصالح ومنقاد لمن كان مسالماً ومصالحاً ومنقاداً لكم أهل البيت وكذلك إنّي حربٌ وعدوٌّ لمن كان حرباً معكم وعدوّاً لكم .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ إنّه كان سلماً لمن سالم أهل البيت ، وحرباً لمن حاربهم . ورواه الفريقان وجاء حتّى من طريق العامّة متواتراً[١].

(٢) ـ الحقّ : ضدّ الباطل ، وحقائق الشيء هي ما ثبتت ، والباطل : غير الثابت .

وتحقيق الشيء هو إثباته وإظهاره ، ويُحقّ الله الحقّ أي يُثبته ويُظهره[٢].

فمعنى الفقرة الشريفة إنّي أثبت وأُظهر وأُبيّن حقّية ما حقّقتموه وأثبتموه ، وكذا إنّي أُبطل وأنفي ما أبطلتموه ونفيتموه .

وفُسّر أيضاً بأنّي أعتقد حقّية ما حقّقتم ، وبطلان ما أبطلتم .

فإنّ أهل البيت عليهم السلام مدار الحقّ ومحور الحقيقة ، وليس بعد الحقّ إلّا الضلال ، فيكون كلّ ما أثبتوه حقّاً ، وكلّ ما نفوه باطلاً .

وقد تقدّم دليل أنّ أهل البيت عليهم السلام مع الحقّ والحقّ معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه[٣].

وفي حديث مناقب الخوارزمي عن رسول الله ﷺ : « علي أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ألا وإنّ الحقّ معه ويتبعه، ألا فميلوا معه»[٤].

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٩ ص١٦١ ـ ١٧٤ .

(٢) مجمع البحرين : ص٤٢٥ .

(٣) إحقاق الحقّ : ج٩ ص٤٧٩ .

(٤) لاحظ الحديث بطرقه وأسانيده في إحقاق الحقّ : ج٤ ص٢٣٧ وص٢٧ .

مُطِيعٌ لَكُمْ[١]

(١) ـ الطاعة في اللغة : إسم من طاعَ طوعاً إذا أذعن وانقاد .

فالطاعة هو الإذعان والإنقياد[١].

وحقيقة الطاعة جَرْيُ العامل على ما وافق رضا الآمر ابتغاء مرضاته[٢].

فالمعنى : إنّي مذعن بكم ومنقاد لكم ومعترف بوجوب إطاعتكم ، وإن صدر منّي مخالفة في بعض الأحيان .

فإنّهم أُولو الأمر الذين أوجب الله طاعتهم ، وأمر في كتابه بإطاعتهم كما تلاحظه في أحاديث باب وجوب إطاعتهم المشتمل على (٦٥) حديثاً منها حديث الإمام الباقر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[٣] « فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمّة فكيف يقرّون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمّد صلى الله عليه وآله ؟

قلت : فما معنى قوله : ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾.

قال : الملك العظيم أن جعل فيهم أئمّة ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم »[٤].

وترى وجوب طاعتهم بدليل الكتاب في أحاديث الفريقين في الغاية ص٢٦٣ .

---

(١) مجمع البحرين : ص٣٨٧ . (٢) الشموس الطالعة : ص٣٨٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٤ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٨٧ ب١٧ ح١٠ .

عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ(١)

(١) ـ معرفة الشيء : إدراكه ، ومعرفة أهل البيت : هو تصديقهم ، والاعتراف بإمامتهم .

وعارفٌ بحقّكم أي بحقّهم الواجب علينا مثل وجوب طاعتهم ومعرفتهم والوفاء بعهدهم وإجابتهم وعدم خيانتهم .

وقد ورد ذلك في باب حقّ الإمام على الرعية ، في مثل :

١ ـ حديث أبي حمزة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام : ما حقّ الإمام على الناس ؟

قال : « حقّه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا .

قلت : فما حقّهم عليه ؟

قال : يقسّم بينهم بالسويّة ويعدل في الرعية ، فإذا كان ذلك في الناس فلا يبالي من أخذ ههنا وههنا » .

٢ ـ حديث هارون بن صدقة ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا تختانوا ولاتكم ، ولا تغشّوا هداتكم ، ولا تجهّلوا أئمّتكم ، ولا تصدّعوا عن حبلكم فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وعلى هذا فليكن تأسيس أُموزكم ، والزموا هذه الطريقة، فإنّكم لو عاينتم ما عاين من قدمات منكم ممّن خالف ما قد تدعون إليه لبدرتم وخرجتم ولسمعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريباً ما يطرح الحجاب».

٣ ـ حديث النهج الشريف قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : « أيّها الناس إنّ لي عليكم حقّاً ، ولكم عليّ حقٌّ ، فأمّا حقّكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا وتأديبكم كي ما تعلموا .

وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم »(١).

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٤٢ ب١٣ ح٤ و٥ ، وص٢٥١ ح١٢ .

مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ(١) مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ(٢)

(١) ـ من الإقرار وهو الإعتراف أي معترف بفضلكم الشامخ .

والفضل والفضيلة : هي الدرجة الرفيعة[1].

وأهل البيت عليهم السلام بلغوا ذروة الفضيلة ، وأعلى درجات الفضل .

ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله :

« ياعلي إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين ، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين ، والفضل بعدي لك ياعلي وللأئمّة من بعدك ... »[2].

(٢) ـ محتمل : من الاحتمال بمعنى التحمّل .

أي إنّي أتحمّل علمكم الفيّاض ، وأعلمُ أنّه حقّ ، ولا أردّ ما ورد عنكم وإن لم يبلغه فكري القاصر .

فإنّ تحمّل علمهم يستدعي الإيمان ، وحديثهم إنّما يتحمّله المؤمن الممتحن كما في حديث ميثم التمّار قال :

بينما أنا في السوق إذ أتى أصبغ بن نباتة قال : ويحك ياميثم لقد سمعت من أمير المؤمنين عليه السلام حديثاً صعباً شديداً .

قلت : وما هو ؟

قال : سمعته يقول : « إنّ حديث أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب ، أو نبي مرسل ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان » ، فقمت من فورتي فأتيت علياً عليه السلام .

فقلت : ياأمير المؤمنين حديث أخبرني به أصبغ عنك قد ضقت به ذرعاً . ⟵

(١) مجمع البحرين : ص٤٨٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣٣٥ ب٨ ح١ .

. . . .

⊃فقال عليه السلام ما هو ؟

فأخبرته به فتبسّم ثمّ قال : « اجلس ياميثم ، أوَكلّ علم يحتمله عالم ؟ إنّ الله تعالى قال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم ؟

قال : قلت : وإنّ هذا أعظم من ذلك .

قال : والأُخرى أنّ موسى بن عمران أنزل الله عليه التوراة فظنّ أن لا أحد أعلم منه فأخبره أنّ في خلقه أعلم منه ، وذلك إذ خاف على نبيّه العُجب قال : فدعا ربّه أن يرشده إلى العالم قال : فجمع الله بينه وبين الخضر عليهما السلام فخرق السفينة فلم يحتمل ذلك موسى ، وقتل الغلام فلم يحتمله ، وأقام الجدار فلم يحتمله وأمّا النبيّون فإنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله أخذ يوم غدير خمّ بيدي فقال : « اللهمّ مَن كنت مولاه فعلي مولاه » فهل رأيت احتملوا ذلك إلّا من عصم الله منهم !

فأبشروا ثمّ أبشروا ، فإنّ الله قد خصّكم بما لم يخصّ به الملائكة والنبيّين والمرسلين فيما احتملتم ذلك في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمه ... »(٢).

وفي نسخة الكفعمي هنا زيادة : « مقتدٍ بكم » .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٣٨٣ ب١٣ ح٣٨ .

مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ[١] مُعْتَرِفٌ بِكُمْ[٢]

(١) ـ الاحتجاب : هو الإستتار ، مأخوذ من الحجاب وهو الستر الحائل بين الرائي والمرئي[١].

والذمّة : هو العهد ، وما يجب أن يُحفظ ، وبمعنى الأمان ، والضمان ، والحرمة ، والحقّ[٢].

أي إنّي مستتر عن المهالك بدخولي في ذمّتكم وأمانكم وإمامتكم ، فإنّ الدخول في ذلك هو الحصن الحصين من العذاب المهين ، وهو الأمان الأمين من وسوسة الشياطين .

وقد ثبت من طريق الفريقين الحديث القدسي في قول الله عزّوجلّ : « ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي »[٣].

(٢) ـ أي معترف ومقرّ بإمامتكم .

وهي المنصب الإلهي الحقّ الذي يجب الإقرار به كما ثبت بأدلّته العلمية في مبحث الإمامة[٤].

(١) مجمع البحرين : ص١١٩ . (٢) مجمع البحرين : ص٥١٦ .

(٣) عيون الأخبار : ج٢ ص١٣٥ ، إحقاق الحقّ : ج١٤ ص٥٢٢ .

(٤) العقائد الحقّة الطبعة الأُولى : ص٢٥٩ .

مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ(١) مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ(٢)

(١) ـ الإياب : هو الرجوع .

أي أنّي مؤمنٌ ومعتقد ومقرّ برجوعكم إلى الدنيا قبل القيامة ، لإعلاء الدين المبين ، والإنتقام من المنافقين والكافرين .

وهي الرجعة التي يأتي بيانها وتفسيرها في الفقرة التالية .

(٢) ـ يقال : صدّقَه أي نسبه إلى الصدق ، وصدّق الشيء أي اعترف بصدقه ، وصدّق كلامه أي اعتبره صحيحاً لا كذب فيه .

أي إنّي على الصعيد الاعتقادي الايماني بإيابكم ، معترف بصدق رجعتكم وصحّتها ووقوعها في وقتها .

يعني رجعة الأئمّة الطاهرين في زمان ظهور الإمام المهدي المنتظر سلام الله عليهم أجمعين .

وهاتان الفقرتان في زيارتهم الجامعة يستفاد منها رجعة جميع الأئمّة المعصومين عليهم السلام .

والرجعة من الحقائق الجليّة الثابتة بالأدلّة القطعية من الكتاب العزيز ، والأحاديث المتواترة ، مع الإجماع المحقّق ، والحكم العقلي كما تلاحظ بيانها كاملاً في مبحثها الخاصّ فلا نكرّر(١).

والمخالفون قد أنكروا الرجعة ، إلّا أنّه يردّهم مفاد الأدلّة العلميّة، مضافاً إلى البراهين الوجدانية بوقوع الرجوع إلى الدنيا في الأنبياء السالفين ، والأُمم السابقين ، وأدلّ برهان على إمكان الشيء وقوعه ، وأصدق دليل على وقوعه إخبار الله تعالى به في آياتٍ من الذكر الحكيم مثل :

(١) العقائد الحقّة الطبعة الأُولى : ص٣٥٨ ـ ٣٦٨ .

. . . .

١ ـ قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

٢ ـ قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢).

٣ ـ قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

وكذلك إخبار المعصومين عليهم السلام بوقوع الرجوع إلى الدنيا في الأحاديث المتظافرة مثل:

١ ـ حديث البزنطي قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : « إنّ رجلاً من بني اسرائيل قتل قرابة له ، ثمّ أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني اسرائيل ، ثمّ جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى : إنّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا من قتله ؟ قال: ايتوني ببقرة ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤) ولو أنّهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم . ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم (إلى أن قال :) فاشتروها وجاءوا بها ، فأمر بذبحها ، ثمّ أمر أن يضربوا الميّت بذنبها ، فلمّا فعلوا ذلك حيي المقتول وقال :

(١) سورة البقرة : الآية ٥٥ ـ ٥٦ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤٣ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٥٩ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٦٧ .

. . . .

يارسول الله إنّ ابن عمّي قتلني دون من يدّعي عليه قتلي » الحديث(١).

٢ ـ حديث الهاشمي في ذكر احتجاج الإمام الرضا عليه‌السلام على أهل المقالات جاء فيه : قال الرضا عليه‌السلام لبعض علماء النصارى : « ما أنكرت أنّ عيسى عليه‌السلام كان يحيي الموتى باذن الله ؟ » .

قال الجاثليق : أنكرت ذلك من قبل أنّ مَن أحيى الموتى وأبرىء الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحقّ لأن يُعبد .

فقال الرضا عليه‌السلام : « فإنّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه‌السلام : مشى على الماء ، وأحيى الموتى ، وأبرىء الأكمه والأبرص فلم تتّخذه أمّته ربّاً ، ولم يعبده أحد من دون الله ، ولقد صنع حزقيل النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه‌السلام ، فأحيى خمسة وثلاثين رجلاً بعد موتهم بستّين سنة.

ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال له : أتجد هؤلاء في شباب بني اسرائيل في التوراة ؟ اختارهم بخت نصّر من سبي بني اسرائيل حين غزى بيت المقدس ، ثمّ انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله إليهم فأحياهم ، هذا في التوراة لا يدفعه إلّا كافر منكم ؟ » .

قال رأس الجالوت : قد سمعنا به وعرفناه .

قال : صدقت ... ثمّ أقبل على النصراني فقال : « يانصراني هؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم ؟ » .

قال : بل كانوا قبله .

قال الرضا عليه‌السلام : «لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فسألوه أن يحيي لهم

(١) بحار الأنوار : ج٧٤ ص٦٨ ب٢ ح٤١ ، عن عيون أخبار الرضا : ج٢ ص١٣ ب٣٠ ح٣١.

. . . .

موتاهم ، فوجّه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : ياعلي اذهب إلى الجبّانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك : يافلان ويافلان ويافلان ، يقول لكم محمّد صلى الله عليه وآله : قوموا بإذن الله ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فأقبلت قريش تسألهم عن أحوالهم ، ثمّ أخبروهم أنّ محمّداً قد بعث نبيّاً قالوا : وددنا إنّا أدركناه فنؤمن به .

(إلى أن قال) : ... إنّ قوماً من بني اسرائيل خرجوا من ديارهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت ، فأماتهم في ساعة واحدة ، فعمد أهل القرية فحظروا عليهم حظيرة ، فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم وصارت رميماً ، فمرّ بهم نبي من أنبياء بني اسرائيل فتعجّب من كثرة العظام البالية ، فأوحى الله إليه : أتحبّ أن أُحييهم لك فتُنذرهم ؟

قال : نعم ياربّ .

فأوحى الله إليه : نادهم .

فقال : أيّتها العظام البالية قومي بإذن الله تعالى ، فقاموا أحياء أجمعون ، ينفضون التراب عن رؤوسهم .

ثمّ إبراهيم خليل الرحمن حين أخذ الطير فقطّعهنّ قطعاً ، ثمّ وضع على كلّ جبل منهم جزءاً ، ثمّ ناداهنّ فأقبلن سعياً إليه .

ثمّ موسى بن عمران وأصحابه الذين كانوا سبعين اختارهم فصاروا معه إلى الجبل ، فقالوا : إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته .

فقال : إنّي لم أره .

فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرةً ، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم، فبقي موسى وحيداً فقال: ياربّ انّي اخترت منهم سبعين رجلاً فجئت بهم

. . . .

⬅وأرجع وحدي فكيف يصدّقني قومي بما أخبرهم به ؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا ؟ فأحياهم الله تعالى من بعد موتهم .

وكلّ شي ذكرته لك لا تقدر على دفعه ، لأنّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به »(١).

٣ ـ حديث الإمامين الصادقين عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾(٢) فقال : « إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت ، كان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان ، وكانوا إذا أحسّوا به خرج الأغنياء لقوّتهم ، وبقي الفقراء لضعفهم ، فيقلّ الطاعون في الذين خرجوا ويكثر في الذين أقاموا ، قال : فاجتمع رأيهم جميعاً أنّهم إذا أحسّوا بالطاعون خرجوا من المدينة كلّهم ، فلمّا أحسّوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحّوا عن الطاعون حذر الموت ، فساروا في البلاد ما شاء الله .

ثمّ إنّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها وأفناهم الطاعون ، فنزلوا بها فلمّا حطّوا رحالهم قال لهم الله : موتوا جميعاً ، فماتوا من ساعتهم ، وصاروا رميماً وكانوا على طريق المارّة ، فجمعوهم في موضع فمرّ بهم نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له : حزقيل ، فلمّا رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال : ربّ لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم فعمّروا بلادك ، وولدوا عبادك ، وعبدوك مع من يعبدك من خلقك .

فأوحى الله إليه أفتحبّ ذلك ؟

قال : نعم ياربّ فأوحى الله إليه أن قل كذا وكذا ، فقال الذي أمره ، إلى أن يقول ... قال أبو عبدالله عليه السلام : وهو الاسم الأعظم ، قال : فلمّا قال حزقيل ذلك الكلام ونظر ⬅

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠ ص٣٠٣ ب١٩ ح١ ، عن عيون أخبار الرضا : ج١ ص١٥٩ ب١٢ ح١ ، التوحيد : ص٤٧٧ ح١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤٣ .

. . . .

⬅إلى العظام يطير بعضها إلى بعض ، فعادوا أحياءاً ينظر بعضهم إلى بعض ، يسبّحون الله ويكبّرونه ويهلّلونه .

فقال حزقيل عند ذلك : أشهد أنّ الله على كل شيء قدير »[1].

فبإخبار الله أصدق الصادقين ، وإخبارات الهداة المعصومين ، بالتواتر الموجب للعلم واليقين نعلم بوقوع الرجعة إلى الدنيا ، والوقوع أدلّ شيء في البراهين المُثلى ، وقد دلّت الأدلّة القطعية على رجعة الأئمّة عليهم السلام فلاحظ .

(١) الايقاظ من الهجعة : ص١١٣ ح١ و٢ و٩ .

مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ(١)

(١) ـ الانتظار : هي الكيفية النفسانية التي ينبعث منها التهيّؤ لما تنتظره ، وضدّ اليأس .

والأمر فسّر في اللغة بالشأن والحادثة .

والمعنى هنا أنّي منتظر ومتهيّؤٌ لظهوركم ، وغلبتكم على الأعداء ، ودولتكم العلياء بعد ظهور الإمام المهدي (أرواحنا فداه) .

وانتظار الفَرَج هذا من أفضل الأعمال ، بل من دعائم الدين كما يظهر من أحاديثه المتظافرة التي تلاحظها في باب مستقل(١) مثل :

١ ـ حديث الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام : « انتظروا الفَرَج ولا تيأسوا من روح الله ، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّوجلّ انتظار الفَرَج » .

وقال عليه السلام : « الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس ، والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله » .

٢ ـ حديث الفيض بن المختار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه ، قال : ثمّ مكث هنيئة ثمّ قال : لا بل كمن قارع معه بسيفه ، ثمّ قال : لا والله إلّا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله » .

٣ ـ حديث الكوفي قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فكنت عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام ، وهو غلام فقمت إليه وقبّلت رأسه وجلست .

فقال لي أبو عبدالله عليه السلام : « ياأبا إبراهيم أما إنّه صاحبك من بعدي أما ليهلكنّ فيه أقوام ويسعد آخرون ، فلعن الله قاتله ، وضاعف على روحه العذاب .

---

(١) مكيال المكارم : ج٢ ص١٥٢ ، بحار الأنوار : ج٦ ص٣٣٣ ب٣ ح٩ ، وج١٣ ص٣٨٥ ب١٤ ح٦ ، عن روضة الكافي : ج٨ ص١٩٨ ح٢٣٧ .

. . . .

⊃أما ليُخرجنّ الله من صلبه خير أهل الأرض في زمانه ، بعد عجائب تمرّ به حسداً له ، ولكنّ الله بالغ أمره ولو كره المشركون .

يخرج الله تبارك وتعالى من صلبه تكملة اثني عشر إماماً مهديّاً اختصّهم الله بكرامته ، وأحلّهم دار قدسه ، المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه .

فدخل رجل من موالي بني أُميّة فانقطع الكلام ، وعدتُ إلى أبي عبدالله عليه السلام خمسة عشر مرّة أُريد استتمام الكلام فما قدرت على ذلك ، فلمّا كان من قابل دخلت عليه وهو جالس ، فقال لي :

ياأبا إبراهيم هو المفرّج للكرب عن شيعته ، بعد ضنك شديد ، وبلاء طويل وجور ، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان وحسبك ياأبا إبراهيم » .

قال أبو إبراهيم : فما رجعت بشيء أسرّ إليّ من هذا ولا أفرح لقلبي منه .

٤ ـ حديث أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال ذات يوم : « ألا أُخبركم بما لا يقبل الله عزّوجلّ من العباد عملاً إلّا به ؟

فقلت : بلى .

فقال : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله والإقرار بما أمر الله ، والولاية لنا ، والبراءة من أعدائنا ، يعني أئمّة خاصّة والتسليم لهم ، والورع والاجتهاد ، والطمأنينة ، والانتظار للقائم ثمّ قال : إنّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء .

ثمّ قال : من سَرّ أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق ، وهو منتظر ، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه ، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة » .

٥ ـ حديث جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « يأتي على الناس زمان يغيب⊂

. . . .

عنهم إمامهم ، فياطوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان ، إنّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري عزّوجلّ : عبادي آمنتم بسرّي ، وصدّقتم بغيبي ، فأبشروا بحسن الثواب منّي ، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً ، منكم أتقبّل وعنكم أعفو ، ولكم أغفر ، وبكم أسقي عبادي الغيث ، وأدفع عنهم البلاء ، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي » .

قال جابر: فقلت : يابن رسول الله فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال : « حفظ اللسان ولزوم البيت »[1].

ولا يخفى أنّه كلّما كان الانتظار أشدّ كان التهيّؤ آكد ، والاستعداد يظهر بالإعداد .

والمؤمن المنتظر لقدوم مولاه كلّما اشتدّ انتظاره إزداد جهده في التهيّؤ لذلك بالورع والاجتهاد ، وتهذيب النفس عن الأخلاق الرذيلة ، واقتناء الأخلاق الحميدة ، ولذلك أمر الأئمّة الطاهرون عليهم السلام بتهذيب الصفات ، وملازمة الطاعات كما أفاده السيّد التقي الأصفهاني[2].

واستدلّ لذلك بما تقدّم من حديث أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام الذي جاء فيه: « من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ... »[3].

---

(١) بحار الأنوار : ج٥٢ ص١٢٢ ب٢٢ المشتمل على (٧٧) حديثاً ح٧ و١٨ و٢٤ و٥٠ و٦٦ .

(٢) مكيال المكارم : ج٢ ص١٥٢ .

(٣) الغيبة ، للنعماني : ص٢٠٠ ح١٦ .

مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ[١]

---

(١) ـ الإرتقاب : هو الإنتظار .

أي منتظر لدولتكم الحقّة التي تكون عند الرجعة .

وهي الدولة الكريمة التي يُعزّ الله تعالى بها الإسلام وأهله ، ويُذلّ بها النفاق وأهله ، ويكون بها كرامة الدنيا والآخرة .

وفي حديث ابن أبي عمير ، عمّن سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول :

لكلّ أُناسٍ دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهرُ[١]

وتمتاز دولة الإمام المهدي (أرواحنا فداه) بأنّها تكون أفضل العصور الذهبية في الكرة الأرضية ، في جميع مجالات الحياة الفردية والاجتماعية .

فأوّلاً : الحياة الثقافية تزدهر بالعلم والحكمة في أرقى المراتب .

ففي حديث الإمام الباقر عليه السلام : « ... تؤتون الحكمة في زمانه ... »[٢].

وثانياً : الحياة الإقتصادية تكون في أعلى الدرجات ، إذ يسود فيها الخيرات والبركات والغنى والاستغناء ، ويزول الفقر والاحتياج .

ففي حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنّه قال : « أُبشّركم بالمهدي يبعث في أُمّتي على اختلاف من الناس ، وزلزال ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكن السماء ، وساكن الأرض ، يقسم المال صحاحاً » .

فقال له رجل : ما صحاحاً ؟

قال : بالسويّة بين الناس .

قال : « ويملأ الله قلوب أُمّة محمّد غنىً ، ويسعهم عدله ، حتّى يأمر منادياً ←

---

(١) بحار الأنوار : ج٥١ ص١٤٣ ب٦ ح٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج٥٢ ص٣٥٢ ب٢٧ ح١٠٦ .

. . . .

فينادي ، فيقول : من له في المال حاجة ؟

فما يقوم من الناس إلّا رجل واحد ، فيقول : أنا .

فيقال له : إيت السادن ـ يعني الخازن ـ فقل له : إنّ المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً .

فيقول له : احْثُ . فيحثي ، حتّى إذا جعله في حجره وأبرزه في حجره ندم ، فيقول : كنت أجشع أمّة محمّد نفساً ، أو عَجَزَ عنّي ما وسعهم . فيردّه فلا يُقبل منه ، فيقال له : إنّا لا نأخذ شيئاً أعطيناه »[1].

وثالثاً : الحياة الزراعية التي هي من أقوى مصادر الثروة تكون في غاية الحسن وغزارة البركة ، ونهاية النماء كما تلاحظ ذلك في الأحاديث التالية :

١ ـ حديث الرسول الأعظم ﷺ : « يخرج في آخر أُمّتي المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأُمّة »[2].

٢ ـ حديث الرسول الأكرم ﷺ قال : « تنعم أُمّتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعّموا مثلها قطّ ، ترسل السماء عليهم مدراراً ، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلّا أخرجته »[3].

٣ ـ حديث أمير المؤمنين عليه السلام : « ... ويزرع الإنسان مُدّاً يخرج له سبعمائة مدّ ، كما قال الله تعالى : ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[4]، ويذهب الربا والزنا ، وشرب الخمر والرياء ، وتقبل الناس على العبادة ، والمشروع ، والديانة ، والصلاة في الجماعات ، وتطول الأعمار ، وتؤدّى

---

(١) عقد الدرر : ص٢١٩ ب٨ .

(٢) عقد الدرر : ب٧ ص١٩٤ .

(٣) عقد الدرر : ب٧ ص١٩٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

. . . .

الأمانة ، وتحمل الأشجار ، وتتضاعف البركات ، وتهلك الأشرار ، ويبقى الأخيار ، ولا يبقى من يبغض أهل البيت عليهم السلام »[١].

ورابعاً : الحياة السكنية لا يكون فيها مشكلة قطّ ، بل يزدهر بالبناء والعمران حتّى أنّه تعمر الصحاري والقفار .

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام : « إذا قام اتّصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء »[٢].

وخامساً : كلّ هذا مع اقتران العيش والحياة بالأمن والأمان كما في حديث الأربعمائة :

« ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ، ولأخرجت الأرض نباتها ، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد ، واصطلحت السباع والبهائم ، حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام ، لا تضع قدميها إلّا على النبات ، وعلى رأسها زبّيلها لا يهيّجها سبع ولا تخافه »[٣].

حتّى إنّ الحيوانات تعيش بأمان كما في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : « فيبعث المهدي عليه السلام إلى أمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس ، وترعى الشاة والذئب في مكان واحد ، ... ويذهب الشرّ ، ويبقى الخير »[٤].

ولا يكون ما ينغّص العيش ويكدّره بل تكون الحياة حياة سلامة وعافية كما في الحديث المروي عن الإمام الباقر عليه السلام :

---

(١) عقد الدرر : ب٧ ص٢١١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٥٢ ص٣٣٧ ب٢٧ ح٧٦ .

(٣) بحار الأنوار : ج٥٢ ص٣١٦ ب٢٧ ح١١ .

(٤) عقد الدرر : ب٧ ص٢١١ .

. . . .

⮌« من أدرك قائم أهل بيتي من ذي عاهة برىء ، ومن ذي ضعف قوي »[١].

ويتجلّى أهنأ العيش ، وأعدل الحياة ، تحت القيادة الحكيمة العليمة الجامعة لمولانا صاحب الزمان عليه السلام التي هي مشرفة على جميع نقاط الكون والمكان .

ففي الحديث قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنّه إذا تناهت الأُمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كلّ منخفض من الأرض ، وخفّض له كلّ مرتفع حتّى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته ، فأيّكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها »[٢].

(١) بحار الأنوار : ج٥٢ ص٣٣٥ ب٢٧ ح٦٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج٥٢ ص٣٢٨ ب٢٧ ح٤٦ .

آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ(١) عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ(٢)

(١) ـ إذ من المعلوم أنّ ما قاله أهل البيت عليهم السلام هو الحقّ ، وما نطق به آل محمّد عليهم السلام هو الصدق ، ففي طريق الحقّ لا آخذ إلّا بقولكم أنتم المعصومون الصادقون .

وفي حديث أبي مريم قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : « شرّقا وغرّبا ، لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت »(١).

وهم أبواب مدينة العلم والحكمة فيلزم أخذ العلم منهم لا من غيرهم .

كلّ هذا مع وجوب إطاعتهم الذي يقتضي وجوب الأخذ بقولهم كما يأتي في الفقرة التالية .

(٢) ـ فإنّكم أهل البيت حجج الله الصدّيقون ، لا تأمرون إلّا بما يأمر به الله تعالى ويريده .

فيكون العمل بأمركم عملاً بأمر الله عزّ إسمه ، لذلك فإنّي عامل بأمركم ، ومعتقد لذلك ، وعازمٌ عليه إن عصيت أحياناً .

وأنتم أهل البيت أبواب الله وسبيل الوصول إليه وطاعتكم طاعة الله تعالى ، فلا تتحقّق الإطاعة إلّا بإمتثال أوامركم ونواهيكم ، ولا يصاب العلم إلّا منكم .

كما تلاحظه في الأحاديث الشريفة ، مثل :

١ ـ حديث سعد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن هذه الآية : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾(٢).

فقال : « آل محمّد صلى الله عليه وآله أبواب الله ، وسبيله ، والدعاة إلى الجنّة ، والقادة إليها ، والأدلّاء عليها ، إلى يوم القيامة » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢ ص٩٢ ب١٤ ح٢٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

. . . .

---

٢ ـ حديث اليقطيني قال أبو عبدالله عليه السلام : « أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب فجعل لكلّ شيء سبباً ، وجعل لكلّ سبب شرحاً ، وجعل لكلّ شرح مفتاحاً ، وجعل لكلّ مفتاح علماً ، وجعل لكل علم باباً ناطقاً ، من عرفه عرف الله ، ومن أنكره أنكر الله ، ذلك رسول الله ونحن »(١).

وإنّما كانت إطاعتهم إطاعة الله تعالى لأنّ الله أمر بطاعتهم يدلّ على ذلك :

أوّلاً : دليل الكتاب مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ...﴾(٢) فإنّها نزلت فيهم باتّفاق الفريقين في أحاديثهم(٣).

وتلاحظ أحاديث نزولها فيهم من الخاصّة في الكنز(٤)، ومن مصادر العامّة مجموعة في الإحقاق(٥).

وثانياً : دليل السنّة الشريفة كما تجده في مثل :

١ ـ حديث الثمالي المتقدّم سألت أبا جعفر عليه السلام : ما حقّ الإمام على الناس ؟ قال : « حقّه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا ... »(٦).

٢ ـ حديث النهج الشريف المتقدّم قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : « أيّها الناس إنّ لي عليكم حقّاً ولكم عليَّ حقّ ، فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا وتأديبكم كي ما تعلموا ، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة

---

(١) بحار الأنوار : ج٢ ص١٠٤ ح٦٠ ، وص٩٠ ح١٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٣) غاية المرام : ص٢٦٣ و٢٦٥ .

(٤) كنز الدقائق : ج٣ ص٤٣٧ .

(٥) إحقاق الحقّ : ج٣ ص٤٢٤ ، وج١٤ ص٦٥٤ .

(٦) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٤٤ ب١١ ح٤ .

. . . .

حين آمركم »[1].

٣ ـ حديث الثمالي أيضاً قال : قال علي بن الحسين عليه السلام : « إنّ دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ، ولا يصاب إلّا بالتسليم ، فمن سلّم لنا سلم ومن اهتدى بنا هُدي ، ومن دان بالقياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه شيئاً ممّا نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم »[2].

واعلم أنّ كمال الطاعة بل حقيقة الايمان تكون بالتسليم لهم عليهم السلام في أوامرهم ونواهيهم وعدم ردّ كلامهم[3].

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٥١ ب١١ ح١٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢ ص٣٠٣ ب٣٤ ح٤١ .

(٣) لاحظ أحاديث سفينة البحار : ج٤ ص٢٣٦ ، وج٦ ص٤١ .

مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ(١)

(١) ـ الاستجارة : طلب الحفظ ، مأخوذ من الإجارة ، وهو الحفظ والإنقاذ، وأجاره الله من العذاب أي أنقذه منه(١).

فالمعنى أنّي أطلب الحفظ والإنقاذ بكم أهل البيت أو بولايتكم أو بمحبّتكم أو بزيارتكم أو بجميع ذلك .

فإنّ المستجير بكم مأمون من أن يصل إليه سوء .

لأنّكم حجج الله والوسيلة إليه ، فتكون الاستجارة بكم استجارة واعتصاماً بذمام الله تعالى ، والله هو المجير ، والأمن والأمان يقيني بجوار الله تعالى .

وهم عليهم السلام ملجأ كلّ ضعيف كما في الحديث العلوي الشريف(٢).

---

(١) مجمع البحرين : ص٢٤٨ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤ ص٨ ب١ ح١٨ .

زَائِرٌ لَكُمْ(١)

(١) ـ الزيارة في أصل اللغة هو القصد ، يقال : زاره يزوره ، زوْراً وزيارةً أي قصده ، فهو زائر وزَوْر وزَوّار .

والزيارة في العرف : قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به(١)، والقصد هو إتيان الشيء(٢).

فتكون الزيارة إتيان المزور والحضور عنده .

وزيارة أهل البيت عليهم السلام من المعالم الدينية المقدّسة التي أُمر بها وأخذ العهد عليها، ورُتّب عليها الدرجات العالية ، والمثوبات الباقية .

لذلك تبيّن هذه الفقرة المباركة بأنّي زائر لكم ، ومتوجّه بهذه الزيارة الشريفة إليكم ، راجياً الفوز بالمقامات الكريمة ، والنجاة من الأهوال والشدائد العظيمة .

وقد تقدّم بيانه ودليله في أوّل الكتاب عند ذكر الأحاديث في ذلك(٣).

وفضل الزيارة الشريفة متّفق عليه بين الخاصّة والعامّة كما تلاحظه في (٢٢) حديثاً من طرق العامّة ، مع بيان استحبابها في كلمات (٤٢) شخص من أعلامهم ، جاءت بالتفصيل في كتاب الغدير(٤).

---

(١) مجمع البحرين : ص٢٦٤ . (٢) مجمع البحرين : ص٢٢٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٠٠ ص١١٦ ب٢ الأحاديث ١ و١١ و٢٢ ، كامل الزيارات : ص١٢١ .

(٤) الغدير : ج٥ ص٨٦ ـ ١٨٠ .

لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم[١]

(١) ـ هكذا في الفقيه ، لكن في العيون : (عائذ بكم ، لائذ بقبوركم) .

أمّا معنى الفقرة الأُولى يعني عائذ بكم فيقال : عذت إليه : أي لجأت إليه واعتصمت به .

أي إنّي ملتجأ إليكم ومعتصم بكم .

لأنّهم حبل الله المتين الذي يكون الاعتصام به إعتصاماً بالله تعالى كما يشهد به تفسير آية الاعتصام الذي تلاحظه في الكنز[١].

وأمّا معنى الفقرة الثانية : يعني لائذ بقبوركم فيقال : لاذ بـه لوذاً أي لجأ إليـه واستغاث به ، وفي الدعاء : اللهمّ بك ألوذ أي ألتجأ وأنضم وأستغيث .

أي إنّي ملتجأ بقبوركم الشريفة التي هي من مظاهر إظهار الولاء ، ومن أسباب النجاة في السرّاء والضرّاء .

وقد تقدّمت أحاديثه في أوّل الكتاب .

ومراقدهم المقدّسة من بيوت النبي الأعظم ﷺ الرفيعة[٢].

ومن البُقع التي طهّرها الله وزكّاها وأظهر فيها أدلّة التوحيد ، وأشـباح العـرش المجيد كما في استئذاناتهم الشريفة[٣].

وهي متضمّنة لأبدان حجج الله وخلفائه الذين يكون الالتجاء بهم التجاء بالله تعالى .

وكم من شدائد كُشفت ، وحوائج قضيت ببركة الالتجاء بهم سلام الله عليهم وهي من المشاهدات الوجدانية الواضحة ، إضافة إلى ما سُجّلت في الكتب المعتبرة .

ولكلّ من المؤمنين بل حتّى بعض غير المؤمنين حوائج مقضيّة بواسطة التجائهم بأهل البيت عليهم‌السلام ... يستدعي ذكرها الكتب المفصّلة .

---

(١) كنز الدقائق : ج٣ ص١٨٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٤١ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١١٥ .

مُسْتَشْفِعُ إِلىٰ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ بِكُمْ(١) وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ(٢)

(١) ـ الاستشفاع : هو طلب الشفاعة .

أي إنّي أطلب شفاعتكم أهل البيت وأجعلكم شفعائي إلى الله تعالى .

وذلك لأنّهم الشفعاء إليه ، والمرضيين في مقام شفاعتهم لديه .

كما تقدّم دليله في الفقرة السابقة « وشفعاء دار البقاء » .

(٢) ـ أي إنّي أتقرّب بكم أهل البيت وأجعلكم وسائل قربي المعنوي إلى الله الجليل .
حيث إنّهم الوسائل إلى الله تعالى كما تلاحظه في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1]ـ[2].

وفي حديث طارق بن شهاب ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الأئمّة من آل محمّد الوسيلة إلى الله[3].

وفي عدّة الداعي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : سمعت محمّداً صلى الله عليه وآله يقول : « إنّ الله عزّوجلّ يقول : ياعبادي أوليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلّا أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق إليكم ، تقضونها كرامة لشفيعهم ؟

ألا فأعلموا أنّ أكرم الخلق عليّ وأفضلهم لديّ محمّد وأخوه علي ومن بعده الأئمّة ، الذين هم الوسائل إليّ .

ألا فليدعني من همّته حاجة يريد نفعها ، أو دهته داهية يريد كشف ضررها بمحمّد وآله الطيبيّن الطاهرين أقضها له أحسن ما يقضيها من يستشفعون بأعزّ الخلق عليه » .

فقال له قوم من المشركين والمنافقين وهم المستهزؤون به : ياأبا عبدالله فما لك ←

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣٥.
(٢) كنز الدقائق : ج٤ ص١٠٤ .
(٣) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٧٤ ب٣ ح٣٨ .

. . . .

لا تقترح على الله بهم أن يجعلك أغنى أهل المدينة ؟

فقال سلمان ﵁ : دعوت الله وسألته ما هو أجلّ وأنفع وأفضل من ملك الدنيا بأسرها ، سألته بهم ﵈ أن يهب لي لساناً ذاكراً لتحميده وثنائه ، وقلباً شاكراً لآلائه، وبدناً على الدواهي الداهية صابراً ، وهو عزّوجلّ قد أجابني إلى ملتمسي من ذلك، وهو أفضل من ملك الدنيا بحذافيرها وما اشتمل عليه من خيراتها مائة ألف ألف مرّة .

وفي هامش الكتاب نقل حديث الأمالي عن الإمام العسكري ﵇ ، عن آبائه ﵈ ، عن النبي ﷺ أنّه قال :

« إنّ الله سبحانه يقول : عبادي من كانت له إليكم حاجة فسألكم بمن تحبّون أجبتم دعائهم ، ألا فأعلموا أنّ أحبّ عبادي إليّ وأكرمهم لدي محمّد وعلي حبيبي ووليي .

فمن كانت له إليّ حاجة فليتوسّل إليّ بهما ، فإنّي لا أردّ سؤال سائل يسألني بهما وبالطيبين من عترتهما ، فمن سألني بهم فإنّي لا أردّ دعاءه ، وكيف أردّ دعاء من سألني بحبيبي وصفوتي ووليي وحجّتي وروحي ونوري وآيتي وبابي ورحمتي ووجهي ونعمتي !

ألا وإنّي خلقتهم من نور عظمتي ، وجعلتهم أهل كرامتي وولايتي ، فمن سألني بهم عارفاً بحقّهم ومقامهم ، أوجبت لهم منّي الإجابة وكان ذلك حقّاً »[1].

وفي حديث شعيب العقرقوفي ، عن أبي عبدالله﵇ قال : « إنّ يوسف أتاه جبرئيل فقال : يايوسف إنّ ربّ العالمين يقرئك السلام، ويقول لك : من جعلك أحسن خلقه؟

---

(١) عدّة الداعي : ص١٥١ .

. . . .

قال : فصاح ووضع خدّه على الأرض ثمّ قال : أنت ياربّ .

قال : ثمّ قال له : ويقول لك : من حبّبك إلى أبيك دون إخوتك ؟

قال : فصاح ووضع خدّه على الأرض ثمّ قال : أنت ياربّ .

قال : ويقول لك : من أخرجك من الجُبّ بعد أن طرحت فيها وأيقنت بالهلكة ؟

قال : فصاح ووضع خدّه على الأرض ثمّ قال : أنت ياربّ .

قال : فإنّ ربّك قد جعل لك عقوبة في استعانتك بغيره ، فالبث في السجن بضع سنين .

قال : فلمّا انقضت المدّة أذن له في دعاء الفَرَج ، ووضع خدّه على الأرض ثمّ قال : اللهمّ إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك ، فإنّي أتوجّه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب . قال : ففرّج الله عنه » .

قال : فقلت له : جعلت فداك أندعو نحن بهذا الدعاء ؟

فقال : ادع بمثله ، « اللهمّ إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإنّي أتوجّه إليك بوجه نبيّك نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام »(١).

وفي نسخة الكفعمي : (ومتقرّب إليه بمحبّتكم) .

---

(١) بحار الأنوار : ج٩٤ ص١٩ ب٢٨ ح١٣ .

وَمُقَدِّمُكُمْ اَمامَ طَلِبَتِي وَحَوائِجِي وَاِرادَتِي فِي كُلِّ اَحْوالِي وَاُمُورِي(١)

(١) ـ التقديم هنا بمعنى : التوجّه والاستشفاع .

أي إنّي أتوجّه إلى الله تعالى وأستشفع إليه بكم أهل البيت وأسأله بحقّكم لتنجيز جميع ما أطلبه وأحتاجه وأُريده من الله تعالى في جميع أحوالي ولجميع اُموري .

وذلك لأنّكم الوسائل المقبولة عند الله تعالى ، كما تقدّم بيانه ودليله في الفقرة السابقة .

وفُسّرت هذه الفقرة بمعنى آخر أيضاً وهو إنّي أُقدّم الصلاة عليكم قبل طلباتي وحوائجي ليُستجاب دعائي وتُقبل حاجتي .

للأخبار الواردة المتواترة في أنّ الدعاء لا يقبل بدون الصلوات على محمّد وآل محمّد سلام الله عليهم[1].

فلاحظ مثل :

١ ـ حديث هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : « لا يزال الدعاء محجوباً حتّى يُصلّي على محمّد وآل محمّد »[2].

٢ ـ حديث السكوني ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : « من دعا ولم يذكر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله رفرف الدعاء على رأسه فإذا ذكر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله رفع الدعاء »[3].

٣ ـ حديث ابن جمهور عن أبيه عن رجاله ، قال أبو عبدالله عليه‌السلام : « من كانت له إلى الله عزّوجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد وآله ، ثمّ يسأل حاجته ، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد ، فإنّ الله عزّوجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع ⟵

(١) روضة المتّقين : ج٥ ص٣٨٨ ، الأنوار اللامعة : ص١٧٠ .

(٢) الكافي : ج٢ ص٤٩١ ح١ .

(٣) الكافي : ج٢ ص٤٩٤ ح٢ .

. . . .

الوسط إذ [ا] كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد لا تحجب عنه »[1].

وفي نسخة الكفعمي : « ومقدّمكم أمام طلبتي ومسألتي وحوائجي وإرادتي ، ومتوسّل بكم إليه ، ومقدّمكم بين يدي من كلّ أحوالي وأموري » .

---

(١) الكافي : ج٢ ص٤٩٤ ح١٦ .

مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلاٰنِيَتِكُمْ(١)

(١) ـ السرّ : هو الشيء الذي يُكتم ، وهذا من سرّ آل محمّد عليهم السلام أي من مكتوم آل محمّد عليهم السلام الذي لا يظهر لكلّ أحد(١).

ومقابله العلانية هو : الشيء الذي يظهر ، يقال : عَلَن الأمر عُلوناً . أي ظَهَر وانتشر ، والاسم منه العلانية(٢).

ومعنى الفقرة إنّي مؤمن بما استتر عن أكثر الخلق من غرائب أحوالكم وكمالاتكم ، وبما علن وظهر منها .

أو أنّي مؤمن باعتقاداتكم التي هي سرّ ، وبأقوالكم وأفعالكم التي هي علانية .

أمّا المعنى الأوّل فلأنّ أهل البيت عليهم السلام حفظة الأسرار الإلهية .

وأسرار الله تعالى هي العلوم التي لا يجوز إظهارها وإفشاؤها إلّا لمن هو أهل لها من الكمّلين والمتحمّلين كما أفاده في الأنوار(٣).

وقد فصّلنا فيه البحث عند بيان فقرة « حفظة سرّ الله » ، وذكرنا حديث أبي الجارود المتقدّم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً عليه السلام في ←

---

(١) مجمع البحرين : ص٢٦٦ .

(٢) مجمع البحرين : ص٥٦٤ .

(٣) الأنوار اللامعة : ص٧٨ .

. . . .

⊃المرض الذي توفّى فيه فقال :

ياعلي أُدن منّي حتّى أسرّ إليك ما أسرّ الله إليّ وأئتمنك على ما ائتمنني الله عليه ، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ، وفعله علي بالحسن عليه السلام ، وفعله الحسن عليه السلام بالحسين عليه السلام ، وفعله الحسين عليه السلام بأبي، وفعله أبي بي صلوات الله عليهم أجمعين »[1].

وأمّا المعنى الثاني فلأنّ أهل البيت عليهم السلام أعظم العارفين بالله ، بل لم يـعرف الله حقّ المعرفة إلّا هم فنؤمن باعتقادهم ، كما أنّهم حجج الله تعالى على الخلق فنؤمن بأقوالهم وأفعالهم .

وقد تقدّم بيانه ودليله في فقرة « وحجج الله » وفقرة « السلام على محال معرفة الله » .

(١) بصائر الدرجات : ص٣٧٧ ب٣ ح١ .

وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ(١)

(١) ـ الشاهد : هو الحاضر نظير : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ أي من كان حاضراً .

والغائب : هو المستتر ، يقال : غاب القمر أي توارى واستتر عن الأبصار(١).

أي إنّي مؤمن بالإمام الشاهد الحاضر منكم وهم الأئمّة الأحد عشر ، والإمام الغائب وهو الإمام الثاني عشر عليهم السلام .

فإنّه لابدّ للخلق من حجّة فيما بينهم وبين الله تعالى إمّا ظاهر مشهور ، أو غائب مستور .

ويكون الانتفاع بالإمام الغائب كالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها السحاب ، كما تلاحظه في التوقيع الشريف لمحمّد بن عثمان العمري عن مولانا صاحب الزمان عليه السلام(٢).

وقد تقدّم لزوم الإيمان بجميعهم سلام الله عليهم في الشهادة الثالثة من هذه الزيارة المباركة فراجع .

---

(١) مجمع البحرين : ص٢١٢ و١٣١ .

(٢) إكمال الدين : ص٤٨٥ ب٤٥ ح٤ .

وَاَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ(١)

---

(١) ـ أي إنّي مؤمن بكم أهل البيت وبإمامتكم أيّها الأئمّة الاثنى عشر من أوّلكم وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى آخركم الحجّة بن الحسن المهدي (عجّل الله تعالى فرجه) ، ولا أنكر أحداً منكم كما أنكره العامّة أو الواقفة والفرق المنحرفة .

فإنّ إنكار واحد منهم إنكار لبقيّتهم وهو موجب للنار كما تلاحظه في الأحاديث مثل :

١ ـ حديث ابن أبي يعفور ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : من ادّعى إمامة من الله ليست له ، ومن جحد إماماً من الله ، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً »(١).

٢ ـ حديث ابن مسكان قال : سألت الشيخ عليه السلام(٢) عن الأئمّة عليهم السلام ؟

قال : « من أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات »(٣).

فالأئمّة الطاهرون الذين يجب الإيمان بهم جميعاً ، هم إثنى عشر كاملاً ، بالنصّ الثابت من طريق الفريقين ، من طريق الخاصّة في (١٩) حديثاً ومن طريق العامّة في (٦٥) حديثاً(٤).

وهم الذين نصّ عليهم في حديث اللوح الشريف المتقدّم(٥).

وهم الذين ثبتت وصايتهم وخلافتهم ، وبُشّر بهم في الأديان السابقة على الإسلام كما تلاحظه في أحاديث كثيرة منها :

حديث أبي الطفيل قال : شهدت جنازة أبي بكر يوم مات ، وشهدت عمر حين ⇐

---

(١) الكافي : ج١ ص٣٧٣ ح٤ .

(٢) يعني به الإمام الكاظم عليه السلام .

(٣) الكافي : ج١ ص٣٧٣ ح٨ .

(٤) غاية المرام : ص٢٨ .

(٥) إكمال الدين : ص٣٠٨ ب٢٨ ح١ .

. . . .

بويع ، وعلي عليه‌السلام جالس ناحية إذ أقبل عليه غلام يهودي عليه ثياب حسان ، وهو من ولد هارون ، حتّى قام على رأس عمر فقال : ياأمير المؤمنين أنت أعلم هذه الأمّة بكتابهم وأمر نبيّهم ؟

قال : طأطأ عمر رأسه ، فقال : إيّاك أعني ، وأعاد عليه القول .

فقال له عمر : ما شأنك ؟

فقال : إنّي جئتك مرتاداً لنفسي ، شاكّاً في ديني .

فقال : دونك هذا الشاب .

قال : ومن هذا الشابّ ؟

قال : هذا علي بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وهو أبو الحسن والحسين إبني رسول الله وهذا زوج فاطمة إبنة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله .

فأقبل اليهودي على علي عليه‌السلام فقال : أكذلك أنت ؟

قال : نعم .

فقال اليهودي : إنّي أُريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة .

قال : فتبسّم علي عليه‌السلام ، ثمّ قال : ياهاروني ما منعك أن تقول : سبعاً .

قال : أسألك عن ثلاث فإن علمتهنّ سألتك عمّا بعدهنّ وإن لم تعلمهنّ علمت أنّه ليس لك علم .

فقال علي عليه‌السلام : فإنّي أسألك بالإله الذي تعبده إن أنا أجبتك في كلّ ما تريد لتدعنّ دينك ولتدخلنّ في ديني ؟

فقال : ما جئت إلّا لذلك .

قال : فسل .

قال : فأخبرني عن أوّل قطرة دم قطرت على وجه الأرض أيّ قطرة هي ؟ وأوّل

. . . .

عين فاضت على وجه الأرض أيّ عين هي ؟ وأوّل شيء اهتزّ على وجه الأرض أي شيء هو ؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال : أخبرني عن الثلاث الأُخرى أخبرني عن محمّدٍ كم بعده من إمام عدل ؟ وفي أي جنّة يكون ؟ ومن الساكن معه في جنّته ؟

فقال : ياهاروني إنّ لمحمّد صلى الله عليه وآله من الخلفاء إثنا عشر إماماً عدلاً لا يضرّهم خذلان من خذلهم ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم وإنّهم أرسب [أثبت] في الدين من الجبال الرواسي في الأرض ، ومسكن محمّد صلى الله عليه وآله في جنّة عدن معه ، أولئك الإثنا عشر الأئمّة العدل .

فقال : صدقت والله الذي لا إله إلّا هو إنّي لأجدها في كتاب أبي هارون ، كتبه بيده وأملاه عمّي موسى عليه السلام .

قال : فأخبرني عن الواحدة فأخبرني عن وصي محمّد كم يعيش من بعده ، وهل يموت أو يقتل ؟

قال : ياهاروني يعيش بعده ثلاثين سنة لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً ، ثمّ يضرب ضربة ههنا ـ يعني قرنه ـ فتخضب هذه من هذا .

قال : فصاح الهاروني ، وقطع كستيجه ـ أي شعاره ـ وهو يقول : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّك وصيّه ، ينبغي أن تفوق ولا تُفاق ، وأن تعظَّم ولا تُستضعف .

قال : ثمّ مضى به عليه السلام إلى منزله فعلّمه معالم الدين »[1].

---

(١) إكمال الدين : ص٢٩٩ ب٢٦ ح٦٦ .

وَمُفَوِّضٌ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ اِلَيْكُمْ[١]

(١) ـ التفويض في اللغة بمعنى : ردّ الأمر إلى أحد وتحكيمه فيه ، وفي القرآن الكريم : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ﴾[١] أي أردّه إليه .

وفي الدعاء : « فوّضت أمري إليك » أي رددته إليك وجعلتك الحاكم فيه ، ومنه قوله في الحديث : « قد فوّض الله إلى النبي صلى الله عليه وآله أمر دينه »[٢]ـ[٣].

والتفويض هنا هو : إرجاع الأمر إليهم وعدم الاعتراض عليهم .

وفسّرت هذه الفقرة بمعنيين :

١ / إنّي مفوّض الأمر في أعمالكم إليكم ، ولا أعترض عليكم في شيء من أموركم ، لأنّي أعلم أنّ كلّما تأتون به فهو بأمر الله تعالى ، بإرجاع كلمة ذلك إلى قوله عليه السلام : « مؤمن بسرّكم وعلانيتكم » الخ .

ففي حديث الأنصاري ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « من سرّه أن يستكمل الايمان فليقل : القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمّد عليهم السلام فيما أسرّوا وفيما أعلنوا ، وفيما بلغني وفيما لم يبلغني »[٤].

فنفوّض إليهم ، ولا نعترض عليهم ، علماً بأنّهم سلام الله عليهم لا يفعلون إلّا ما أمرهم الله تعالى ، ولا يعملون إلّا بإرادته ، فلا وجه للاعتراض عليهم .

كما تلاحظ ذلك في باب أنّ الأئمّة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلّا بعهد من الله عزّوجلّ لا يتجاوزونه[٥].

---

(١) سورة غافر : الآية ٤٤ .
(٢) مجمع البحرين : ص٣٥٦ .
(٣) الكافي : ج١ ص٢٦٥ ح٢ ، وص٤٤٠ ح٥ .
(٤) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٣٦٤ ب١٣ ح٢ ـ ٧ .
(٥) الكافي : ج١ ص٢٧٩ الأحاديث خصوصاً ح٢ .

. . . .

٢ / إنّي مفوّض أُموري جميعها إليكم ، لكـي تـصلحوا خـللها ومـا فسـد مـنها ، وتجعلوني في كفاية منها ، حيث إنّ أعمال الخلائق تعرض عليكم ، بإرجاع كلمة (ذلك) إلى قوله عليه السلام : « ومقدّمكم أمام حوائجي وإرادتي في كلّ أحوالي وأُموري » وذلك لأنّهم عليهم السلام الملجأ للخلق ، والوسيلة إلى الله تعالى ، فنتوسّل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام ونفوّض أُمورنا إليهم .

وأفاد العلّامة المجلسي رحمه الله هنا أنّ المعنى الأوّل أظهر[1].

ولعلّ وجه الأظهرية هو رجوع إشارة ذلك إلى السرّ والعلانية .

وهو المرجع الأقرب ، بل هو الأنسب بما بعده يعني قوله عليه السلام : « ومسلّم فـيه معكم » .

وكيف كان فتفويض الأمر إلى المعصومين عليهم السلام الذيـن هـم حـجج الله تـعالى وخلفاؤه المعصومون هو تفويض إلى الله تعالى ، وهو المستحسن في كلّ حال .

بل في الحديث النبوي الشريف : التفويض إلى الله من أركان الايمان[2].

ولا يخفى أنّ التفويض إلى الله تعالى هو الموجب لراحة الأبد ، والعيش الرغد ، والنجاة من الهلكات ، وكفاية الأُمور في موارد العسر ، كما تجده وتدركه وجداناً في موارده ، وللتقريب نمثّل بموارد ثلاثة :

الأوّل : تفويض حزقيل مؤمن آل فرعون وكفاية أمره .

ففي حديث كتاب الاحتجاج عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل ، يذكر فيه حزقيل وأنّ قوم فرعون وشوا به إلى فرعون وقالوا : إنّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك ، ويعين أعداءك على مضادّتك .

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٤٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٧١ ص١٣٥ ب٦٣ ح١٣ .

. . . .

فقال لهم فرعون : ابن عمّي وخليفتي على ملكي ووليّ عهدي ، إن كان قد فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره نعمتي ، وإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العقاب لإيثاركم الدخول في مساءته .

فجاء بحزقيل وجاء بهم ، فكاشفوه ، فقالوا : أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك وتكفر نعماءه .

فقال حزقيل : أيّها الملك ، هل جرّبت عليّ كذباً قطّ ؟

قال : لا .

قال : فاسألهم من ربّهم ؟

قالوا : فرعون .

قال : ومن خالقكم ؟

قالوا : فرعون .

قال : ومن رازقكم الكافل لمعاشكم ، والدافع عنكم مكارهكم ؟

قالوا : فرعون هذا .

قال حزقيل : أيّها الملك ، فأشهدك وكلّ من حضرك : أنّ ربّهم هو ربّي وخالقهم هو خالقي ، ورازقهم هو رازقي ، ومصلح معائشهم هو مصلح معائشي ، لا ربّ لي ولا خالق [ولا رازق] غير ربّهم وخالقهم ورازقهم . وأشهدك ومن حضرك : أنّ كلّ ربّ وخالق [ورازق سوى] ربّهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيته وكافر بإلهيّته .

يقول حزقيل هذا وهو يعني : أنّ ربّهم هو الله ربّي ، ولم يقل : إنّ الذي قالوا : هم أنّه ربّهم هو ربّي ، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره ، وتوهّموا أنّه يقول : فرعون ربّي وخالقي ورازقي .

. . . .

فقال لهم [فرعون] : يارجال السوء ، ويا طلّاب الفساد في ملكي ، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي وهو عضدي ، أنتم المستحقّون لعذابي لإرادتكم فساد أمري ، وإهلاك ابن عمّي ، والفتّ في عضدي .

ثمّ أمر بالأوتاد ، فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتداً ، [وفي عضده وتداً ،] وفي صدره وتداً ، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم ، فذلك ما قال الله تعالى : ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ لمّا وشوا به إلى فرعون ليهلكوه ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ الْعَذَابِ﴾(١) وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد ، ومشّط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط »(٢).

الثاني : كفاية سيّدنا إبراهيم عليه السلام من شرّ نمرود وصيرورة النار له روضة خضراء كما في حديث تفسير الإمام العسكري عليه السلام جاء فيه :

« ... فحُبس إبراهيم وجمع له الحطب ، حتّى إذا كان اليوم الذي ألقى فيه نمرود إبراهيم في النار برز نمرود وجنوده ، وقد كان بُني لنمرود بناء ينظر منه إلى إبراهيم كيف تأخذه النار ، فجاء إبليس واتّخذ لهم المنجنيق لأنّه لم يقدر أحد أن يتقارب من النار ، وكان الطائر إذا مرّ في الهواء يحترق .

فوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وجاء أبوه فلطمه لطمةً وقال له : ارجع عمّا أنت عليه .

وأنزل الربّ [ملائكته] إلى السماء الدنيا ، ولم يبق شيء إلّا طلب إلى ربّه ، وقالت الأرض : ياربّ ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيُحرق ، وقالت الملائكة: ياربّ خليلك إبراهيم يُحرق .

---

(١) سورة غافر : الآية ٤٥ .

(٢) كنز الدقائق : ج ١١ ص ٣٨٩ ، الاحتجاج : ج ١ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

. . . .

فقال الله عزّوجلّ : أما إنّه إن دعاني كفيته ، وقال جبرئيل : ياربّ خليلك إبراهيم ليس في الأرض أحد يعبدك غيره سلّطت عليه عدوّه يحرقه بالنار .

فقال : اسكت إنّما يقول : هذا عبد مثلك يخاف الفوت ، هو عبدي آخذه إذا شئت ، فإن دعاني أجبته .

فدعا إبراهيم عليه السلام ربّه بسورة الإخلاص : « ياالله ياواحد ياأحد ياصمد يامن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجّني من النار برحمتك » .

قال : فالتقى معه جبرئيل في الهواء وقد وضع في المنجنيق فقال : ياإبراهيم هل لك إليّ من حاجة ؟

فقال إبراهيم : أمّا إليك فلا ، وأمّا إلى ربّ العالمين فنعم .

فدفع إليه خاتماً عليه مكتوب : « لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ألجأت ظهري إلى الله وأسندت أمري إلى الله وفوّضت أمري إلى الله » .

فأوحى الله إلى النار : « كوني برداً » فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتّى قال : « وسلاماً على إبراهيم » .

وانحطّ جبرئيل وجلس معه يحدّثه في النار ، ونظر إليه نمرود فقال : من اتّخذ إلهاً فليتّخذ مثل إله إبراهيم ، فقال عظيم من عظماء أصحاب نمرود : إنّي عزمت على النار أن لا تحرقه ، فخرج عمود من النار نحو الرجل فأحرقه ، ونظر نمرود إلى إبراهيم في روضة خضراء في النار مع شيخ يحدّثه ، فقال لآزر : ياآزر ما أكرم إبنك على ربّه »[1].

الثالث : كفاية رسول الله صلى الله عليه وآله منذ طفولته إلى يوم شهادته في السلم والحرب.

---

(١) بحار الأنوار : ج١٢ ص٣٢ ب١ ح٨.

. . . .

خصوصاً في واقعة اغتياله ومحاولة قتله في عقبة هرشى عند رجوعه إلى المدينة بعد يوم الغدير الشريف، وتلاحظها في حديث حذيفة جاء فيه :

فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عمّار بن ياسر وأمره أن يسوقها ـ أي ناقته ـ وأنا أقودها، حتّى إذا صرنا رأس العقبة، ثار القوم من ورائنا، ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة، فذعرت وكادت تنفر برسول الله صلى الله عليه وآله، فصاح بها النبي صلى الله عليه وآله : أن اسكني، وليس عليك بأس . فأنطقها الله تعالى بقول عربي مبين فصيح .

فقالت : والله، يارسول الله صلى الله عليه وآله لا أزلت يداً عن مستقر يد، ولا رجلاً عن موضع رجل، وأنت على ظهري .

فتقدّم القوم إلى الناقة ليدفعوها فأقبلت أنا وعمّار نضرب وجوههم بأسيافنا، وكانت ليلة مظلمة، فزالوا عنّا وأيسوا ممّا ظنّوا، وقدّروا ودبّروا .

فقلت : يارسول الله من هؤلاء القوم الذين يريدون ما ترى ؟

فقال صلى الله عليه وآله : ياحذيفة هؤلاء المنافقون في الدنيا والآخرة .

فقلت : ألا تبعث إليهم يارسول الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم ؟

فقال : إنّ الله أمرني أن أعرض عنهم، فأكره أن تقول الناس : إنّه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا، فقاتل بهم حتّى إذا ظهر على عدوّه، أقبل عليهم فقتلهم، ولكن دعهم ياحذيفة، فإنّ الله لهم بالمرصاد، وسيمهلهم قليلاً ثمّ يضطرّهم إلى عذاب غليظ .

فقلت : ومن هؤلاء القوم المنافقون يارسول الله صلى الله عليه وآله أمن المهاجرين أم من الأنصار ؟ فسمّاهم لي رجلاً رجلاً حتّى فرغ منهم، وقد كان فيهم أناس أنا كاره أن يكونوا فيهم، فأمسكت عند ذلك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياحذيفة كأنّك شاكّ في بعض من سمّيت لك، ارفع رأسك

. . . .

إليهم ، فرفعت طرفي إلى القوم ، وهم وقوف على الثنيّة ، فبرقت برقة فأضاءت جميع ما حولنا ، وثبتت البرقة حتّى خلتها شمساً طالعة فنظرت والله إلى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً ، فإذا هم كما قال رسول الله ﷺ ، وعدد القوم أربعة عشر رجلاً ، تسعة من قريش ، وخمسة من سائر الناس .

فقال له الفتى : سمّهم لنا يرحمك الله تعالى !

قال حذيفة : هم والله أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص ، وأبو عبيدة بن الجرّاح ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، هؤلاء من قريش ، وأمّا الخمسة الأخر فأبو موسى الأشعري ، والمغيرة بن شعبة الثقفي ، وأوس بن الحدثان البصريّ ، وأبو هريرة ، وأبو طلحة الأنصاري ... »[1].

وفي نسخة الكفعمي بدل هذه الفقرة من الزيارة : « ومفوّض في ذلك كلّه إلى الله عزّوجلّ ثمّ إليكم » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٨ ص٩٩ ب٣ ح٣ .

وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ(١) وَقَلْبِي لَكُمْ سِلْمٌ(٢)

(١) ـ مسلّم : من التسليم وهو الإنقياد .

أي إنّي مسلّم ومنقاد في جميع أُموركم ما أعلنتم وما أسررتم ، لله تعالى ، كما أسلمتم أنتم ورضيتم ، فلا أعترض على الله تعالى في شيء من ذلك .

فإنّه لا يكمل إيمان المؤمن إلّا بالتسليم .

وقد تقدّم حديث يحيى بن زكريا الأنصاري ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : سمعته يقول : « من سرّه أن يستكمل الايمان كلّه فليقل : القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمّد عليهم السلام فيما أسرّوا وفيما أعلنوا ، وفيما بلغني وفيما لا يبلغني »[١].

ولاحظ في التسليم الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٢]ـ[٣].

(٢) ـ في هامش الفقيه أنّ في بعض النسخ : « وقلبي لكم مسلّم » ، وفي عيون الأخبار : « وقلبي لكم مؤمن ».

فعلى نسخة سلم المعنى : إنّ قلبي لكم صلح ، أي لا اعتراض له عليكم .

وقد تقدّم دليله في فقرة : « ومفوّض في ذلك كلّه إليكم » .

وعلى نسخة مسلّم المعنى : إنّ قلبي منقاد مطيع مذعن لكم ، لا يختلج فيه اعتراض على شيء من أفعالكم أو أقوالكم أو أحوالكم .

لأنّي أعلم علم اليقين أنّكم حجج الله ، ومعصومون من قبله ، وعاملون بإرادته. ←

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٣٦٤ ب١٣ ح٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٣) كنز الدقائق : ج٣ ص٤٥٧ .

. . . .

◄وعلى نسخة مؤمن المعنى : إنّ قلبي يؤمن بكم فأنا مؤمن بكم بلساني وقلبي فأكون لكم أنا بقلبي سلمٌ ومسلّم ومؤمن مضافاً إلى تصديقي بلساني . فإنّ هذا من شؤون الايمان ، الذي يلزم تحقّقه في كلّ إنسان .

وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ[1] وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ[2]

(١) ـ أي أنّ رأيي تابع لرأيكم ، ولا رأي لي مع رأيكم ، ولا أختار رأياً على رأيكم .
لأنّي أعلم أنّكم تنطقون عن الله ، وأنّكم أوعية مشيئة الله تعالى ، فالرأي المصيب هو ما إرتأيتم ، فأكون تابعاً لكم .

(٢) ـ النصرة : حسن المعونة ، والإعداد : هي التهيئة .
أي أنّ حسن معونتي مهيّأة لكم .
بمعنى إنّي منتظر ومتهيىءٌ لخروجكم والجهاد في خدمتكم مع أعدائكم .
أو إنّي متهيىءٌ لبيان دينكم وإعلاء كلمتكم بالبراهين والأدلّة بحسب الإمكان .
وذلك لأنّ نصرتهم من وظائفنا تجاه إمامتهم .
ففي حديث الفضيل عن الإمام الباقر عليه السلام : « ... إنّما أمروا أن يطوفوا بها ـ أي الكعبة ـ ثمّ ينفروا إلينا ، فيُعلمونا ولايتهم ومودّتهم ، ويعرضوا علينانصرتهم ... »[1].

---

(١) الكافي : ج١ ص٣٩٢ ح١ .

حَتّىٰ يُحْيِيَ اللّٰهُ ـ تَعَالىٰ ـ دِينَهُ بِكُمْ[١] وَيَرُدَّكُمْ فِي أيّامِهِ[٢]

(١) ـ أي حتّى يحيي الله تعالى دين الإسلام بكم أهل البيت ، لأنّ الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره ، واحياؤه يكون بتمكّن أهل البيت عليهم السلام وظهورهم واستيلائهم.

كما وعد الله تعالى بقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١]ـ[٢].

وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٣]ـ[٤].

(٢) ـ أي يردّكم في أيّام ظهور دينه واستيلاء كلمته بظهور الإمام المهدي عليه السلام ، وهي أيّام الرجعة ، التي هي أيّام الله تعالى .

كما ورد بها تفسير قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾[٥]ـ[٦].

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(٢) كنز الدقائق : ج٥ ص١٤٥ .

(٣) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٤) الكافي : ج١ ص١٩٣ ح١ .

(٥) سورة إبراهيم : الآية ٥ .

(٦) كنز الدقائق : ج٧ ص٢٩ .

وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ(١) وَيُمَكِّنَكُمْ فِي اَرْضِهِ(٢) فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لاٰ مَعَ عَدُوِّكُمْ(٣)

---

(١) ـ أي يظهركم في تلك الأيّام الزاهرة لإقامة عدله وإظهاره .

حيث يملؤون الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً كما وردت في أحاديث الفريقين(١).

(٢) ـ من المُكنة والسلطنة والثبات .

ففي المجمع : مكّناهم في الأرض أي ثبّتناهم ، وأمكنته من الشيء تمكيناً جعلت له عليه سلطاناً وقدراً فتمكّن منه(٢).

أي يمكّنكم الله تعالى في أرضه بدولتكم الزاهرة كما وعد الله تعالى في قوله عزّوجلّ : ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾(٣)ـ(٤).

(٣) ـ أي فأنا معكم بالقلب واللسان ، أو في أيّام الغيبة والرجعة ، أو في الدنيا والآخرة فتكرار المعيّة يفيد معنيين .

ويحتمل أن يكون تكرار المعيّة لمجرد التأكيد .

وفي هامش الفقيه أنّ في بعض النسخ : « لا مع غيركم » ، وفي نسخة الكفعمي : « فمعكم معكم إن شاء الله لا مع غيركم » .

---

(١) غاية المرام : ص ٧٥٠ .

(٢) مجمع البحرين : ص ٥٧٢ .

(٣) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٤) كنز الدقائق : ج ٩ ص ٣٣٧ .

آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ(١)

(١) ـ تبيّن هذه الفقرة الشريفة والتي تليها دعائم الدين وحدود الايمان ، أعني التولّي والتبرّي كما تلاحظ دعاميّتها في الأحاديث المعتبرة(١).

ومعنى هذه الفقرة : آمنت بكم قلباً ولساناً ، وفي عالم الذرّ وهذه الدنيا أتولّى آخركم وأعتقد به وأتّخذه وليّاً بنحو ما كنت أتولّى به أوّلكم وأعتقد به وأتّخذه وليّاً.

أي أتولّى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه بمثل ما كنت أتولّى أمير المؤمنين عليه السلام كما هو المعنى الظاهر .

أو أتولّى كلّ واحد منكم بنحو ما كنت أتولّى به أوّلكم لأنّ كلّ واحد منهم عليهم السلام آخر ، بالنسبة إلى سابقه(٢).

وعلى الجملة على صعيد إيماني بكم أتولّى جميعكم ، وكلّكم أوليائي بالولاية الإلهية التي ولّاكم بها الله ورسوله صلى الله عليه وآله في يوم العهد المعهود .

فإنّه يلزم الاعتقاد بجميعهم ، ولا يجوز إنكار واحد منهم ، كما تقدّم في الأحاديث(٣).

وذكرناها في فقرة « وأوّلكم وآخركم » فراجع .

لذلك قال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في كتاب المسائل ـ فيما حكي عنه ـ : (اتّفقت الإمامية على أنّ من أنكر إمامة أحد من الأئمّة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضالّ ، مستحقّ للخلود في النار .

وقال في موضع آخر : اتّفقت الإمامية على أنّ أصحاب البدع كلّهم كفّار ، وأنّ على الإمام أن يستتيبهم عند التمكّن بعد الدعوة لهم ، وإقامة البيّنات عليهم ، فإن تابوا من بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلّا قتلهم لردّتهم عن الايمان ، وأنّ من مات منهم على ذلك فهو من أهل النار)(٤).

---

(١) الكافي : ج٢ ص١٨ ح١ ـ ١٠ .

(٢) الأنوار اللامعة : ص١٧٤ .

(٣) الكافي : ج١ ص٣٧٣ ح٤ ـ ٨ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٣٩٠ .

وَبَرِئْتُ اِلَى اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ اَعْدٰائِكُمْ(١)

(١) ـ البراءة والتبرّي من الشيء والشخص : هو التنزّه والتباعد عنه[١].

وبرأ فلان من فلان إذا سقط عنه طلبه وكان متبرّءاً منه[٢].

فالتبرّي من العدوّ هو التباعد منه .

وتمهيداً لبيان هذه الفقرة الشريفة نلفت النظر إلى أنّ التبرّي من العدوّ فطرة بشريّة وحقيقة ثابتة طبيعية ، فنحن نرى ونحسّ أنّ كلّ إنسان يحبّ صديقه ويتنفّر من عدوّه ومن ظلمه .

وهذا التنفّر من دواعي العقل والحكمة ، بحيث أنّه لو ساوى الإنسان في المحبّة بين صديقه وعدوّه لكان ظالماً لصديقه .

بل التبرّي من ركائز الدين القويم .

لذلك ترى أنّ الله تعالى يقول : ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِلّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾[٤] فمعاداة الأعداء إذاً أمر فطري وديني .

خصوصاً إذا كان الأعداء هم أعداء الله ورسوله ، فإنّه يلزم معاداتهم والتبرّي منهم بأنحاء التبرّي كبغضهم ولعنهم وإظهار البراءة منهم ، فإنّه نوع تقرّب إلى الله تعالى وتحبّب إليه .

لذلك تبيّن هذه الزيارة المباركة بأنّنا في حال التجائنا إلى الله عزّ إسمه نتبرّأ من أعداء أهل البيت عليهم السلام يعني الناصبين والضالّين والجاحدين والمعاندين والقاتلين، ⟵

---

(١) لسان العرب : ج١ ص٣٣ .
(٢) مجمع البحرين : ص١٠ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٩٨ .
(٤) سورة فاطر : الآية ٦ .

. . . .

فإنّ أعداءهم أعداء الله تعالى كما في حديث الإحقاق[١].

والتبرّي منهم بمثل اللعن ثابت بالكتاب والسنّة .

أمّا الكتاب : فقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[٢]ـ[٣].

وأمّا السنّة : فالأحاديث المتظافرة مثل :

١ ـ حديث الإمام الرضا عليه السلام المتقدّم الذي ورد فيه أنّ من محض الإسلام وشرائع الدين (البراءة من الذين ظلموا آل محمّد ...)[٤].

٢ ـ حديث الأعمش المتقدّم ، عن الإمام الصادق عليه السلام الذي ورد فيه (والبراءة من أعدائهم واجبة ...)[٥].

٣ ـ حديث هشام ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « من جالس لنا عائباً أو مدح لنا قالياً أو واصل لنا قاطعاً أو قطع لنا واصلاً أو والى لنا عدوّاً أو عادى لنا وليّاً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم »[٦].

٤ ـ حديث سعدان ، عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[٧] قال : « حقيق على الله

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٥ ص٤١ .
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٧ .
(٣) كنز الدقائق : ج١٠ ص٤٣٩ .
(٤) عيون الأخبار : ج٢ ص١٢٤ ب٣٥ ح١ .
(٥) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٢ ب١ ح٣ .
(٦) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٢ ب١ ح٤ .
(٧) سورة البقرة : الآية ٢٨٤ .

. . . .

أن لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من حبّهما »[١].

٥ ـ حديث الصفواني ، قيل للصادق عليه السلام : إنّ فلاناً يواليكم إلّا أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم .

فقال : « هيهات كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرّأ من عدوّنا »[٢].

٦ ـ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المتقدّم الذي ورد فيه : « ياعلي والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة لو أنّ عبداً عبد الله ألف عـام مـا قُـبل ذلك مـنه إلّا بولايتك وولاية الأئمّة من ولدك .

وإنّ ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمّة من ولدك.

بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »[٣].

٧ ـ حديث الثمالي ، عن الإمام السجّاد عليه السلام قال : قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام ـ وقد خلا ـ : أخبرني عن هذين الرجلين ؟

قال : « هما أوّل من ظلمنا حقّنا وأخذا ميراثنا ، وجلسا مجلساً كنّا أحـقّ بـه منهما ، لا غفر الله لهما ولا رحمهما ، كافران ، كافر من تولّاهما »[٤].

٨ ـ حديث الكميت ، عن الإمام الصادق عليه السلام ياسيّدي أسألك عن مسألة ؟ وكان متكئاً فاستوى جالساً وكسر في صدره وسادة ثمّ قال : سل .

فقال : أسألك عن رجلين .

فقال : « ياكميت بن زيد ما أُهريق في الإسلام محجمة من دم ، ولا اكتسب مـال

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٧ ب١ ح١٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٨ ب١ ح١٨ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٦٣ ب١ ح٢٢ .

(٤) بحار الأنوار : ج٣٠ ص٣٨١ ب٢٠ ح١٦٥ .

. . . .

من غير حلّه ، ولا نكح فَرْجٌ حرام إلّا وذلك في أعناقهما إلى يوم يقوم قائمنا .

ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبّهما والبراءة منهما »[١].

لذلك قال الشيخ الصدوق ﷺ : (واعتقادنا في البراءة أنّها واجبة من الأوثان الأربعة ومن الأنداد الأربعة ومن جميع أشياعهم وأتباعهم ، وأنّهم شرّ خلق الله ، ولا يتمّ الإقرار بالله وبرسوله ، وبالأئمّة إلّا بالبراءة من أعدائهم واعتقادنا في قتلة الأنبياء وقتلة الأئمّة أنّهم كفّار مشركون مخلّدون في أسفل دركٍ من النار .

ومن اعتقد فيهم غير ما ذكرناه فليس عندنا من دين الله في شيء)[٢].

فالتبرّي من أعداء آل محمّد واجب ركني من أركان الدين الإسلامي .

وممّا يتحقّق به التبرّي لعنهم كما لعنهم الله تعالى ورسوله .

واللعن هو الطرد من الرحمة ، والإبعاد عنها[٣].

فيتحقّق التبرّي الواجب بأن نسأل الله تعالى أن يطردهم ويبعدهم من رحمته الواسعة .

هذا مضافاً إلى الثواب العظيم في ذلك الذي تلاحظه في مثل : حديث الإمام الصادق عليه السلام حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن رسول الله صلوات الله عليهم أنّه قال :

« من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلّغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش ، فكلّما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ، ثمّ ثنّوا فقالوا : اللهمّ صلّ على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه ، ولو قدر على أكثر منه لفعل .

---

(١) رجال الكشّي : ص١٨٠ .

(٢) كتاب الاعتقادات : ص١٠٥ .

(٣) مجمع البحرين : ص٥٧٠ .

. . . .

فإذا النداء من قبل الله عزّوجلّ : قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه في الأرواح وجعلته عندي من المصطفين الأخيار »(١).

وتقدّم الأمر به في حديث الكميت الأسدي(٢).

وعلى الجملة تعرف ممّا تقدّم من الأدلّة المتظافرة أنّ التبرّي من أعداء أهل البيت ركن من أركان الدين مع التولّي لأهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٢٣ ب١٠ ح١١ .

(٢) رجال الكشّي : ص١٨٠ .

وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطِينِ وَحِزْبِهِمُ[١]

(١) ـ وقد تأكّد التبرّي بالخصوص من الجبت وهو الأول ، والطاغوت وهو الثاني ، والشياطين وهم سائر خلفاء الجور وبنو أميّة وبنو العبّاس وحزبهم أي أتباعهم والجِبْت في الأصل هو كلّ معبود سوى الله تعالى كنّي به عن الأوّل .

والطاغوت في الأصل هو من تجاوز عن الحدّ في الطغيان فكان رئيساً في الضلالة كنّي به عن الثاني لأنّه الأخبث .

كما وأنّ اللّات صنم من حجارة كانت لثقيف في الكعبة يعبدونها يكنّى به عن الثالث .

والعُزّى صنم من حجارة كانت في جوف الكعبة لغطفان يعبدونها يكنّى به عن معاوية .

فيتأكّد التبرّي عن جميع الأعداء بالعموم ، وعن هؤلاء الأربعة بالخصوص ، وعن الثاني بنحو أخصّ كما يشهد به حديث الاختصاص مسنداً عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن علي الوشّاء ، عن أبي الصخر أحمد بن عبدالرحيم، عن الحسن بن علي رجلٌ كان في جباية مأمون[١] قال :

دخلت أنا ورجل من أصحابنا على أبي طاهر عيسى بن عبدالله العلوي ، قال أبو الصخر : وأظنّه من ولد عمر بن علي وكان نازلاً في دار الصيديين فدخلنا عليه عند العصر وبين يديه ركوة من ماء وهو يتمسّح ، فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام ، ثمّ ابتدأنا فقال : معكما أحد ؟

فقلنا : لا.

ثمّ التفت يميناً وشمالاً هل يرى أحداً ، ثمّ قال : أخبرني أبي جنديّ أنّه كان مع ←

---

(١) أي وكان الحسن هذا من الذين يأخذون الزكاة جبايةً للمأمون .

. . . .

أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السلام بمنى وهو يرمي الجمرات ، وإنّ أبا جعفر رمى الجمرات فاستتمّها وبقي في يديه بقيّة ، فعدّ خمس حصيّات فرمى ثنتين في ناحية وثلاثة في ناحية .

فقلت له : أخبرني جعلت فداك ما هذا فقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعه أحد قطّ، إنّك رميت بخمس بعد ذلك ثلاثة في ناحية وثنتين في ناحية ؟

قال : نعم إنّه إذا كان كلّ موسم أُخرجا الفاسقان غضيّين طريّين فصُلبا ههنا ، لا يراهما إلّا إمام عدل ، فرميت الأوّل ثنتين والآخر بثلاث ، لأنّ الآخر أخبث من الأوّل »[١].

والوجه في هذا التبرّي الخاص من أُولئك الأعداء مبيّن بنفس الفقرات التالية : (الظالمين لكم ، الجاحدين لحقّكم ، والمارقين من ولايتكم ، والغاصبين لإرثكم ، الشاكّين فيكم ، المنحرفين عنكم) كما تدلّ على ذلك الأحاديث الكثيرة الآتية في فقرة (الظالمين لكم) .

كلّ هذا مضافاً إلى الجنايات الأُخرى التي ارتكبوها مثل الإقدام على قتل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في العقبة ، وعصيان أمره في التخلّف عن جيش أُسامة ، والردّ عليه في نسبته إلى الهُجر ، وتجاسرهم على صحيفة الرسول وكتاب فدك بالقاء البصاق عليه وتمزيقه[٢].

إلى غير ذلك من المثالب المذكورة في كتب مطاعنهم ، كمطاعن البحار ، والسبعة من السلف ، وغيرهما .

مع الكفر والعار والشنار الذي أظهره معاوية ونغله يزيد ممّا يندى لها جبين التاريخ ، وتسوّد صفحات الحياة البشرية ، وقد اعترف بها كلا الفريقين في النقل المتظافر[٣].

فاستحقّوا بذلك اللعن المؤبّد ، والعذاب المخلّد ، والتبرّي منهم ، والتباعد عنهم .

وفي نسخة الكفعمي : « ومن الجبت والطاغوت وأوليائهم والشياطين وحزبهم ».

---

(١) الاختصاص : ص٢٧٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج٥٣ ص١٧ ب٢٥ ح١ .

(٣) بحار الأنوار : ج٣٣ ص٢٩٦ ـ ٥٨٤ ، الغدير : ج١ ص٨٠ ـ ٣٨٤ ، السبعة من السلف : ص١٨٣ ـ ٢٢٠ ، الكنى والألقاب : ج١ ص٨٤ ، سفينة البحار : ج٢ ص٢٩٠ .

الظَّالِمِينَ لَكُمْ[١]

(١) ـ فإنّهم ظلموا أهل البيت عليهم السلام بما أمكنهم من الظلم ، بل فتحوا أبواب الظلم عليهم إلى يوم القيامة كما سجّله التاريخ ، وأثبتته معتبرات الأحاديث فلاحظ في ذلك :

١ ـ حديث عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾[١] قال : « نزلت فيهم ، حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم وجحودهم بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام ، فألحدوا في البيت بظلمهم الرسول ووليّه ﴿فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢] »[٣].

٢ ـ حديث الورد بن زيد ـ أخي الكميت ـ قال : سألنا محمّد بن علي عليهما السلام عن الأول والثاني ؟

فقال : « من كان يعلم أنّ الله حَكَمٌ عدل بريء منهما ، وما من محجمة دم يهراق إلّا وهي في رقابهما »[٤].

وعنه عليه السلام : « ... هما أوّل من ظلمنا وقبض حقّنا ، وتوثّب على رقابنا ، وفتح علينا باباً لا يسدّه شيء إلى يوم القيامة ، فلا غفر الله لهما ظلمهما إيّانا »[٥].

٣ ـ حديث داود الرقي قال : كنت عند الصادق عليه السلام والمفضّل وأبو عبدالله البلخي إذ دخل علينا كثير النوى ، وقال : إنّ أبا الخطّاب يشتم الأول والثاني ويظهر البراءة منهما .

فالتفت الصادق عليه السلام إلى أبي الخطّاب وقال : يامحمّد ! ما تقول ؟

---

(١) سورة الحجّ : الآية ٢٥ . (٢) سورة المؤمنون : الآية ٤١ .

(٣) بحار الأنوار : ج٣٠ ص٢٦٤ ب٢٠ ح١٢٩ .

(٤) بحار الأنوار : ج٣٠ ص٣٨٣ ب٢٠ ح ذيل ٦٥ .

(٥) بحار الأنوار : ج٣٠ ص٣٨٣ ب٢٠ ح ذيل ٦٥ .

. . . .

قال : كذب والله ، ما سمع قطّ شتمهما منّي .

فقال الصادق عليه السلام : « قد حلف ، ولا يحلف كاذباً .

فقال : صدق ، لم أسمع أنا منه ، ولكن حدّثني الثقة به عنه .

قال الصادق عليه السلام : إنّ الثقة لا يبلغ ذلك ، فلمّا خرج كثير النوى قال الصادق عليه السلام : أما والله لئن كان أبو الخطّاب ذكر ما قال كثير لقد علم من أمرهم ما لم يعلمه كثير .

والله لقد جلسا مجلس أمير المؤمنين عليه السلام غصباً ؛ فلا غفر الله لهما ولا عفا عنهما.

فبهت أبو عبدالله البلخي ، فنظر إلى الصادق عليه السلام متعجّباً ممّا قال فيهما ، فقال الصادق عليه السلام : أنكرت ما سمعت فيهما ؟!

قال : كان ذلك .

فقال : فهلّا الإنكار منك ليلة دفع إليك فلان بن فلان البلخي : جارية فلانة لتبيعها ، فلمّا عبرت النهر افترشتها في أصل شجرة .

فقال البلخي : قد مضى والله لهذا الحديث أكثر من عشرين سنة ، ولقد تُبتُ إلى الله من ذلك .

فقال الصادق عليه السلام : لقد تبتَ وما تابَ الله عليك ، وقد غضب الله لصاحب الجارية »[1].

لذلك قال الفقيه الأعظم أبو الصلاح الحلبي في تقريب المعارف في فصل ما يقدح في الثلاثة وذكر مطاعنهم :

(قصدهم أهل بيت نبيّهم عليهم السلام بالتحيّف والأذى والوضع من أقدارهم واجتناب ما يستحقّونه من التعظيم .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٣٠ ص ٣٩٨ ب ٢٠ ح ٧٢ .

. . . .

فمن ذلك : أمان كلّ معتزل بيعتهم ضررهم ، وقصدهم علياً عليه السلام بالأذى لتخلّفه عنهم ، والإغلاظ له في الخطاب ، والمبالغة في الوعيد ، وإحضار الحطب لتحريق منزله ، والهجوم عليه بالرجال من غير إذنه ، والإتيان به ملبّباً ، واضطرارهم بذلك زوجته وبناته ونساؤه وحامّته من بنات هاشم وغيرهم إلى الخروج عن بيوتهم ، وتجريد السيوف من حوله ، وتوعّده بالقتل إن امتنع من بيعتهم .

ولم يفعلوا شيئاً من ذلك بسعد بن عبادة ، ولا بالخبّاب بن المنذر ، وغيرهما ممّن تأخّر عن بيعتهم ، حتّى مات .

ومن ذلك : ردّهم دعوى فاطمة عليها السلام وشهادة علي والحسنين عليهما السلام ، وقبول دعوى جابر بن عبدالله في الجنينات ، وعائشة في الحجرة والقميص والنعل وغيرهما .

ومنها : تفضيل الناس في العطاء ، والاقتصار بهم على أدنى المنازل .

ومنها : عقد الرايات والولايات لمسلّمة القبح والمؤلّفة قلوبهم ومكيدي الإسلام من بني أُميّة وبني مخزوم وغيرهما ، والإعراض عنهم واجتناب تأهّلهم لشيء من ذلك .

ومنها : موالاة المعروفين ببغضهم وحسدهم وتقديمهم على رقاب العالم ، كمعاوية وخالد وأبي عبيدة والمغيرة وأبي موسى ومروان وعبدالله بن أبي سرح وابن كريز ومن ضارعهم في عداوتهم .

والغضّ من المعروفين بولايتهم وقصدهم بالأذى ، كعمّار وسلمان وأبي ذرّ والمقداد وأُبيّ بن كعب وابن مسعود ومن شاركهم في التخصّص بولايتهم عليهم الصلاة والسلام .

ومنها : قبض أيديهم عن فدك مع ثبوت استحقاقهم لها على ما بيّناه ، وإباحة معاوية الشام ، وأبي موسى العراق ، وابن كريز البصرة ، وابن أبي سرح مصر والمغرب ، وأمثالهم من المشهورين بكيد الإسلام وأهله.

. . . .

وتأمّل هذا بعين إنصاف يكشف لك عن شديد عداوتهم ، وتحاملهم عليهم ، كأمثاله من الأفعال الدالّة على تميّز العدوّ من الولي .

ولا وجه لذلك إلّا تخصّصهم بصاحب الشريعة صلوات الله عليه وعلى آله في النسب ، وتقدّمهم لديه في الدين ، وتحقّقهم من بذل الجهد في طاعته ، والمبالغة في نصيحته ونصرة ملّته ، بما لا يشاركون فيه .

وفي هذا ما لا يخفى ما فيه على متأمّل) .

ثمّ ذكر الفقيه أبو الصلاح نكير أهل البيت عليهم السلام على هؤلاء الظالمين فقال :

(ورووا عن الحارث الأعور قال : دخلت على علي عليه السلام في بعض الليل ، فقال لي : ما جاء بك في هذه الساعة ؟

قلت : حبّك ياأمير المؤمنين .

قال : الله ؟

قلت : الله .

قال : ألا أحدّثك بأشدّ الناس عداوةً لنا وأشدّهم عداوةً لمن أحبّنا ؟

قلت : بلى ياأمير المؤمنين ، أما والله لقد ظننت ظنّاً ، وقال : هات ظنّك .

قلت : الأول والثاني ؟

قال : أُدنُ منّي ياأعور ، فدنوتُ منه ، فقال : ابرأ منهما .

وفي رواية أُخرى : فقال : « إي والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، إنّهما لهما ظلماني حقّي وتغاصاني ريقي ، وحسداني ، وآذياني ، وإنّه ليؤذي أهل النار ضجيجهما ونصبهما ورفع أصواتهما وتعيير رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاهما »)[1].

---

(١) تقريب المعارف : ص٢٣٢ ـ ٢٤٢ .

الْجَاحِدِيْنَ لِحَقِّكُمْ(١)

(١) ـ في العيون : « والجاحدين لحقّكم » .

وجحود الشيء : هو إنكاره مع العلم بثبوته كما في قوله تعالى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنْفُسُهُمْ﴾(١).

وأُولئك الظالمون جحدوا حقوق آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين مع علمهم بأنّها حقوق إلهية ثابتة لهم كالإمامة ، والخلافة ، وما كان لهم من الفيء والخمس ، وفدك والعوالي .

قال السيّد ابن طاووس في وصاياه لولده : (وقد وهب جدّك محمّد ﷺ أمّك فاطمة صلوات الله عليها فدكاً والعوالي من جملة مواهبه ، وكان دخلها في رواية الشيخ عبدالله بن حمّاد الأنصاري أربعة وعشرون ألف دينار في كلّ سنة وفي رواية غيره سبعين ألف دينار)(٢).

وقد اتّفقت الآراء بعد صريح نصّ الكتاب الكريم والأحاديث الشريفة من أنّ فدك كانت لفاطمة الزهراء عليها السلام نحلة من رسول الله ﷺ الذي كانت له فدك خالصة ، من الأراضي التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فيما صالح أهل خيبر ـ كما تلاحظ تفصيله في محلّه ـ(٣).

وتلاحظ الاعتراف بذلك من ابن أبي الحديد المعتزلي الذي صرّح (بأنّ هذا كلام صحيح) في شرحه(٤).

---

(١) مجمع البحرين : ص١٩٨ ، والآية من سورة النمل : الآية ١٤ .

(٢) كشف المحجّة : ص١٨٢ . (٣) بهجة قلب المصطفى : ص٣٩١ .

(٤) شرح نهج البلاغة : ج١٦ ص٢٣٦ ـ ٢٨٤ .

وَالْمارِقِينَ مِنْ وِلايَتِكُمْ[١] وَالْغاصِبِيْنَ لِإرْثِكُمْ[٢]

(١) ـ المروق : هو الخروج ، والمارق : هو الخارج عن الدين .

والمارقين من ولايتهم هم الذين كانوا مع أهل البيت عليهم السلام ثمّ خرجوا عن دين الله بترك ولايتهم .

فقد ارتدّ الناس بعد رسول الله وخرجوا عن دين الله إلّا قليل ، كما تلاحظه في أحاديث بابه الخاصّ[١].

وفي نسخة الكفعمي « والمارقين من دينكم وولايتكم » .

(٢) ـ الغصب : هو إثبات اليد على مال الغير ظلماً وعدواناً[٢].

وقد غصب أُولئك الظالمون آل محمّد حقّهم لكن الحَكَم الله والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون .

وتقدّم قريباً حديث داود الرقي ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « والله لقد جلسا مجلس أمير المؤمنين عليه السلام غصباً » .

فلهم جزاء السوأى من العذاب الأليم والدرك الأسفل من الجحيم كما تلاحظه في الأحاديث المتظافرة في المقام منها :

١ ـ حديث داود الرقي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : حدّثني عن أعداء أمير المؤمنين وأهل بيت النبوّة .

فقال : الحديث أحبّ إليك أم المعاينة ؟

قلت : المعاينة.

فقال لأبي إبراهيم موسى عليه السلام : ائتني بالقضيب فمضى وأحضره إيّاه ، فقال له :

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٨ ص٢ ب١ الأحاديث .

(٢) مجمع البحرين : ص١٣٠ .

. . . .

يا موسى اضرب به الأرض وأرهم أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وأعدائنا ، فضرب به الأرض ضربةً فانشقّت الأرض عن بحر أسود ، ثمّ ضرب البحر بالقضيب فانفلق عن صخرة سوداء ، فضرب الصخرة فانفتح منها باب ، فإذا بالقوم جميعاً لا يحصون لكثرتهم ووجوههم مسودّة وأعينهم زرق ، كلّ واحد منهم مصفّد مشدود في جانب من الصخرة ، وهم ينادون يامحمّد ! والزبانية تضرب وجوههم ويقولون لهم : كذبتم ليس محمّد لكم ولا أنتم له .

فقلت له : جعلت فداك مَن هؤلاء ؟

فقال : « الجبت والطاغوت والرجس واللعين ابن اللعين ، ولم يزل يعدّدهم كلّهم من أوّلهم إلى آخرهم حتّى أتى على أصحاب السقيفة ، وأصحاب الفتنة ، وبني الأزرق ، والأوزاع ، وبني أُميّة جدّد الله عليهم العذاب بكرةً وأصيلاً .

ثمّ قال عليه السلام للصخرة : انطبقي عليهم إلى الوقت المعلوم »[(١)].

٢ ـ حديث تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ .

قال : « الفلق جبّ في جهنّم يتعوّذ أهل النار من شدّة حرّه ، سأل الله أن يأذن له أن يتنفّس ، فأذن له فتنفّس فأحرق جهنّم .

قال : وفي ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوّذ أهل تلك الجبّ من حرّ ذلك الصندوق وهو التابوت ، وفي ذلك التابوت ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين ، فأمّا الستّة من الأوّلين : فابن آدم الذي قتل أخاه ، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار ، وفرعون موسى ، والسامري الذي اتّخذ العجل ، والذي هوّد اليهود ، والذي نصّر النصارى ، وأمّا الستّة من الآخرين فهو الأوّل والثاني والثالث والرابع

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٨ ص٨٤ ب٣٨ ح١٠٤ .

. . . .

ﺓوصاحب الخوارج وابن ملجم .

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال : الذي يلقى في الجبّ يقب فيه »[1].

٣ ـ حديث حذيفة بن اليمان ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أوحى إليّ جلّ ذكره فقال لي :

يامحمّد كان في سابق علمي أن يمسّك وأهل بيتك محن الدنيا وبلاؤها وظلم المنافقين والغاصبين من عبادي ، مَن نصحتهم وخانوك ، ومحضتهم وغشّوك ، وصافيتهم وشاجروك ، وأرضيتهم وكذّبوك ، وانتجبتهم وسلّموك .

فإنّي أولى بحولي وقوّتي وسلطاني لأفتحنّ على روح من يغصب بعدك علياً حقّه من سفال الفيلوق ، ولأصلينّه وأصحابه قعراً يشرف عليه إبليس فيلعنه ، ولأجعلنّ ذلك المنافق عبرة في القيامة لفراعنة الأنبياء والأعداء الذين في المحشر ، ولأحشرنّهم وأوليائهم وجميع الظلمة والمنافقين إلى نار جهنّم زرقاً كالحين أذلّة خزايا نادمين ، ولأخلّدنّهم فيها أبد الآبدين »[2].

---

(١) بحار الأنوار : ج٨ ص٢٩٦ ب٢٤ ح٤٦ .

(٢) المعالم الزلفى : ص٣٢٥ ب٩٨ ح١ .

الشَّاكِّينَ فِيكُمْ[(١)]

(١) ـ الشكّ : هو الارتياب .

أي المرتابين في إمامتكم الحقّة .

وهو شكّ في أُصول الدين ، وموجب للإنحراف عن شريعة سيّد المرسلين ، وعمّا أمر به ربّ العالمين كما عرفته في الشهادة الثالثة من هذه الزيارة المباركة .

وفي بعض النسخ : « والشاكّين » بالواو ، وهو أظهر كما أفاده السيّد شبّر[(١)].

(١) الأنوار اللامعة : ص١٧٥ .

الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ(١) وَمِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ(٢)

(١) ـ الانحراف : هو الميل والعدول عن الحقّ .

أي المائلين والعادلين عنكم أئمّة الحقّ إلى غيركم من أهل الباطل وأعداء الدين وزمرة المنافقين .

فإنّ أهل البيت عليهم السلام هم محور الحقّ ومداره كما عرفت من أخبار الفـريقين ، وليس بعد الحقّ إلّا الضلال .

(٢) ـ وليجة الرجل : بطانته وخاصّته ومن يعتمد عليه .

قال في المجمع : الوليجة كلّ شيء أدخلته في شيء وليس منه ، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم(١).

فالمعنى إنّي ـ حيث لا أتّخذ غيركم من أعتمد عليه في ديني وسائر أُموري ـ برئت إلى الله عزّوجلّ من كلّ من أدخلوه معكم في الإمامة والخلافة وهو ليس منكم .

وفيه إشارة إلى قوله عزّ إسمه : ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢)ـ(٣).

---

(١) مجمع البحرين : ص١٧١ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٦ .

(٣) كنز الدقائق : ج٥ ص٤١٣ .

وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُمْ[١] وَمِنَ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النّارِ[٢] فَثَبَّتَنِيَ اللّٰهُ أَبَداً ما حَيِيتُ عَلىٰ مُوالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ[٣]

---

(١) ـ فإنّ الإطاعة الحقّة هي إطاعة الله ورسوله وأُولي الأمر المنصوبين من قبله بنصّ آية الإطاعة الشريفة .

فإطاعة غيرهم إطاعة باطلة ، مقرونة بالبراءة منها والابتعاد عنها .

(٢) ـ أي وبرئت إلى الله عزّوجلّ من أئمّة الضلالة الذين يدعون إلى النار .

فإنّهم بأعمالهم وعقائدهم الموصلة إلى النار يكونون دعاة النار ، في مقابل أئمّة الحقّ الذين هم دعاة الجنّة وقادة الهداية إلى الجنان .

قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[١].

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ الأئمّة في كتاب الله عزّوجلّ إمامان .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٢] لا بأمر الناس ، يقدّمون أمر الله قبل أمرهم ، وحكم الله قبل حكمهم .

قال : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يقدّمون أمرهم قبل أمر الله ، وحكمهم قبل حكم الله ، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّوجلّ »[٣].

(٣) ـ جملة دعائية شريفة تبدأ بسؤال سبيل الأمان وأرقى الإيمان ، وهو الإيمان المستقرّ الثابت في القلب .

وهو الإيمان الذي لا ينتزع من القلب أبداً ، ولا يسلب في العاقبة قطعاً ..

والمعنى إنّي أدعو الله تعالى أن يثبّتني دائماً مدّة حياتي على موالاتكم ومحبّتكم ودينكم الإسلامي الحقّ الذي جاء بيانه منكم[٤].

---

(١) سورة القصص : الآية ٤١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .

(٣) الكافي : ج١ ص٢١٦ ح٢ .

(٤) الكافي : ج٢ ص٢١ ح١٠ ـ ١٤ .

. . . .

والثبات هذا يكون للمؤمنين كما تلاحظه في قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1].

وتلاحظ معنى الايمان المستقرّ عند بيان قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[2].

فعن سعيد بن أبي الأصبغ قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام وهو سئل عن « مستقرّ ومستودع » ؟

قال : « مستقرّ » في الرحم . و « مستودع » في الصلب .

وقد يكون مستودع الايمان ثمّ ينزع منه ؛ ولقد مشى الزبير في ضوء الايمان ونوره حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى مشى بالسيف وهو يقول : لا نبايع إلّا علياً .

وعن محمّد بن الفضل ، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ .

قال : ما كان من الايمان المستقرّ ، فمستقرّ إلى يوم القيامة أو أبداً ، وما كان مستودعاً ، سلبه الله قبل الممات.

وعن صفوان قال : سألني أبو الحسن عليه السلام ومحمّد بن خلف جالس ، فقال لي : مات يحيى بن القاسم الحذّاء ؟

فقلت له : نعم ، ومات زرعة .

فقال : كان جعفر عليه السلام يقول : « فمستقرّ ومستودع » . فالمستقرّ ، قوم يُعطون الايمان ويستقرّ في قلوبهم ، والمستودع قوم يعطون الايمان ثمّ يسلبونه »[3].

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ٩٨ .
(٣) كنز الدقائق : ج٤ ص٤٠٤ .

وَوَفَّقَنِي لِطاعَتِكُم(١)

(١) ـ أي وفّقني الله تعالى لإطاعتكم في أوامركم ونواهيكم ، وفي أقوالكم وأفعالكم .

والتوفيق من الله : توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير ، مقابل الخذلان(١).

ويتّضح معنى التوفيق جليّاً ، كما يتّضح مقابلته للخذلان من الأحاديث الشريفة مثل :

١ ـ حديث الهاشمي ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : فقلت : قوله عزّوجلّ : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ﴾(٢) وقوله عزّوجلّ : ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾(٣).

فقال : « إذا فعل العبد ما أمره الله عزّوجلّ به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عزّوجلّ ، وسمّي العبد به موفّقاً .

وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ذكره .

ومتى خلّي بينه وبين تلك المعصية فلم يحل بينه وبينها حتّى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفّقه »(٤).

٢ ـ حديث سليمان بن خالد ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور ، وفتح مسامع قلبه ، ووكّل به ملكاً يسدّده .

---

(١) مجمع البحرين : ص٤٤٧ .

(٢) سورة هود : الآية ٨٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

(٤) التوحيد : ص٢٤٢ ب٣٥ ح١ .

. . . .

وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء ، وسدّ مسامع قلبه ووكّل به شيطاناً يضلّه .

ثمّ تلا هذه الآية : ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ﴾[1][2].

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ .

(٢) التوحيد : ص٤١٥ ب٦٤ ح١٤ .

وَرَزَقَنِي شَفاعَتَكُمْ[١] وَجَعَلَنِي مِنْ خِيارِ مَوالِيكُمُ التّابِعِينَ لِما دَعَوْتُمْ اِلَيْهِ[٢] وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثارَكُمْ[٣]

---

(١) ـ دعاء بارتزاق النعمة العظمى في الآخرة وهي شفاعة أهل البيت عليهم السلام .

وقد مرّ في فقرة « وشفعاء دار البقاء » حقيقة الشفاعة ودليلها فلاحظ .

(٢) ـ أي دعوتم إليه قولاً وعملاً في دعوتكم الحسنى .

وتلاحظ بيان ذلك في فقرتي « دعائم الأخيار » و « الدعوة الحسنى » .

(٣) ـ الاقتصاص : هي المتابعة .

والآثار : هي السنن الباقية .

أي جعلني الله تعالى ممّن يتّبع آثاركم الطيّبة وسننكم الحسنة قولاً وعملاً .

وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ[١] وَيَهْتَدِي بِهُداكُمْ[٢] وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ[٣] وَيَكِرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ[٤]

---

(١) ـ السبيل معناه : الطريق أي جعلني الله ممّن يسلك طريقكم الذي تسلكوه .

وقد ورد صريحاً في الأحاديث المباركة أنّ أهل البيت عليهم السلام هم سبيل الله وسبيل الهدى وسبيل الرشاد ومن سلكه نجا ، كما تلاحظها مجموعة في أحاديث المرآة[١].

(٢) ـ أي جعلني الله تعالى ممّن يهتدي بهداكم الذي هو هدى الله تعالى .

فهم عليهم السلام أئمّة الهداية والإرشاد ، كما تقدّم بيان ذلك في فقرة « السلام على أئمّة الهدى».

(٣) ـ الحشر : هو الجمع بكثرة مع سَوق ، كما تلاحظ تفصيله في تفسير قوله تعالى : ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[٢]ـ[٣].

والزمرة : هي الجماعة من الناس .

أي جعلني الله تعالى ممّن يُحشر يوم القيامة في جماعتكم أهل البيت ..

لأنّه الحشر الفائز يوم القيامة ، والموصل إلى الجنّة تحت راية الأئمّة ..

فهم عليهم السلام يقودون شيعتهم إلى روضات الجنّات وأعلى الدرجات كما تقدّم بيانه مع أحاديثه في فقرة : « والقادة الهداة » .

(٤) ـ كرَّ يكرُّ على وزن مدّ يمُدّ بمعنى : رجَعَ ، من الكرّة بمعنى الرجعة .

والرجعة : هي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت والحياة قبل يوم القيامة عند ظهور الإمام المهدي أرواحنا فداه ، كما تقدّم بيانها ودليلها في فقرة « مصدّق برجعتكم » .

أي جعلني الله تعالى من خواصّ شيعتكم الذين يكرّون في رجعتكم الغرّاء .

---

(١) مرآة الأنوار : ص١٢٤ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٤٧ .

(٣) كنز الدقائق : ج٨ ص٩٠ .

وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ(١) وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ(٢)

(١) ـ يُملّك بصيغة المبني للمجهول أي : يُجعل مَلِكاً .

أي جعلني الله تعالى ممّن يصير مَلِكاً لإعلاء كلمته وإظهار دينه في دولتكم الحقّة .

فإنّ خواصّ الشيعة في الرجعة يصيرون ملوكاً في دولتهم المظفّرة .

(٢) ـ الشرف : هو العلو والمكان العالي ، وشُبّه به العلو المعنوي في الشرافة .

والعافية : هي السلامة من المكاره والبلايا .

أي جعلني الله تعالى ممّن يصير شريفاً معظّماً في زمان سلامتكم من أعاديكم ، وسلامتكم من بغي كلّ باغٍ وطاغٍ عليكم ، وهو زمان دولتهم السعيدة .

واحتمل السيّد شبّر قراءة عاقبتكم بالقاف ، يعني عاقبتكم بمعنى عاقبة أمركم وهي : دولتهم وأيّام ظهورهم(١).

كما احتمله والد العلّامة المجلسي(٢)، كما هو هكذا في نسخة الكفعمي أعلى الله مقامه.

وكيف كان فمقتضيات الشرافة السامية لشيعتهم الزاكية متوفّرة في تلك الدولة الزاهرة .

وقد تقدّم شيء منها في فقرة « مرتقب لدولتكم » .

---

(١) الأنوار اللامعة : ص١٧٧ .

(٢) روضة المتّقين : ج٥ ص٤٩١ .

وَيُمَكَّنُ فِي اَيّامِكُمْ[١] وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ[٢] بِاَبِي اَنْتُمْ وَاُمِّي وَنَفْسِي وَاَهْلِي وَمالِي[٣] مَنْ اَرادَ اللّٰهَ بَدَأَ بِكُمْ[٤]

(١) ـ يمكّن بصيغة المبني للمجهول أي : يجعل له التمكّن والمُكنة .

يقال : أمكنه من الشيء أي جعل له سلطاناً وقدرةً عليه فتمكّن منه ، ومعنى تمكّن منه أي قدر عليه ، وله مُكنة أي قوّة وشدّة[١].

فالجملة دعاء بأن يُجعل للزائر الداعي القدرة والسلطة والقوّة في أيّامهم السعيدة ودولتهم الرشيدة .

وفي نسخة الكفعمي : « ويمكّن في ولايتكم ، ويتمكّن في أيّامكم » .

(٢) ـ قال في المجمع : (قُرّة العين برودتها وإنقطاع بكائها ...)[٢].

أي جعلني الله تعالى ممّن تسرّ عينه برؤيتكم البهيجة ، فإنّها أُمنيّة كلّ محبّ وأُنشودة كلّ مشتاق .

(٣) ـ مرّ أنّها تفدية ما أحبّه الإنسان تعظيماً للمخاطب وتحبيباً له .

وأهل البيت عليهم السلام أجدر من يُفدّون بكلّ غالٍ ونفيس .

(٤) ـ أي أنّ من أراد معرفة الله تعالى ومرضاته بدأ بكم ، وأراده من طريقكم .

إذ لا يمكن الوصول إلى معرفته ومعارفه ومراضيه إلّا بطريقكم واتّباعكم ، عقيدةً وقولاً وفعلاً .

فإنّكم حجج الله والسبيل إليه والأدلّاء عليه كما تقدّم بيانه ودليله في فقرة : « السلام على محالّ معرفة الله » .

---

(١) مجمع البحرين : ص٥٧٢ .

(٢) مجمع البحرين : ص٢٩٦ .

وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ[١] وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ[٢]

(١) ـ أي أنّ كلّ موحّد معتقد بتوحيد الله تعالى يقبل قولكم .

فإنّ البرهان اليقيني كما يدلّ على توحيد الله يدلّ على إمامتكم وخلافتكم لله ، فلابدّ من القبول عنكم خلفاء الله تعالى .

كما وأنّ حقيقة التوحيد إنّما عرفت منكم ، فمن لم يقبل علومكم وأدلّتكم لم يعرف التوحيد الحقّ .

كما وأنّ التوحيد الخالص يكون بشرطه وشروطه ، وأهل البيت عليهم السلام من شروطه ، فلابدّ من الإذعان بولايتهم وهو يقتضي قبول قولهم .

وقد تقدّم بيان ذلك ودليله في فقرة : « وأركاناً لتوحيده » .

قال العلّامة المجلسي : (ومن وحّده قَبِل عنكم : أي من لم يقبل عنكم فليس بموحّد ، بل هو مشرك وإن أظهر التوحيد)[١].

(٢) ـ أي من قصد الله تعالى توجّه إليه بكم وعن طريقكم .

لأنّكم وجه الذي يتوجّه به ، وباب الله الذي يؤتى منه ، والوسيلة التي يلزم أن تبتغى إليه ، كما تلاحظ بيانه ودليله في فقرة : « مستشفع إلى الله عزّوجلّ بكم » .

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٤٣ .

مَوَالِيَّ لاٰ أُحْصِي ثَنَائَكُمْ وَلاٰ اَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ(١)

---

(١) ـ موالي : جمع مولى ، أي ياموالي ، نداء وخطاب لأهل البيت عليهم السلام .

والثناء بالمدّ : هو الذكر الحسن والكلام الجميل ، يقال : أثنيت عليه أي مدحته .

وكنه الشيء : نهايته .

أي إنّي لا أتمكّن من إحصاء مدحكم من حيث لا يمكنني إحصاء معروفكم ومحامدكم التي توجب الثناء عليكم .

وحتّى لو مدحتكم لا أصل في المدح إلى نهايتكم ، وفي الوصف إلى توصيف قدركم .

وأنّىٰ لنا بمعرفة كنهكم ، أو توصيف شأنكم الذي لا تناله العقول ، ولا تصل إليه الألباب .

كما تلاحظ ذلك في أحاديث الإمامة مثل :

١ ـ حديث طارق بن شهاب ، عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه : « وهل يعرف أو يوصف أو يُعلم أو يفهم أو يدرك أو يملك من هو شعاع جلال الكبرياء ، وشرف الأرض والسماء ؟

جلّ مقام آل محمّد صلى الله عليه وآله عن وصف الواصفين ، ونعت الناعتين وأن يقاس بهم أحد من العالمين »(١).

٢ ـ حديث عبدالعزيز بن مسلم ، عن الإمام الرضا عليه السلام جاء فيه : « الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ، ولا نظير »(٢).

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٧١ ب٤ ح٣٨ .

(٢) الكافي : ج١ ص٢٠١ ح١ .

وَاَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيارِ (١) وَهُداةُ الْأَبْرارِ (٢)

(١) ـ هذه الفقرات الشريفة تعليل لقوله : « مواليّ لا أُحصي ثنائكم » الخ ، وبيان لوجه العجز عن إحصاء ثنائهم وبلوغ المدح إلى كنههم وتوصيف قدرهم .

يعني كيف أحصي ثنائكم وأبلغ في المدح كنهكم وأتمكّن من وصف قدركم ؟ والحال أنّكم في هذه الدرجات السامية :

فأنتم نور الأخيار أي : منوّروهم ومعلّموهم وهادوهم ، أنتم شمس الهداية للأخيار .

والأخيار : هم الأنبياء المرسلون والملائكة المقرّبون .

وأنا عاجز عن إحصاء ما لأُولئك الأخيار من الكمالات والمحمدات ، فكيف باحصاء كمالاتكم ومحامدكم التي توجب الثناء عليكم وأنتم منوّروا أُولئك الأخيار.

ففي حديث الإمام الرضا عليه‌السلام المتقدّم : « الإمام كالشمس المضيئة ... »[١].

وفي نسخة الكفعمي : « لأنّكم نور الأنوار ، وخيرة الأخيار » .

(٢) ـ الأبرار : جمع بَرّ بالفتح بمعنى البارّ ، وهو فاعل الخير .

أي أنتم هداة الأبرار ، وهم شيعتهم الطيّبون وأولياؤهم المحسنون .

فهم عليهم‌السلام الهادون في تفسير قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٢].

لاحظ بيان ذلك ودليله في فقرة : « والقادة الهداة ».

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٠٠ ح١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .

وَحُجَجُ الْجَبّارِ (١) بِكُمْ فَتَحَ اللّهُ (٢) وَبِكُمْ يَخْتِمُ (٣)

(١) ـ أي وأنتم حجج الله الملك الجبّار .

فأهل البيت عليهم السلام جعلهم الله تعالى حجّته البالغة على جميع خلقه ومخلوقاته ، وتقدّم له باب كامل من الأحاديث المتظافرة في أنّهم الحجج على جميع العوالم وجميع المخلوقات[١] في فقرة : « وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأُولى » .

(٢) ـ أي بكم أهل البيت فتح الله تعالى الوجود والخلق ، أو الخلافة والولاية الكبرى ، أو الخيرات والفيوضات .

ففي حديث الكساء الشريف : « فقال الله عزّوجلّ ياملائكتي وياسكّان سماواتي إنّي ما خلقت سماء مبنيّة ، ولا أرضاً مدحيّة ، ولا قمراً منيراً ، ولا شمساً مضيئة ، ولا فلكاً يدور ، ولا بحراً يجري ، ولا فُلكاً يسري إلّا في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء .

فقال الأمين جبرائيل : ياربّ ومن تحت الكساء ؟

فقال عزّوجلّ: هم أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها »[٢].

(٣) ـ أي بدولتكم المباركة تُختم الدول ، فإنّها آخر الدول كما تقدّم في بيان الرجعة في فقرة : « مرتقب لدولتكم » .

أو يختم بدولتكم في الآخرة كما تقدّم عند بيان فقرة : « إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم » .

وفي نسخة الكفعمي : « بكم ختم الله » .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٤٦ ب١٥ الأحاديث .

(٢) العوالم : ج١١ القسم الثاني ص٩٣٣ .

وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ(١) وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ اِلّا بِاِذْنِهِ(٢) وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ(٣)

---

(١) ـ فإنّهم عليهم‌السلام معدن الرحمة والبركة ، وببركتهم يُنزّل الغيث وتنشر الرحمة كما تلاحظه في الأحاديث المتواترة المتقدّم بيانها في فقرة : « ومساكن بركة الله » .

وفي نسخة الكفعمي : « وبكم ينزّل الغيث والرحمة » .

(٢) ـ أي بكم أهل البيت وببركة وجودكم يمسك الله تعالى السماء ويحفظها عن أن تقع على الأرض ، عند حصول أسباب ذلك ، من عصيان بعض المخلوقين ، وشرك المشركين واتّخاذهم الآلهة الباطلة كما قال تعالى : ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً﴾(١).

فلا تسقط السماء إلّا بإذنه ، ومورد إذنه عند قيام الساعة ، أو في كلّ وقت يريده الله تعالى ويأذن فيه .

ولولاهم عليهم‌السلام لساخت الأرض ولسقطت السماء .

ففي دعاء العديلة : « بيُمنه رُزق الورى ، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء » .

(٣) ـ التنفيس : هو إذهاب الهمّ والغمّ ، يقال : نفّس الله كربته أي فرّجها ، والأصل في التنفيس هو التفريج ، كأنّه مأخوذ من قولهم : أنت في نَفَس من أمرك أي سعة(٢).

والهمّ : هو الحزن(٣).

وفي الدعاء : « اللهمّ إنّي أعوذ بك من الهمّ والغمّ والحزن » ، قيل : الهمّ قبل نزول الأمر ، والغمّ بعد نزوله ، والحزن هو الأسف على ما فات ، وأهمّني الأمر أي أقلقني(٤). ⬅

---

(١) سورة مريم : الآية ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) مجمع البحرين : ص٣٣٦ .

(٣) ترتيب العين : ج٣ ص١٩٠١ .

(٤) مجمع البحرين : ص٥٤٣ .

. . . .

⬅وأهل البيت عليهم السلام بهم تزول الهموم وتسرّ النفوس ، بكفاية الأُمور وقضاء الحاجات .
لأنّهم الوسيلة إلى الله تعالى والشفعاء إليه كما تلاحظه في أحاديثه[١] وقد شهد بتفريجهم الهموم حتّى عدوّهم كما تلاحظه في الحديث[٢].

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣١٩ ب٧ الأحاديث .
(٢) بحار الأنوار : ج١٠ ص٢٦ ب١ ح١٤ .

وَيَكْشِفُ الضُّرَّ(١)

(١) ـ كشف الشيء : إزالته وإزاحته .

وكشف الله غمّه : أزاله ، وفي التنزيل : ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾(١).

والضُرّ بضمّ الضاد : سوء الحال ، والضرر في النفس من مرض وهزال .

وأهل البيت عليهم السلام يدفع الله تعالى ببركتهم الأسواء والأضرار عن الخلق .

وقد جاء في الزيارة الجامعة الأُخرى : « بكم ينزّل الغيث وينفّس الهمّ ويكشف السوء ويدفع الضرّ ويُغنى العديم ويشفى السقيم »(٢).

وفي الزيارة الرجبية الشريفة : « فبكم يجبر المهيض ، ويشفى المريض »(٣).

فإنّهم عليهم السلام أمان لأهل الأرض ، وبهم تنزل الرحمة ويصرف العذاب كما في أحاديث كثيرة منها :

حديث خيثمة الجعفي ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : سمعته يقول : « نحن جنب الله ، ونحن صفوته ، ونحن حوزته ، ونحن مستودع مواريث الأنبياء ، ونحن أُمناء الله عزّوجلّ ، ونحن حجج الله ، ونحن أركان الإيمان ، ونحن دعائم الإسلام ، ونحن من رحمة الله على خلقه ، ونحن مَن بنا يفتح وبنا يختم ، ونحن أئمّة الهدى ، ونحن مصابيح الدجى ، ونحن منار الهدى ، ونحن السابقون ، ونحن الآخرون ، ونحن العَلم المرفوع للخلق ، مَن تمسّك بنا لحق ، ومن تأخّر عنّا غرق ، ونحن قادة الغرّ المحجّلين ، ونحن خيرة الله ، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله عزّوجلّ ، ونحن من نعمة الله عزّوجلّ على خلقه ، ونحن المنهاج ، ونحن معدن ⇐

(١) المعجم الوسيط : ج٢ ص٧٨٩ ، سورة الدخّان : الآية ١٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٥٤ ب٥٧ ح٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٩٥ ب٨ ح٦ .

. . . .

النبوّة ، ونحن موضع الرسالة ، ونحن الذين إلينا تختلف الملائكة ، ونحن السراج لمن استضاء بنا ، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ، ونحن الهداة إلى الجنّة ، ونحن عرى الإسلام ، ونحن الجسور والقناطر ، من مضى عليها لم يُسبق ، ومن تخلّف عنها محق ، ونحن السنام الأعظم ، ونحن الذين بنا ينزّل الله عزّوجلّ الرحمة ، وبنا يسقون الغيث ، ونحن الذين بنا يُصرف عنكم العذاب .

فمن عرفنا وأبصرنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا »[١].

والشواهد كثيرة والمشاهدات وفيرة فيما تفضّل الله تعالى ببركتهم من إرسال الخيرات ودفع المضرّات .

---

(١) إكمال الدين : ص٢٠٥ ب٢١ ح٢٠ .

وَعِنْدَكُمْ ما نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ(١)

(١) ـ الجملة الثانية مفسّرة للجملة الأُولى .

والمعنى أنّ عندكم أهل البيت سلام الله عليكم ما أنزلته الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام ، فجمع الله تعالى لكم كلّ ما خصّ الله به أنبياءه ، وشرّفكم وحدكم بجميع فضائل النبيين كلّهم ، بما هبط به الملائكة المقرّبون من الصحف الإلهية والكتب السماوية ، والعلوم الربّانية ، والأسرار الحقّانية ، والمواريث القدسيّة .

فعندهم صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، والألواح ، وزبور داود ، وانجيل عيسى وسائر الكتب المقدّسة كما في أحاديث الكافي(١).

وعندهم تابوت بني اسرائيل الذي فيه السكينة وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون كما في حديث الكنز(٢).

وعندهم مواريث النبي موسى عليه السلام كالحجر ، والطست ، والعصى التي تأتي بالعجائب كما في حديث البحار(٣).

وعندهم العلوم والأسرار الإلهية ، والمواريث النبوية كما تقدّم تفصيلها ودليلها في فقرات « خزّان العلم » و « حفظة سرّ الله » و « ورثة الأنبياء » ، وهذه كرامات جُمعت لهم واختصّت بهم سلام الله عليهم .

وفي العيون : « وعندكم ما ينزل به رسله » .

---

(١) الكافي : ج١ ص٢٢٥ ح٤ و٥ ، وص٢٢٧ ح١ .

(٢) كنز الدقائق : ج٢ ص٣٨٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٣ ص٦٠ .

وَإِلىٰ جَدِّكُمْ* بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ[١]

(١) ـ أي إلى جدّكم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بُعث وأُرسل جبرائيل عليه السلام .

والإنبعاث : هو الإسراع إلى الطاعة للباعث[١].

والروح الأمين : هو أمين وحي الله جبرائيل عليه السلام كما عبّر عنه بذلك في قوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[٢].

وهذا من معالي مزاياهم عليهم السلام أن يكون جدّهم وأخو أمير المؤمنين عليه السلام هو من بُعث إليه جبرئيل عليه السلام رسولاً من قبل الله تعالى ، بأتمّ بعثة وأكمل إرسال .

ولعلّ تقديم « إلى جدّكم » المفيد للاختصاص يفيد هذه الخصوصية المنحصرة برسول الله صلى الله عليه وآله أن كانت بعثة جبرئيل إليه بأتمّ وأكمل بعثة ..

من حيث الكمّية والكيفية ، بحيث لم تكن بهذه الخصوصية لسائر الأنبياء ، عليهم سلام الله في جميع الآناء.

أمّا من حيث الكمّ فنُقل أنّ جبرائيل عليه السلام نزل على إبراهيم عليه السلام خمسين مرّة وعلى موسى عليه السلام أربعمائة مرّة وعلى عيسى عليه السلام عشر مرّات وعلى محمّد صلى الله عليه وآله أربعة وعشرين ألف مرّة[٣].

وأمّا من حيث الكيف ففي غاية العظمة والتشريف كما في أحاديثه التي منها :

١ ـ حديث أبي الجارود ، عن الإمام الباقر عليه السلام : « ... فلمّا بعث الله جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله سمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا ، ←

(*) في الفقيه : ج٢ ص٦١٥ : [وإن كانت الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام فقل : « وإلى أخيك بُعث الروح الأمين »] .

(١) مجمع البحرين : ص١٥٠ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٣) سفينة البحار : ج١ ص٥٤٤ .

. . . .

فصعق أهل السماوات .

فلمّا فرغ من الوحي انحدر جبرئيل ، كلّما مرّ بأهل السماء فزّع عن قلوبهم ... فقال بعضهم لبعض : ماذا قال ربّكم قالوا الحقّ وهو العلي الكبير » .

٢ ـ حديث كمال الدين : سُئل الصادق عليه‌السلام عن الغشية التي كانت تأخذ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله أكانت تكون عند هبوط جبرئيل ؟

فقال : « لا ، إنّ جبرئيل عليه‌السلام إذا أتى النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله لم يدخل عليه حتّى يستأذنه ، فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد ، وإنّما ذلك ـ أي الغشية ـ عند مخاطبة الله عزّوجلّ إيّاه بغير ترجمان وواسطة » .

٣ ـ حديث عمر بن يزيد ، عن الإمام الصادق عليه‌السلام : « إنّ جبرئيل كان يجيء فيستأذن على رسول الله ، وإن كان على حال لا ينبغي أن يأذن له قام في مكانه حتّى يخرج إليه ، وإن أذن له دخل عليه .

فقلت : وأين المكان ؟

قال : حيال الميزاب الذي إذا خرجت من الباب الذي يقال له : باب فاطمة بحذاء القبر ، إذا رفعت رأسك بحذاء الميزاب ، والميزاب فوق رأسك ، والباب من وراء ظهرك . الخبر »[١] .

وفي نسخة الكفعمي هنا زيادة : « وبمفتاح منطقكم نطق كلّ لسان ، وبكم يسبّح القدّوس السبّوح ، وبتسبيحكم جرت الألسن بالتسبيح ، والله بمنّه آتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » .

---

(١) بحار الأنوار : ج١٨ ص٢٥٩ ب٢ الأحاديث ١١ و١٢ و١٨ ، كنز الدقائق : ج١٢ ص٤٨٩ .

آتاكُمُ اللّٰهُ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ(١)

(١) ـ أي آتاكم الله تعالى من العلوم والمعارف ، والأسرار والمواهب ، والمواريث والعطايا ، والخصائص والفضائل ما لم يؤتها أحداً من العالمين حتّى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين .

فإنّ العالمين بفتح اللام جمع ، محلّى باللام يفيد العموم ، ويشمل جميع العوالم التي ترى الإشارة إليها في حديث الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إنّ لله عزّوجلّ إثنى عشر الف عالم ... إنّي الحجّة عليهم »(١).

والعالمين بمعنى : أصناف الخلق وكلّ صنف منهم عالَم كما في المجمع(٢).

وأحداً نكرة في سياق النفي ، فيفيد عموم كلّ أحد أيضاً .

فأهل البيت وسيّدهم الرسول الأكرم سلام الله عليهم أعطاهم الله هذه العطايا الفضلى ، وتفضّل عليهم بهذه المنح العظمى ، لأنّهم المفضّلون على الخلق أجمعين ، والمصطفون على العالمين .

حيث إنّهم سبقوا جميع الخلق إلى طاعة الله ، وفاقوهم في التقرّب إلى الله من النشأة الأُولى إلى المراحل الأُخرى .

وقد علم الله تعالى منهم الوفاء فاختارهم باختياره الثاقب المصيب .

ففي حديث الوصيّة : « ياعلي إنّ الله عزّوجلّ أشرف على [أهل] الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثمّ أطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين ، ثمّ أطلع الثالثة فاختار الأئمّة من ولدك على رجال العالمين ، ثمّ أطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين »(٣).

---

(١) بحار الأنوار : ج٥٧ ص٣٢٠ ب١ ح٢ .

(٢) مجمع البحرين : ص٥٢٧ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ج٤ ص٣٧٤ .

. . . .

وقد فُضّلوا حتّى على الأنبياء العظام كما في حديث حذيفة بن أسيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تكاملت النبوّة لنبي في الأظلّة حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له ، فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم » .

وعن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من نبي نُبّيء ، ولا من رسول أُرسل إلّا بولايتنا وتفضيلنا على من سوانا »[١].

وفُضّلوا على الملائكة الكرام كما في حديث الرسول الأعظم ﷺ : « ياعلي إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين ، وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك ياعلي وللأئمّة من بعدك ، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا .

ياعلي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا .

ياعلي لولا نحن ما خلق آدم ولا حوّا ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّوجلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده »[٢].

وتلاحظ إختصاصهم بالمزايا والخصائص العلياء التي فُضّلوا بها على العالمين حتّى الأنبياء ، في أحاديث متظافرة منها :

حديث إبراهيم ، عن أبيه ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلّهم ؟

قال : نعم .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٢٨١ ب٦ الأحاديث ٢٧ و٢٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص٣٣٥ ب٨ ح١ .

. . . .

قلت : من لدن آدم حتّى انتهى إلى نفسه ؟

قال : ما بعث الله نبيّاً إلّا ومحمّد صلى الله عليه وآله أعلم منه .

قال : قلت : إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله .

قال : صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل ؟

قال : فقال : إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[1] حين فقده ، فغضب عليه فقال : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وإنّما غضب لأنّه كان يدلّه على الماء ، فهذا ـ وهو طائر ـ قد أُعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والإنس والجنّ والشياطين والمردة له طائعين ، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء ، وكان الطير يعرفه وإنّ الله يقول في كتابه : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾[3] وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسيّر به الجبال وتقطّع به البلدان ، وتحيى به الموتى ، ونحن نعرف الماء تحت الهواء ، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون ، جعله الله لنا في أُمّ الكتاب ، إنّ الله يقول : ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[4]. ثمّ قال : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[5].

فنحن الذين اصطفانا الله عزّوجلّ وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كلّ شيء[6].

---

(١) سورة النمل : الآية ٢٠ .
(٢) سورة النمل : الآية ٢١ .
(٣) سورة الرعد : الآية ٣١ .
(٤) سورة النمل : الآية ٧٥ .
(٥) سورة فاطر : الآية ٣٢ .
(٦) الكافي : ج١ ص٢٢٦ ح٧ .

. . . .

وحديث جابر ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : « إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده ، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين .

ونحن عندنا من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً ، وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوّة إلّا الله العلي العظيم » .

وحديث هارون بن الجهم ، عمّن رواه قال : سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول : « إنّ عيسى بن مريم عليه‌السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما ، وأعطي موسى أربعة أحرف وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف ، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً ، وإنّ الله تعالى جمع ذلك كلّه لمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله .

وإنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، اعطي محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله إثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد »(١).

هذا مضافاً إلى ما آتاهم الله تعالى من معاجزهم الخاصّة وقدرتهم الفائقة التي تلاحظها في أفعالهم ، مثل ما أبداه أمير المؤمنين عليه‌السلام في قضيّة الغلام الذي جاءه من قبل معاوية وادّعى ما ادّعى .

فروى ميثم التمّار أنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام رقى المنبر وراقى ثمّ تنحنح فسكت جميع من في الجامع ، فقال : « رحم الله من سمع فوعى ، أيّها الناس من يزعم أنّه أمير المؤمنين ؟ والله لا يكون الإمام إماماً حتّى يحيي الموتى ، أو ينزل من السماء مطراً ، أو يأتي بما يشاكل ذلك ممّا يعجز عنه غيره ، وفيكم من يعلم أنّي الآية

(١) الكافي : ج١ ص٢٢٦ ح٧ ، وص ٢٣٠ ح١ و٢ .

. . . .

الباقية ، والكلمة التامّة ، والحجّة البالغة .

ولقد أرسل إليّ معاوية جاهلاً من جاهليّة العرب عجرف في مقاله ، وأنتم تعلمون لو شئت لطحنت عظامه طحناً ، ونسفت الأرض من تحته نسفاً ، وخسفتها عليه خسفاً ، إلّا أنّ احتمال الجاهل صدقة .

ثمّ حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله . وأشار بيده إلى الجوّ فدمدم ، وأقبلت غمامة وعلت سحابة ، وسمعنا منها نداءً يقول : السلام عليك ياأمير المؤمنين ، وياسيّد الوصيّين ويإمام المتّقين ، وياغياث المستغيثين ، وياكنز المساكين ، ومعدن الراغبين .

وأشار إلى السحابة فدنت !

قال ميثم : فرأيت الناس كلّهم قد أخذتهم السكرة ، فرفع عليه السلام رجله وركب السحابة وقال لعمّار : اركب معي وقل : ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ فركب عمّار وغابا عن أعيننا ، فلمّا كان بعد ساعة أقبلت سحابة حتّى أظلّت جامع الكوفة ، فالتفتُّ فإذا مولاي جالس على دكّة القضاء ؟

وعمّار بين يديه : والناس حافّون به ثمّ قام وصعد المنبر ، وأخذ بالخطبة المعروفة بالشقشقيّة . فلمّا فرغ اضطرب الناس ! وقالوا فيه أقاويل مختلفة . فمنهم من زاده الله إيماناً ويقيناً ! ومنهم من زاده كفراً وطغياناً .

قال عمّار : قد طارت بنا السحابة في الجوّ ، فما كان هنيئة حتّى أشرفنا على بلد كبير حواليها أشجار وأنهار ، فنزلت بنا السحابة وإذا نحن في مدينة كبيرة ، والناس يتكلّمون بكلام غير العربية ، فاجتمعوا عليه ولاذوا به ، فوعظهم وأنذرهم بمثل كلامهم ، ثمّ قال : ياعمّار اركب ففعلت ما أمرني ، فأدركنا جامع الكوفة ثمّ قال لي : ياعمّار تعرف البلدة التي كنت فيها ؟

. . . .

قلت : الله أعلم ورسوله ووليّه .

قال : كنّا في الجزيرة السابعة من الصين أخطب كما رأيتني ، إنّ الله تبارك وتعالى أرسل رسوله إلى كافّة الناس ، وعليه أن يدعوهم ويهدي المؤمنين منهم إلى الصراط المستقيم ، وأشكر ما أوليتك من نعمة ، وأكتم من غير أهله ، فإنّ لله تعالى ألطافاً خفيّة في خلقه ، لا يعلمها إلّا هو ومن ارتضى من رسول .

ثمّ قالوا : أعطاك الله هذه القدرة الباهرة وأنت تستنهض الناس لقتال معاوية ؟

فقال : إنّ الله تعبّدهم بمجاهدة الكفّار والمنافقين ، والناكثين ، والقاسطين ، والمارقين .

والله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة ، وضربت بها صدر معاوية بالشام ، وأجذب بها من شاربه ـ أو قال من لحيته ـ فمدّ يده وردّها وفيها شعرات كثيرة ، فتعجّبوا من ذلك . ثمّ وصل الخبر بعد مدّة أنّ معاوية سقط من سريره في اليوم الذي كان عليه السلام مدّ يده ، وغشي عليه ، ثمّ أفاق وافتقد من شاربه ولحيته شعرات »[1].

إلى غير ذلك ممّا أُعطوا دون العالمين ، من خصائصهم السامية الواردة في زياراتهم العالية ، خصوصاً هذه الزيارة وكذا الزيارة السادسة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام التي تضمّنت المواهب الربّانية التي حازوها هم عليهم السلام دون الخلق ، فتدبّر في المعالي الشريفة التي جاءت في تلك الزيارة أيضاً :

« .. السلام على مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، صاحب السوابق والمناقب والنجدة ومبيد الكتائب ، الشديد الباس ، العظيم المراس ، المكين الأساس

---

(١) بحار الأنوار : ج٥٧ ص٣٤٤ ب١ ح٣٦ .

. . . .

ساقي المؤمنين بالكاس ... السلام على صاحب النُهى والفضل والطوائل ، والمكرمات والنوائل ... السلام على من أيّده الله بجبرائيل ، وأعانه بميكائيل ، وأزلفه في الدارين ، وحباه بكلّ ما تقرّ به العين ... السلام عليك ياعين الله الناظرة ، ويده الباسطة ، وأُذنه الواعية ، وحكمته البالغة ونعمته السابغة ... السلام على قسيم الجنّة والنار ، السلام على نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجّار ، السلام على سيّد المتّقين الأخيار ... أخ الرسول ، وزوج البتول ، وسيف الله المسلول ... وقايةً لمهجته ، وهادياً لأُمّته ، ويداً لبأسه ، وتاجاً لرأسه ... » .

ومن عطايا الله تعالى لهم عليهم السلام التي لم يعطها أحداً من العالمين ولدهم الحجّة الثاني عشر ، الذي يظهر على الكون كلّه ويقيم دين جدّه ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً .

وقد بشّر به الأئمّة المعصومون ، والنبي الأعظم والأنبياء الآخرون عليهم السلام[1].

بل بشّر به الله تعالى في حديثي المعراج الشريف الذي رواه ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لمّا عرج بي إلى ربّي جلّ جلاله أتاني النداء : يامحمّد !

قلت : لبّيك ربّ العظمة لبّيك .

فأوحى الله تعالى إليّ : يامحمّد فيم اختصم الملأ الأعلى ؟

قلت : إلهي لا علم لي .

فقال : يامحمّد هلّا اتّخذت من الآدميين وزيراً وأخاً ووصيّاً من بعدك ؟

فقلت : إلهي ومن أتّخذ ؟ تخيّر لي أنت ياإلهي .

فأوحى الله إليّ : يامحمّد قد اخترت لك من الآدميين علي بن أبي طالب .

---

(١) لاحظ مجموع البشارات به سلام الله عليه في المجلّد الأول من إلزام الناصب .

. . . .

فقلت : إلهي ابن عمّي ؟

فأوحى الله إليّ : يامحمّد إنّ علياً وارثك ووارث العلم من بعدك وصاحب لوائك لواء الحمد يوم القيامة وصاحب حوضك ، يسقي من ورد عليه من مؤمني أُمّتك .

ثمّ أوحى الله عزّوجلّ إليّ : يامحمّد إنّي قد أقسمت على نفسي قسماً حقّاً لا يشرب من ذلك الحوض مبغضٌ لك ولأهل بيتك وذرّيتك الطيّبين الطاهرين ، حقّاً أقول : يامحمّد لأُدخلنّ جميع أُمّتك الجنّة إلّا من أبىٰ من خلقي .

فقلت : إلهي هل واحد يأبى من دخول الجنّة ؟

فأوحى الله عزّوجلّ إليّ : بلى .

فقلت : وكيف يأبى ؟

فأوحى الله إليّ : يامحمّد اخترتك من خلقي ، واخترت لك وصيّاً من بعدك ، وجعلته منك بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدك ، وألقيت محبّته في قلبك وجعلته أباً لولدك ، فحقّه بعدك على أُمّتك كحقّك عليهم في حياتك ، فمن جحد حقّه فقد جحد حقّك ، ومن أبى أن يواليه فقد أبى أن يواليك ، ومن أبى أن يواليك فقد أبى أن يدخل الجنّة ، فخررت لله عزّوجلّ ساجداً شكراً لما أنعم عليّ ، فإذا منادياً ينادي : ارفع يامحمّد رأسك ، وسلني أعطك .

فقلت : إلهي اجمع أُمّتي من بعدي على ولاية علي بن أبي طالب ليردوا جميعاً عليَّ حوضي يوم القيامة ؟

فأوحى الله تعالى إليّ : يامحمّد إنّي قد قضيت في عبادي قبل أن أخلقهم ، وقضائي ماضٍ فيهم ، لأُهلك به من أشاء وأهدي به من أشاء . وقد آتيته علمك من بعدك ، وجعلته وزيرك وخليفتك من بعدك على أهلك وأُمّتك ، عزيمةً منّي لأُدخل الجنّة من أحبّه ، ولا أُدخل الجنّة من أبغضه وعاداه وأنكر ولايته بعدك ، فمن أبغضه

. . . .

أبغضك ، ومن أبغضك أبغضني ، ومن عاداه فقد عاداك ، ومن عاداك فقد عاداني ، ومن أحبّه فقد أحبّك ، ومن أحبّك فقد أحبّني ، وقد جعلت له هذه الفضيلة .

وأعطيتك أن أُخرج من صلبه أحد عشر مهديّاً ، كلّهم من ذرّيتك من البكر البتول، وآخر رجل منهم يصلّي خلفه عيسى بن مريم . يملأ الأرض عدلاً كما ملئت منهم ظلماً وجوراً ، أُنجي به من الهلكة ، وأُهدي به من الضلالة ، وأُبرىء به من العمى ، وأُشفي به المريض ... » .

وفي حديث المعراج الآخر : « ... يامحمّد لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع ويصير كالشنّ البالي ، ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم فما أسكنته جنّتي ولا أظللته تحت عرشي، يامحمّد تحبّ أن تراهم ؟

قلت : نعم ياربّ .

فقال عزّوجلّ : ارفع رأسك فرفعت رأسي وإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمّد بن علي ، وجعفر بن محمّد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمّد بن علي ، وعلي بن محمّد، والحسن بن علي ، و « م ح م د » بن الحسن القائم في وسطهم كأنّه كوكب درّي .

قلت : ياربّ ومَن هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الأئمّة وهذا القائم الذي يحلّل حلالي ويحرّم حرامي وبه أنتقم من أعدائي ، وهو راحة لأوليائي ، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين ، فيخرج اللات والعزّى طريّين فيحرقهما »[1].

وكلّ هذه خصائص ودرجات اختصّ بها أهل البيت الطيبين دون العالمين .

---

(١) إكمال الدين : ص ٢٥٠ ب ٣٣ ح ١ و ٢ .

طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ(١)

(١) ـ التطأطأ : هو الإنحناء والخضوع ، يقال : طأطأ رأسه أي خفضه .

وطأطأ كلّ شريف أي تواضع وخضع .

والشَرَف في أصل اللغة : هو العُلو ، وشرف الأرض : المكان العالي منها ، ومنه سمّي الشريف شريفاً تشبيهاً للعُلوّ المعنوي بالعلوّ المكاني كما تقدّم .

فالمعنى أنّه تواضع وخضع كلّ شريف لشرافتكم العلياء التي تفوق كلّ شرافة ، ولم يصل إليها أيّ شريف .

وهذا أمر وجداني نلاحظه في جميع الشرفاء تجاه أهل البيت عليهم السلام .

فقد شرّفهم الله تعالى بأسمى الشرافات في علمهم وعملهم وحسبهم ونسبهم وسائر مزاياهم التي لا يدانيها أحد ، كما هو واضح مُبان من دون حاجة إلى دليل وبيان .

وتجد شطراً منها في الخطبة الشريفة الغرّاء للإمام زين العابدين عليه آلاف الثناء فيما عرّف به أهل بيته الأزكياء عليهم السلام(١).

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٥ ص١٣٨ .

وَنَجَعَ [وَبَخَعَ] كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ(١) وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ(٢)

(١) ـ في نسخة التهذيب : « بخع » بالباء ثمّ الخاء .

البخوع : هو الإقرار والخضوع ، يقال : بخع بالحقّ أي أقرّ به وخضع له .

لكن في العيون والفقيه وفي نسخة الكفعمي : « نجع » بالنون وهو بمعنى الخضوع أيضاً .

والمعنى خضع كلّ متكبّر في طاعتكم ، أو في إطاعتكم لله تعالى ، حتّى أقرّ لهم بالطاعة ألدّ أعدائهم .

وقد تقدّم بيانه .

(٢) ـ الخضوع : هو التواضع والإنقياد .

والجبّار : هو المتسلّط وقيل : هو العظيم الشأن في المُلك والسلطان .

أي تواضع وانقاد كلّ متسلّط لفضلكم ودرجتكم الرفيعة .

وهذه أُمور وجدانية يجدها الإنسان ، ويراها بالعيان في سير الأزمان ويكفيك في ذلك اعترافات جائري عصورهم .

في مثل اعترافات الثلاثة : (لولا علي لهلك فلان) كما ورد جميع تلك الاعترافات بمصادرها من العامّة في محلّه(١).

وفي مثل تصديق معاوية لذلك في آخر حديث عدي بن حاتم وحديث الطرماح ، أمّا حديث عدي فهو : أنّ عدي بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : ياعدي أين الطَرَفات ؟ يعني بنيه طريفاً وطارفاً وطرفة .

قال : قتلوا يوم صفّين بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال : ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بنيك وأخّر بنيه .

---

(١) الإمام أمير المؤمنين عليه السلام از ديدگاه خلفا : ص ١٢٠ و ١٢٩ و ١٨٧ .

. . . .

قال : بل ما نصفتُ أنا علياً إذ قُتِلَ وبقيتُ .

قال : صف لي علياً .

فقال : إن رأيت أن تعفيني .

قال : لا أعفيك .

قال : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول عدلاً ، ويحكم فصلاً ، تنفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهـرتها ويسـتأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يحاسب نفسه إذا خـلا ويقلّب كفّيه على ما مضى ، يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن ، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويدنينا إذا أتيناه ، ونحن مع تقريبه لنا وقربه مـنّا لا نكلّمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته ، فإن تبسّم فعن اللؤلؤ المنظوم ، يعظّم أهل الدين ويتحبّب إلى المساكين ، لا يخاف القوي ظلمه ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

فأُقسم لقد رأيته ليلة وقد مَثُل في محرابه ، وأرخى الليل سرباله وغارت نجومه ، ودموعه تتحادر على لحيته ، وهو يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأنّي الآن أسمعه وهو يقول : يادُنيا أَلِيَّ تعرّضت أم إليّ أقبلت ، غُرّي غيري لا حان حينُك قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعيشُكِ حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلّة الزاد وبُعد السفر وقلّة الأنيس .

قال : فوكفت عينا معاوية وجعل ينشفهما بكمّه .

ثمّ قال : يرحم الله أبا الحسن كان كذلك فكيف صبرُك عنه ؟

قال : كصبر من ذُبح ولدُها في حِجرها فهي لا ترقأ دمعتها ولا تسكن عبرتها .

قال : فكيف ذكرك له ؟

. . . .

قال : وهل يتركني الدهر أن أنساه ؟! »[1].

وأمّا حديث الطرماح فهو ما رواه الشيخ الأديب أبو بكر بن عبدالعزيز البستي بالأسانيد الصحاح أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمّا رجع من وقعة الجمل كتب إليه معاوية بن أبي سفيان عليه اللعنة :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله وابن عبدالله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أمّا بعد فقد اتّبعت ما يضرّك وتركت ما ينفعك وخالفت كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وقد انتهى إليّ ما فعلت بحواري رسول الله صلى الله عليه وآله طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين عائشة ، فوالله لأرمينّك بشهاب لا تطفيه المياه ولا تزعزعه الرياح إذا وقع وقب ، وإذا وقب ثقب ، وإذا ثقب نقب ، وإذا نقب التهب ، فلا تغرنّك الجيوش واستعدّ للحرب فإنّي ملاقيك بجنود لا قبل لك بها والسلام .

فلمّا وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكّه وقرأه ودعى بدواة وقرطاس وكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله وابن عبده علي بن أبي طالب أخي رسول الله وابن عمّه ووصيّه ومغسّله ومكفّنه وقاضي دَينه وزوج إبنته البتول وأبي سبطيه الحسن والحسين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أمّا بعد فإنّي أفنيت قومك يوم بدر وقتلت عمّك وخالك وجدّك ، والسيف الذي قتلتهم به معي ، يحمله ساعدي بثبات من صدري ، وقوّة من بدني ، ونصرة من ربّي كما جعله النبي صلى الله عليه وآله في كفّي .

فوالله ما اخترت على الله ربّاً ، ولا على الإسلام ديناً ، ولا على محمّد نبيّاً ، ولا

(١) سفينة البحار : ج٦ ص١٨٤ .

. . . .

على السيف بدلاً ، فبالغ من رأيك ، فاجتهد ولا تقصّر فقد استحوذ عليك الشيطان ، واستفزّك الجهل والطغيان ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

والسلام على من اتّبع الهدى وخشي عواقب الردى .

ثمّ طوى الكتاب وختمه ودعى رجلاً من أصحابه يقال له : الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي وكان رجلاً جسيماً طويلاً أديباً لبيباً فصيحاً لَسِناً متكلّماً لا يكلّ لسانه ولا يعيي عن الجواب ، فعمّمه بعمامته ، ودعى له بجمل بازل وثيق فائق أحمر ، فسوّى راحلته ، ووجّهه إلى دمشق ، فقال له : ياطرماح انطلق بكتابي هذا إلى معاوية بن أبي سفيان وخذ الجواب .

فأخذ الطرماح الكتاب ، وكوّر بعمامته ، وركب مطيّته ، وانطلق حتّى دخل دمشق فسأل عن دار الإمارة فلمّا وصل إلى الباب قال له الحجّاب : من بغيتك ؟

قال : أريد أصحاب الأمير أوّلاً ثمّ الأمير ثانياً .

فقالوا له : من تريد منهم ؟

قال : أريد جعشماً وجرولاً ومجاشعاً وباقعاً ـ وكان أراد أبا الأعور السلمي وأبا هريرة الدّوسي وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ـ .

فقالوا : هم بباب الخضراء يتنزّهون في بستان .

فانطلق وسار حتّى أشرف على ذلك الموضع فإذا قوم ببابه فقالوا : جاءنا أعرابي بدوي دوين إلى السماء تعالوا نستهزىء به ، فلمّا وقف عليهم قالوا : ياأعرابي هل عندك من السماء خبر ؟

فقال : بلى ، الله تعالى في السماء ، وملك الموت في الهواء ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في القفاء ، فاستعدّوا لما ينزل عليكم من البلاء ، ياأهل الشقاوة والشقاء .

قالوا : من أين أقبلت ؟

. . . .

قال : من عند حرّ تقي نقيّ زكيّ مؤمن رضيّ مرضيّ .

فقالوا : وأي شيء تريد ؟

فقال : أريد هذا الدعي الرديّ المنافق المردي الذي تزعمون أنّه أميركم ، فعلموا أنّه رسول أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى معاوية .

فقالوا : هو في هذا الوقت مشغول .

قال : بماذا بوعد أو وعيد ؟

قالوا : لا ولكنّه يشاور أصحابه فيما يلقيه غداً .

قال : فسحقاً له وبُعداً .

فكتبوا إلى معاوية بخبره : أمّا بعد فقد ورد من عند علي بن أبي طالب رجل أعرابي بدوي فصيح لسن طلق ذلق ، يتكلّم فلا يكلّ ، ويطيل فلا يملّ فأعد لكلامه جواباً بالغاً ، ولا تكن عنه غافلاً ولا ساهياً والسلام .

فلمّا علم الطرماح بذلك أناخ راحلته ، ونزل عنها وعقلها ، وجلس مع القوم الذين يتحدّثون .

فلمّا بلغ الخبر إلى معاوية أمر إبنه يزيد أن يخرج ويضرب المصاف على باب داره ، فخرج يزيد وكان على وجهه أثر ضربة ، فإذا تكلّم كان جهير الصوت فأمر بضرب المصاف ففعلوا ذلك ، وقالوا للطرماح : هل لك أن تدخل على باب أمير المؤمنين ؟

فقال : لهذا جئت وبه أُمرت ، فقام إليه ومشى ، فلمّا رأى أصحاب المصاف وعليهم ثياب سود فقال : من هؤلاء القوم كأنّهم زبانية لمالك على ضيق المسالك ؟ فلمّا دنى من يزيد نظر إليه فقال : من هذا الميشوم ابن الميشوم ، الواسع الحلقوم ، المضروب على الخرطوم ؟!

. . . .

فقالوا : مه ياأعرابي ابن الملك يزيد .

فقال : ومن يزيد لا زاد الله مزاده ولا بلّغه مراده ومن أبوه ؟ كانا قدماً غائصين في بحر الجلافة ، واليوم استويا على سرير الخلافة ، فسمع يزيد ذلك واستشاط وهمّ بقتله غضباً ثمّ كره أن يحدث دون إذن أبيه فلم يقتله خوفاً منه وكظم غيظه وخبا ناره وسلّم عليه فقال : ياأعرابي إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام .

فقال : سلامه معي من الكوفة .

فقال يزيد : سلني عمّا شئت ، فقد أمرني أمير المؤمنين بقضاء حاجتك .

فقال : حاجتي إليه أن يقوم من مقامه حتّى يجلس من هو أولى منه بهذا الأمر !!

قال : فماذا تريد آنفاً ؟

قال : الدخول عليه .

فأمر برفع الحجاب وأدخل إلى معاوية وصواحبه .

فلمّا دخل الطرماح وهو متنعّل قالوا له : اخلع نعليك .

فالتفت يميناً وشمالاً ثمّ قال : هذا ربّ الواد المقدّس فأخلع نعلي ؟! فنظر فإذا هو معاوية قاعد على السرير مع قواعده وخاصّته ، ومثل بين يديه خدمه فقال : السلام عليك أيّها الملك العاصي .

فقرب إليه عمرو بن العاص فقال : ويحك ياأعرابي ، ما منعك أن تدعوه بأمير المؤمنين ؟

فقال الأعرابي : ثكلتك أمّك ياأحمق ، نحن المؤمنون ، فمن أمّره علينا بالخلافة.

فقال معاوية : ما معك ياأعرابي ؟

فقال : كتاب مختوم من إمام معصوم .

فقال : ناولنيه .

. . . .

قال : أكره أن أطأ بساطك .

قال : ناوله وزيري هذا وأشار إلى عمرو بن العاص .

فقال : هيهات هيهات ظلم الأمير وخان الوزير .

فقال : ناوله ولدي هذا وأشار إلى يزيد .

فقال : ما نرضى بإبليس فكيف بأولاده ؟

فقال : ناوله مملوكي هذا وأشار إلى غلام له قائم على رأسه .

فقال الأعرابي : مملوك اشتريته من غير حلّ وتستعمله في غير حقّ !!

قال : ويحك ياأعرابي فما الحيلة وكيف نأخذ الكتاب ؟

فقال الأعرابي : أن تقوم من مقامك وتأخذه بيدك على غير كره منك ، فإنّه كتاب رجل كريم وسيّد عليم وحبر حليم بالمؤمنين رؤوف رحيم .

فلمّا سمع منه معاوية وثب من مكانه وأخذ منه الكتاب بغضب ، وفكّه وقرأه ووضعه تحت ركبتيه ، ثمّ قال : كيف خلّفت أبا الحسن والحسين ؟

قال : خلّفته بحمد لله كالبدر الطالع ، حواليه أصحابه كالنجوم الثواقب اللوامع ، إذا أمرهم بأمر ابتدروا إليه ، وإذا نهاهم عن شيء لم يتجاسروا عليه ، وهو من بأسه يامعاوية في تجلّد بطل شجاع سميدع ، إن لقي جيشاً هزمه وأرداه ، وإن لقي قرناً سلبه وأفناه ، وإن لقي عدوّاً قتله وجزاه .

قال معاوية : كيف خلّفت الحسن والحسين ؟

قال : خلّفتهما بحمد الله شابّين نقيّين تقيّين زكيّين عفيفين صحيحين سيّدين طيّبين فاضلين عاقلين عالمين مصلحين في الدنيا والآخرة .

فسكت معاوية ساعة فقال : ما أفصحك ياأعرابي ؟

قال : لو بلغت باب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لوجدت الأدباء

. . . .

الفصحاء البلغاء الفقهاء النجباء الأتقياء الأصفياء ، ولرأيت رجالاً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، حتّى إذا استعرت نار الوغى قذفوا بأنفسهم في تلك الشعل ، لابسين القلوب على مدارعهم ، قائمين ليلهم صائمين نهارهم ، لا تأخذهم في الله ولا في وليّ الله علي لومة لائم ، فإذا أنت يامعاوية رأيتهم على هذه الحال غرقت في بحر عميق لا تنجو من لجّته .

فقال عمرو بن العاص لمعاوية سرّاً : هذا رجل أعرابي بدوي لو أرضيته بالمال لتكلّم فيك بخير .

فقال معاوية : ياأعرابي ما تقول في الجائزة أتأخذها منّي أم لا ؟

قال : بل آخذها فوالله أنا أريد استقباض روحك من جسدك ، فكيف باستقباض مالك من خزانتك .

فأمر له بعشرة آلاف درهم ثمّ قال : أتحبّ أن أزيدك ؟

قال : زد فإنّك لا تعطيه من مال أبيك ، وإنّ الله تعالى وليّ من يزيد .

قال : أعطوه عشرين ألفاً .

قال الطرماح : اجعلها وتراً فإنّ الله تعالى هو الوتر ويحبّ الوتر .

قال : أعطوه ثلاثين ألفاً فمدّ الطرماح بصره إلى إيراده فأبطأ عليه ساعة فقال : ياملك تستهزىء بي على فراشك ؟

فقال : لماذا ياأعرابي ؟

قال : إنّك أمرت لي بجائزة لا أراها ولا تراها ، فإنّها بمنزلة الريح التي تهبّ من قلل الجبال !! فأحضر المال ووضع بين يدي الطرماح فلمّا قبض المال سكت ولم يتكلّم بشيء .

فقال عمرو بن العاص : ياأعرابي كيف ترى جائزة أمير المؤمنين ؟

. . . .

فقال الأعرابي : هذا مال المسلمين من خزانة ربّ العالمين ، أخذه عبد من عباد الله الصالحين .

فالتفت معاوية إلى كاتبه وقال : اكتب جوابه ، فوالله لقد أظلمت الدنيا عليّ وما لي طاقة ، فأخذ الكاتب القرطاس فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله وابن عبده معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أمّا بعد فإنّي أُوجّه إليك جنداً من جنود الشام مقدّمته بالكوفة وساقته بساحل البحر ، ولأرمينّك بألف حمل من خردل تحت كلّ خردل ألف مقاتل فإن أطفأت نار الفتنة وسلّمت إلينا قتلة عثمان وإلّا فلا تقل غال ابن أبي سفيان ، ولا يغرنّك شجاعة أهل العراق واتّفاقهم فإنّ اتّفاقهم نفاق فمثلهم كمثل الحمار الناهق يميلون مع كلّ ناعق والسلام .

فلمّا نظر الطرماح إلى ما يخرج تحت قلمه قال : سبحان الله لا أدري أيّكما أكذب أنت بادّعائك أم كاتبك فيما كتب !! لو اجتمع أهل الشرق والغرب من الجنّ والإنس لم يقدروا به على ذلك .

فنظر معاوية فقال : والله لقد كتب من غير أمري .

فقال : إن كنت لم تأمره فقد استضعفك وإن كنت أمرته فقد استفضحك .

أو قال : إن كتب من تلقاء نفسه فقد خانك ، وإن أمرته بذلك فأنتما خائنان كاذبان في الدنيا والآخرة ثمّ قال الطرماح : يامعاوية أظنّك تهدّد البطّ بالشطّ .

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر ... أطنين أجنحة الذباب يضير

والله إنّ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لديكاً علىّ الصوت ، عظيم المنقار ، يلتقط الجيش بخيشومه ، ويصرفه إلى قانصته ، ويحطّه إلى حوصلته .

. . . .

⬅فقال معاوية : والله كذلك هو مالك بن الأشتر النخعي ثمّ قال : ارجع بسلام منّي »[١].

هكذا خضع الجبابرة أمام أهل البيت عليهم السلام وكذلك خضع الظالمون تجاههم .

وروي أنّ الرشيد لمّا أراد قتل الإمام موسى الكاظم عليه السلام أرسل إلى عمّاله في الأطراف فقال : التمسوا لي قوماً لا يعرفون الله أستعين بهم في مهم لي ، فأرسلوا إليه قوماً يقال لهم : العبدة ، فلمّا قدموا عليه وكانوا خمسين رجلاً أنزلهم في بيت من داره قريب من المطبخ ، ثمّ حمل إليهم المال والثياب والجواهر والأشربة والخدم ، ثمّ استدعاهم وقال : مَن ربّكم ؟

فقالوا : ما نعرف ربّاً وما سمعنا بهذه الكلمة ، فخلع عليهم ، ثمّ قال للترجمان : قل لهم : إنّ لي عدوّاً في هذه الحجرة فادخلوا إليه وقطّعوه ، فدخلوا بأسلحتهم على الكاظم عليه السلام والرشيد ينظر ماذا يفعلون .

فلمّا رأوه رموا أسلحتهم وخرّوا له سجّداً فجعل موسى عليه السلام يمرّ يده على رؤوسهم وهم منكّسون وهو يخاطبهم بألسنتهم .

فلمّا رأى الرشيد ذلك غشي عليه وصاح بالترجمان أخرجهم فأخرجهم يمشون القهقري إجلالاً لموسى عليه السلام ثمّ ركبوا خيولهم وأخذوا الأموال ومضوا »[٢].

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٣ ص٢٨٩ ح٥٥٠ .

(٢) جلاء العيون : ج٣ ص٧١ .

وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ[١]

(١) ـ ذلّ : مأخوذ من الذِّل بكسر الذال بمعنى اللين والإنقياد والسهولة ضدّ الصعوبة ، كما وأنّ الذُّل بضمّ الذال بمعنى الخفّة والهوان ضدّ العزّة .

فكلمة ذَلَّ بمعنى انقاد ولانَ وسَهُل ، كما في قوله تعالى : ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾[١].

وهذا الإنقياد هو غاية الخضوع ، يقال لكلّ مطيع من الناس ذليل ، ومن غير الناس ذلول[٢].

فالمعنى : انقاد وخضع كلّ شيء في العالم لكم بقدرة الله تعالى .

وهذه هي الولاية التكوينية الثابتة بقدرة الله تعالى وإرادته لأهل البيت عليهم السلام .

فإنّ كلّ شيء في الكون خاضع ومنقاد وتابع لهم ، ويمكنهم التصرّف بولايتهم في جميع أشياء ، الكون والتكوين .

وهذا مضافاً إلى ولايتهم التشريعية الثابتة لهم بنصب الله تعالى ، وهي إمامتهم وأولويتهم بالأمر وهدايتهم وإرشادهم مع وجوب إطاعتهم ، الثابتة بأدلّة الإمامة من الكتاب والسنّة والعقل والإعجاز .

كما ثبتت ولايتهم التكوينية بالأدلّة المتظافرة المتقدّمة في فقرة : « والسادة الولاة » .

ونضيف هنا بياناً أنّ من الأدلّة عليها :

١ / الاقتران في آية الولاية في سورة المائدة / الآية ٥٥[٣].

٢ / حديث طارق بن شهاب الذي جاء فيه : « خلقهم الله من نور عظمته ، ⇦

---

(١) سورة الإنسان : الآية ١٤ .

(٢) مجمع البحرين : ص٤٧٤ .

(٣) كنز الدقائق : ج٤ ص١٤٤ .

. . . .

ولّاهم أمر مملكته ، فهم سرّ الله المخزون وأولياؤه المقرّبون ، وأمره بين الكـاف والنون »[١].

٣ / تصرّفاتهم الإعجازية في الكون والمكان والكائنات ، ممّا تـلاحظها فـي كتاب الثاقب في المناقب .

فهم عليهم السلام أولياء الكون ، وكلّ شيء خاضع لهـم بـالتكوين ، بـالقدرة الإلهـية ، والإرادة الربّانية .

(١) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٦٩ ب٤ ح٣٨ .

وَاَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ[١] وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوِلاٰيَتِكُمْ[٢] بِكُمْ يُسْلَكُ اِلَى الرِّضْوٰانِ[٣]

---

(١) ـ أي أشرقت الأرض بنور وجودكم ، فإنّه لولاهم عليهم السلام لما وجدت ولا ثبتت أرض ولا غيرها من سائر الموجودات . كما أشرقت القلوب بنور هدايتكم .

وتلاحظ بيان ذلك في فقرة : « ونوره وبرهانه » .

قال الله تعالى : ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[١] وجاء تفسيرها بنور الإمام عليه السلام كما في حديث علي بن إبراهيم[٢].

(٢) ـ الفوز : هو النجاة والظفر بالخير .

أي نجى وظفر الناجون بولايتكم أهل البيت ، وباعتقاد إمامتكم ، ومتابعتكم فإنّ شيعتكم هم الفائزون كما تظافر به الحديث من الفريقين .

وتلاحظ بيان ذلك ودليله في فقرة « وفاز من تمسّك بكم » .

وكذلك فقرة « من اتّبعكم فالجنّة مأواه » .

(٣) ـ أي بكم أهل البيت عليكم السلام لا بغيركم يسلك إلى جنان الله تعالى ورضوانه فإنّكم حجج الله وخلفاؤه والوسيلة إليه ، فاتّباعكم إطاعة لله ، وموجب لرضوانه .

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣].

وفي حديث تفسيره عن الإمام الهادي عليه السلام قال : « إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل ولي الله جنّاته ومساكنه ، واتّكى كلّ مؤمن منهم على أريكته ، حفّته زوجاته

---

(١) سورة الزمر : الآية ٦٩ .

(٢) كنز الدقائق : ج ١١ ص ٣٣٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٧٢ .

. . . .

وخدّامه ، وتهدّلت عليه الثمار ، وتفجّرت حوله العيون ، وجرت من تحته الأنهار ، وبُسطت له الزرابي ، وصُفّفت له النمارق ، وأتته الخدّام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك .

قال : وتخرج عليهم الحور العين من الجنان ، فيمكثون بذلك ما شاء الله ، ثمّ أنّ الجبّار يشرف عليهم ، فيقول لهم : أوليائي وأهل طاعتي وسكّان جنّتي في جواري ، ألا هل أُنبّئكم بخير ممّا أنتم فيه ؟

فيقولون : ربّنا ، وأيّ شيء خير ممّا نحن فيه ؟ نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذّت أعيننا من النعم في جوار الكريم .

قال : فيعود عليهم بالقول .

فيقولون : ربّنا نعم ، فأتنا بخير ممّا نحن فيه .

فيقول لهم تبارك وتعالى : رضاي عنكم ومحبّتي لكم خير وأعظم ممّا أنتم فيه .

قال : فيقولون : نعم ، ياربّنا رضاك ومحبّتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا .

ثمّ قرأ علي بن الحسين عليه السلام هذه الآية : ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ ـ إلى قوله ـ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ »[1].

---

(١) كنز الدقائق : ج٥ ص٤٩٨ .

وَعَلىٰ مَنْ جَحَدَ وِلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمٰنِ(١)

(١) ـ أي على من جحد وأنكر ولايتكم وإمامتكم وخلافتكم ووجوب طاعتكم غضب الله الرحمن أي سخطه وعذابه وعقابه.

قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِآيَـاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(١).

وفي حديث تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : قال الله عزّوجلّ : ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتركهم ولاية علي عليه السلام ﴿عَذَاباً شَدِيداً﴾ في الدنيا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ والآيات : الأئمة عليهم السلام »(٢).

---

(١) سورة فصّلت : الآية ٢٨ .

(٢) كنز الدقائق : ج ١١ ص ٤٤٤ .

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي[١] ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ[٢]

---

(١) ـ سبق أنّ هذه الكلمات إنشاء للتحبيب وتعظيم للمحبوب ، بتفدية ما أحبّه الإنسان، أي أفديكم ياأهل البيت بأبي وأمّي ، أو أنتم مفديّون بأبي وأمّي .

(٢) ـ الروح هنا : هي التي بها حياة الإنسان ويشتمل عليه البدن .

والنفس : هي جملة الشيء وحقيقته .

والآثار : جمع الأثر هي بقيّة الشيء وما يبقى منه .

وقد فُسّرت هذه الفقرات المباركة بتفسيرات عديدة منها :

الأوّل : إنّ ذكركم الشريف وإن كان في الظاهر مذكوراً بين الذاكرين فيذكرونكم ويذكرون غيركم ، لكن لا نسبة بين ذكركم وذكر غيركم ، من جهة ما لكم من كمال الامتياز والسموّ والرفعة والقدر والمنزلة.

وكذا بقيّة الفقرات يعني أسماؤكم وأجسادكم وأرواحكم الخ .

والقرينة على هذا المعنى قوله : فما أحلى أسماؤكم الخ المفيد للامتياز .

وهذا المعنى يستفاد من العلّامة المجلسي[١]، وأفاد السيّد شبّر[٢] أنّه أحسن المعاني وأوضحها .

الثاني : أنّ الأخبار في هذه الفقرات هي الأحسنية المحذوفة ، وتقدّر بما يناسبها .

يعني ذكركم في الذاكرين أحسنُ الذكر ، وأسماءكم في الأسماء أحسن الأسماء وهكذا . ⬅

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٤٣ .

(٢) الأنوار اللامعة : ص١٨٨ .

. . . .

احتمل هذا المعنى الفاضل التفرشي[(١)].

الثالث : أن يكون المعنى أنّ ذكركم في الذاكرين أي ذاكري الله تعالى لأنّكم سادات الذاكرين ، وكذلك إذا ذُكرت الأسماء الشريفة ، والأجساد الطاهرة ، والأرواح الطيّبة ، والأنفس السليمة ، والآثار الحسنة ، والقبور المقدّسة ، فأسماؤكم وأجسادكم وأرواحكم وأنفسكم وآثاركم وقبوركم داخلة فيها لأنّكم سادة السادات وقادة الهداة وأقدس الموجودات .

احتمل هذا المعنى السيّد شبّر أيضاً[(٢)].

وجميع هذه المعاني تعطي تفوّق أهل البيت عليهم السلام على الآخرين ، ورفعتهم في جميع الجهات على الخلق أجمعين .

فذكرهم الشريف ذكر الله الأكبر ، وهو يمتاز حتّى على ذكر الطيّبين .

كما تلاحظه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[(٣)] ففي حديث سعد الخفّاف عن الإمام الباقر عليه السلام : « نحن ذكر الله ونحن أكبر »[(٤)].

وأسماؤهم المباركة هي أسماء الله الحسنى ، فتكون لها المرتبة العليا على جميع الأسماء كما تلاحظه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(٥)]ـ[(٦)].

وأجسادهم الشريفة مخلوقة من أعلى علّيين ، كما أنّ أرواحهم السامية مخلوقة من نور عظمة الله العظيم ، فلا يدانيهم أجساد وأرواح العالمين .

وقد عرفت أحاديثه فيما تقدّم من فقرة: «وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة» .

---

(١) هامش الفقيه : ج٢ ص٦١٦ .
(٢) الأنوار اللامعة : ص١٨٨ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .
(٤) الكافي : ج٢ ص٥٩٨ ح١ .
(٥) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .
(٦) كنز الدقائق : ج٥ ص٢٥١ .

. . . .

وأنفسهم الطيّبة نفوس عالية مطمئنة راضية مرضية ، فلا يقاس بها نفوس الآخرين .

تلاحظها في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[(١)]_[(٢)].

وآثارهم الحسنة تتعالى على كلّ حسنة ، بل هي الهادية إلى الحسنات والموصلة إلى المكرمات .

حيث إنّ من آثارهم الحكم بالحقّ ، والتذكير بالله تعالى ، والدعوة إليه ، والحرص على سعادة الخلق وصلاح شأنهم والرأفة بهم وغير ذلك .

تلاحظ بيان الآيات والروايات لذلك في فصل ضرورة الإمامة[(٣)].

وقبورهم الشامخة من البقع التي طهّرها الله تعالى وشرّفها ، بل هي من البيوت التي أذن الله أن ترفع[(٤)].

وقد تقدّم بيانه في فقرة « فجعلكم في بيوتٍ أذن الله أن تُرفع » .

فأهل البيت عليهم‌السلام في جميع شؤونهم السامية لا يقاس بهم أحد من الخلق قاطبة .

وفي حديث نهج البلاغة : « لا يقاس بآل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله من هذه الأُمّة أحد ، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً »[(٥)].

وكذا في حديث طارق بن شهاب ، عن أمير المؤمنين عليه‌السلام : « ... فلا يقاس بهم من الخلق أحد ، فهم خاصّة الله وخالصته ... »[(٦)].

---

(١) سورة الفجر : الآية ٢٧ ـ ٢٨ .
(٢) كنز الدقائق : ج٤ ص٢٧٩ ـ ٢٨٠ .
(٣) العقائد الحقّة الطبعة الأُولى : ص٢٦٦ .
(٤) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص١٤١ .
(٥) نهج البلاغة : الخطبة رقم ٢ ص٢٤ .
(٦) بحار الأنوار : ج٢٥ ص١٧٤ ب٣ ح٣٨ .

فَمٰا اَحْلىٰ أَسْمٰاءَكُمْ[١] .

---

(١) ـ ما أحلى : فعل تعجّب من الحلاوة بمعنى الحُسن.

والحلاوة : نقيض المرارة ، وحلا الشيء بعينيْ أي أعجبني وحسُن عندي ، قيل : الحلاوة هي ما تلائم الطبع ويلتذّ به ، ويكون في كلّ شيء بحسبه ، ويستعمل للأُمور الحسّية والمعنوية كلتيهما .

فالمعنى : ما أحسن أسماؤكم الشريفة .

حيث عرفت أنّها أسماء الله تعالى .

وَاَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ(١) وَاَعْظَمَ شَأْنَكُمْ(٢) وَاَجَلَّ خَطَرَكُمْ(٣) وَاَوْفىٰ عَهْدَكُمْ(٤)

(١) ـ أي وما أكرم ، وهو أيضاً فعل تعجّب من الكرم الذي هو ضدّ اللؤم ، والذي هو صفة لكل ما يُرضى ويحمد من الصفات الحسنة والسجايا الطيّبة .

فالمعنى : ما أكرم وأحمد وأطيب نفوسكم العالية .

حيث عرفت أنّها النفوس المطمئنة الراضية المرضية .

(٢) ـ الشأن : هو الأمر والحال ، أي ما أعظم شأنكم الرفيع وأمركم المنيع ورتبتكم الشامخة .

حيث إنّهم آتاهم الله تعالى ما لم يؤت أحداً من العالمين ، فكان شأنهم أعظم من الخلق أجمعين .

(٣) ـ الخَطَر : بفتحتين هو القدر والمنزلة ، أي ما أجلّ وأعظم قدركم ومنزلتكم عند الله تعالى .

حيث كانوا أحبّ الخلق إلى الله وأقربهم إليه وأعزّهم عنده ، إذ هم صفوته .

(٤) ـ العهد : ورد في اللغة لمعانٍ منها الوصيّة ، والتقدّم في الأمر في الشيء ، والمَوثِق ، واليمين ، والأمان ، والذمّة والضمان[١].

أي ما أوفى عهدكم الذي عاهدتم به الله تعالى ، كما تقدّم في فقرة : « ووكّدتم ميثاقه » وكذلك ما أوفى عهودكم مع الناس .

حيث إنّ الوفاء بالعهد من شيمة الصادقين ، وأمثل الصادقين هم الأئمّة الطاهرون.

---

(١) مرآة الأنوار : ص١٥٨ .

وَاَصْدَقَ وَعْدَكُمْ[١] كَلامُكُمْ نُورٌ[٢]

(١) ـ أي وما أصدق وعدكم ، والوعد في الخير .

وقد صدقهم الله تعالى وعده ، وهو أصدق الصادقين .

كما صدقوا هم في وعدهم مع الناس .

حيث إنّهم أهل آية الصادقين . وقد تقدّم بيانه ودليله في فقرة « الصادقون » .

(٢) ـ النور : هو الضوء المنتشر ، والكيفية الظاهرة بنفسها المُظهرة لغيرها .

وُصف به كلام أهل البيت عليهم السلام لأنّه علمٌ وهداية نَوَّر القلوب ، ونوّر العالَم ، فكان كلامهم نوراً في نفسه ، ومنوّراً بالهداية لغيره ، ومجلّياً مذهِباً للعمى والظلمة عن الناس .

وذلك لما يلي :

أوّلاً : أنّهم مخلوقون من نور عظمة الله تعالى فكانوا بشراً نورانيين ، ومن الواضح أنّ كلامهم شعاع منهم ، ولا يشعّ من النور إلّا النور .

وتلاحظ خلقتهم النورية في حديث الإمام الصادق عليه السلام[١].

وحديث أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

وتفصيل البيان والدليل مرّ في فقرة « خلقكم الله أنواراً » .

ثانياً : أنّهم عليهم السلام نور الله عزّوجلّ ، ومظاهر نوره في السماوات والأرض ، ينوّر الله بهم قلوب المؤمنين ، فكان كلامهم نوراً .

وتلاحظ حديث ذلك في مجامعنا[٣] ومضى البيان والدليل في فقرة « ونوره » .

وقد ورد في زيارة الإمام الحجّة عليه السلام : « السلام عليك يانور الله الذي يهتدي به ←

---

(١) الكافي : ج١ ص٣٨٩ ح٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١ ب١٣ ح١ .

(٣) الكافي : ج١ ص١٩٤ ح١ .

. . . .

المهتدون »[١].

ثالثاً : أنّ كلامهم عليهم السلام مأخوذ من كلام الله تعالى وقرآنه الذي هو نور منزّل على الرسول ، فيكون كلامهم نوراً أيضاً ، بتبعية الجزء للكل والفرع للأصل .

ففي حديث هشام بن سالم وحمّاد بن عثمان وغيره قالوا : سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول : « حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عزّوجلّ »[٢].

ويدلّ على نوريّة كلام الله تعالى قوله عزّ إسمه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾[٣].

وقد برهن الدليل الوجداني حسّاً على نورانية كلام الله تعالى في وقائع عديدة مثل قضية محمّد كاظم الكريمي الساروقي رحمه الله تعالى .

وحاصل قضيّته كما حكى هو أنّه : كان يسكن هذا المؤمن البالغ من العمر (٧٠) سنة في قرية ساروق التابعة لبلدة أراك ، وفي عصر إحدى أيّام الخميس يذهب إلى زيارة حرم بعض أولاد المعصومين عليهم السلام (امامزاده باقر وجعفر) فيرى هناك سيّدين جليلين ، يقولان له : إقرأ هذه الكتيبة القرآنية المكتوبة في أطراف الحرم .

فيجيب : أنا لا أعرف القراءة والكتابة .

فيقولان له : إقرأ ما تتمكّن من القراءة .

---

(١) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص٢١٥ ب٥٨ .

(٢) وسائل الشيعة : ج١٨ ص٥٨ ح٢٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧٤ .

. . . .

⊃فيلتفت الساروقي وتطرأ عليه حالة خاصّة ، يسقط فيها على الأرض في ذلك الحرم إلى عصر يوم غد حين يأتي أهل القرية لزيارة الحرم ، فيفيقونه من حالته .

ومباشرةً يرى الساروقي نفسه حافظاً لجميع القرآن الكريم ويشير إلى الكتيبة الموجودة في الحرم ويقول : إنّها سورة الجمعة فيقرأها ، ويقرأ جميع السور القرآنية بنحو الحفظ وبشكلٍ صحيح . بل يمكنه قراءة كلّ سورة بالعكس من الآخر إلى الأوّل ، ويعرف كلّ آية من كلّ سورة .

وكان يميّز في كلّ كتاب الآية القرآنية عن غيرها وسُئل عن ذلك .

فقال : إنّي أرى الآية القرآنية نوراً ومنيرة ، فأُميّزها عن غيرها[1].

ويرهن الوجدان أيضاً على نورانية كلام أهل البيت عليهم السلام في مثل مكاشفة العالم الجليل الميرزا مهدي الأصفهاني أعلى الله مقامه الشريف ، فيما حكاه عنه بعض تلامذته بما حاصله :

أفاد الميرزا قدس سره : إنّي حيث عرفت أنّ طريق القرآن الكريم والأحاديث الشريفة مختلف مع طريق الفلسفة اليونانية والتصوّف العرفاني ، وعلمت أنّ أكبر عالم وأُستاذ لهداية الأُمّة إلى حقيقة المعرفة في زماننا هو بقيّة الله الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام التجئت إليه وتضرّعت له وتوسّلت به في مواضع عديدة ، في مسجد السهلة وغيره ، للهداية إلى المعرفة الحقّة .

فتشرّفت يوماً عند النبيّين هود وصالح في وادي السلام في النجف الأشرف بخدمة الإمام المنتظر سلام الله عليه ، وقرّت عيني به ، رأيته واقفاً وعلى صدره المبارك ورقةٌ مزيّنة الأطراف بماء الذهب ، وقد كتب في وسطها سطر واحد بخطّ ⊂

(١) داستانهاى شگفت : ص ١٠٠ .

. . . .

نوريّ أخضر : « طلب المعارف من غيرنا أهل البيت مساوق لإنكارنا » .

وكتب تحته بخطّ أنعم امضاؤه الشريف :

« وقد أقامني الله وأنا الحجّة بن الحسن » .

فأحسست في نفسي نوراً من المعرفة ، وتجسّم في نظري فساد الفلسفة ومخالفتها لمعارف الإسلام(١).

وأضاف السيّد شبّر في تفسير : « كلامكم نور » إنّ لكلامهم امتياز عن غيره كامتياز النور عن الظلمة ، فإنّ كلامهم دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق .

ثمّ قال ﷺ : (وما ترى في كثير من الروايات من عدم سلاسة الألفاظ وجزالة المعاني والتكرار ونحو ذلك فإمّا لأنّه نقل بالمعنى ، أو لأنّهم يكلّمون الناس على قدر عقولهم وأفهامهم)(٢).

وأهل البيت عليهم السلام أمراء الكلام منهم نشبت عروقه ، وعليهم تهدّلت أغصانه ، وهم ورثة رسول الله تعالى الذي كلامه وحي الله ، وهم بمنزلة الرسول في خصائصهم(٣).

---

(١) أبواب الهدى : المقدّمة ص٤٥ . (٢) الأنوار اللامعة : ص١٩٠ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٧ ص٥٠ ب١٨ ح٢ .

وَاَمْرُكُمْ رُشْدٌ[١]

(١) ـ الرُشد : هي الهداية مع إصابة الحقّ[١]. ويكون في الأُمور الدنيوية والأُخروية[٢]. وهي الاستقامة في طريق الحقّ ، مع تصلّب فيه[٣].

ومن أسماء الله تعالى : (الرشيد) أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلّهم .

ومن أوصاف الأئمّة الأطهار عليهم السلام : (الراشدون) أي الهادون إلى طريق الحقّ والصواب .

ومعنى « أمركم رشد » : أنّ ما أمرتم به أنتم يكون مصيباً للحقّ ، وموجباً للهداية، ومؤدّياً إلى الإستقامة في طريق الحقّ.

فإنّهم عليهم السلام لا يأمرون إلّا بأمر الله تعالى ، ولا يكون ذلك إلّا صلاحاً للعباد في الدنيا والمعاد .

والدليل على ذلك :

١ / أنّهم عليهم السلام مع الحقّ والحقّ معهم ولن يفترقا إلى يوم القرار .

فلا يكون أمرهم إلّا بما هو حقّ ورشد وصواب كما نصّت على ذلك الأحاديث المتواترة بين الفريقين[٤].

٢ / أنّهم عليهم السلام هم الأئمّة الراشدون كما نصّ على ذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله[٥] فتكون أوامرهم راشدة . ⊂

---

(١) مجمع البحرين : ص٢٠٥ . (٢) المفردات : ص١٩٦ .

(٣) القاموس : ج١ ص٢٩٤ .

(٤) غاية المرام : ص٥٣٩ من الخاصّة في (١٠) طرق ومن العامّة في (١٥) طريقاً ، وتلاحظها بالتفصيل في بحار الأنوار : ج٣٨ ص٢٦ ، إحقاق الحقّ : ج٤ ص٢٧ ، وج٩ ص٤٧٩ .

(٥) غاية المرام : ص٢٠٥ ح٤٨ .

. . . .

وبذلك تعرف أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الراشدون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لملازمة الحقّ معهم ، وعصمتهم ، والتنصيص على راشديتهم .

ولا يتّصف بالرشد غيرهم ممّن ادّعى لهم ذلك ، لما تلاحظه من الجهل والزلل الصادر منهم ، ممّا سُجّلت في مصادر نفس العامّة .

وليحكم بعدها ذوو الانصاف والسداد هل تجتمع هذه الأُمور مع الرشاد ؟!

مثل ما في :

١ ـ حديث ابن سعد في طبقاته : لمّا بويع أبو بكر قام خطيباً (فقال :) أمّا بعد فإنّي ولّيت هذا الأمر وأنا له كاره (إلى أن قال :) وإنّما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني ، وإن رأيتموني زغت فقوّموني .

واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني (الخطبة) روى هذا الحديث ابن جرير الطبري في تاريخه ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ، والهيثمي في المجمع ، والهندي في كنز العمّال[(١)].

٢ ـ حديث ابن حجر في كتابه فتح الباري : أنّه عقد أبو طلحة زيد بن سهل مجلس خمر في بيته ودعا عشرة أشخاص من المسلمين ، فشربوا وسكروا ، حتّى أنّ أبا بكر أنشد أشعاراً في رثاء قتلى المشركين في بدر !! وهم :

١ ـ أبو بكر بن أبي قحافة ٢ ـ عمر بن الخطّاب ٣ ـ أبو عبيدة الجرّاح ٤ ـ أُبيّ ابن كعب ٥ ـ سهل بن بيضاء ٦ ـ أبو أيّوب الأنصاري ٧ ـ أبو طلحة « صاحب البيت » ٨ ـ أبو دجانة سمّاك بن خرشة ٩ ـ أبو بكر بن شغوب ١٠ ـ أنس بن مالك، وكان عمره يومذاك (١٨) سنة، فكان يدور في المجلس بأواني الخمر ويسقيهم.

---

(١) السبعة من السلف : ص٩ .

. . . .

وروى البيهقي في سننه عن أنس أنّه قال : وكنت أصغرهم سنّاً وكنت الساقي في ذلك المجلس !

وروى هذا الحديث البخاري في صحيحه ، في تفسير الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

ومسلم في صحيحه في كتاب الأطعمة والأشربة / باب تحريم الخمر .

والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٣ / ١٨١ و٢٢٧ .

وابن كثير في تفسيره ج٢ / ٩٣ و٩٤ .

وجلال الدين السيوطي في تفسيره الدرّ المنثور ج٢ / ٣٢١ .

والطبري في تفسيره ج٧ / ٢٤ .

وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج٤ / ٢٢ ـ وفي فتح الباري ج١٠ / ٣٠ .

وبدر الدين الحنفي في عمدة القاري ج١٠ / ٨٤ .

والبيهقي في سننه ٢٨٦ و٢٩٠[2].

٣ ـ حديث الأبشيهي قال ما نصّه : قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الأولى : قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[3] الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك ، إلى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر ، فنزل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[4].

فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها ، حتّى شربها عمر فأخذ بلحى

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩١ .

(٢) ليالي پيشاور : ص٦٥٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤٣ .

. . . .

بعير وشجّ به رأس عبدالرحمن بن عوف ، ثمّ قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر ويقول :

ألا من مبلغ الرحمن عنّي بأنّي تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضباً يجرّ رداءه ، فرفع شيئاً كان في يده فضربه به .

فقال : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله .

فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُم مُّنتَهُونَ﴾ .

فقال عمر : انتهينا انتهينا[1].

٤ ـ حديث جرأة عثمان على رسول الله ﷺ وإيذاءه له فيما حكي عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين أنّه قال السدي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا أَن تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾[2] أنّه لمّا توفّي أبو سلمة ، وعبدالله بن حذافة وتزوّج النبي ﷺ امرأتيهما : أمّ سلمة وحفصة .

قال طلحة وعثمان : أينكح محمّد نساءنا إذا متنا ولا تنكح نساؤه إذا مات ؟! والله لو قد مات لقد أجلبنا على نسائه بالسهام ، وكان طلحة يريد عائشة ، وعثمان يريد أمّ سلمة .

فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللهِ عَظِيماً * إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ

(١) المستطرف : ج٢ ص٢٢٩ .
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٣ .

. . . .

عَلِيماً﴾[١]، وأنزل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[٢]_[٣].

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٣١ ص٢٣٧ ، وجاء في حديث ابن عبّاس عن رجل في الدرّ المنثور : ج٥ ص٢١٥ .

وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوىٰ(١)

(١) ـ الوصيّة : هو العهد .

والتقوى في اللغة : فرط الصيانة ، وفي العرف : صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة وقصرها على ما ينفعها فيها ، ولها ثلاث مراتب كما تقدّم بيانه(١).، وتقدّم التفصيل في فقرة : « وأعلام التقى » .

وقلنا : إنّ أجمع وألطف تفسير للتقوى هو ما في الحديث الصادقي عليه السلام :

« أن لا يفقدك حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك »(٢).

وأهل البيت عليهم السلام هم سادة المتّقين ، ولم يزالوا يوصون بالتقوى الخلق أجمعين ، أرشدوا الناس إليها وحثّوهم عليها بالقول والعمل ، فكانوا في ذلك الأُسوة والقدوة ، شهد لهم بذلك الولي والعدوّ .

فقد روى سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾(٣) علي بن أبي طالب عليه السلام خاف فانتهى عن لمعصية ، ونهى عن الهوى نفسه .

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(٤) خاصّاً لعلي عليه السلام ومن كان على منهاجه هكذا عامّاً .

وروى قتادة ، عن الحسن ، عن ابن عبّاس في قوله : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾(٥) هو علي بن أبي طالب عليه السلام سيّد من اتّقى عن ارتكاب الفواحش .

ثمّ ساق التفسير إلى قوله : (جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ)(٦) لأهل بيتك خاصّاً لهم وللمتّقين عامّاً .

وفي تفسير أبي يوسف : يعقوب بن سفيان ، عن مجاهد وابن عبّاس ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ ⟵

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص١٣٦ .

(٢) سفينة البحار : ج٨ ص٥٥٨ .

(٣) سورة النازعات : الآية ٤٠ .

(٤) سورة النازعات : الآية ٤١ .

(٥) سورة النبأ : الآية ٣١ .

(٦) سورة النبأ : الآية ٣٦ .

. . . .

﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[1] من اتّقى الذنوب علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام .

وروى الأصبغ بن نباتة قال علي عليه السلام : « دخلت بلادكم بأشمالي هذه ورحلتي وراحلتي هاهي ، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنّني من الخائنين » .

وفي رواية : « ياأهل البصرة ما تنقمون منّي ، إنّ هذا لمن غزل أهلي ؟ » ـ وأشار إلى قميصه ـ .

وترصّد غداءه عمرو بن حريث ، فأتت فضّة بجراب مختوم ، فأخرج منه خبزاً متغيّراً خشناً .

فقال عمرو : يافضّة لو نخلت هذا الدقيق وطيّبتيه .

قالت : كنت أفعل فنهاني ، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيّباً فختم جرابه .

ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام فتّه في قصعة ، وصبّ عليه الماء ، ثمّ ذرّ عليه الملح وحسر عن ذراعه ، فلمّا فرغ قال : ياعمرو لقد حانت هذه ـ ومدّ يده إلى محاسنه ـ وخسرت هذه أن أدخلها النار من أجل الطعام ، وهذا يجزيني .

ورآه عدي بن حاتم وبين يديه شنّة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح ، فقال : إنّي لا أرى لك ياأمير المؤمنين لتظلّ نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً ، ثمّ يكون هذا فطورك ، فقال عليه السلام :

علّل النفس بالقنوع وإلّا طلبت منك فوق ما يكفيها[2]

هذه سيرتهم في التقوى عملاً ، وقد أوصوا بها قولاً أيضاً .

ففي الرسالة الجليلة للإمام الصادق عليه السلام في جواب النجاشي : « واعلم أنّ

---

(١) سورة المرسلات : الآية ٤١ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٤٠ ص ٣٢٠ ـ ٣٢٥ ب ٩٨ .

. . . .

الخلائق لم يوكّلوا بشيء أعظم من التقوى فإنّه وصيّتنا أهل البيت »[١].

وقد أكّدو عليهم السلام على التقوى غاية التأكيد ، ويحسن ملاحظة خطبة المتّقين لأمير المؤمنين عليه السلام، ورسالته إلى عثمان بن حنيف ، وكلام جميع المعصومين عليهم السلام في الوصية بذلك .

وبحقٍ كانوا عليهم السلام سادة المتّقين ، بل أعلام التقى ، والمثل الأعلى في الوصية بالتقوى .

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٧ ص١٩٤ ب٧ ح١١ .

وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ(١) وَعَادَتُكُمُ الإِحْسَانُ(٢) وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ(٣)

(١) ـ الخير : ضدّ الشرّ ، وكلّ شيء لا سوء فيه(١).

والخيرات هي الأعمال الصالحة ، وفسّر الخير بمكارم الأخلاق(٢).

والخير هو ما يرغب فيه الكل كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع(٣).

والمعنى : أنّ ما تفعلونه أهل البيت هو الخير ، فلا يصدر منكم الشرّ أبداً ، فإنّهم عليهم السلام خلفاء الله تعالى الذي هو أصل كلّ خير ، ولا يريد بعباده الشرّ ، فيكون خلفاؤه أيضاً مظاهر فعل الخير .

(٢) ـ العادة : اسم لتكرير الشيء مراراً بحيث يكون تعاطيه سهلاً كالطبع ، لذلك قيل : العادة طبيعة ثانية(٤).

والإحسان : ضدّ الإساءة ، وهو الإنعام على الغير(٥).

والمعنى : أنّ ما اعتاده أهل البيت عليهم السلام هو الإحسان والإنعام إلى الخلق جميعهم ، صديقهم وعدوّهم وبرّهم وفاجرهم .

فإنّهم خلفاء الله المحسن إلى جميع خلقه فيحسنون .

مضافاً إلى قيام دليل الوجدان على هذا الإحسان .

(٣) ـ السجيّة : هي الغريزة والطبيعة التي جُبل عليها الإنسان(٦).

والكرم : ضدّ اللؤم ، وهو كلّ ما يُرضى ويحمد ويحسن ، من الجود في العطاء ، وبذل أنواع الخير .

والمعنى : أنّ أهل البيت عليهم السلام طبيعتهم الكرم ، جادوا بالمكارم حتّى صار الكرم ←

---

(١) مرآة الأنوار : ص٩٤ .
(٢) مجمع البحرين : ص٢٥٨ .
(٣) المفردات : ص١٦٠ .
(٤) المفردات : ص٣٥٢ .
(٥) المفردات : ص١١٩ .
(٦) مجمع البحرين : ص٤٣ .

. . . .

⇦لهم طبيعة وسجيّة .

فإنّهم خلفاء الله تعالى الذي هو أكرم الأكرمين ، وهم وسائل الفيض الإلهي من ربّ العالمين ، كما تقدّم في الزيارة الشريفة في فقرة « وأُصول الكرم » .

ويكفيك دليلاً وجدانياً على هذه الصفات الحسنة فيهم ، ملاحظة حياتهم المليئة بالخيرات ، والموسومة بالبركات .

ولقد جادوا بكلّ غالٍ ونفيس في سبيل ربّهم، وأنفقوا وأحسنوا إلى غيرهم بالرغم من خصاصتهم، فأنزل الله تعالى فيهم:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١)ـ(٢).

ولقد آثروا غيرهم على أنفسهم في مواضع عديدة يكفيك منها إيثار المسكين واليتيم والأسير ثلاثة أيّام مع تحمّل الجوع حتّى أنزل الله فيهم : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ الآيات(٣)ـ(٤).

وتظافر الحديث في كرمهم وكراماتهم فيما تلاحظه في سيرتهم(٥).

ولقد كان معروفهم وفضلهم مبذولاً حتّى في ساعة عسرتهم كما في إنفاق الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء .

وقد شهد بسخائهم وكرمهم حتّى أعداؤهم كما تلاحظه في النقل(٦).

وأهل البيت عليهم السلام هم المختصّون برحمة الله الواسعة الفيّاضة التي تلاحظ المثل الأعلى منها في حديث الإمام الرضا عليه السلام المتقدّم(٧).

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩ .

(٢) كنز الدقائق : ج١٣ ص١٧٥ ، إحقاق الحقّ : ج٩ ص١٤٤ .

(٣) سورة الدهر : الآية ٨ .

(٤) كنز الدقائق : ج١٤ ص٥٢ .

(٥) بحار الأنوار : ج٤١ ص٢٤ ب١٠٢ الأحاديث .

(٦) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢١ .

(٧) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢٦ ب٢٩ ح٤٤ .

وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ(١) وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ(٢)

(١) ـ الشأن : هو الأمر والحال .

والحقّ : هو كلّ شيء ثابت محقّق ذو حقيقة ، ضدّ الباطل الذي لا حقيقة له .

والصدق : خلاف الكذب ، وهو مطابقة الخبر لما في نفس الأمر .

والرفق : ضدّ العنف والخرق ، وهو لين الجانب ، وأن يحسن الرجل العمل .

والمعنى : أنّكم أهل البيت شأنكم هو الحقّ في أحوالكم ، والصدق في أقوالكم ، والرفق في أفعالكم ومعاشرتكم .

فإنّهم عليهم السلام حجج الله تعالى على خلقه ، والسائرون فيهم من قِبَله ، ومظاهر صفاته فيكونون متّصفين بالحقّ والصدق والرفق .

وفي نسخة الكفعمي : « وشأنكم الحقّ ، وكلامكم الصدق ، وطبعكم الرفق » .

(٢) ـ الحكم : هو العلم والفقه والقضاء بالعدل(١).

وفسّره والد المجلسي والسيّد شبّر بالحكمة ، التي عرفت بأنّها هي العلوم الحقيقيّة الإلهية .

والحتم : هو المعزوم الذي يجب اتّباعه .

والمعنى : أنّ قولكم أهل البيت هو ما قضاه الله تعالى الذي هو محتوم يجب اتّباعه ، أو حكمة الله التي يجب متابعتها .

وحتميّة اتّباع أقوال أهل البيت عليهم السلام ووجوب طاعتهم ممّا ثبت بصريح الكتاب في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢).

---

(١) مجمع البحرين : ص٥١٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٩ .

وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ[١] إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ اَوَّلَهُ وَاَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْواهُ وَمُنْتَهاهُ[٢]

---

(١) ـ الحلم : هو العقل ، وفسّر به قوله تعالى : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾[١] أي عقولهم .

والحزم : ضبط الرجل أمره ، والحذر من فواته ، من قولهم : حزمت الشيء حزماً أي شددته ... وقوله : أخذت بالحزم أي المتقن المتيقّن[٢].

فالمعنى : أنّ رأيكم أهل البيت هو علم إلهي وليس برأي ظنّي أو تخميني ، وهو صادر عن عقل سليم لا عن سفه ، وهو مضبوط متقن متيقّن لا شكّ فيه .

فإنّه رأي معصوم عصمه الله من الزلّة ، وأيّده بالروحية القدسيّة ، فلا مجال فيه لسفاهة النظر أو خطل الرأي ، كما تقدّم في فقرة : « عصمكم الله من الزلل » .

وفي نسخة الكفعمي : « ورأيكم علم وحلم وكرم ، وأمركم عزم وحزم » .

(٢) ـ عرفت فيما تقدّم أنّ الخير هو ما لا سوء فيه ، والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق ، وما يرغب فيه الجميع ، والشيء النافع .

وأهل البيت عليهم السلام مثال الخير الكامل ، وأكمل الخير ، والخير الكثير كما يدلّ عليه الكتاب والسنّة .

فمن الكتاب سورة الكوثر المباركة .

ومن السنّة أحاديث تفسيرها[٣].

وهم عليهم السلام أوّل الخير ... فابتداؤه بهم ومنهم وببركتهم ، كما ينبيء عنه حديث لولاك[٤].

وأصل الخير منهم عليهم السلام ... فهم المقصودون بالخير أصالة ، ثمّ وصل منهم إلى ←

---

(١) سورة الطور : الآية ٣٢. (٢) مجمع البحرين : ص٥١٠ .

(٣) كنز الدقائق : ج١٤ ص٤٥٩ ، مجمع البيان : ج١٠ ص٥٤٩ .

(٤) بحار الأنوار : ج١٥ ص٢٨ ب١ ح٤٨ ، وفي العوالم : ج١١ قسم ٢ ص٤٣ .

. . . .

غيرهم ، وهم أصل الوجود الذي هو مبدأ الخيرات .

وفرع الخير هم عليهم السلام .. من حيث إنّ وجودهم وخيرهم نشأ من خير الله تعالى وفضله .

وهم عليهم السلام معدن الخير ... أي محلّ استقراره وإفاضته فإنّهم يفيضون كلّ خير .

وهم عليهم السلام مأوى الخير ... أي مرجعه إذ لا يوجد الخير إلّا عندهم ، ولا يصدر إلّا منهم .

وهم عليهم السلام منتهى الخير ... أي أنّ كلّ خير صادر من غيرهم يكون راجعاً إليهم ، فيكونون منتهى الخير .

فالخير الأمثل بالوصف الأفضل هو لأهل البيت عليهم السلام لأنّهم سبب الخير، ووسيلة الفيض ، ومهبط الخيرات الإلهية ، والبركات الربّانية .

ففي الزيارة المطلقة الأُولى للإمام الحسين عليه السلام : « إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم ، وتصدر من بيوتكم »[1].

وقد دعا لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالخير الكثير ودعاؤه مستجاب غير مردود[2].

وهم الأساس لجميع الخيرات التي أفضلها العبادات التي هي خير الدنيا والآخرة، ولولاهم ما عُبد الله تعالى .

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام :

« نحن أصل كلّ خير ، ومن فروعنا كلّ برّ ، فمن البرّ التوحيد ، والصلاة والصيام وكظم الغيظ ، والعفو عن المسيء ، ورحمة الفقير ، وتعهّد الجار ، والإقرار بالفضل

(١) الكافي : ج٤ ص٥٧٥ ح٢ ، من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٥٩٦ ب٢ ح٣١٩٩ ، التهذيب : ج٦ ص٥٥ ب١٦ ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٣ ص١٢٠ ب٥ ح٢٩ .

. . . .

لأهله ، وعدوّنا أصل كلّ شرّ ... »[١].

وفي نسخة الكفعمي هنا : « إن ذكر الخير كنتم أوّله وآخره ، وأصله وفرعه ، ومعدنه ومأواه ، وإليكم منتهاه » .

(١) الكافي : ج٨ ص٢٤٢ ب٨ ح٣٣٦ .

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي (١)

(١) ـ مضى أنّ هذه الكلمات موضوعة لإنشاء التحبيب في الخطاب ، وتعظيم المخاطب ، وتكريرها تأكيد وتثبيت لتفدية أعزّ ما يحبّه الإنسان أبيه وأُمّه ونفسه لسادته وأئمّته الذين هم سبل النجاة في المحيا والممات .

كَيْفَ اَصِفُ حُسْنَ ثَنائِكُمْ(١) وَاُحْصِي * جَمِيلَ بَلائِكُمْ(٢)

(١) ـ الثناء : هو المدح ، والذكر الحسن ، والكلام الجميل .

وحسن ثنائكم من إضافة الصفة إلى الموصوف ، نظير قولهم كريم الأب ، وأبيّ النفس ، يعني أبوه كريم ، ونفسه أبيّة ، وكذلك هنا بمعنى أنّ ثناؤهم ومدحهم حسن.

فالمعنى أنّه كيف أقدر على توصيف حسن مدحكم يعني مدحكم الحسن الجميل ، أو حسن ثناءكم وتمجيدكم لله تعالى ؟ والحال أنّه بكم أخرجنا الله من الذلّ الخ .

فإنّ حسن ثنائهم لا يُتوصّل إلى غايته فكيف يوصف حقّ وصفه .

إذ أنّهم عليهم السلام أهل الثناء من بداية الخلقة إلى يوم القيامة .

(٢) ـ البلاء هنا هي : النعمة ومنه الدعاء : « الحمد لله على ما أبلانا » أي أنعم علينا وتفضّل ، من الإبلاء الذي هو الإحسان والإنعام(١).

وجميل بلائكم أيضاً من إضافة الصفة إلى الموصوف ، يعني نعمكم الجميلة وإحسانكم الجميل .

فالمعنى : أنّه كيف أقدر أيضاً على إحصاء نعمكم الجميلة التي أنعم الله تعالى بها علينا ، ومنها النعم الآتية يعني الإخراج من الذلّ الخ ، التي هي من أعظم النعم .

وأهل البيت عليهم السلام هم بأنفسهم نعم الله ، وولايتهم أولى النعم ، وبركاتهم سوابغ النعمة ، وقد تقدّم بيانه ودليله في فقرة : « وأولياء النعم » .

ونعمهم الجميلة لا تستقصى فلا يمكن أن تحصى .

(*) في العيون : « وكيفَ أُحصي » .

(١) مجمع البحرين : ص١٣ .

وَبِكُمْ اَخْرَجَنَا اللّٰهُ مِنَ الذُّلِّ(١) وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الْكُرُوبِ (٢) وَاَنْقَذَنا مِنْ شَفا جُرُفِ الْهَلَكاتِ وَمِنَ النّارِ (٣)

(١) ـ أي بسببكم ووجودكم وإمامتكم أخرجنا الله تعالى من ذلّ الكفر والشرك إلى عزّ الإسلام والإيمان ، ومن ذلّ الجهل إلى عزّ العلم ، ومن ذلّ العذاب الدنيوي والأُخروي إلى عزّ الأمن والأمان كما يأتي بيانه .

وفي نسخة الكفعمي هنا زيادة : « وأطلق عنّا رهائن الغلّ » .

(٢) ـ الكرب : هو الغمّ الشديد الذي يأخذ بالنفس .

أي وبكم فرّج الله تعالى عنّا شدائد الغموم التي كانت تأخذ بالنفس ، وتنتج من الكفر والظلم والخوف كما يأتي بيانه أيضاً في الفقرة الآتية .

(٣) ـ شفا : على وزن نوىٰ هو طرف الشيء وجانبه .

وجُرُف بضمّتين ، وقد يسكّن الراء تخفيفاً هو : ما جرفته السيول وأكلته من الأرض .

وفي نسخة الكفعمي : « ومن عذاب النار » .

أي وبكم أنقذنا الله تعالى وخلّصنا ونجّانا من جانب مسيل المهالك ومن عذاب النار ، حيث كنّا مشرفين على مسالك الكفر والضلال ومخاطر النيران والتبعات ، فهدانا الله ببركتكم ، ونجّانا بهدايتكم .

فبرسول الله وأمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين عليهم السلام أخرجنا الله تعالى وأخرج آباءنا من الذلّ ، وفرّج عنّا غمرات الكروب ، وأنقذنا من المهالك والنار ، وجعل لنا وسام الشرف والعزّة ، وقد قال تعالى : ﴿وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

---

(١) سورة المنافقين : الآية ٨ .

. . . .

وأتمّ برهان وبيان لهذه الفقرات الثلاثة المتقدّمة خطبة الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث جاء فيها :

« ... وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب[١] ونُهزة الطامع[٢] وقبسة العجلان ، وموطىء الأقدام[٣]، تشربون الطَرَق[٤]، وتقتاتون القدّ[٥]، أذلّة خاسئين ، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم .

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله ، بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني ببهم[٦] الرجال ، وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب .

كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن الشيطان[٧] أو فغرت فاغرة من المشركين[٨] قذف أخاه في لهواتها[٩]، فلا ينكفىء حتّى يطأ جناحها بأخمصه[١٠] ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله قريباً من

---

(١) مذقة الشارب : شربته .

(٢) نهزة الطامع : بالضمّ ـ الفرصة ، أي الفرصة التي ينتهزها الطامع .

(٣) قبسة العجلان : مثل في الاستعجال . وموطىء الأقدام : مثل مشهور في المغلوبية والمذلّة

(٤) الطرق : بالفتح ماء السماء الذي تبول به الإبل وتبعر فيه .

(٥) القد : ـ بكسر القاف وتشديد الدال ـ سير يُقد من جلد غير مدبوغ ، وفي البحار : وتقتائون الورق .

(٦) بهم الرجال : شجعانهم .

(٧) نجم : ظهر ، وقرن الشيطان أُمّته وتابعوه .

(٨) فغر فاه : أي فتحه ، والفاغرة من المشركين : الطائفة منهم .

(٩) قذف : رمى ، واللهوات بالتحريك : ـ جمع لهات ـ : وهي اللحمة في أقصى شفة الفمّ .

(١٠) لا يتكفىء : لا يرجع ، والأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم ، وفي البحار : حتّى يطأ صماخها بأخمصه .

. . . .

رسول الله ، سيّداً في أولياء الله ، مشمّراً ناصحاً ، مجدّاً ، كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم في رفاهية من العيش ، وادعون(١) فاكهون(٢)... »(٣).

ودونك شواهد وجدانية على تحقّق العزّ والفوز بأهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم سيّد العترة أمير المؤمنين عليه السلام في السيرة الغرّاء والجهود العصماء التي بذلوها سلام الله عليهم في سبيل الدين وأهله ، ولإنقاذ الناس من الجحيم وذلّه(٤).

ففي يوم الخندق لم يبق بيت من بيوت المشركين إلّا ودخله الوهن ، ولم يبق بيت من المسلمين إلّا ودخله العزّ(٥).

وقد أقرّ الصديق والعدوّ بذلك ، بل أجمعت الأُمّة على ذلك .

قال ابن دأب : (هدم الله عزّوجلّ به بيوت المشركين ونصر به الرسول صلى الله عليه وآله واعتزّ به الدين ...

ثمّ الشجاعة كان منها على أمر لم يسبقه الأوّلون ، ولم يدركه الآخرون من النجدة والبأس ومباركة الأخماس على أمر لم يرَ مثله ، لم يولّ دبراً قطّ ، ولم يبرز إليه أحد قطّ إلّا قتله ، ولم يكعّ عن أحد قطّ دعاه إلى مبارزته ، ولم يضرب أحداً قطّ في الطول إلّا قدّه ، ولم يضربه في العرض إلّا قطعه بنصفين ، وذكروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حمله على فرس ، فقال : بأبي أنت وأمّي ما لي وللخيل أنا لا أتبع أحداً ولا

---

(١) وادعون : ساكنون . (٢) فاكهون : ناعمون .

(٣) الاحتجاج : ج١ ص١٣٥ ، بحار الأنوار : ج٢٩ ص٢٢٤ ، وتلاحظ الشرح في كتاب فاطمة الزهراء : ص٤٢٣ ، وبهجة قلب المصطفى : ص٣٣٧ ، وسوگنامهٔ فدك : ص٥٢٣ .

(٤) بحار الأنوار : ج٤١ ص٥٩ ب١٠٦ الأحاديث .

(٥) لاحظ الإمام علي من المهد إلى اللحد : ص٧٩ .

. . . .

أفرّ من أحد ، وإذا ارتديت سيفي لم أضعه إلّا للذي أرتدي له)[١].

وقال ابن أبي الحديد : (وأمّا الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوّه أنّه سيّد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلّا له ... وهذا الفصل لا معنى للاطناب فيه لأنّه من المعلومات الضرورية)[٢].

فأهل البيت عليهم السلام مثال العزّة لدين الإسلام ووسيلة النجاة للأنام ، وتفريج الكربات والإنقاذ من الهلكات ، وهم نعمة الربّ للمخلوقين ، والحمد لله ربّ العالمين .

روى عن الإمام الصادق عليه السلام : « نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد ... »[٣].

---

(١) الاختصاص : ص١٤٥ ـ ١٤٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ج١ ص٢٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٤٩ ب٢٩ .

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي[١] بِمُوالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللّٰهُ مَعالِمَ دِينِنا[٢]

(١) ـ هذه هي التفدية الخامسة والأخيرة في هذه الزيارة المباركة لأنفس خلق الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم .

(٢) ـ الموالاة : هي المتابعة.

ومعالم : جمع معلم مصدر ميمي بمعنى موضع العلم .

فالمعنى أنّ بمتابعتكم أهل البيت علّمنا الله تعالى معالم دين الإسلام .

وبأخباركم وأقوالكم وأفعالكم وآثاركم حصل لنا العلم بمواضع الدين ومعرفة شريعة سيّد المرسلين ، كما عرفت ذلك في فقرة : « ونشرتم شرائع أحكامه » .

قال المحدّث الحرّ العاملي عند إحصاء كتب الأحاديث والأخبار للشيعة الأبرار : (إنّ ما نقلوا عنه الأحاديث وذكرت في كتب الرجال يزيد على (٦٦٠٠) كتاباً كما أحصيناه)[١]. كلّها من بركاتهم ويستضاء منها بموالاتهم .

فإنّهم أئمّة المسلمين ، وحملة علم ربّ العالمين ، وعِدل القرآن في ما خلّفه الرسول الأمين ، وبهم يعرف معالم الدين ، الذي ارتضاه ربّ العالمين .

فهم عليهم السلام أخذوا العلم والمعالم من الخالق العليم جلّ جلاله ، كما تقدّم ذلك في باب علم الإمام عليه السلام[٢].

وهم عليهم السلام علّموا الخلق من ذلك النمير العلمي الصافي ، فتعلّم منهم العلماء والنبلاء ، وسعد بهم الأصفياء والأولياء ، كما تلاحظ ذلك في شيعتهم وأوليائهم من الصدر الأوّل كسلمان وأبي ذرّ ، إلى الظهور الأزهر كالكمّلين في زمان دولة الإمام المهدي عليه السلام في كمال علمهم وحكمتهم ورشدهم[٣].

---

(١) وسائل الشيعة : ج٢٠ ص٤٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٦ ص١٨ ب١ الأحاديث .

(٣) الغيبة للنعماني : ص٢٣٨ ب١٣ ح٣٠ .

وَاَصْلَحَ ما كانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيانا[١]

(١) ـ أي أنّ بمتابعتكم أيضاً أصلح الله تعالى ما كان فسد من أُمور دنيانا فضلاً عن الآخرة .

فإنّ بإتّباع أوامرهم ونواهيهم ، وبالعمل بما رسموه وسنّوه في أُمور الدين من العبادات والمعاملات وأحكام المعاشرات ، تطيب الأموال والأولاد ويصلح نظام العيش والحياة .

ويشهد لذلك ملاحظة ما تكفّلته أحاديثهم الشريفة من بيان السُبل الصالحة الدينية في جميع الجوانب الحياتية ، وفي جميع الجهات الاجتماعية والفرديّة ممّا تجدها في أبوابها العديدة من الأحكام والمواعظ والأخلاق والآداب والإرشاد والتربية والتعليم والحكم وغيرها .

ممّا يحكم الوجدان أنّه لو طُبّقت تلك المعالم الشرعية ، لكانت الحياة أسعد الحياة الإنسانية .

وفي مقابله لو تركت وأُهملت كانت المعيشة عيشة الجاهلية ، ومفسدة الحياة الهمجية .

وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ(١)

(١) ـ يقال : أتممت الشيء بمعنى : أكملته ، ومنه قوله تعالى : ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾(١) أي مكمّله(٢) فتمّت الكلمة تكون بمعنى كملت الكلمة .

وفي الكلمة معنيان :

الأوّل : بمعنى تمّت كلمة التوحيد .

فيكون بموالاتكم التوحيد التامّ الكامل . إشارة إلى حديث سلسلة الذهب المرويّة عن الإمام الرضا عليه السلام وقد تقدّم ذكره في الشهادة الأُولى(٣).

الثاني : بمعنى تمّت كلمة الإيمان والدين .

فيكون بموالاتكم الإيمان والدين الكامل .

إشارة إلى قوله عزّ إسمه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٤)ـ(٥).

فولاية أهل البيت عليهم السلام هو الركن الركين في حقيقة الدين ، والمكمّل لشريعة سيّد المرسلين ، والضمين لإمتداد الإسلام الذي يريده ربّ العالمين .

الإسلام الذي يريده الله تعالى الذي هو الحكيم في تدبيره ، والعليم بالطريق اللائح والفرد الصالح للدين القويم .

وينحصر اختيار الطريق الصحيح والفرد الصالح بذاته المقدّسة : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(٦).

ولا اختيار لمن لا يعلم ما تخفى الصدور ، وما تكنّ الضمائر كما في حديث سعد ⬅

---

(١) سورة الصف : الآية ٨.
(٢) مجمع البحرين : ص٥٠٦ .
(٣) عيون الأخبار : ج٢ ص١٣٤ ب٣٧ ح٤ .
(٤) سورة المائدة : الآية ٣ .
(٥) كنز الدقائق : ج٤ ص٣٢ .
(٦) سورة القصص : الآية ٦٨ .

. . . .

⇐بن عبدالله الأشعري القمّي ، عن الإمام الحجّة عليه السلام[1].

وقد اختار الله تعالى الدين المبين ، وجعل تمامه وكماله بولاية أمير المـؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام .

كما عرفت ذلك من آية كمال الدين ، والحديث الرضوي المتين .

---

(١) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٦٨ ب٣ ح٢ .

وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ(١)

(١) ـ عظم الشيء عِظَماً : أي كَبُر (١).

أي أنّ بموالاتكم عظمت النعمة علينا ، ونلنا النعمة الكبيرة .

فأهل البيت عليهم السلام هم رحمة الله على خلقه ، وولايتهم هي السعادة الكبرى والنعمة العظمى على خليقته ، وبها كملت وعظمت النعمة على عباده .

كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٢).

وتعرف قيمة هذه النعمة العظمى إذا تدبّرت فيها ، وعرفت أنّ وجودها يوجب قبول أعمال الإنسان ثمّ الفوز بالجنان ، وأنّ فقدانها يوجب الخسارة والنيران ، فأي نعمة هي أعظم من نعمة الولاية التي توجب سعادة الدنيا والبرزخ والآخرة ، وتدفع الشقاء والعناء .

ويكفيك في المقام ملاحظة الأحاديث المباركة التي تبيّن قيمة هذه النعمة القيّمة مثل :

١ ـ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله : « ياعلي أبشر وبشّر فليس على شيعتك كرب عند الموت ، ولا وحشة في القبور ، ولا حزن يوم النشور »(٣).

٢ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام [قال الراوي :] خرجت أنا وأبي ذات يوم فإذا هو بأناس من أصحابنا بين المنبر والقبر فسلّم عليهم ثمّ قال :

أما والله إنّي لأُحبّ ريحكم وأرواحكم ، فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد ، من ائتمّ بعبدٍ فليعمل بعمله.

أنتم شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله وأنتم شُرَطُ الله ، وأنتم أنصار الله ، وأنتم السابقون الأوّلون ، والسابقون الآخرون في الدنيا ، والسابقون في الآخرة إلى الجنّة .

---

(١) مجمع البحرين : ص٥٢٧ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ص٣٤٨ ح٤٧٥ .

. . . .

﴿قد ضمنّا لكم الجنّة بضمان الله تبارك وتعالى وضمان رسول الله ﷺ وأهل بيته ، أنتم الطيّبون ونساؤكم الطيّبات ، كلّ مؤمنة حوراء وكلّ مؤمن صدّيق .

كم مرّة قد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لقنبر : « ياقنبر أبشر وبشّر واستبشر ، والله لقد قبض رسول الله ﷺ وهو ساخط على جميع أمّته إلّا الشيعة .

ألا وإنّ لكلّ شيء شرفاً ، وإنّ شرف الدين الشيعة .

ألا وإنّ لكلّ شيء عروة ، وإنّ عروة الدين الشيعة .

ألا وإنّ لكلّ شيء إماماً ، وإمام الأرض أرض يسكن فيها الشيعة .

ألا وإنّ لكلّ شيء سيّداً ، وسيّد المجالس مجالس الشيعة .

ألا وإنّ لكل شيء شهوة ، وإنّ شهوة الدنيا سكنى شيعتنا فيها .

والله لولا ما في الأرض منكم ما استكمل أهل خلافكم طيّبات ما لهم ، وما لهم في الآخرة من نصيب .

والله إنّ صائمكم ليرعى في رياض الجنّة ، تدعو له الملائكة بالعون حتّى يفطر ، وإنّ حاجّكم ومعتمركم لخاصّ الله تبارك وتعالى ، وإنّكم جميعاً لأهل دعوة الله وأهل إجابته وأهل ولايته ، لا خوف عليكم ولا حزن ، كلّكم في الجنّة ، فتنافسوا في فضائل الدرجات .

والله ما من أحد أقرب من عرش الله تبارك وتعالى تقرّباً بعدنا يوم القيامة من شيعتنا ، ما أحسن صنع الله تبارك وتعالى إليكم ، ولولا أن تُفتنوا فيشمت بكم عدوّكم ويعلم الناس ذلك لسلّمت عليكم الملائكة قبلاً .

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : يخرج يعني أهل ولايتنا من قبورهم يوم القيامة مشرقة وجوههم قرّت أعينهم ، قد أُعطوا الأمان ، يخاف الناس ولا يخافون ، ويحزن الناس ولا يحزنون .﴾

. . . .

والله ما من عبد منكم يقوم إلى صلاته إلّا وقد اكتنفته الملائكة من خلفه يصلّون عليه ، ويدعون له حتّى يفرغ من صلاته .

ألا وإنّ لكلّ شيء جوهراً ، وجوهر ولد آدم عليه السلام محمّد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا »(١).

٣ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام أيضاً : « ... ياقبيصة إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا علينا فما كان بينهم وبين الله استوهبه محمّد صلى الله عليه وآله من الله ، وما كان فيما بينهم وبين الناس من المظالم أدّاه محمّد صلى الله عليه وآله عنهم ، وما كان فيما بيننا وبينهم وهبناه لهم حتّى يدخلون الجنّة بغير حساب »(٢).

كلّ هذا بالإضافة إلى أحاديث ثواب حبّهم ونصرهم وولايتهم عليهم السلام التي تبلغ (١٥٤) حديثاً ، منها ما يلي :

٤ ـ حديث الهروي قال : سمعت الرضا عليه السلام يحدّث ، عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت الله جلّ جلاله يقول : « علي بن أبي طالب حجّتي على خلقي ، ونوري في بلادي وأميني على علمي ، لا أُدخل النار من عرفه وإن عصاني ، ولا أُدخل الجنّة من أنكره وإن أطاعني »(٣).

٥ ـ حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أراد التوكّل على الله فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد الحكمة فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد دخول الجنّة بغير حساب فليحبّ أهل بيتي ، فوالله ما

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ص٥٤٩ ح٧٠٥ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ص٥٥٢ ح٧٠٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١١٦ ب٤ ح٩١ .

. . . .

أحبّهم أحد إلّا ربح في الدنيا والآخرة »[١].

٦ ـ حديث بلال قال : طلع علينا النبي ﷺ ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام عبدالله بن عوف وقال : يارسول الله ما هذا النور ؟

فقال : « بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي ، وأنّ الله زوّج علياً بفاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاعاً يعني صكاكاً بعدد محبّي أهل بيتي ، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ، ودفع إلى كلّ ملك صكّاً فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق ، فلا تلقى محبّاً لنا أهل البيت إلّا دُفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النار .

بأخي وابن عمّي وابنتي فكاك رجال ونساء من أُمّتي من النار »[٢].

٧ ـ حديث موسى بن سيّار قال كنت مع الرضا عليه السلام وقد أشرف على حيطان طوس ، وسمعت واعية فاتّبعتها ، فإذا نحن بجنازة ، فلمّا بصرت بها رأيت سيّدي وقد ثنى رجله عن فرسه ، ثمّ أقبل نحو الجنازة فرفعها ، ثمّ أقبل يلوذ بها كما تلوذ السخلة بأُمّها ثمّ أقبل عليَّ وقال :

« ياموسى بن سيّار من شيّع جنازة ولي من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه لا ذنب عليه » .

حتّى إذا وضع الرجل على شفير قبره رأيت سيّدي قد أقبل فأفرج الناس عن الجنازة حتّى بدا له الميّت ، فوضع يده على صدره ثمّ قال : يافلان بن فلان ابشر بالجنّة فلا خوف عليك بعد هذه الساعة .

فقلت : جعلت فداك هل تعرف الرجل فوالله إنّها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا ؟

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١١٦ ب٤ ح٩٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١١٧ ب٤ ح٩٦ .

. . . .

فقال لي : ياموسى بن سيّار أما علمت إنّا معاشر الأئمّة تعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءً ، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه ، وما كان من العلوّ سألنا الله الشكر لصاحبه »[(١)].

٨ ـ حديث تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[(٢)] عن الإمام الصادق عليه السلام : « النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا »[(٣)].

٩ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام في تفسير : ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ﴾ : « هي أعظم نعم الله على خلقه ، وهي ولايتنا »[(٤)].

١٠ ـ حديث الإمام أبي الحسن عليه السلام : « كلّ من تقدّم إلى ولايتنا تأخّر عن سقر ، وكلّ من تأخّر عن ولايتنا تقدّم إلى سقر »[(٥)].

وفي نسخة الكفعمي زيادة : « وكملت المنّة » .

---

(١) الأنوار البهيّة : ص١٠٦ .

(٢) سورة التكاثر : الآية ٨ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٥٠ ب٢٩ ح١ .

(٤) بحار الأنوار : ج٢٤ ص٥٩ ب٢٩ ح٣٥ .

(٥) بحار الأنوار : ج٨ ص٢٧٣ ب٢٤ ح٢ .

وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ(١)

(١) ـ الائتلاف والأُلفة : ضدّ الاختلاف ، وهو الإلتئام والإجتماع .

والفُرقة : هو التفرّق وإنفصال الأجزاء .

والمعنى : أنّ بموالاتكم ومتابعتكم والرجوع إليكم حصل الإئتلاف والاتّفاق والإلتئام بين الأمّة .

وارتفعت الفُرقة والتفرّق الحاصل بالآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة ، وطبيعي عدم حصول الفُرقة حتّى بين الأُمم المتعدّدة إذا رجعت إلى زعيم واحد إمام معصوم، متّصل بربّ السماء ، ويهدي الأُمم بالأنوار العليا .

وفي خطبة الصدّيقة الطاهرة ٣ : « وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً للفُرقة »(١).

إذ هم عليهم السلام عدل القرآن الذي يلزم التمسّك به مع القرآن ، ولا يحصل بينهما خلاف في أيّ آن ، وولايتهم قطب كلام الرحمٰن .

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن ، وبها يوهب الكتب ، ويستبين الإيمان ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمّد عليهم السلام ، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها : إنّي تارك فيكم الثقلين ... »(٢).

وبهم تأتلف القلوب وتجتمع الفُرقة كما في حديث النوادر عن الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه : « فأنتم أهل الله الذين بكم تمّت النعمة ، واجتمعت الفُرقة ، وائتلفت الكلمة »(٣).

ولقد ائتلفت الفرقة بجدّهم الرسول ثمّ بهم ، ولم يظهر الشقاق والنفاق إلّا ⇐

---

(١) الاحتجاج : ج١ ص١٣٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج٩٢ ص٢٧ ب١ ح٢٩ .

(٣) بحار الأنوار : ج٥٩ ص١٩٤ ب٢٣ ح٥٨ .

. . . .

➲بالخلاف معهم عليهم السلام .

وستجتمع الأُمم على كلمة واحدة عند ظهور مهديّهم المنتظر عليه السلام ، قال تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]ـ[2].

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٣.

(٢) كنز الدقائق : ج٥ ص٤٤٤ .

وَبِمُوالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ(١)

(١) ـ المفترضة بصيغة اسم المفعول : أي التي أُوجبَتْ وصارت واجبة ، يقال : افترضه الله أي أوجبه .

أي أنّ بموالاتكم أهل البيت تُقبل الطاعات المفترضة ، والفرائض الواجبة ، وبدون ولايتكم لا تكون مقبولة عند الله تعالى .

وإنّما لا تقبل الطاعات والعبادات بدون ولايتهم :

أوّلاً : لأنّها ليست من العبودية والطاعة في شيء ، لأنّ عبادة الله وطاعته لا تكون إلّا من حيث أراد الله لا حيث أراد العبد ، والذي ثبت فيما أراده الله هو طاعة أهل البيت عليهم السلام .

ثانياً : أنّ الولاية من الأصول ، ولا تقبل الطاعات من الفروع بدون الأُصول .

ثالثاً : للأخبار المتواترة في ذلك ومنها :

١ ـ حديث محمّد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام ، يقول : « كلّ من دان الله عزّوجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ، ولا إمام له من الله ، فسعيه غير مقبول ، وهو ضالّ متحيّر ، والله شانىء لأعماله .

(إلى أن قال) : وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق .

واعلم يامحمّد أنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله ، قد ضلّوا وأضلّوا ، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف ، لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد »(١).

٢ ـ حديث زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) قال : « ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته .

(١) وسائل الشيعة : ج١ ص٩٠ ب٢٩ ح١ .

. . . .

أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حقّ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان »[1].

٣ ـ حديث محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام (في حديث) قال: « من لم يأت الله عزّوجلّ يوم القيامة بما أنتم عليه لم يتقبّل منه حسنة، ولم يتجاوز له عن سيّئة »[2].

٤ ـ حديث الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: « أيُّ البقاع أفضل؟

فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام؛ ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه؛ ألف سنة إلّا خمسين عاماً؛ يصوم النهار؛ ويقوم الليل في ذلك المكان، ثمّ لقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً »[3].

٥ ـ حديث ميسر قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إنّ لي جاراً لست أنتبه إلّا على صوته إمّا تالياً كتابه يكرّره ويبكي ويتضرّع وإمّا داعياً ... فسألت عنه في السرّ والعلانية فقيل لي: إنّه مجتنب لجميع المحارم.

قال: فقال: ياميسر يعرف شيئاً ممّا أنت عليه؟

قال: قلت: الله أعلم.

قال: فحججت من قابل فسألت عن الرجل فوجدته لا يعرف شيئاً من هذا الأمر، فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بخبر الرجل فقال لي مثل ما قال في

(١) وسائل الشيعة: ج١ ص٩١ ب٢٩ ح٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١ ص٩١ ب٢٩ ح٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج١ ص٩٣ ب٢٩ ح١٢.

. . . .

العام الماضي : يعرف شيئاً ممّا أنت عليه ؟

قلت : لا .

قال : ياميسر أيُّ البقاع أعظم حرمة ؟

قال : قلت : الله ورسوله وابن رسوله أعلم .

قال : ياميسر ما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنّة ، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنّة ، والله لو أنّ عبداً عمّره الله فيما بين الركن والمقام وفيما بين القبر والمنبر يعبده ألف عام ، ثمّ ذبح على فراشه مظلوماً كما يذبح الكبش الأملح ثمّ لقى الله عزّوجلّ بغير ولايتنا لكان حقيقاً على الله عزّوجلّ أن يكبّه على منخريه في نار جهنّم »[1].

٦ ـ حديث المفضّل في الكتاب الذي كتبه إليه الإمام الصادق عليه السلام : « ... وإنّ من صلّى وزكّى وحجّ واعتمر وفعل ذلك كلّه بغير معرفة من افترض الله عليه طاعته فلم يفعل شيئاً من ذلك .

لم يصلّ ولم يصم ولم يزكّ ولم يحجّ ولم يعتمر ولم يغتسل من الجنابة ولم يتطهّر ولم يحرّم لله حراماً ولم يحلّ لله حلالاً ، ليس له صلاة وإن ركع وإن سجد ، ولا له زكاة ولا حجّ .

وإنّما ذلك كلّه يكون بمعرفة رجل منّ الله جلّ وعزّ على خلقه بطاعته ، وأمر بالأخذ عنه .

فمن عرفه وأخذ عنه أطاع الله ، ومن زعم أنّ ذلك إنّما هي المعرفة وأنّه إذا عرف اكتفى بغير طاعة فقد كذب وأشرك .

---

(١) عقاب الأعمال : ص ٢٥٠ ح١٦ .

. . . .

وإنّما قيل : اعرف واعمل ما شئت من الخير ، فإنّه لا يقبل منك ذلك بغير معرفة ، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت من الطاعة قلّ أو كثر ، فإنّه مقبول منك »[١].

٧ ـ حديث الخوارزمي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال : « ياعلي لو أنّ عبداً عبد الله مثل ما قام نوح في قومه ، وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه ، ثمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يوالك ياعلي لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها »[٢].

٨ ـ حديث الأعمش المتقدّم عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ورد فيه : « ياعلي والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما قبل الله ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمّة من ولدك ، وإنّ ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمّة من ولدك .

بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »[٣].

والأحاديث في هذا متواترة والأدلّة متظافرة ، فالطاعة إنّما تكون مقبولة من موالي العترة الطاهرة عليهم السلام .

واعلم أنّ في نسخة الكفعمي هنا : « وبموالاتكم تقبل الأعمال ، ولكم الطاعة المفترضة » .

(١) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١٧٦ ب٧ ح٢٠ .

(٢) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١٩٤ ب٧ ح٥٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٧ ص١٩٩ ب٧ ح٦٦ .

وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْواجِبَةُ[١]

(١) ـ المودّة : هي المحبّة ، مأخوذة من الوُدّ بضمّ الواو وكسرها بمعنى الحبّ ، يقال : وددت الرجل أي أحببته ، والاسم المودّة[١].

والمعنى : أنّ لكم أهل البيت المودّة التي وجبت من الله تعالى أجراً للرسالة ، في آية المودّة ، فوجب علينا أن نحبّكم ونصلكم .

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢].

فهي فريضة من الله تعالى على العباد بنصّ الكتاب الكريم ، والأحاديث المتواترة بين الفريقين ، من الخاصّة في (٢٢) حديثاً ، ومن العامّة في (١٧) حديثاً[٣].

فمن أحاديث الخاصّة حديث سلام بن المستنير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ؟

فقال : « هي والله فريضة من الله على العباد لمحمّد صلى الله عليه وآله في أهل بيته » .

وحديث ابن عبّاس قال : لمّا نزلت ﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ (الآية) قالوا : يارسول الله ، مَن هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم ؟

قال : « علي وفاطمة وولدهما »[٤].

ومن أحاديث العامّة ما تواتر نقله من نزول هذه الآية المباركة في قربى النبي الأكرم علي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم ، فيما رواه الجمهور في صحاحهم وتفاسيرهم كالبخاري ، وابن حنبل ، والطبري ، والثعلبي ، والحاكم ، ⟵

---

(١) مجمع البحرين : ص٢٠ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٣) تلاحظها في :

غاية المرام : ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ ب٥ و٦ الأحاديث ، بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٢٨ ب١٣ الأحاديث الإثنان والثلاثون ، وكنز الدقائق : ج١١ ص٥٠٠ الأحاديث .

(٤) كنز الدقائق : ج١١ ص٥٠٠ .

. . . .

والزمخشري ، والخوارزمي ، والرازي ، وابن الأثير ، والشافعي ، والكنجي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والحمويني ، وابن كثير ، والهيثمي ، والسيوطي ، وغيرهم ممّا تلاحظ كلامهم ومصادرهم في الإحقاق(١).

وهذه المودّة الواجبة خصوصية خاصّة لقربى رسول الله صلى الله عليه وآله .

ففي حديث الريّان بن الصلت ، عن الإمام الرضا عليه السلام : « وما بعث الله عزّوجلّ نبيّاً إلّا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً لأنّ الله عزّوجلّ يوفيه أجر الأنبياء .

ومحمّد صلى الله عليه وآله فرض الله عزّوجلّ مودّة قرابته على أُمّته ، وأمره أن يجعل أجره فيهم ، ليودّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عزّوجلّ لهم ، فإنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل .

فهذه المودّة لا يأتي بها أحد مؤمناً مخلصاً إلّا استوجب الجنّة لقول الله عزّوجلّ في هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(٢) مفسّراً ومبيّناً »(٣).

واعلم أنّ النجاة والاتّصال بالله تعالى إنّما يكون بمودّتهم دون غيرهم .

ففي حديث الثمالي ، عن الإمام الباقر عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى طهّر أهل بيت نبيّه ، وجعل لهم أجر المودّة ، وأجرى لهم الولاية ، وجعلهم أوصياءه وأحبّاءه وأئمّته في أُمّته من بعده.

فاعتبروا أيّها الناس وتفكّروا فيما قلت ، حيث وضع الله عزّوجلّ ولايته وطاعته ومودّته واستنباط علمه وحجّته ، فإيّاه فتعلّموا [فتقبّلوه] ، وبه فاستمسكوا تنجوا،

---

(١) إحقاق الحقّ : ج٣ ص٢ ـ ١٩ . (٢) سورة الشورى : الآية ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٥ ص٢٢٦ ب٦ ح٢٠ .

. . . .

ويكون لكم به حجّة يوم القيامة والفوز ، فإنّهم صلة بينكم وبين ربّكم ، ولا تصل الولاية إلى الله عزّوجلّ إلّا بهم .

فمن فعل ذلك كان حقّاً على الله أن يكرمه ولا يعذّبه ، ومن يأت بغير ما أمره كان حقّاً على الله أن يذلّه ويعذّبه »(١).

ومن دخل في ولايتهم دخل الجنّة ومن دخل في ولاية عدوّهم دخل النار ، كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام الآخر(٢).

ومودّتهم من الباقيات الصالحات كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام(٣).

فالفوز كلّ الفوز في مودّتهم ومحبّتهم والبراءة من أعدائهم .

فإنّ محبّتهم هي النجاة الكبرى ، كما أنّ محبّة أعدائهم هي المردية السفلى .

---

(١) بحار الأنوار : ج١١ ص٥٠ ب١ ح٤٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٨ ص٣٤٨ ب٢٦ ح٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج٢٣ ص٢٥٠ ب٣ ح٢٥ .

وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ[١]

(١) ـ الرفيع : هو الشريف ، ومنه الدرجات الرفيعة ، ورفعه رفعةً : ارتفع قدره[١].

أي ولكم أهل البيت الدرجات الشريفة المرتفعة ، والمراتب العالية بعلوّ المنزلة .

وهذا واضح لكلّ من تدبّر في درجاتهم السامية في الدنيا والآخرة ، تلك الدرجات التي منحتهم الأشرفية على جميع الخلق .

ويكفيك الدرجات والمراتب التي ذكرتها هذه الزيارة الشريفة ، وذكرنا بيانها في الأدلّة ، خصوصاً إمامتهم الكبرى ، وولايتهم العظمى .

(١) مجمع البحرين : ص٣٧٩ .

وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ(١)

(١) ـ أي ولكم المقام المحمود ، وهو مقام الشفاعة الكبرى التي منحها الله تعالى لأهل بيت رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله .

وفي نسخة الكفعمي : « والمكان المحمود » .

وهو المقام الذي ذكرته الآية الشريفة : ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾(١).

نصّت على مقام الشفاعة الأحاديث المتظافرة التي ذكرناها في مبحثها فراجع التفصيل(٢).

ونختار منها الأحاديث التالية :

١ ـ حديث شيخ الطائفة مسنداً عن أنس بن مالك ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً مقبلاً على علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يتلو هذه الآية : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾(٣).

فقال : « ياعلي ، إنّ ربّي عزّوجلّ ملّكني الشفاعة في أهل التوحيد من أُمّتي ، وحظر ذلك عمّن ناصبك وناصب ولدك من بعدك »(٤).

٢ ـ حديث القندوزي قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ياعلي أنت أخي وأنا أخوك ، أنا المصطفى للنبوّة وأنت المجتبى للإمامة ، أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة ، وأنت وصيي ووارثي وأبو ولدي ، أتباعك أتباعي ، وأولياؤك أوليائي ، وأعداؤك أعدائي ، وأنت صاحبي على الحوض وصاحبي في المقام المحمود ... »(٥).

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٩ .

(٢) العقائد الحقّة الطبعة الأولى : ص٤٥٢ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٧٩ .

(٤) أمالي الشيخ الطوسي : ص٤٥٥ ح١٠١٧ .

(٥) إحقاق الحقّ : ج٤ ص٢٢٧ .

. . . .

٣ ـ حديث صفوان الجمّال قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت : جعلت فداك سمعتك تقول : شيعتنا في الجنّة ، وفيهم أقوام مذنبون ، يركبون الفواحش ، ويأكلون أموال الناس ، ويشربون الخمور ويتمتّعون في دنياهم .

فقال عليه السلام : « هم في الجنّة ، اعلم أنّ المؤمن من شيعتنا لا يخرج من الدنيا حتّى يبتلى بدَين أو بسقم أو بفقر ، فإن عفي عن هذا كلّه شدّد الله عليه في النزع عند خروج روحه حتّى يخرج من الدنيا ولا ذنب عليه .

قلت : فداك أبي وأُمّي فمن يردّ المظالم ؟

قال : الله عزّوجلّ يجعل حساب الخلق إلى محمّد وعلي عليهما السلام ، فكلّ ما كان على شيعتنا حاسبناهم ممّا كان لنا من الحقّ في أموالهم ، وكلّ ما بينه وبين خالقه استوهبناه منه ، ولم نزل به حتّى ندخله الجنّة برحمة من الله ، وشفاعة من محمّد وعلي عليهما السلام »(١).

(١) بحار الأنوار : ج٦٨ ص١١٤ ب١٨ ح٣٣ .

وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللّٰه عَزَّوَجَلَّ[١]

(١) ـ أي ولكم أهل البيت المكان المعلوم في القُرب والكمال عند الله عزّوجلّ .

وفي التهذيب : والمقام المعلوم إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[١].

كما تلاحظ ذلك في التفسير[٢].

(١) سورة الصافات : الآية ١٦٤ .

(٢) تفسير القمّي : ج٢ ص٢٢٧ .

وَالْجاهُ الْعَظِيمُ(١) وَالشَّأْنُ الْكَرِيمُ(٢)

(١) ـ الجاه : هو القدر والمنزلة ، يقال : فلان ذو جاه أي ذو قدر ومنزلة .

والمعنى : أنّ لكم أهل البيت القدر العظيم والمنزلة العظيمة عند الله عزّوجلّ .

وأيّ قدر ومنزلة أعظم من قدرهم ومنزلتهم ، ولولاهم ما خلق الله تعالى السماوات والأرض ، كما يدلّ عليه حديث الكساء الشريف وقد تقدّم .

(٢) ـ الشأن : هو الأمر والحال .

أي ولكم الشأن الكبير عند الله عزّوجلّ . وفي العيون « والشأن الرفيع » .

وما أعظم وأكبر وأرفع شأنهم وقد منحهم الله أعظم سمات الشرافة والكرامة في الدنيا والآخرة .

وكلّ شأن من شؤونهم لا يدانيه أحد ، ويكفيك شأن واحد لأبي الأئمّة أمير المؤمنين عليه السلام وهو كونه صاحب لواء الرسول في الدنيا وصاحب لواء الحمد في الآخرة .

ففي حديث ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أتاني جبرئيل وهو فرح مستبشر ، فقلت : حبيبي جبرئيل مع ما أنت فيه من الفرح ! ما منزلة أخي وابن عمّي علي بن أبي طالب عند ربّه ؟

فقال : والذي بعثك بالنبوّة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلّا لهذا ، يامحمّد الله العلي الأعلى يقرأ عليكما السلام وقال : محمّد نبيّ رحمتي ، وعلي مقيم حجّتي ، لا أُعذّب من والاه وإن عصاني ، ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني .

قال : ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة يأتيني جبرئيل ومعه لواء الحمد وهو سبعون شقّة ، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر ، وأنا على كرسيّ من كراسي الرضوان ، فوق منبر من منابر القدس ، فآخذه وأدفعه إلى علي بن أبي طالب .

فوثب عمر بن الخطّاب فقال : يارسول الله وكيف يطيق على حمل اللواء وقد ←

. . . .

ذكرت أنّه سبعون شقّة ، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر ؟!

فقال النبي ﷺ : إذا كان يوم القيامة يعطي الله علياً من القوّة مثل قوّة جبرئيل ، ومن النور مثل نور آدم ، ومن الحلم مثل حلم رضوان ، ومن الجمال مثل جمال يوسف ، ومن الصوت ما يداني صوت داود ، ولولا أن يكون داود خطيباً لعلي في الجنان لأُعطي مثل صوته ، وإنّ علياً أوّل من يشرب من السلسبيل والزنجبيل ، لا تجوز لعلي قدم على الصراط إلّا وثبتت له مكانها أُخرى .

وإنّ لعلي وشيعته من الله مكاناً يغبطه به الأوّلون والآخرون »[١].

---

(١) بحار الأنوار : ج٨ ص٣ ب١٨ ح٣ .

وَالشَّفاعَةُ الْمَقْبُولَةُ[(١)] رَبَّنا آمَنّا بِما اَنْزَلْتَ[(٢)]

(١) ـ أي ولكم الشفاعة المقبولة عند الله عزّوجلّ .

وقد تقدّم بيان الشفاعة ودليلها في فقرة : « وشفعاء دار البقاء » فراجع .

(٢) ـ في مسك الختام هذا إيمان وتصديق وقبول لما ورد من درجات أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم ومقاماتهم وشؤونهم الرفيعة ، التي كان منها ما ورد في هذه الزيارة المباركة .

وقد عرفت أنّ جميعها كانت فضائل سامية ، مستندة إلى أدلّة شافية ، مأخوذة من كتاب الله الكريم وأحاديث رسوله العظيم وأهل بيته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، مع دليل العقل والوجدان الذي هو بيانٌ عيان .

إيماناً بالعترة وصاحب الولاية المطلقة ، الذي أنزل الله تعالى خلافته ، وأمر نبيّه بتبليغ إمامته في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[(١)].

---

(١) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

وَاتَّبَعْنا الرَّسُولَ[١] فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِيْنَ[٢] رَبَّنا لاٰ تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنا[٣]

---

(١) ـ أي اتّبعنا الرسول فيما أمَرَنا به من ذلك .

(٢) ـ أي اكتبنا مع المؤمنين الشاهدين الذين آمنوا بذلك عن شهود وحضور ، أو مع أئمّتنا الشاهدين عليهم السلام الذين هم شهداء الله على خلقه .

وهذا دعاءٌ بأن يجعلنا الله تعالى مع أهل الإيمان والمؤمنين .

كما أنّ الفقرة الآتية دعاء بأن يثبّتنا الله تعالى على هذا الإيمان ، ولا يجعلنا مع المنحرفين .

(٣) ـ الزيغ : هو الميل عن الحقّ ، وفي الدعاء : « لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني » أي لا تمله عن الإيمان ، أي لا تسلبني التوفيق ، بل ثبّتني على الاهتداء الذي منحتني[١].

فالمعنى : هو الدعاء بأنّه : ياربّنا لا تمِل قلوبنا إلى الباطل بعد إذ هديتنا إلى الحقّ.

وفي الحديث : عن سماعة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « أكثروا من أن تقولوا : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٢] ولا تأمنوا الزيغ »[٣].

---

(١) مجمع البحرين : ص٣٩٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨ .

(٣) تفسير العياشي : ج١ ص١٦٤ ح٩ .

وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً[١] إِنَّكَ اَنْتَ الوَهّابُ[٢] سُبْحانَ رَبِّنا[٣] اِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً[٤]

(١) ـ أي هب لنا رحمة في الدنيا والآخرة ، وإن كنّا غير مستوجبين لذلك وغير مستحقّين لها ، أو رحمة تزلفنا إليك ونفوز بها عندك .

أو توفيقاً للثبات على الحقّ .

(٢) ـ الوهّاب : هو المعطي للنعمة ، الذي شأنه الهبة والعطية[١].

وفسّره الشيخ الصدوق بقوله : (يهب لعباده ما يشاء ، ويمنّ عليهم بما يشاء)[٢].

(٣) ـ أي منزّه ربّنا تنزيهاً عمّا لا يليق به .

وسبحان منصوب على المصدرية : لفعل محذوف .

(٤) ـ إن : مخفّفة من المثقلة أي أنّه كان وعد ربّنا لمفعولا .

ووعد ربّنا : أي ما وعده تعالى من إجابة الدعوات ومضاعفة المثوبات .

لمفعولاً : أي كائناً واقعاً لا محالة .

قال عزّ إسمه : ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾[٣].

---

(١) مجمع البيان : ج٢ ص٤١٢ .

(٢) كتاب التوحيد : ص٢١٤ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٢٠ .

يَا وَلِيَّ اللّٰهِ[١] إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ ذُنُوباً لاٰ يَأْتِي عَلَيْهٰا إِلاّٰ رِضٰاكُمْ[٢]

(١) ـ بعد إبراز الايمان والتصديق بفضائلهم عليهم السلام بقولنا : « ربّنا آمنّا ... » .

ثمّ السؤال من الله الثبات عليه بقوله : « ربّنا لا تزغ ... » .

ثمّ طلب الرحمة من الله تعالى التي هي أمل كلّ آمل بقوله : « وهب لنا » .

هذا توجّه واستشفاع إلى الإمام المعصوم عليه السلام لاستيهاب الذنوب لأنّه الوسيلة إلى الله تعالى والوجيه عنده .

وفي حديث الكفعمي هنا : (ثمّ انكبّ على الضريح فقبّله ، وقل : ياولي الله ...) .

والمخاطب هنا هو الإمام المزور المقصود بالزيارة .

أو المراد جميع الأئمّة عليهم السلام بشمول جنس الوليّ ، ويؤيّده الإتيان بلفظ الجمع بعد ذلك يعني لفظ رضاكم وما بعده كما يستفاد من والد العلّامة المجلسي[١].

(٢) ـ أي لا يمحوها ولا يُذهبها إلّا رضاكم أهل البيت عنّا وشفاعتكم لنا .

مأخوذ من قولهم : (أتى عليه أي أهلكه) واهلاك الذنوب محوها .

وفي نسخة الكفعمي : « إلّا رضى الله ورضاكم » .

---

(١) الروضة : ج٥ ص٤٩٧ .

فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلىٰ سِرِّهِ(١) وَاسْتَرْعاكُمْ أمْرَ خَلْقِهِ(٢) وَقَرَنَ طاعَتَكُمْ بِطاعَتِهِ(٣) لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي(٤)

---

(١) ـ الباء للقَسَم أي أُقسم عليكم بحقّ الله تعالى الذي جعلكم أُمناء على سرّه .

فأهل البيت عليهم السلام هم أُمناء الله تعالى على أسراره ، كما تقدّم بيانه ودليله مع معنى الأسرار في فقرة : « وحفظة سرّ الله » .

(٢) ـ أي أُقسم عليكم بحقّ الله تعالى الذي جعلكم أئمّة ورعاة لأُمور خلقه ، وجعل الخلق رعيّة لكم ، كما تقدّم بيانه ودليله في فقرة : « وساسة العباد » .

(٣) ـ أي وأُقسم عليكم بحقّ الله تعالى الذي قرن طاعتكم بطاعته في قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١).

قال والد المجلسي : (ويفهم من المقارنة ـ أي في الإطاعة ـ أنّه لا يقبل واحدة منها بدون البقيّة بل الجميع واحد كما قال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾(٢))(٣).

وقد نزلت آية إطاعة أُولي الأمر في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما تلاحظه في أحاديث الخاصّة والعامّة(٤).

(٤) ـ كلمة (لمّا) إيجابية بمعنى إلّا ، هذا إذا كانت لمّا مشدّدة .

ويحتمل أن تكون مخفّفة ، فتكون اللام فيها لتأكيد القسم ، وما زائدة للتأكيد(٥).

وكيف كان فالجملة متعلّق القسم ، أي أُقسم عليكم بحقّ الله تعالى أن تطلبوا منه هبة ذنوبي وغفرانها لي .

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٠ .

(٣) روضة المتّقين : ج ٥ ص ٤٩٧ .

(٤) غاية المرام : ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ب ٥٨ ـ ٥٩ الأحاديث ، كنز الدقائق : ج ٣ ص ٤٣٧ .

(٥) الأنوار اللامعة : ص ٢٠٠ .

وَكُنْتُمْ شُفَعٰائِي[١] فَاِنّي لَكُمْ مُطِيعٌ[٢] مَنْ اَطٰاعَكُمْ فَقَدْ اَطٰاعَ اللّٰهَ وَمَنْ عَصٰاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللّٰهَ وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللّٰهَ وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللّٰهَ[٣]

---

(١) ـ أي أُقسم عليكم أيضاً أن تكونوا شفعائي إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وهو مقام الاستشفاع والشفاعة، وقد تقدّم بيانهما في فقرتي: « مستشفع إلى الله عزّوجلّ بكم » و « شفعاء دار البقاء ».

(٢) ـ بيانٌ بأنّ هذا الطلب منهم عليهم السلام إنّما هو مع الموالاة لهم التي توجب أمل القبول منهم ببركه ولايتهم ومحبّتهم.

فإنّي لكم مطيع، أي مطيع في الجملة وإن صدرت منّي المخالفة أحياناً، وسوّلت لي نفسي الخطيئة تسويلاً.

أو بمعنى إنّي مقرّ معتقد بوجوب طاعتكم كما احتمله بعض الأعاظم.

(٣) ـ هذا وجه إطاعتهم، واعتقاد وجوب طاعتهم وموالاتهم.

أي إنّي لكم مطيع لأنّ الله تعالى أمر بطاعتكم، وأوجب علينا متابعتكم.

فإطاعتكم في الحقيقة إطاعة الله تعالى، ومعصيتكم معصية الله عزّوجلّ.

وأنتم القربى الذين أمر الله بمودّتكم وجعلكم الحجّة على خلقه، فمحبّتكم محبّة الله، والبغض لكم بغض الله تعالى شأنه.

فأهل البيت عليهم السلام هم المظاهر الربّانية لطاعة الله وعصيانه، وحبّه وبغضه، ومتابعته والمخالفة معه.

وقد تقدّم بيان ذلك ودليله من الكتاب الكريم وروايات الحجج المعصومين عليهم السلام في الفقرات المتقدّمة:

من قوله: « من والاكم فقد والى الله ».

إلى قوله: « ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله ».

اَللَّهُمَّ اِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعٰاءَ اَقْرَبَ اِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَاَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيٰارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرٰارِ[1]

---

(١) ـ هذا آخر المطاف في هذه الزيارة المباركة في التوجّه إلى الله تعالى بأحبّ خلقه إليه وأقربهم منه محمّد وآله الطاهرين سلام الله عليهم لطلب معرفتهم الكاملة ، ثمّ رحمة الله الواسعة ببركة شفاعة العترة الطاهرة عليهم السلام .

وفي حديث الكفعمي هنا : (ثمّ ارفع يديك إلى السماء وقل : اللهمّ ...) .

والمعنى : إنّي لم أجد أحداً من العالمين أفضل منهم عليهم السلام عندك ، ولا أقرب منهم لديك ، لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل حتّى أجعلهم شفعائي إليك ، فلهذا أُقدّمهم عليهم السلام دون غيرهم ، في طلبتي وحوائجي إليك بشفاعتهم .

ويكفي في بيان قربهم إلى الله ومنزلتهم عنده حديث الأنوار حيث أفاد ، فروي عنهم أنّهم قالوا : نزّهونا عن الربوبية ، وادفعوا عنّا حظوظ البشرية يعني الحظوظ التي تجوز عليكم ، فلا يقاس بنا أحد من الناس ، فإنّا نحن الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية ، والكلمة الربّانية الناطقة في الأجساد الترابية ، وقولوا بعد ذاك ما استطعتم ، فإنّ البحر لا ينزف ، وعظمة الله لا توصف[1].

---

(١) الأنوار اللامعة : ص ٢٠٥ .

لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعائِي ، فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي اَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ[١] اَسْأَلُكَ اَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعارِفِيْنَ بِهِمْ[٢] وَبِحَقِّهِمْ[٣] وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِيْنَ بِشَفاعَتِهِمْ ، اِنَّكَ اَرْحَمُ الرّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرِينَ وَسَلَّمَ [تَسْلِيْماً] كَثِيراً وَحَسْبُنا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[٤]

---

(١) ـ من عدم ردّ شفاعتهم ، واستجابة دعائهم ، بل استجابة دعاء من توسّل واستشفع بهم عليهم السلام .
وفي نسخة الكفعمي : « اللهمّ فبحقّهم » .

(٢) ـ أي في جملة العارفين بكمال المعرفة بهم أي بإمامتهم .

(٣) ـ أي أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بحقّهم علينا مثل : الإقرار بإمامتهم وموالاتهم ، والتسليم لهم ، وإطاعتهم ، ووجوب محبّتهم ومودّتهم ونصرتهم ، والرجوع إليهم ، والتولّي لهم ، والتبرّي من أعدائهم من الحقوق التي هي وظائفنا تجاه أئمّتنا عليهم السلام .

(٤) ـ أي وأسألك اللهمّ أن تدخلني في جماعة المرحومين بشفاعتهم عليهم السلام إنّك أرحم الراحمين .

إشارة إلى أنّ ذلك غير واجب لي باستحقاق منّي ، بل هو بفضلك وكرامتك ورحمتك .

هذا تمام الزيارة المباركة الجامعة .

ولا يخفى حُسن ذكر الوداع الشريف المذكور بعد هذه الزيارة الشامخة المروية[١]، وهو ما نصّه :

---

(١) عيون الأخبار : ج٢ ص٢٧٧ ، من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٦١٧ .

(الوداع)

إذا أردت الإنصراف فقل : « السلام عليكم سلام مودّع لا سئم ولا قالٍ ولا مالٍ ورحمة الله وبركاته عليكم ياأهل بيت النبوّة ، إنّه حميد مجيد ، سلام وليٍّ لكم غير راغب عنكم ، ولا مستبدل بكم ، ولا مؤثر عليكم ، ولا منحرف عنكم ، ولا زاهد في قربكم ، لا جعله الله آخر العهد من زيارة قبوركم ، وإتيان مشاهدكم ، والسلام عليكم وحشرني الله في زمرتكم ، وأوردني حوضكم ، وجعلني في حزبكم ، وأرضاكم عنّي ومكّنني في دولتكم ، وأحياني في رجعتكم ، وملّكني في أيّامكم ، وشكر سعيي بكم ، وغفر ذنبي بشفاعتكم ، وأقال عثرتي بمحبّتكم ، وأعلى كعبي بموالاتكم ، وشرّفني بطاعتكم ، وأعزّني بهداكم ، وجعلني ممّن إنقلب مفلحاً منجحاً غانماً سالماً معافاً غنيّاً فائزاً برضوان الله وفضله وكفايته بأفضل ما ينقلب به أحد من زوّاركم ومواليكم ومحبّيكم وشيعتكم ، ورزقني الله العود ثمّ العود أبداً ما أبقاني ربّي ، بنيّة صادقة وإيمان وتقوى وإخبات ، ورزق واسع حلال طيّب ، اللهمّ لا تجعله آخر العهد من زيارتهم وذكرهم والصلاة عليهم ، وأوجب لي المغفرة والرحمة والخير والبركة والفوز والنور والإيمان ، وحسن الإجابة كما أوجبت لأوليائك العارفين بحقّهم ، الموجبين طاعتهم ، الراغبين في زيارتهم ، المتقرّبين إليك وإليهم ، بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي اجعلوني في همّكم ، وصيّروني في حزبكم ، وأدخلوني في شفاعتكم واذكروني عند ربّكم، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، وأبلغ أرواحهم وأجسادهم منّي السلام ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته ، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

نسأل الله تعالى برحمته الواسعة ، وبرسوله وعترته الطاهرة
أن لا يفرّق بيننا وبينهم طرفة عين في الدنيا والآخرة
بل يجعلنا معهم ، ويحشرنا في زمرتهم ، مع أوسع الخير والمغفرة
والحمد لله ربّ العالمين ، وصلوات الله على أهل البيت المعصومين
واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين

السبت ـ ١٢ ـ شهر رمضان المبارك / ١٤٢١هـ ق

علي بن السيّد محمّد الحسيني الصدر

الفهارس

- ☑ ثبت المصادر
- ☑ معجم ألفاظ الزيارة
- ☑ محتويات الكتاب

ثبت المصادر

١) ـ القرآن الكريم

٢) ـ نهج البلاغة الشريف

٣) ـ الصحيفة السجّادية المباركة

٤) ـ إبصار العين ، للشيخ السماوي ـ ط قم المقدّسة / ٢٧٠

٥) ـ أبواب الهدى ، للميرزا الأصفهاني ـ طبعة مشهد المقدّس / ٦٠٥

٦) ـ الاحتجاج ، لشيخ الإسلام الطبرسي ـ طبعة النجف الأشرف / ١٠٢ ، ١٤٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٣٦٦ ، ٤٠٠ ، ٤٦٧ ، ٥٢٩ ، ٦٢٣ ، ٦٣٣

٧) ـ احقاق الحقّ ، للقاضي التستري ـ طبعة قم المقدّسة / ٧ ، ٨ ، ١٩٨، ٢٠٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٦٧ ، ٣٩٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦١٥ ، ٦٤٢

٨) ـ احكام حج و اسرار آن ، للحاج بيگلرى ـ طبعة طهران / ٣١٤

٩) ـ الاختصاص ، لشيخ الشيعة المفيد ـ طبعة جماعة المدرّسين بقم المشرّفة / ١٦٦ ، ١٧٨ ، ٢٥٧ ، ٣٣٠ ، ٣٤٧ ، ٥٤٤ ، ٦٢٤

١٠) ـ الإرشاد ، لشيخ الشيعة المفيد ـ طبعة آل البيت / ١٣٣

١١) ـ أساس البلاغة ، للزمخشري ـ طبعة بيروت / ٤٤٢

١٢) ـ الاعتقادات ، للشيخ الصدوق ـ الطبعة الأُولى / ٣٩٧ ، ٤٤٢ ، ٤٨٨ ، ٥٤١

١٣) ـ أعلام الورى ، للشيخ الطبرسي ـ طبعة النجف الأشرف / ١٦٦

١٤) ـ إقبال الأعمال ، للسيّد ابن طاووس ـ الطبعة القديمة / ٢٦٣

١٥) ـ إكمال الدين ، للشيخ الصدوق ـ طبعة جماعة المدرّسين بقم المشرّفة / ١٥٤ ، ١٦٩ ،

٢٢١ ، ٢٤٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٦٩ ، ٥٨٢

١٦) ـ الزام الناصب ، للشيخ الحائري اليزدي ـ طبعة النجف الأشرف / ١٠٩ ، ٢٤٩

١٧) ـ الألفاظ الكتابية ، لليسوعي ـ طبعة بيروت / ١٢٧

١٨) ـ الأمالي ، للشيخ الصدوق ـ طبعة الحيدرية ، النجف الأشرف / ١٠٣ ، ١٦٦ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٨٢

١٩) ـ الأمالي ، للشيخ الطوسي ـ طبعة دار الثقافة بقم المشرّفة / ١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٧٥ ، ٦٤٢

٢٠) ـ الإمام الصادق عليه السلام ، لأسد حيدر ـ طبعة بيروت / ٢٩٩

٢١) ـ الإمام علي من المهد إلى اللحد ، للسيّد القزويني ـ طبعة بيروت / ٦٣٣

٢٢) ـ الإمام المهدي من المهد إلى الظهور ، للسيّد القزويني ـ طبعة بيروت / ١٣٨

٢٣) ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام از ديدگاه خلفاء ، للإيماني ـ طبعة مشهد المقدّس / ٥٨٣

٢٤) ـ الأنوار البهيّة ، للمحدّث القمّي ـ الطبعة الحجرية / ٦٣٢

٢٥) ـ الأنوار اللامعة ، للسيّد شبّر ـ طبعة بيروت / ١٨ ، ٣٦ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٣٧ ، ٥٥٤ ، ٥٦٠ ، ٥٩٨ ، ٦٠٦ ، ٦٥٠ ، ٦٥٢

٢٦) ـ الإيقاظ من الهجعة ، للمحدّث الحرّ العاملي ـ طبعة العلمية بقم المشرّفة / ٥٠٢

٢٧) ـ بحار الأنوار ، للعلّامة المجلسي ـ طبعة الإسلامية ، طهران / ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٣٦) ـ تفسير الصافي ، للمحدّث الكاشاني ـ طبعة بيروت / ١٠٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٨٥ ، ٢٩١
٣٧) ـ تفسير العياشي ، للشيخ الأقدم العياشي ـ طبعة طهران / ١٨٠ ، ٣٣٩ ، ٤٣٢ ، ٦٤٧
٣٨) ـ تفسر فرات الكوفي ـ طبعة طهران / ٢٥٣ ، ٣٧٧ ، ٣٩٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠
٣٩) ـ تفسير القمّي ـ طبعة النجف الأشرف / ١٧ ، ١٨ ، ٨٥ ، ١٤٤ ، ٤٠٢ ، ٦٤٤
٤٠) ـ تقريب المعارف ، لأبي الصلاح الحلبي ـ طبعة ايران / ٥٤٩
٤١) ـ تلخيص الشافي ، لشيخ الطائفة الطوسي ـ طبعة النجف الأشرف / ١١٦ ، ٢٤٠ ، ٤٣٢ ، ٦٤٠ ، ٦٤٣
٤٢) ـ تنقيح المقال ، للمحقّق المامقاني ـ الطبعة الحجرية / ١٧ ، ٢٤٢
٤٣) ـ التوحيد ، للشيخ الصدوق ـ طبعة بيروت / ١٠٥ ، ١٥٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣٠٢ ، ٤٤٤ ، ٥٠٢ ، ٥٥٨ ، ٦٤٧
٤٤) ـ تهذيب الأحكام ، لشيخ الطائفة الطوسي ـ طبعة النجف الأشرف / ١٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٦١٩
٤٥) ـ تهذيب الألفاظ ، لابن السكّيت ـ طبعة طهران / ١٢٧
٤٦) ـ الثاقب في المناقب ، لابن حمزة الطوسي ـ طبعة قم المشرّفة / ٢٠٢ ، ٤٧٣
٤٧) ـ ثواب الأعمال ، للشيخ الصدوق ـ طبعة طهران / ٤١٧ ، ٦٣٧
٤٨) ـ جامع الأخبار ، للسبزواري ـ طبعة آل البيت / ٤٧٧
٤٩) ـ الجنّة العاصمة في تاريخ فاطمة ، للسيّد مير جهاني ـ الطبعة الأُولى / ٤٩
٥٠) ـ جنّة المأوى (المطبوع في البحار) ، للمحدّث النوري ـ طبعة الإسلامية ، طهران / ٤٥٩
٥١) ـ جواهر الكلام ، للفقيه النجفي ـ طبعة الإسلامية ، طهران / ٣٣٦ ، ٣٤٢
٥٢) ـ حقّ اليقين ، للسيّد شبّر ـ طبعة صيدا / ١٠١ ، ٢٣٦ ، ٣٩٧
٥٣) ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام ، للشيخ القرشي ـ طبعة النجف الأشرف / ٢٩٩
٥٤) ـ الخرائج والجرائح ، للقطب الراوندي ـ الطبعة الأُولى / ٢٥٨ ، ٢٦٩
٥٥) ـ الخصال ، للشيخ الصدوق ـ طبعة جماعة المدرّسين بقم المشرّفة / ٢٥٤ ، ٢٧٥ ،

٩٠) ـ القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ـ الطبعة المصرية / ٢٧٧ ، ٤٤٢ ، ٦٠٦
٩١) ـ الكافي ، لثقة الإسلام الكليني ـ طبعة الحيدرية ، طهران / ١٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٦١ ، ٤٨٣ ، ٥٠٤ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦١٩
٩٢) ـ كامل الزيارات ، للشيخ الأقدم ابن قولويه القمّي ـ الطبعة الحجرية / ٩ ، ٥١٥
٩٣) ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي ، تحقيق الشيخ الأنصاري ـ الطبعة الثانية / ٧٢ ، ١٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٣٢٧ ، ٤١٨ ، ٤٣٩ ، ٥٢٥
٩٤) ـ كشف الغمّة ، للشيخ الإربلي ـ طبعة طهران / ٢٧٠
٩٥) ـ كشف المحجّة ، للسيّد ابن طاووس ـ طبعة قم المشرّفة / ٥٥٠
٩٦) ـ الكنى والألقاب ، للمحدّث القمّي ـ طبعة صيدا / ٥٤٥
٩٧) ـ كنز الدقائق ، للشيخ المشهدي القمّي ـ طبعة قم المشرّفة / ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٣١٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٨ ،

١٢٣) ـ المقنع ، للشيخ الصدوق ـ الطبعة الأُولى / ١٦
١٢٤) ـ مكيال المكارم ، للسيّد الأصفهاني ـ طبعة مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بقم المشرّفة / ٥٠٤ ، ٥٠٧
١٢٥) ـ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، لابن المغازلي ـ طبعة طهران / ١٢٢
١٢٦) ـ منتخب الأثر ، للشيخ الصافي ـ طبعة قم المشرّفة / ٢٥٠
١٢٧) ـ من لا يحضره الفقيه ، للشيخ الصدوق ـ طبعة قم المشرّفة / ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣ ، ٥٩٨ ، ٦١٩ ، ٦٥٣
١٢٨) ـ النجم الثاقب ، للمحدّث النوري ـ الطبعة الحديثة / ١٥
١٢٩) ـ النصّ والاجتهاد ، للسيّد شرف الدين / ١٠٤
١٣٠) ـ النهاية ، لابن الأثير ـ طبعة بيروت / ٤٤٢
١٣١) ـ نهج المسترشدين ، للعلّامة الحلّي ـ طبعة قم المشرّفة / ٣٩٧
١٣٢) ـ وسائل الشيعة ، للمحدّث الحرّ العاملي ـ طبعة طهران / ١٩ ، ١٨٥ ، ٣٣٥ ، ٥٣٨ ، ٣٤١ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٦٠٣ ، ٦٢٥ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦
١٣٣) ـ وصايا الرسول لزوج البتول عليهما السلام ، للصدر ـ طبعة قم المشرّفة / ٤٥٥ ، ٤٥٨
١٣٤) ـ الوافي ، للفيض الكاشاني ـ الطبعة الحجرية / ٩٢
١٣٥) ـ ينابيع المودّة ، للقندوزي ـ طبعة النجف الأشرف / ١٢٠

معجم ألفاظ الزيارة

خـــــــــصص:

محتويات الكتاب

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس